

مجلة علمية دورية محكمة تصدرها
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2



المجلد 16 العدد 03: 2019 N°3 Vol: 16
جامعة سطيف 2
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
REVE DES LETTRES ET DES SCIENCES SOCIALES
Université Sétif 2

المجلد 16 العدد 03: 2019 N°3 Vol: 16
جامعة سطيف 2
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
REVE DES LETTRES ET DES SCIENCES SOCIALES
Université Sétif 2



المجلد 16 العدد 03: 2019 N°3 Vol: 16
جامعة سطيف 2
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
REVE DES LETTRES ET DES SCIENCES SOCIALES
Université Sétif 2

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلة العلوم الاجتماعية سابقا

المجلد: 16 العدد 03 - 2019

ISSN .1112-4776

EISSN:2588-1906

الإيداع القانوني: 650-2004

Revue scientifique périodique indexée éditée par
L'Université Mohamed Lamine Debaghine Sétif2

REVUE DES LETTRES ET DES SCIENCES SOCIALES

Anciennement Revue Des Sciences Sociales

Vol:16 N° 03 - 2019

Dépôt légal :650-2004

EISSN:2588-1906

ISSN .1112-4776

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلة العلوم الاجتماعية سابقا

هوية المجلة وأهدافها

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة علمية دورية محكمة ، ومنبر معرفي ومنهجي ، يُسهم في إثراء البحث العلمي والحوار المنهجي الموضوعي في حقول المعرفة الاجتماعية ؛ وتهدف إلى:

- 1- الارتقاء بالبحث العلمي إلى مستويات عالية من الجودة من خلال البناء المنهجي للفكر والممارسة البحثية.
- 2- تحقيق التكامل المعرفي بين حقول المعرفة الاجتماعية ومختلف المناهج البحثية.
- 3- وصل الحركة العلمية في العلوم الاجتماعية بالتنمية الاجتماعية وقضايا المجتمع الواقعية.
- 4- إثارة الجدل العلمي في القضايا المستحدثة في مجال العلوم الاجتماعية ، وتوجيهها نحو أفق العالمية.

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

- مجلة العلوم العلوم الاجتماعية سابقا -

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن جامعة محمد ملين دباغين سطيف2

اللجنة العلمية

جامعة سطيف 2	أ.د. السعيد كسكاس
جامعة سطيف 2	د. نصر الدين غراف
جامعة سطيف 2	د. التوفيق سامعي
جامعة سطيف 2	د. فوزية رقاد
جامعة سطيف 2	أ.د. محمد بوادي
جامعة سطيف 2	د. رؤوف بوسعيدة
جامعة سطيف 2	أ.د. خير الدين دعيش
جامعة سطيف 2	أ.د. الطاهر سعود
جامعة قسنطينة 3	أ.د. فضيل دليو
جامعة الجزائر 2	أ.د. محمود بوسنة
جامعة باتنة 1	أ.د. الطيب بودرالة
جامعة وهران	أ.د. دحو فغورور
جامعة الجزائر 2	أ.د. حمزة محمد الشريف
المركز الجامعي تبازة	أ.د. عمار مانع
الجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة	أ.د. احمد صاري
مركز جمعة الماجد دبي	أ.د. عز الدين بن زغبية
جامعة ذي قار العراق	أ.د. عواد كاظم لفقة الغزي
جامعة بخت الرضا -السودان	أ.د. محمد الحسن عبد الرحمن
جامعة قسنطينة 2	أ.د. ساعد خميسي
المدرسة العليا قسنطينة	أ.د. حسين أمزيان
CNRS فرنسا	أ.د. دانيال إستريا
CENIEH اسبانيا	أ.د. محمد سخنوني
جامعة ابن طفيل القنيطرة المغرب	أ.د. حمداوي إبراهيم
جامعة باري 7 فرنسا	أ.د. آل ديكو بريما

مدير المجلة

أ.د. الخير قشقى مدير الجامعة

رئيس التحرير

أ.د. يوسف عيش

نائب مدير الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمى

هيئة التحرير

أ.د. ميلود سفاري
أ.د. جازية لشهب صاش
أ.د. صلاح الدين زرال
أ.د. محمد عزوي
أ.د. عبد الملك بومنجل
د. محمد بن أعراب
أ.د. أنور مقرائى
د. عبد الحليم محور باشة
د. لبنى أشهب
د. فريدة قماز
د. هشام شراد

أمانة المجلة

مبروك صبايحي

مفيدة شريفى

شروط النشر في المجلة

تنشر مجلة العلوم الاجتماعية ، الأبحاث والدراسات العلمية ، الفكرية والأدبية في تخصصات العلوم الإنسانية ، الاجتماعية ، الحقوق والعلوم السياسية مكتوبة باللغة العربية ، الانجليزية ، أو الفرنسية .
كما ترحب المجلة بالدراسات النقدية التي تتناول المنشورات الجديدة والتعريف بها في حدود 2000 كلمة .

• يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي :

- 1/ أن يكون المقال أصيلاً وجديداً ، لم يسبق نشره في نشرات أخرى مهما كانت ، ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي . وألا يكون مستلماً من رسالة أكاديمية (ماجستير أو دكتوراه) .
- 2/ الالتزام بأداب الحوار الهادف والنقد البناء بعيداً عن التجريح .
- 3/ اعتماد منهجية موحدة في ترتيب عناصر البحث والالتزام باعتماد تقسيم من التقسيمات المعروفة (مبحث ، مطلب ، فرع ، أولاً...)

4/ ألا يقل عدد صفحات المقال عن 12 صفحات ولا يزيد عن 25 صفحة ، بما فيها المصادر ، الهوامش ، الجداول والرسوم التوضيحية ، ويجب أن ترقيم الصفحات ترقيماً متسلسلاً .

5/ أن يكون المقال مطبوعاً على الكمبيوتر وفق برنامج "Microsoft Word" ، ومسجلاً في قرص صلب .

6/ هوامش الصفحة تكون كما يلي : يمين 03 سم ، يسار 1.5 سم ، رأس الورقة 1.5 سم ، أسفل الورقة 1.5 سم ، حجم الصفحة 29.7 cmX21 cm .

7/ تكتب المادة العلمية العربية بخطّ من نوع Traditional Arabic مقاسة 14 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر ، العنوان الرئيسي Traditional Arabic 14 Gras ، العناوين الفرعية Traditional Arabic 12 Gras ، أما الفرنسية أو الإنجليزية فتقدّم بخطّ من نوع Times New Roman مقاسة 12 .

8/ تحتفظ المجلة عن نشر مقالين متتاليين في العدد ذاته أو في عددين متتاليين لمؤلف واحد

9/ يراعى عند كتابة المقال ما يلي :

- يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان .

- الالتزام بقواعد ضبط الكتابة من خلال :

- احترام مسافة بداية الفقرات ، وتجنب الفقرات والجمال الطويلة جداً .

- عدم ترك مسافة (فراغ) قبل علامات الضبط المنفردة كالنقطة (.) والفاصلة (،) والنقطة الفاصلة (؛) والنقطتين (:) وعلامة التعجب (!) وعلامة الاستفهام (?) وترك مسافة بعدها إذا أتبعته بكلمة أو نص ، وعدم ترك مسافة بعد الواو (و) التي تليها كلمة .
- يتجنّب الاختزال ما لم يُشَرّ إلى ذلك .

- يُذكر مرة واحدة في البحث المصطلح العلمي وأسماء الأعلام باللغة العربية وبجانبه المصطلح باللغة الإنجليزية أو الفرنسية عند وروده أول مرة ، ويكتفى بعد ذلك بكتابه باللغة العربية .

- يجب أن يراعى في الأعمال المتضمنة لنصوص شعرية أو آيات قرآنية كريمة ، أو أسماء أعلام ضبطها بالشكل وتخريج الأحاديث والآيات الشعرية .

10/ أن توضع الهوامش والإحالات والمراجع والمصادر في آخر المقال ، وبطريقة الإدراج الآلي مع اتّباع ترقيم تسلسلي حسب ظهورها في النص ، (مراجع المقال هي فقط المراجع والمصادر المقتبس منها فعلاً) . ويراعى في طريقة التمهيش المنهج التالي :
* الكتب : إسم ولقب المؤلف ، عنوان الكتاب ، الجزء ، الترجمة (إن وجدت) ، الطبعة ، دار النشر (الناشر) ، مكان النشر ، وسنة النشر ، رقم الصفحة . (في حالة التأكد من عدم وجود البيانات الجوهرية الإيجابية فقط (دار النشر ، بلد النشر ، سنة النشر) على المؤلف الإشارة إلى ذلك باستعمال مختصرات د.د.ن/د.ب.ن/د.س.ن) حسب الحالة .

* المقالات : إسم ولقب المؤلف ، "عنوان المقال" ، عنوان المجلة ، (الجهة التي تصدر عنها) ، العدد ، الصفحة .

* البحوث المدخلة ضمن كتاب : إسم ولقب المؤلف ، "عنوان المقال" ، ضمن كتاب : (العنوان) ، المنسق العام (اسم من أشرف على تجميع مادته العلمية) ، الجزء ، الطبعة ، دار النشر (الناشر) ، مكان النشر ، وسنة النشر ، رقم الصفحة .

* الاطروحات والرسائل الجامعية : اسم الطالب ، عنوان الأطروحة أو المذكرة (تحت خط) ، بيان نوعها (دكتوراه ، ماجستير) ، تحديد الكلية والجامعة التي نوقشت فيها هذه الرسالة ، تحديد السنة ، بيان حالة النشر (رسالة منشورة ، أو غير منشورة) ، الصفحة .

* النصوص القانونية : بيان نوع النص (دستور ، قانون عضوي ،....) ، رقمه (15/01) ، المؤرخ في (ذكر اليوم والشهر والسنة) ، موضوع النص (المتضمن كذا:...) ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، العدد ، تاريخ نشرها .

* **الأحكام والقراءات القضائية:** لا بد من بيان الهيئة المصدرة (محكمة ، مجلس) ، تحديد القسم أو الغرفة (رقمها ، تخصصها) ، رقم الحكم أو القرار ، تاريخ صدوره (ذكر اليوم والشهر والسنة) ، ذكر أطراف القضية أو الحرف الأول لألقابهم ثم الاسم ، (قضية بين..) ، بيان حالة النشر (قرار أو حكم منشور أو غير منشور) ، المصدر (مجلة ، نشرية ، صادرة عن) ، العدد ، السنة ، الصفحة.

* **المنشورات الداخلية:** بيان الجهة المصدرة ، بيان رقم التعلية أو المقرر ، تحديد موضوعه.

* **التقارير:** الجهة المصدرة للتقرير ، موضوع التقرير ، مناسبة تقديمه ، التاريخ ، الصفحة.

* **المراجع الإلكترونية:** اسم المؤلف ، أو المنظمة "عنوان المقال" ، العنوان الإلكتروني كاملاً ، (تاريخ التصفح: اليوم ، الشهر ، السنة).

* **المخطوطات:** اسم المؤلف كاملاً ، عنوان المخطوط كاملاً ، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه هذا الاقتباس ويشار إلى تاريخ النسخة ، وعدد أوراقها. ويذكر رقم الورقة مع بيان الوجه أو الظهر المأخوذ منه الاقتباس ، ويشار لوجه الورقة بالرمز (أ) كما يشار لظهرها بالرمز (ب).

* **الصحف:** إذا كان خبراً يكتب اسم الصحيفة ، والعدد ، والتاريخ ، ومكان الصدور. أما إذا كانت مقالة يكتب اسم الكاتب ، "وعنوان المقالة" واسم الصحيفة ، ثم تحديد نوعها (يومية ، أسبوعية ، شهرية) ، (ومكان الصدور) والعدد ، والتاريخ ، والصفحة. * عند تكرار ذكر نفس المرجع يكتب بعد رقم الإحالة عبارة: المرجع نفسه ، ثم الصفحة ، أما في حالة ما إذا كان التكرار غير مباشر (فصل تكرار المرجع بمرجع آخر أو عدة مراجع أو بصفحة جديدة) فينبغي بعد رقم الإحالة ذكر اسم ولقب الباحث ، كتابة عبارة: المرجع السابق ، ثم بيان رقم الصفحة.

* تكون الأشكال والخرائط والرسوم البيانية على درجة عالية من الجودة مع تجنب التظليل الثقيل ، وترقم الجداول والأشكال ترقيماً متسلسلاً مستقلاً ، مع إعطاء عنوان قصير لكل منها تتم كتابته (أعلى) الشكل ، ويكون المصدر أسفلها. (على الباحث إرسال الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص ، أي ملف لكل خريطة أو صورة وهذا من نوع (jpeg)) لتسهيل عمل الهيئة التقنية للمجلة.

11/ ترسل أو تسلّم نسخة ورقية من المقال مرفقة بقرص مدمج (CD) فضلاً عن ضرورة إرسالها في ملف عبر البريد الإلكتروني للمجلة المدون أدناه ، مع مراعاة ما يلي:
- على الباحث إخفاء شخصيته في الدراسة ، وتجنب وضع أي إشارة تكشف هويته من خلال الدراسة ، ولأجل ذلك تكتب المعلومات الشخصية (اسم المؤلف ، ورتبته العلمية ، والمؤسسة التي يعمل فيها) على صفحة منفصلة ، ثم يكتب عنوان البحث مرة أخرى على الصفحة الأولى من البحث دون ذكر الاسم.
- تقديم صورة رقمية حديثة خاصة.

- التزام الدقة عند إمضاء تعهد (عقد نشر) خطي من المؤلف أو المترجم على نموذج تعدده هيئة تحرير المجلة.

- ترك نسخة من بيان السيرة الذاتية للمؤلف أو المترجم (وفي حالة تقديم المقال من طرف باحثين ، يجب إرسال الموافقة الصريحة لكل واحد منهما بقبول النشر المشترك).

- تقديم ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث ، بالنسبة للبحوث المقدمة من طلبة الدكتوراه (L.M.D).

- تقديم نسخة من الكتاب الأصلي إذا تعلق الأمر بعرض لكتاب.

12/ أن يرفق المقال وجوباً بملخص مُعَرَّب عن محتوى المقال بصورة شاملة وصادقة (في حدود 150 كلمة) باللغات الثلاث عربي ، فرنسي وإنجليزي ، متبوعاً بالكلمات المفتاحية ذات الدلالة على محتوى المقال (Key words) والتي لا تتعدى 7 كلمات تُرتَّب حسب ورودها في المقال ، وينبغي أن تشملها الترجمة باللغات الثلاث.

تنبيهات هامة:

* في حالة وجود أكثر من مؤلف يتم مراسلة الاسم الذي يرد أولاً في ترتيب الأسماء في حالة تساوي الدرجات العلمية ، والأعلى درجة في حالة اختلاف الدرجات العلمية.

* يحول المقال إلى لجنة التحكيم السرية المختصة لتحكيمة علمياً بعد التأكد من ملاءمته لقواعد النشر ، وعلى صاحب المقال إجراء التصحيحات المطلوبة منه خلال مدة زمنية تحددها هيئة التحرير.

* كل مقال يخالف شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار ، والمجلة غير معنية بإعلام صاحب المقال بذلك. كما لا يلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.

* يحق للمجلة (إذا رأت ضرورة لذلك) إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها ، كما تحتفظ المجلة بحقوقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

* ترتب البحوث في كل عدد ، واختيار حيّزها الزمني يتم وفق اعتبارات فنية تقدّرها اللجنة العلمية ولا علاقة لها باسم الباحث أو رتبته العلمية أو قيمة العمل.

*الأبحاث المنشورة في المجلة لا يعاد نشرها في جهة أخرى إلا بإذن مكتوب من مدير تحريرها ، ولا تلتزم المجلة برد المقالات غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.

* يتحمل كاتب المقال جميع التبعات الناتجة عن خرق حقوق الملكية الفكرية المترتبة للغير.

-لا تدفع مكافآت عن البحوث التي تقبل للنشر بالمجلة ، غير أن الباحث يستفيد من نسختين من العدد الذي نُشر فيه مقاله.

- تنشر موضوعات المجلة في موقع الجامعة الإلكتروني بعد صدورها.

* الدراسات التي تنشرها المجلة تُعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

المراسلة والاشتراك: ترسل جميع المراسلات إلى السيد

رئيس التحرير: مجلة العلوم الاجتماعية-جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

الهاتف: 036661181

البريد الإلكتروني:

revue@univ-setif2.dz

revue.setif2@gmail.com

الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://revues.univ-setif2.dz>

الفهرس		
صفحة	عنوان المقال	المؤلف
08	الآليات المستدامة لتسيير النفايات في الجزائر	وردة خلاف
26	الهوية الافتراضية لدى المراهقين دراسة ميدانية لعينة من المراهقين بمدينة سطيف	جنات رجم
45	الرضا عن الحياة لدى طلبة قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف	عبد المنعم مفتي
63	التزيق الديمقراطي للتخلف السياسي في المجتمعات المسلمة وجهة نظر نيهاني كريع*	اليزيد بوعروري
72	مقولة المنهج وإشكالية تلقي النصوص نظر بحثي في أنساق التفاعل بين القارئ والنص في النقد المعاصر	نبيل مسالتي محمد عبد البشير مسالتي
85	الأنسنة، الاستمعية والإسلام، أركون في سياق الكونية	عبد المالك عيادي
97	دلالة المنطوق في سورة التكاثر البنية الصوتية أنموذجا	سحيجة طبطوب
112	الجسد في الخطاب التروائي الغربي قراءة في أنماط التمثيل	محمد مزياط
127	التطور التاريخي للمنظمات الدولية الخاصة بحماية اللاجئين	محمد أنيس زياد
142	الجملة الرابطة في النحو الوظيفي...مفهومها وخصائصها	خديجة مرات
156	براغماتيات الحقيقة عند رينشارد رورتي	هاجر طالب
175	تجليات الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر	أحمد العياضي
186	اللسانيات العربية: الواقع والآفاق قراءة في تصور "مصطفى غلفان"	غنية طيبي
202	محمد العمري قارئاً لمنهج تأليف عبد القاهر الجرجاني	فؤاد زرواق
215	مساهمة الاختصاص الجنائي العالمي في التصدي لانتهاكات القانون الدولي الإنساني	أسماء بللملياني
227	بلاغة التواتر السرد في الخطاب الروائي قراءة في رواية (تصریح بضیاع) لسمیر قسیمی.	كريمة مليزي
243	Problématique des parlers hybrides à l'heure de l'enseignement des langues maternelles au Cameroun	Piebop Gisèle
262	Rhetorical structure of economics Research Articles' introductions	Somia Slaim Hind Amel Mostari
271	Teachers' and Students' Perceptions towards the Use of Authentic Videos in Phonetic Classes of Second Year Students of English, University of Mustapha Benboulaid Batna 2	Hamza Ais Said Keskes

الآليات المستدامة لتسيير النفايات في الجزائر

The Sustainable Mechanisms of Waste Management in Algeria

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الارسال: 2018-02-06

وردة خلاف، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

khallaf_ouarda@yahoo.fr

الملخص

أصبحت الدول اليوم ملزمة بتسيير نفاياتها، قصد جمعها وفرزها ثم تجميعها أو رسكلتها، حماية للبيئة وتحقيقا للتنمية المستدامة، وباعتبار أن طرق تسيير النفايات متعددة ومتنوعة فإن هذه الدراسة تستهدف الوقوف على الطرق المستدامة منها، من خلال التساؤل عن ماهية الآليات المستدامة الواجب إتباعها لتسيير النفايات، والكفيلة بحماية البيئة، وتحقيق التنمية المستدامة في جميع النواحي وعن مدى نجاح الجزائر في تجسيدها على أرض الواقع، ولأجل ذلك تم تقسيم البحث إلى محورين تناول الأول الإطار المفاهيمي لتسيير النفايات وتناول الثاني العمليات المتعلقة بتسيير النفايات.

الكلمات المفتاحية: النفايات، آليات التسيير، حماية البيئة، التنمية المستدامة.

Résumé

Les pays se retrouvent désormais dans l'obligation d'assurer la gestion de leurs déchets, en vue de leur collecte, tri puis valorisation ou recyclage, pour protéger l'environnement et atteindre le développement durable, et puisque les méthodes de gestion des déchets sont diverses et multiples, cette étude vise à lever le voile sur celles qui seraient durables, par le questionnaire concernant les mécanismes durables qui doivent être mis-en-œuvre pour la gestion des déchets, et qui seraient en mesure de protéger l'environnement et de réaliser le développement durable dans tous ses aspects, il sera également question de savoir à quel point l'Algérie a réussi à concrétiser ses méthodes sur le terrain, Et à cet effet ; la recherche a été divisée en deux axes, le premier axe s'intéresse au cadre conceptuel de la gestion des déchets et le deuxième s'intéresse aux opérations relatives à la gestion des déchets.

Mots-clés : Déchets, Mécanismes de gestion, Protection de l'environnement, Développement durable.

Abstract

Countries are now obliged to ensure the management of their waste, in order to collect, sort and then recover or recycle the waste, to protect the environment and to achieve sustainable development, and since the methods of waste management are diverse and multiple. The study aims to reveal those which would be sustainable, by wondering what is the nature of the sustainable mechanisms which must be put-in-work for waste management, and which of them would be able to protect the environment and to achieve sustainable development in all its aspects, it is also about to know to what extent did Algeria succeed in implementing these methods on the ground. To this effect; the research was divided into two focuses, the first one is concerned with the conceptual framework of waste management and the second one is concerned with the operations relating to waste management.

Key words: Waste, Management mechanisms, Protection of the environment, Sustainable development.

مقدمة

والاقتصادية والثقافية والسياحية من جهة أخرى ، وهل وُفقت الجزائر في تجسيدها على أرض الواقع ؟
لمعالجة هذه الإشكالية تم إتباع المنهج الوصفي والتحليلي ، وتقسيم الموضوع إلى محورين يتناول الأول الإطار المفاهيمي لتسيير النفايات ويتطرق الثاني للعمليات المتعلقة بتسيير النفايات.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي لتسيير النفايات

يُشكل ازدياد عدد السكان وتطور سلوكهم واتجاههم بشكل ملفت نحو الاستهلاك نتيجة التحسن المستمر للمستوى المعيشي ، عوامل أساسية ومباشرة في ازدياد كميات النفايات المنتجة سنويا ، لذلك كان لزاما على الدول التفكير في الآليات الآمنة ، والمستدامة لتسيير هذا الكم الهائل من المخلفات ، وحيث إن كل آلية من هذه الآليات تتوافق مع نوع معين من النفايات ، لذلك يقتضي الأمر التطرق لأنواع النفايات قبل التطرق للآليات المستدامة التي تناسبها ، وبالموازاة مع ذلك فقد أدى ازدياد عدد السكان إلى زيادة الحاجة إلى موارد الطبيعة ، فتحتم على الجميع التفكير في كيفية تحويل النفايات من فضلات يجب التخلص منها إلى مصادر للمواد الأولية وللطاقة ، وذلك بإخضاع العملية التسييرية إلى مبادئ معينة ، وقبل ذلك بتغيير النظرة إلى معنى النفايات ، وبناء على ما سبق سنتطرق إلى تعريف النفايات (أولا) ثم إلى أنواعها (ثانيا) وأخيرا إلى مبادئ تسييرها (ثالثا).

أولا-تعريف النفايات

يُقصد بالنفايات أية مادة لم يعد لها قيمة في الاستعمال ، فهي مواد متروكة ومهملة¹ ، ويُقصد بها في مفهوم الفقرة الأولى من المادة الثالثة من القانون رقم 19-01 المتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها وإزالتها² : "كل البقايا الناتجة عن عمليات الإنتاج أو التحويل أو الاستعمال وبصفة أعم كل مادة أو منتج وكل منقول يقوم المالك أو الحائز بالتخلص منه أو قصد التخلص منه ، أو يلزم بالتخلص منه أو بإزالته".

وقد عرفها المشرع الفرنسي بموجب المادة الأولى من القانون رقم 75- 633 المتعلق بإزالة النفايات واسترجاع المواد الأولية بأنها: "بقايا عمليات الإنتاج والتحويل أو

يحظى موضوع تسيير النفايات باهتمام أغلب دول العالم في الوقت الراهن ، وقد كان ولا يزال هذا الموضوع يُناقش في إطار حماية البيئة ، ليس فقط بالنظر لآثار النفايات الضارة على الصحة العمومية وعلى البيئة وعلى التغير المناخي وثقب الأوزون ، بل ولآثارها الاقتصادية والاجتماعية ولتشويبهها للوجه الحضاري للمدن أيضا ، بل ولقد اتسع نطاق هذا الموضوع وأصبح يُناقش اليوم في إطار استراتيجيات المدن الذكية ، التي يشكل التسيير المستدام للنفايات أحد أهم خصائصها ، وهذا يعني ؛ بأن التسيير المستدام للنفايات لا يرتبط بفترة زمنية معينة ، بل يرتبط بوجود الإنسان ككائن مستهلك ومُلوّث.

لذلك فإذا كان من غير الممكن منع النفاية من التشكّل ، فمن الممكن جدا تخفيضها عند المصدر ، وبالتالي التقليل من الأضرار التي تُسببها ، فإذا ما تشكلت النفايات فإنها تفرض على الدول رهانا حقيقيا بشكلين مختلفين: فإما أن تتجاهل هذه الأخيرة النفايات المنتجة على إقليمها ، فتنتشر الروائح ، والرواكذ ، والذباب وتنفسى الأمراض وتُشوّه المناظر الطبيعية ، فتضطر عندها إلى إنفاق مبالغ ضخمة ، وتتكبد خسائر معتبرة ، لمواجهة التدهور البيئي ، والصحي ، والسياحي والاجتماعي ، فيكون إنفاقها كثيرا في هذه الحالة كان بإمكانها تجنبه ، وإما أن تضع منذ البداية إستراتيجية واضحة لتسيير نفاياتها ، بدء بحاربتها عند المصدر ، مروراً بالجمع الانتقائي تمهيدا للتثمين أو الرسكلة ، وصولا إلى التخلص النهائي الآمن ، وكما في الحالة الأولى فإنها تتحمل مصاريف معتبرة لقاء تكريس سياستها في التسيير ، لكنه إنفاق مبرر في هذه الحالة ، وبإمكانها تعويضه بأساليب أخرى كتثمين النفايات ، والمحافظة بالتالي على الموارد الطبيعية الخام ، وعلى الطاقة ، وعلى البيئة للأجيال القادمة ، وعلى الصحة العمومية التي لا تقدر بثمن ، ما يعني بأن الاستفادة من النفايات وخلق فرص التنمية المستدامة أحسن من دفع تكاليف التدهور المتراكم ، وبناء عليه يمكن طرح الإشكالية التالية: ما هي الآليات المستدامة الواجب إتباعها لتسيير النفايات ، والكفيلة بحماية البيئة والصحة العمومية من جهة ، وبتحقيق التنمية المستدامة في جميع النواحي الاجتماعية

الاستعمال، وكل مادة أو منتج وبصفة عامة كل منقول مهجور أو أراد حائزته التخلص منه"³، وهو التعريف الذي وصفه الفقه الفرنسي بالقصور لأنه لم يسع إلى فرض التسيير الايكولوجي لا للنفايات التي ليس من طبيعتها أن تنتج آثارا ضارة على صحة الإنسان والبيئة، ولا على الأنواع الأخرى من النفايات⁴، لذلك لم يُكرر المشرع الفرنسي التعريف السابق عند صدور القانون رقم 92-646 المتعلق بإزالة النفايات والمنشآت المصنفة من أجل حماية البيئة⁵، لكنه تجاوب على عكس ذلك مع التطورات الأوروبية؛ التي تستبعد تعريف النفايات، و الذي يستثني المواد والأشياء القابلة لإعادة الاستعمال الاقتصادي، لأنه إذا كانت النفايات النهائية قابلة للمعالجة من قبل منشآت الإزالة، فإن الأنواع الأخرى يجب أن تكون موضوع تهمين⁶، ونتيجة لذلك نصت الفقرة الثانية من المادة الأولى من القانون رقم 92-646 على أن النفايات النهائية في مفهوم هذا القانون هي تلك الناتجة أو غير الناتجة عن معالجة النفايات، غير القابلة للمعالجة بحكم خصائصها في الشروط التقنية والاقتصادية الحالية، وبالتالي فإنه ينتج عما سبق بأن التعريف القانوني للنفايات في فرنسا لا يقتصر على الصيغة التي جاء بها قانون 1975، بل يُضاف إليها التعريف الذي يدمج بين الاقتصاد والبيئة، فالاستحالة التقنية والاقتصادية لتخفيض النفايات بإعادة استعمال جزئها النافع هي التي تُبرر معالجتها بتحويلها من نفايات كما عرّفها قانون 1975 إلى نفايات نهائية، ولا شك في أن المشرع الفرنسي قصد من وراء هذا التعريف الدمج بين مقتضيات حماية البيئة من خلال توجيه النفايات النهائية الميؤوس من نفعيتها إلى منشآت الإزالة الآمنة ومتطلبات التنمية المستدامة من خلال توجيه النفايات الأخرى إلى إعادة الاستعمال متى سمحت بذلك الشروط التقنية، والاقتصادية المتاحة، فما موقع التعريف الذي وضعه المشرع الجزائري من هذا التطور؟

بناء على ما سبق يمكن اقتراح التعريف التالي: النفايات هي البقايا الناتجة عن عمليات الإنتاج أو التحويل أو الاستعمال أو الاستهلاك، غير القابلة بحكم خصائصها للمعالجة في الظروف التقنية والاقتصادية الراهنة.

استعماله، وفي كل المنقولات المهملة أو المتركزة⁷، وهو تعريف يتشابه إلى حد كبير مع التعريف الذي وضعه المشرع الفرنسي بموجب قانون 75-633 والذي تخلى عنه في سنة 1992، بالإضافة إلى أنه يمتاز بعمومية الطرح وبعدم التحديد الدقيق والواضح لمعنى النفايات⁸ فلا يمكن أن تكون نفايات كل البقايا الناتجة عن عمليات الإنتاج، أو التحويل، أو الاستعمال، ولا يمكن أن يكون المصير الوحيد الذي ينتظرها هو التخلص منها، ثم إن المشرع قد ربط بموجب هذا النص بين معيار تحديد النفاية، الذي يجب أن يكون معيارا موضوعيا، وبين نية المالك أو الحائز لها وهو معيار شخصي، عندما نص على ما يلي: "وبصفة أعم كل مادة أو منتج وكل منقول يقوم المالك أو الحائز بالتخلص منه أو قصد التخلص منه"، بمعنى أن المادة أو المنتج أو المنقول لا يُشكل نفاية إلا إذا أراد مالكه، أو حائزته التخلص منه أو قصدا ذلك، فحتى وإن قصدا التخلص منه، ولم يتخلصا منه فإنه يتحول إلى نفاية، رغم أنه ما يزال في حالته الأولى، وهو أمر يُجانب المنطق، ونتيجة لذلك لم يُشر المشرع الجزائري إلى إمكانية إعادة استعمال بعض أنواع النفايات، للاستفادة من عوائدها الاقتصادية، والتقليل من آثارها السلبية ضمن هذا التعريف، حماية للبيئة من جهة، وتحقيقا للتنمية المستدامة من جهة أخرى، وبالتالي فإنه يستحسن أن يُميز المشرع الجزائري عند تعريف النفايات بين النفايات النهائية والنفايات غير النهائية، حيث إنّ النفايات النهائية هي: البقايا غير القابلة لإعادة الاستعمال، بينما النفايات غير النهائية فهي: الفضلات والمهملات القابلة لإعادة الاستعمال في الظروف التقنية والاقتصادية للبلاد، وأن الأولى فقط تعدّ نفايات بينما ما تزال الثانية تشكل مصدرا للمواد الأولية وللتنمية، متى كانت تكلفة إعادة استعمالها أقل من تكلفة المواد الخام.

تمثل النفايات حسب القانون رقم 01-19 في بقايا عمليات الإنتاج أو التحويل أو الاستعمال كالمواد والأجزاء والقطع الزائدة عن الحاجة أو غير الصالحة للاستعمال، ومختلف الفضلات الناتجة عن الاستعمال، أو الاستهلاك كالفضلات المنزلية، أو فضلات المحلات والأسواق العمومية، وفضلات الحيوانات، والمزارع، و المسالخ، والمستشفيات، وفي كل مادة أو منتج غير تام أو معيب أو فقد ضرورة وأهمية

ثانيا-أنواع النفايات

عرفها المشرع الجزائري بأنها: كل تدفق وسيلان وقذف وتجمع مباشر أو غير مباشر لسائل ينجم عن نشاط صناعي¹³.

ج-النفايات الغازية

هي كل ما يحتويه الهواء من ملوثات ، وغازات سامة ، قادرة على تغيير مكونات الهواء كما وكيفا ، بما من شأنه أن يلحق الأضرار بالكائنات الحية ، وبغيرها من عناصر البيئة ، سواء نتجت بفعل النشاط الإنساني ، أو بفعل العوامل الطبيعية ، فقد تنتج هذه النفايات الملوثة عن الحرائق خاصة حرائق آبار النفط ، ودخان المصانع ، والسيارات وأجهزة تكييف الهواء ، والروائح الكريهة الناتجة عن رمي القاذورات وتحلل المواد العضوية وغير ذلك¹⁴.

2- النفايات بحسب مصدرها

تصنف النفايات من هذه الزاوية إلى نفايات حضرية (أ) وزراعية (ب) وصناعية (ج).

أ- النفايات الحضرية

تشكل النفايات المنزلية وما شابهها نسبة كبيرة من النفايات الحضرية ، وإلى جانبها النفايات الضخمة ، ونفايات النشاطات التجارية والحرفية ، حيث تتمثل النفايات المنزلية في النفايات الناتجة عن النشاطات المنزلية ، والنفايات المماثلة الناجمة عن النشاطات الصناعية ، والتجارية ، والحرفية وغيرها ، والتي بفعل طبيعتها ومكوناتها تشبه النفايات المنزلية¹⁵ ، أما النفايات الضخمة فتُعرف بأنها: كل النفايات الناتجة عن النشاطات المنزلية والتي بفعل ضخامة حجمها لا يمكن جمعها مع النفايات المنزلية وما شابهها¹⁶ ، ومن أمثلة النفايات الحضرية النفايات الناجمة عن تنظيف الشوارع ، نفايات الأسواق ، النفايات البلدية المختلطة ، المواد البلاستيكية والألبسة الزجاج ، الورق ، الخشب¹⁷ ، بالإضافة إلى النفايات المضايقة ؛ كالأشياء الضخمة ، والخردة الحديدية ، والأنقاض وهياكل السيارات ، ونفايات التشريح أو التعفن التي ترميها المستشفيات ، ونفايات المسالخ وجثث الحيوانات وغير ذلك¹⁸.

ب- النفايات الزراعية

تُعرف بأنها النفايات الناتجة عن تربية المواشي وذبح الحيوانات وجني المزارع وحصاد الحقول وتنظيف التربة وغير ذلك ، منها نفايات المسالخ ، والبيوت البلاستيكية ، وفضلات

قسم المشرع الجزائري النفايات إلى نفايات خاصة ومنزلية وهامة⁹ ، كما يمكن أن تقسم أيضا بالنظر إلى مظهرها ومصدرها وخطورتها.

1- النفايات بحسب مظهرها

تُقسم النفايات من حيث مظهرها إلى نفايات صلبة (أ) وسائل (ب) وغازية (ج).

أ- النفايات الصلبة

هي الفضلات الصلبة المخلفة عن العمليات الصناعية والاستخدامات المنزلية ، أو المواد الصلبة التي يتم التخلص منها عند مصدر تولدها كمخلفات ليست ذات قيمة تستحق الاحتفاظ بها ، وتشمل المخلفات الصلبة القمامة ، الفضلات ، والمخلفات الصناعية والزراعية والعضوية ، وقد عُرفت النفايات الصلبة من الناحية التشريعية بأنها: النفايات المنزلية وما يماثلها في الحجم والنوع ، كمنتجات عمليات التنظيف والخردة الحديدية ونفايات المستشفيات¹⁰ ، وحيث إنّ النفايات الصلبة الصناعية أكثر خطورة من النفايات الصلبة المنزلية بالنظر إلى الأضرار الكثيرة التي يمكن أن تسببها للإنسان والحيوان النبات ومختلف عناصر البيئة¹¹.

ب- النفايات السائلة

يقصد بها المخلفات السائلة الناتجة إما عن النشاطات المنزلية أو الصناعية.

- النفايات السائلة المنزلية

هي المخلفات السائلة الناتجة عن النشاطات اليومية المنزلية للإنسان ، كالمياه المستخدمة في التنظيف والغسيل والاستحمام وفي دورات المياه ، تُسمى بمياه الصرف الصحي ، وهي تحتوي على منظفات صناعية ، ومطهرات ، ومواد كيميائية ، ومواد عضوية كبقايا الطعام ، لونها داكن وهي مملوءة بالديدان والجراثيم ، مما يؤهلها لأن تشكل خطرا كبيرا على صحة الإنسان والبيئة¹².

- النفايات السائلة الصناعية: هي المخلفات

السائلة الناتجة عن النشاطات الصناعية ، والتي تُصنف بأنها مخلفات خطيرة لاحتوائها على ملوثات كيميائية ضارة ، كمركبات الكبريت ، والزنك ، والنحاس و الزئبق...الخ ، وقد

تتضمن مواد تتفاعل في الرطوبة ، كالجبس والخشب ، أو مواد مضرّة كـ بعض أنواع الطلاء²⁴، لذلك حظر المشرع بموجب المواد من 37 إلى 40 من القانون رقم 01-19 إيداع ورمي وإهمال هذه النفايات في كل المواقع غير المخصصة لذلك ، وألزم بالمقابل البلدية بالمبادرة بالقيام بكل عمل ، واتخاذ كل إجراء لإقامة وتهيئة وتسيير مواقع لتفريغ النفايات الهامدة.

وبالإضافة إلى النفايات العادية والهامدة ، قد تكون النفايات الصناعية صلبة أو سائلة ، ومن النفايات الصلبة المواد التالفة ، وهي النفايات التي يبطل استخدامها كـ بعض مستلزمات التشغيل أو الآلات والمعدات²⁵.

3- النفايات بحسب خطورتها

تصنف النفايات من هذه الزاوية إلى نفايات خاصة ونفايات خاصة خطرة.

أ- النفايات الخاصة

هي نوع من النفايات الخطيرة ، تُعرف بأنها كل النفايات الناتجة عن النشاطات الصناعية والزراعية ، والعلاجية ، والخدمات وكل النشاطات الأخرى²⁶ ، تحتوي على مواد سامة وتركيزات عالية من المواد ذات القابلية للتفاعل ، أو الانفجار ، أو التآكل ، لذلك تتمثل أهم خصائصها في القابلية للاشتعال وللتفاعل والتآكل والسُميّة²⁷ ، وبالنظر إلى التلوث الناتج عنها فلا يمكن معالجتها بطريقة سليمة مع غيرها من النفايات في الوقت نفسه ، ولا يمكن أن تُقبل في المفارغ العمومية²⁸ ، من ضمنها نفايات النشاطات العلاجية أو الاستشفائية والتي تُعرف بأنها كل النفايات الناتجة عن نشاطات الفحص والمتابعة والعلاج الوقائي أو العلاجي في مجال الطب البشري أو البيطري ، وبالنظر إلى خطورتها الكبيرة على صحة الإنسان وعلى البيئة ، باعتبارها مصدرا لمختلف أنواع العدوى كـ مرض الايدز ، والالتهاب الكبدي الفيروسي ، و التيتانوس ، بالإضافة إلى مخاطر التسمم ، والحروق ، والمخاطر البيئية التي من ضمنها تلوث الهواء والماء²⁹ ، أوجب المشرع ضرورة إخضاعها لتسيير خاص ، وألزم المؤسسات المنتجة لها بإزالتها بطريقة يتفادى معها المساس بالصحة العمومية والبيئة³⁰.

ب- النفايات الخاصة الخطرة

عرفها المشرع الجزائري بأنها كل النفايات الخاصة التي بفعل مكوناتها ، وخاصة المواد السامة التي تحتويها يحتمل

الحيوانات ، وبقايا الأعلاف ، تُصنف إلى نفايات زراعية خطيرة ، ونفايات مشابهة للنفايات الزراعية ، ونفايات عضوية لذلك يتم فرش بعضها في التربة بهدف تخصيبها¹⁹ ، كما أنها تعمل على منع نمو الأعشاب الضارة ، لكن قد تكون بالمقابل مصدرا للحرائق والأمراض داخل الثروة الغابية ، والأشجار و المنتجات الفلاحية ، لذلك ونظرا لتوسيع وتركيز وكثافة الأنشطة الزراعية وخطورة النفايات التي تنجم عنها ، صنفها المشرع الجزائري ضمن النفايات الخاصة التي لا يمكن جمعها ، ونقلها ، ومعالجتها مع النفايات المنزلية وما شابهها والنفايات الهامدة.

ومع ذلك يجب الانتباه إلى أنه إذا كان مفهوم النفايات الزراعية لا يقتصر على النشاطات المرتبطة بالحيوانات والإنتاج الحيواني ، بل يمتد إلى النشاط الزراعي الذي يستدعي أحيانا استخدام الأسمدة والمبيدات سواء من أجل تحسين كمية ونوعية المنتجات الزراعية ، أو لمقاومة الحشرات بأنواعها ، والأعشاب الضارة أو الطفيلية ، فإن الآثار والتلوث الناتجين عن استخدامها لا يعتبران نفايات ، وإذا كان معلوم أن استخدامها يخل بالتوازن الطبيعي للكائنات الحية ، ويغيّر نظام البيئة الزراعية ، بالإضافة إلى إصابة الكائنات الحية غير المستهدفة²⁰ ومضاعفة التصحر ، فإن كل هذا التلوث ، وكل هذه الأضرار لا تعد نفايات ولا تخضع بالتبعية لقانون النفايات ، إنما تخضع للتنظيم الخاص باستخدام المبيدات والمواد الكيميائية ، وهو تشريع دقيق ومتنوع ومتداخل²¹.

ج- النفايات الصناعية

هي الفضلات الناتجة عن نشاط الوحدات الصناعية و التقيد تكون عادية ، أو خطيرة هامة أو خاصة ، حيث إن النفايات الصناعية العادية لا هي هامة ولا هي خطيرة ، لذلك يمكن معالجتها إلى جانب النفايات المنزلية²² ، وحيث إن النفايات الهامة هي كل النفايات الناتجة لا سيما عن استغلال المحاجر والمناجم ، وعن أشغال الهدم والبناء أو الترميم ، والتي لا يطرأ عليها أي تغيير فيزيائي أو كيميائي أو بيولوجي عند إلقائها في المفارغ ، والتي لم تلوث بمواد خطيرة أو بعناصر أخرى تُسبب أضرارا يحتمل أن تضر بالصحة العمومية أو بالبيئة أو بهما معا²³ ، ومع ذلك لا تعد النفايات الهامة مرادفا للنفايات العادية أو غير الخطيرة ، فلطالما اعتبرت نفايات الهدم نفايات هامة ، رغم أنها من الممكن أن

المتوفرة وبتكلفة اقتصادية مقبولة ، بغرض إدماج الاعتبارات البيئية في السياسات التنموية³⁷، وفي هذا الإطار نصت الفقرة 5 من المادة 3 من القانون رقم 03-10 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة³⁸ على ضرورة تصحيح الأضرار البيئية بالأولوية عند المصدر ، ويكون ذلك باستعمال أحسن التقنيات المتوفرة وبتكلفة اقتصادية مقبولة ، وبمفهوم المخالفة فمتى ارتفعت التكنولوجيات النظيفة ، والمتطورة فإنه سيتم التخلي عنها ، لذلك تحت التشريعات البيئية الوطنية والمقارنة ، على اللجوء إلى التكنولوجيات المتوفرة ذات التكلفة الاقتصادية المعقولة ، ومن صور ذلك صنع الآلات و المنتجات التي لا تولد النفايات ، أو التي تولد أدنى حد منها عند تشغيلها أو عند استهلاكها ، وعدم إنتاج المواد غير القابلة للرسكلة ، وصناعة المركبات غير الملوثة للهواء³⁹، وفي هذا الإطار ألزم المشرع الجزائري منتجي أو حائزي النفايات باتخاذ كل الإجراءات الضرورية لتفادي إنتاج النفايات إلى أقصى حد ممكن ، باستعمال التكنولوجيات الأكثر نقاء ، وبالامتناع عن تسويق المواد المُنْتِجة للنفايات وغير القابلة للانحلال البيولوجي ، وبالامتناع عن استعمال المواد التي تشكل خطراً على الإنسان⁴⁰.

2- مبدأ الإعلام والتحسيس بأخطار النفايات

نصت الفقرة 5 من المادة 34 من القانون رقم 01-19 المتعلق بتسيير النفايات ، ومراقبتها ، وإزالتها على ضرورة إعلام و تحسيس المواطنين بالأخطار الناجمة عن النفايات وآثارها على الصحة والبيئة ، وكذلك التدابير المتخذة للوقاية من هذه الأخطار والحد منها أو تعويضها ، لكن هذا النص جاء بعبارات عامة وواسعة ، فلم يُبين بدقة آليات الإعلام و التحسيس ولا طبيعة التدابير الوقائية الواجب اتخاذها ، كما لم يُجَل إلى التنظيم القيام بذلك ، مع ذلك تكفلت الفقرة 3 من المادة 34 بتبيان إحدى السبل والمتمثلة في : وضع جهاز دائم لإعلام السكان و تحسيسهم بآثار النفايات المضرّة بالصحة العمومية وبالبيئة ، والتدابير الرامية إلى الوقاية من هذه الآثار ، وحذرت المادة 9 من نفس القانون نفسه من إعادة استعمال مغلفات المواد الكيماوية لاحتواء مواد غذائية مباشرة ، وإلى أنه يجب أن يشار إلى هذا الحظر إجبارياً على مغلفات المواد الكيماوية بعلامات واضحة تحذّر من الأخطار المهدّدة لصحة الإنسان ، في حالة استعمال هذه المغلفات

أن تضر بالصحة العمومية والبيئة أو بهما معا³¹ ، لذلك تصنف النفايات الخاصة الخطرة بأنها سامة وخطيرة³² ، وأن درجة الخطورة تزداد وتتناقص فيها بحسب طبيعتها وتركيبها ، إذ تُشكل الفضلات شديدة الإشعاع أعلى درجات الخطورة الإشعاعية³³ ، وقد وضّح المشرع الجزائري مقاييس خطورة النفايات الخاصة الخطرة ، والتي تتمثل في القابلية للانفجار ، والالتهاب ، القابلية الشديدة للاشتعال ، التهيّج ، الضرر ، السمية ، السرطنة ، الخطورة على البيئة... الخ³⁴ ، لذلك يقتضي الأمر وبالنظر إلى الخطورة القصوى لبعض أنواع النفايات ولسميّتها وجب معالجتها قبل دفنها ، للتقليل مما تحتويه من مواد مشعة ، وغيرها من المواد إلى المستوى الآمن ، بالإضافة إلى ضرورة خضوعها لقواعد خاصة ، من ذلك حظر خلطها مع النفايات الأخرى ، وحظر تسليمها لأي شخص غير مستغل لمنشأة مرخص لها بمعالجة هذا الصنف من النفايات³⁵.

ثالثاً- المبادئ العامة في تسيير النفايات

يرتكز تسيير النفايات في التشريع الجزائري³⁶ على مبادئ الوقاية ، والتقليل من إنتاج وضرر النفايات من المصدر ، تنظيم فرز النفايات ، وجمعها ونقلها ومعالجتها ، تسمينها بإعادة استعمالها أو برسكلتها ، أو بكل طريقة تمكّن من الحصول باستعمالها على : مواد قابلة لإعادة الاستعمال أو الحصول على الطاقة ، وعلى المعالجة البيئية العقلانية للنفايات ، وإعلام و تحسيس المواطنين بالأخطار الناجمة عن النفايات وآثارها على الصحة والبيئة ، وكذلك على التدابير المتخذة للوقاية من هذه الأخطار ، والحد منها ، أو تعويضها .

والملاحظ على هذه المبادئ أن بعضها يتعلق بالوقاية من أخطار النفايات ، كالمبدأ الأول والأخير وبعضها الآخر يتعلق بعملية تسيير النفايات ، كالمبدأ الثاني والثالث والرابع ، وبما أن المبادئ المتعلقة بعملية تسيير النفايات سيتم التطرق إليها بالتفصيل في المحور الثاني المخصص للعمليات المتعلقة بتسيير النفايات ، فسوف تقتصر الدراسة في هذا المقام على مبدئي تقليل إنتاج النفايات من المصدر(1) والإعلام و التحسيس بأخطار النفايات (2).

1- مبدأ تقليل إنتاج النفايات من المصدر

هو من المبادئ الهامة في قانون البيئة ، ويعني أولوية القضاء على النفايات في مصدرها ، بتقليل إنتاجها إلى أدنى حد ممكن في مكان الإنتاج ، باستعمال أحسن التكنولوجيات

القطاع غير الشرعي المتمثل في الأفراد والعائلات ، والمقاولات التي لا تمتلك سجلا تجاريا يساهم بفعالية في هذه العملية ، حيث تتعدد نقاط جمع النفايات لديهم بين المحال التجارية ، والطرق ، والأسواق ، وبعد جمعها يقومون ببيعها بأثمان أقل من سعرها الحقيقي⁴⁷.

أ- طرق جمع النفايات: تُمَيِّز في هذا الصدد بين الجمع المختلط والجمع الانتقائي.

- طريقة الجمع المختلط: تعتمد هذه الطريقة على الجمع المختلط للنفايات ، وهي على نوعين:

• الطريقة التقليدية

تعتمد على هذه الطريقة العديد من الدول منها الجزائر ، وهي تركز على جمع مختلف النفايات المختلطة في أكياس بلاستيكية أو في أوعية بلاستيكية أو حديدية توضع أمام المنازل ، قصد نقلها إلى أماكن أخرى مُخصصة للفرز أو للمعالجة ، ولأن هذه النفايات تُجمع مختلطة فإنه يقع على المواطنين واجب الالتزام ببعض القواعد الصحية ، منها عدم احتواء النفايات على أي شيء أو أية مادة قابلة للانفجار ، أو قدرة على إشعال البقايا ، أو إتلاف الأوعية أو إصابة أعوان النظافة⁴⁸ ، لذلك فإن هذه الطريقة وإن كانت سهلة وغير مكلفة ماديا ، ولا تتطلب تكويننا خاصا للقائمين بها ، فإنها تتطلب بالمقابل تمتعهم بقوة بدنية وصحية جيدة ، كما أنها تُرتب كثير من الظواهر غير الصحية والمسيئة للبيئة ، كانتشار الروائح الكريهة والذباب ، وسيلان العصارة ، وتشويه المنظر بتكدس النفايات ورميها هنا وهناك ، بالإضافة إلى أنه يصعب وبشكل كبير القيام بعملية فرز النفايات المتحصل عليها من عملية الجمع المختلط وبالتالي تجميعها⁴⁹.

• الطريقة الحديثة

تعتمد هذه الطريقة على جمع النفايات في الحاويات المبطورة (bacs enterrés) ، وقد سُميت بالمبطورة لأنها توضع تحت الأرض ، ويكون لها منفذ فوق الأرض يتم من خلاله رمي النفايات ، وعندما تمتلئ ترفع أوتوماتيكيا وتفرغ في الشاحنة لنقل إلى مكان المعالجة أو التثمين ، وقد بادرت المؤسسة الولائية لتسيير مراكز الردم التقني بولاية سطيف بوضع هذه الحاويات ، لكن لم تبشر بعد عملية استغلالها ، وإذا كانت هذه الطريقة تتمتع بعدة مزايا باعتبارها تمنع انتشار

لتخزين مواد غذائية ، وبالإضافة إلى ذلك تنص المادة 41 من نفس القانون على ضرورة خضوع شروط اختيار مواقع إقامة منشآت معالجة النفايات وتجهيئتها وإنجازها ، وتعديل عملها وتوسيعها ، إلى دراسات تقييم الأثر البيئي⁴¹ ، التي تركز على إجراءات نشر التحقيق العمومي⁴².

المحور الثاني: العمليات المتعلقة بتسيير النفايات

تقتضي قيم المعالجة إذا ما تم إنتاج النفايات تثمين كل ما يمكن تثمينه منها حماية لموارد الطبيعة من الاستنزاف ، وفي هذا الإطار عرّف المشرع الجزائري عمليات تسيير النفايات بأنها كل العمليات المتعلقة بجمع النفايات وفرزها ، ونقلها وتخزينها ، وتثمينها وإزالتها⁴³.

أولا- جمع وفرز النفايات

يرتبط تنظيف المدن بشكل كبير بجمع النفايات (1) ، ويرتبط تثمينها بفرزها (2).

1- جمع النفايات

عرّف المشرع الجزائري جمع النفايات بموجب نص المادة 3 من القانون رقم 01-19 بأنه لم النفايات ، ويختلف الجمع باختلاف الأماكن الخاضعة له ، وما إذا كانت جبلية أو مستوية ضيقة أو واسعة ، فجمع النفايات في حي القصبة بالجزائر العاصمة يعتمد على الحيوانات (الأحمر) بسبب التضاريس الصعبة والأزقة الضيقة⁴⁴ ، أما في المناطق الحضرية والمدن فتستعمل إما الشاحنات ذات الرأس القلابة (bennes taiseuses) مختلفة الأحجام أو الشاحنات ذات حمولة 2.5 طن (plateau) أو حاويات 240 لتر ذات العجلات أو الجرار ، لكن ورغم أن الجزائر نوعت في وسائل جمع النفايات ووقّرت الإطار البشري القائم عليها ، فإن نسبة النفايات المُجمعة على المستوى الوطني لا تمثل إلا جزء صغير من مجموع النفايات المتراكمة⁴⁵ ، بسبب ارتفاع حجمها من جهة ، وبسبب نقص الوعي البيئي لدى السكان من جهة أخرى ، والذي من بين مظاهره عدم احترام ساعات إخراج النفايات.

وإذا كانت البلدية والأشخاص الطبيعيين ، أو المعنويين الخاضعين للقانون العام أو الخاص ، هم المسؤولون الشرعيون عن جمع النفايات في الجزائر⁴⁶ ، فإن

لتسيير مراكز الردم التقني بسطيف بتوفير حاويات الفرز الانتقائي للنفايات المنزلية مخصصة لفرز البلاستيك والورق، والزجاج، والخبز، وهذا على مستوى الأحياء السكنية المغلقة، والمؤسسات العمومية، والخاصة كالجامعات، ومختلف معاهد التكوين العمومية والخاصة، قصد الحصول على نفايات مفروزة واقتصاد بعض نفقات الفرز، باعتبار أن بلدية سطيف مقسمة إلى قسمين، يشمل القسم الأول 17 قطاع ممنوح للمؤسسة الولائية، ويشمل القسم الثاني 18 قطاع ممنوح للبلدية، لكن هذه المبادرة المستدامة لم تدم طويلا، ليس لعدم تجاوب السكان لكن بسبب اعتداء القطاع غير الشرعي على موجودات الحاويات⁵³.

• الجمع من باب إلى باب:

وفقا لهذه الطريقة يتم جمع النفايات بشكل منفصل، حيث يقوم المواطن بفرز نفاياته حسب طبيعتها قبل وضعها في الأوعية الموضوعة أمام الأبواب، والمخصص كل منها لنوع معين من النفايات⁵⁴.

يبدو بأن الجمع من باب إلى باب هو نوع من أنواع الجمع الإرادي، لكن الفرق بينهما يكمن في: أن الأول يتميز بأن بعض الدول تفرض بشأنه رسوما على المهتمين عن فرز نفاياتهم في المنازل وبعضها الآخر يحفز القائمين بهذه العملية.

• وضع النفايات في مجمع الفرز

يُشأ مجمع الفرز بعيدا عن المدن، وهو مكان محروس لتفادي الرمي العشوائي، يُفتح للجمهور وخصوصا للحرفيين والتجار، يستقبل عادة نفايات لم تجمع من قبل الجهات المختصة بالجمع⁵⁵، بسبب حجمها أو بسبب طبيعتها، يتميز بوجود عدة حاويات تخصص كل واحدة منها لنوع معين من النفايات، وهو ما يسمح للأفراد بأخذ نفاياتهم غير المٌجمعة دون تحمل عناء الذهاب إلى المفارغ، مما يسمح بالحصول على نفايات مفروزة، بل أن وجود الحارس وقت الرمي يسمح بالحصول على نفايات أكثر فرزا من تلك المحصل عليها بالطرق الأخرى⁵⁶.

وبالنسبة للجزائر فبالإضافة إلى مراكز الفرز الموجودة على مستوى مراكز الردم التقني فقد اتجهت إلى إنشاء أول مركز لفرز النفايات الصناعية العادية بالبلدية في سنة 2004، وهو

الروائح وسيلان المياه المرشحة، واحتكاك الحيوانات بالنفايات وتعمل بالتالي على حماية البيئة، وتقضي على مخاطر وصعوبات العمل المرتبطة بجمع النفايات، وعلى الازدحام الشديد الذي يُسببه توقف شاحنة النظافة في الطريق العمومي لجمع النفايات، بالإضافة إلى أنها تشكل طريقة من طرق إقصاء القطاع غير المشروع من مجال الاستفادة من النفايات، وفرصة للتفكير في كيفية إدماجهم ضمن الاستراتيجية الوطنية لتسيير النفايات، ومع ذلك فإن الأحسن منها هو تخصيص حاويات مطمورة لكل نوع من النفايات، حتى يسهل تمييزها، لذلك فلا يمكن اعتبار آلية الجمع المختلط من الآليات المستدامة لتسيير النفايات.

في كل الأحوال وسواء تم الجمع بالطريقة التقليدية أو الحديثة، فإن النفايات المختلطة المٌجمعة تنقل إما إلى المفارغ العمومية العشوائية غير المحروسة، والتي لا تخضع لأي نظام تسيير، أو إلى المفارغ المراقبة والمحروسة أو إلى مراكز الردم التقني.

- طريقة الجمع الانتقائي

هي الطريقة الأكثر استعمالا لاسيما في الدول المتقدمة⁵⁰، تعتمد على جمع النفايات المفروزة مسبقا في حاوية أو في عدة حاويات، لذلك فهي تركز بشكل أساسي على توفر وعي وثقافة المواطنين القائمين الأساسيين بعملية الفرز، ولإنجاح هذه الطريقة يقتضي الأمر تبسيطها لدى المواطنين، وذلك بتحديد مضمونها في ثلاثة أو أربعة أنواع من النفايات فقط، كالزجاج، والورق، والبلاستيك، وبناء على ما سبق، فإذا كانت هذه الطريقة تتميز بارتفاع تكاليفها مقارنة بطريقة الجمع المختلط، لأنها تحتاج إلى تغطية تكاليف الوسائل الهادية والحملات التحسيسية، فإنها تتميز بالمقابل بجعلها من المواطنين فاعلين أساسيين في حماية البيئة، وبأنها تسمح بتخفيض نفقات معالجة النفايات المفروزة⁵¹ وبهذا الصدد نبيّز بين الجمع الإرادي، والجمع من باب إلى باب ووضع النفايات في مجمع الفرز.

• الجمع الإرادي

توضع الحاوية وفقا لهذه الطريقة في مكان عمومي استراتيجي يسمح لجميع الأشخاص بالوصول إليها ورمي نفاياتهم فيها، كأن توضع حاوية مخصصة لجمع الزجاج في الطريق العمومي⁵²، وفي هذا الإطار قامت المؤسسة الولائية

مستلزماته ، فإنهم يحققون هدفين بعملية واحدة ، العملية هي الجمع الانتقائي ، والهدفين هما الجمع والفرز .

ج- الفرز بعد الجمع

بعد عملية الجمع يتم الحصول على مزيج مختلط ومتنوع من النفايات ، وهو الأمر الذي يُعقد عملية الفرز التي تتم على مستوى مجمعات الفرز ، وفي غالب الأحوال على مستوى المفارغ العمومية ومراكز الردم التقني ، والتي قد تتم بطريقة يدوية أو أوتوماتيكية.

- الفرز اليدوي

بعد دخول الشاحنة إلى مركز الفرز ، أو مركز الردم التقني ، يتم وزنها ، ثم تفرغها في المكان المخصص لذلك ، فتمر النفايات المختلطة على بساط متحرك أمام العمال ، حيث يقوم كل عامل بفرز نوع من النفايات ، ويضعها في حاوية خاصة وهكذا ، وعند امتلاء الحاوية يقوم عامل آخر بنقلها إلى مكان تجميع ذلك النوع من النفايات ، لتخزينها في انتظار بيعها قصد تجميعها ، أما على مستوى المفارغ العمومية فيُساهم القطاع غير المشروع إلى جانب الأشخاص المخولين بذلك قانونا في عملية فرز النفايات ، وذلك بطريقة يدوية غير منظمة ، يتم من خلالها فصل النفايات عن بعضها البعض يدويا⁶¹ ، تحضيراً لبيعها.

- الفرز الأوتوماتيكي

أولى مراحل الفرز الأوتوماتيكي هي مرحلة استلام مجمعات الفرز للنفايات ، تُتبع هذه المرحلة بسلسلة من عمليات الفصل الميكانيكية للمواد ، حيث تمر النفايات في جهاز فصل ميكانيكي يُسمى الغربال ، يفصل المواد بالنظر إلى حجمها ، فيتم الاحتفاظ بالأجزاء المتوسطة الحجم ، وتستبعد الأجزاء الدقيقة ، بعد ذلك يتم فصل المواد بالنظر إلى كثافتها في غربال خاص ، يسمح بفصل المواد المقفّرة كالبلستيك ، وعلب التصبير ، والقوالب عن المواد المسطحة كـ : الورق العادي ، والورق المقوى ، وفي المكان المخصص لحزم النفايات المقفّرة يوضع جهاز خاص لجذب المواد الحديدية وفصلها عن غيرها ، أما بالنسبة لبقية المواد فيتم فصلها عن بعضها البعض بعد مرورها في بساط متحرك عن طريق الفرز اليدوي⁶².

مركز يختص بفرز الورق المقوى ، والزجاج ، والبلستيك ، والمعادن ، يتم تمويله (بالنفايات) طوعا من طرف الصناعيين وكبار التجار ، وبذلك فهو يضمن تزويد كثير من المقاولات المهتمة بتمتين هذه المواد⁵⁷ ، كما يُساهم في حماية البيئة من ظاهرة الرمي العشوائي.

وبالتالي يمكن القول بالنظر للمزايا التي تقدمها طريقة الجمع الانتقائي ، بأن التسيير المستدام للنفايات يقتضي اتباع هذه الطريقة ، وفي هذا الإطار يمكن التركيز على طريقة الجمع الانتقائي عن طريق الحاويات المظمورة ، التي تسمح بحماية البيئة ، والقضاء على المناظر المشوهة لها من جهة وتمكن من الحصول على نفايات مفروزة توجه مباشرة إلى التثمين ، كما من شأنها أن تقوّت الفرصة على القطاع غير المشروع في الاعتداء على حصيلة عملية الجمع الانتقائي ، لأن رفع هذا النوع من الحاويات وفتحها وتفرغها يتم بوسيلة التحكم.

2- فرز النفايات

يتعلق فرز النفايات بكل العمليات المتعلقة بفصل النفايات حسب طبيعة كل منها قصد معالجتها⁵⁸ وهو تعبير مادي عن ثقافة تثمين النفايات وحماية البيئة ، هذه الثقافة التي تُساهم في تكوينها عدة اعتبارات كالقيم التي ينشأ عليها الإنسان ، وشخصيته ، وطريقة عيشه ، وحجم المعارف التي يكتسبها حول الموضوع⁵⁹ ، هذا ويُقسم الفرز إلى ثلاثة أنواع: الفرز عند المصدر ، الفرز بالجمع الانتقائي والفرز بعد الجمع.

أ- الفرز عند المصدر

إذا كان من غير الممكن منع النفايات من التشكل فمن المُمكن التخفيض من كمياتها عند المصدر وبالتالي التقليل من الأضرار التي تسببها ، وذلك بفرزها عند المصدر سواء من طرف المواطن أو التاجر أو الحرفي أو الصناعي أو غيرهم ، وذلك بوضع أكياس بلاستيكية مختلفة الألوان يخصص كل لون لنوع من النفايات ، أو بتخصيص بعض الأدراج المنزلية للبلستيك والورق مثلا.

ب- الفرز بالجمع الانتقائي

هي طريقة تقتضي وجود إرادة سياسية وظروف تقنية ومالية ملائمة لدى الجماعات المحلية بالإضافة إلى ضرورة التجاوب الكبير للمواطنين مع عملية التثمين⁶⁰ ، فمتى اقتنع المواطنون و المسؤولون بضرورة الجمع الانتقائي ، ووفروا له

ثانيا-إعادة تدوير النفايات

تُعرف صناعة تدوير النفايات عالميا بأنها الصناعة التي تدر ذهابا، لتوفّر موادها الأولية التي تزداد بازدياد السكان وما ينجم عنهم من فضلات، خاصة بعد ارتفاع أسعار جميع المواد على المستوى العالمي، ولا سيما قيمة المواد الأولية، وتُعرف تقنية إعادة التدوير بأنها تحويل النفايات إلى سلع جديدة من أجل إعادة استخدامها من جديد⁶³، وهي بذلك وسيلة إستراتيجية لتثمين النفايات عن طريق استرداد بعض محتوياتها وإعادة تصنيعها، أو بتحويل بعضها إلى سلع جديدة، وقد عرّف المشرع الجزائري تثمين النفايات بأنها كل العمليات الرامية إلى إعادة استعمال النفايات أو رسكلتها أو تسميدها⁶⁴، كما نص على مبادئ تسيير النفايات التي من ضمنها، مبدأ تثمين النفايات بإعادة استعمالها، أو برسكلتها أو بكل طريقة تمكّن من الحصول، باستعمال تلك النفايات على مواد قابلة لإعادة الاستعمال أو الحصول على الطاقة⁶⁵.

والملاحظ على المشرع الجزائري أنه لم يُميّز بين إعادة الاستعمال و الرسكلة والتسميد، بل إنه استعمل كل هذه المصطلحات للتعبير عن عملية التثمين، فهو لم يركّز على اسم العملية بقدر ما ركّز على جوهرها، والمتمثل في الحصول على مواد قابلة لإعادة الاستعمال أو الحصول على طاقة، وهو موقف مقبول من جانبه، فليس من أدوار المشرع التمييز بين المصطلحات، لذلك تدخل الفقه وعدّ بأنه يوجد فرق بين إعادة التدوير وإعادة الاستخدام و الرسكلة.

إذ يعني إعادة التدوير: إعادة مادة مركبة، غير صالحة للاستعمال الجيد بحالتها إلى عناصرها بحيث يمكن الاستفادة من كل عنصر منها، أما إعادة الاستخدام فتعني استرجاع الفاقد من مادة معينة لاستخدامه كما هو أو بعد معالجة يسيرة، وذلك كاسترجاع أتربة الاسمنت المنبعثة من مصانع الاسمنت⁶⁶، والمثال الشائع هو المتعلق بإعادة استعمال الألبسة، التي تحتاج إلى فرز انتقائي ثم تُغسل وتُوجّه لإعادة الاستعمال دون تحويل⁶⁷، لذلك يلعب إعادة الاستعمال دور كبير في المحافظة على الطاقة، فغسل قارورة زجاجية قديمة يتطلب قدرا من الطاقة أقل بكثير مما يتطلب صهرها وصنع قارورة جديدة أو صنع قارورة جديدة من مادة بكر⁶⁸، أما الرسكلة فتعني تحويل المواد المستردة من النفايات إلى

منتجات جديدة بتغيير طبيعتها قبل إعادة استخدامها، مثل استخدام النفاية كوقود⁶⁹. وبناء عليه، يمكن القول بأن رهانات إعادة تدوير النفايات متعددة ومتنوعة سواء على المستوى البيئي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، وتتمثل فيما يلي:

1- على المستوى البيئي

- الاستهلاك بأقل قدر ممكن للمصادر الطبيعية، قصد المحافظة عليها للأجيال القادمة.
- الحد من اتساع وانتشار منشآت تخزين النفايات.
- التقليل من حجم النفايات الموجهة للحرق، وبالتالي التخفيض من انبعاث الكربون.

2- على المستوى الاقتصادي

- المحافظة على الموارد الطبيعية والتركيز على استعمال المواد المرسكلة.
- تقليل تكاليف الحصول على هذه المواد وبالتالي تدني تكاليف الإنتاج.

- تطوير نشاطات صناعية، وتجارية جديدة، وهي النشاطات المسماة بالاقتصاد الأخضر.

3- على المستوى الاجتماعي

- قدرة صناعة إعادة التدوير على توفير مناصب شغل جديدة.

- السماح للأشخاص بإعادة استغلال بعض الأجهزة كالأجهزة الكهرو منزلية، وأجهزة الإعلام الآلي⁷⁰.

لكن ورغم ما تتمتع به هذه الصناعة من فوائد متعددة الأوجه، فيبدو بأنها ما تزال بعيدة عن اهتمامات الدولة الجزائرية، رغم الأزمة المالية التي تعانيها، والمرتبة عن انهيار أسعار النفط، فقد أحصت الجزائر ما قيمته 12مليون طن من النفايات في سنة 2016، ولم يُوجّه للرسكلة إلا ما قيمته 10% من مجموع هذه النفايات⁷¹، وهي نسبة ضعيفة جدا تُعبر عن عدم اهتمام السلطات الجزائرية بهذا المجال الاقتصادي المهم، كما تُعبر عن غياب إستراتيجية وطنية لتثمين النفايات ومن ثمة لتسيير النفايات.

ثالثا-معالجة النفايات

- يتعلق الأمر بالمعالجة الهوائية (1) واللا هوائية (2) والحرارية للنفايات (3).

1- المعالجة الهوائية للنفايات

تُسمى المعالجة الهوائية للنفايات بالتسميد (le compostage) الذي نتناول تعريفه في نقطة أولى وطريقته في نقطة ثانية ومزاياه في نقطة ثالثة.

أ-تعريف التسميد

يعني التسميد العملية البيولوجية التي يتم من خلالها تحويل النفايات العضوية إلى منتج ترابي غني بالمواد المغذية للتربة، في وجود الأكسجين المنتشر في الهواء، وفي درجة حرارة معينة، وفي ظل شروط رقابية محددة⁷²، يُسمى المنتج الترابي بالسماد، ويستعمل غالبا في الزراعة، وباعتبارها موجهة لتسميد التربة فإنه يشترط انتقاء النفايات موضوع التسميد، فتُقبل نفايات المساحات الخضراء والقشور، وروث الحيوانات، وورق النفايات المنزلية...الخ⁷³، بالمقابل تُرفض المواد الفقيرة للمادة العضوية كالبلستيك، والعناصر الثقيلة الهامدة، فبالإضافة إلى أنها غير قابلة للتخمر فإن وجودها يؤدي إلى رفع درجة الحرارة مما يضر بعملية التخمر⁷⁴، ومع ذلك لا يُقلص هذا الانتقاء من فرص التسميد، ففي إطار حملة تصنيف النفايات التي قامت بها الوكالة الوطنية للنفايات بالجزائر، تم التوصل إلى أن حاوية النفايات في الجزائر تحتوي على 17% من نفايات البلاستيك، و10% من الورق، و54% من النفايات العضوية، بعد أن كانت 70% في سنة 2010، ورغم أن الجزائر أحصت 12 مليون طن من النفايات في سنة 2016، فإنها لم توجه للتسميد إلا ما قيمته 1%⁷⁵، وهي نسبة ما كان يجب التصريح بها في دولة بدأت منذ نهاية 2014 تُروج لسياسة التنمية الفلاحية.

ب-طريقة التسميد

بعد وصول النفايات الصالحة للتسميد تُخزن، ثم تُطحن، وتوضع بعد ذلك في شكل كومات (andain-tas) بغرض بدأ عملية التخمر، ولأجل تسريع هذه العملية يتم في بعض الأحيان تبليل النفايات المطحونة بالماء قبل تكويمها، وفي بعض المنشآت يتم تبليلها أثناء عملية التخمر، وفي كل الأحوال تتم تهوية طحين النفايات، بهدف تزويده بالهواء اللازم للتحويل البيولوجي للمادة العضوية وبعد حوالي شهرين من التخمر متبوعة بشهرين للنضج، يصبح السماد جاهزا للاستعمال.

ج-مزايا التسميد

تُحقق عملية التسميد عدة مزايا على المستوى الاقتصادي والبيئي تتمثل فيما يلي:

- تُساهم في التقليل من حجم النفايات وفي تخفيف الضغط على مرافق التخلص من النفايات باهظة التكلفة.
- تحسين بنية التربة بملحها بالمواد المغذية، بما يحقق زيادة إنتاجية المحاصيل.
- تقادي أخطار الأسمدة الكيميائية التي من بينها خفض الأصناف النباتية والحيوانية وتدهور جودة التربة.⁷⁶
- بناء على ما سبق، يمكن القول بأن تقنية التسميد هي آلية مستدامة لتسيير النفايات.

2- المعالجة اللاهوائية للنفايات

تُسمى هذه المعالجة أيضا بالهضم اللاهوائي، حيث يُشكل تجميع المواد العضوية حلاً استراتيجياً ومستداماً للتخفيف من الآثار السامة للنفايات، كما يسمح بإنتاج طاقة متجددة تسمى البيوغاز، وذلك بوضع النفايات المحتوية على المواد العضوية مثل: الورق، والقماش، والخشب، وبقايا الطعام ونفايات الحيوانات، في مستودعات، أو آبار متوسطة العمق، ويترك هذا الخليط ليتخمر بفعل البكتيريا، وبعد التخمر الذي يحدث طبيعياً تتحول النفايات إلى غاز الميثان الذي يستخدم كوقود للتسخين والطهي، وإنتاج الكهرباء والإضاءة كما يمكن استعماله لتزويد شبكة غاز المدينة.⁷⁷

وإن كان بالإمكان الحصول على الغاز بطريقة طبيعية تعتمد على تحويل النفايات إلى طاقة في غياب الأكسجين، فقد أثبتت التجارب العلمية بأن لبعض العوامل تأثيراً كبيراً في تحسين مردود الهضم اللاهوائي، كمستوى تخفيف كثافة النفايات ودرجة الحرارة، وتركيب النفايات نفسها ومستوى الـ pH، حيث أن الـ pH هو الجهاز الكاشف عن حموضة الخليط، فإذا كان الـ pH يساوي 7 فمن شأن ذلك أن يساهم في تطوّر البكتيريا المسؤولة عن تشكيل الميثان، كما أثبتت هذه التجارب بأنه وفي كل حالات الهضم اللاهوائي يتم تخفيض حجم النفايات بشكل معتبر، لكن في حالة ما إذا ضبط الـ pH عند الدرجة 7، فإن حجم النفايات الأصلية يخفض بدرجة 70% عند نهاية العملية.⁷⁸

3- تقييم عملية الحرق

يُعاب على هذه العملية بأن المحارق تُشغل بمصاريف مُعتبرة⁸⁵، وبأنها تؤدي إلى طرح كميات كبيرة من الغازات الضارة في الهواء، دون أن تتمكن من التخلص من بعض المخلفات الزجاجية والمعدنية، بالإضافة إلى أن الحرق يهدر كمية كبيرة من المواد التي يمكن إعادة استخدامها والاستفادة منها اقتصاديا، من ذلك المواد العضوية والمواد الصناعية⁸⁶. في مقابل ذلك وباعتبار أن هذه العملية تُرتكز على الحرق فإنها تشكل وسيلة تعقيم مكروبي، ما يُرشحها لأن تكون وسيلة المعالجة الوحيدة المقبولة لمعالجة النفايات العلاجية، بالإضافة إلى أنها تُساهم في تخفيف سُمية بعض النفايات الصناعية، كما تسمح أيضا بالتقليل إلى أقصى حد مُمكن من حجم النفايات المُعالجة، وتُخلف أدنى حد ممكن من البقايا في نهاية العملية، حيث لا يتبقى من الرماد وخبث المعادن الذي يدفن في باطن الأرض إلا ما قيمته 10 إلى 20% من الحجم الأولي⁸⁷، بالإضافة إلى سرعة المعالجة، فلا يتطلب الحرق معالجة مسبقة.

بناء على ما سبق فإن الحرق لا يكون آمنا ولا مستداما إلا إذا خُصص للمواد غير القابلة للتثمين.

وبالنسبة للجزائر التي تطبق الحرق على النفايات العلاجية⁸⁸، فإنها تعتمد أيضا وبكثرة على وضع النفايات المنزلية وما شابهها في المفارغ العشوائية، التي يتركز البعض منها على ضفاف الأنهار، وجوانب الطرقات، وفي الأراضي الزراعية، مما يؤثر سلبا على البيئة، وعلى صحة السكان القاطنين بالقرب منها، والتي لا تحترم أدنى مقتضيات التسيير المستدام، حيث يتم رمي النفايات بطريقة عشوائية في هذه المفارغ، ثم حرقها في الهواء الطلق، وبهذه الصيغة لا يمكن إطلاقا إدراج آلية حرق النفايات في الجزائر كآلية من الآليات المستدامة في تسيير النفايات، وعلى فرض أن عملية الحرق تتم مع استرجاع الطاقة، فإن نفس كمية الطاقة التي تنتجها شركة سونلغاز أقل تكلفة من تلك الناتجة عن عملية الحرق⁸⁹.

رابعا-الردم التقني للنفايات (مركز الردم التقني للنفايات المنزلية بسيدي حيدر سطيف نموذجاً)

يُشكل الردم التقني وسيلة للتخلص النهائي من النفايات، عن طريق تخزينها تحت الأرض على مستوى مراكز

وبناء عليه، فإذا كانت تقنية الهضم اللاهوائي تسمح بالحصول على الغاز بطريقة طبيعية غير مؤثرة على البيئة، فلا شك في أنها من الآليات المستدامة في تسيير النفايات.

3- المعالجة الحرارية

تُسمى هذه العملية بالحرق أو بالترميد، وهي تقنية قديمة إذ يعود تاريخ إنشاء أول وحدة حرق بالمملكة المتحدة إلى سنة 1876⁷⁹، وهي تتعلق بالنفايات الصلبة الحضرية غير القابلة للتثمين⁸⁰، وقد حققت الدول الغربية أرباحا ومكاسب اجتماعية ومالية باتباعها، حيث تقوم بحرق بعض النفايات الصلبة للتخلص منها من جهة والاستفادة من الطاقة الحرارية الناتجة في إنتاج البخار الذي قد يُستعمل في التدفئة أو في توليد الكهرباء، والجزائر التي تنتهج سياسة التخلص من النفايات بنسبة 97%، تُوجه ما قيمته 57% إلى المفارغ العشوائية، ويتم حرق ما قيمته 30% في المفارغ العمومية أو البلدية غير المراقبة⁸¹، فهل تستفيد من الحرق كآلية لتسيير النفايات، وهل يمكن اعتبارها بناء على ذلك آلية مستدامة؟

أ- أنواع عمليات الحرق

نميّز بين الحرق دون استرجاع الطاقة والحرق مع استرجاع الطاقة.

- الحرق دون استرجاع الطاقة

يتم في هذه الحالة حرق النفايات في أفران خاصة تتلاءم وخصائصها، والمُتمثلة في تشكيلتها المتنوعة ورطوبتها المرتفعة، وبالإمكان الاستفادة من هذه الطريقة من خلال المواد التي تتركها والمُتمثلة في نفايات الفحم والحديد، والتي إما أن توجه إلى المفرغة أو أن يُستعاد جزء منها⁸².

- الحرق مع استرجاع الطاقة

يُستعمل في هذه الحالة نفس الإجراء السابق مع إضافة جهاز لاسترجاع الحرارة المنبعثة من احتراق القمامة، حيث تسترجع الحرارة كبخار عن طريق مرور الدخان عبر أنابيب المسخنات⁸³، وهي الطاقة التي يتم تثمينها إما بإنتاج الكهرباء التي تكفي لتمويل احتياجات منشأة الحرق ذاتها أو تُحوّل لأغراض أخرى أو بإنتاج الطاقة الحرارية الكافية لتزويد مُسخّن بنايات مختلفة كالمستشفى أو المسبح أو غير ذلك⁸⁴، بالإضافة إلى استرجاع ما أمكن من المعادن.

من النفايات ، فإن المياه المُرتشحة يتم تجميعها في حوض مكشوف للهواء ، ولا تخضع للمعالجة ولا تتم الاستفادة منها.

2- تسيير مراكز الردم التقني

نتطرق إلى الجهة المختصة بتسيير مراكز الردم التقني (أ) وإلى مضمون عملية تسيير الردم التقني (ب).

أ- الجهة المختصة بتسيير مراكز الردم التقني

تختص المؤسسة الولائية لتسيير مراكز الردم التقني بتسييرها ، وقد تم إنشاء هذه المؤسسة بموجب القرار الوزاري المشترك المتضمن إنشاء مؤسسة تسيير مراكز الردم التقني لولاية سطيف⁹³ ، وهي مؤسسة عمومية ، ولأئية ، ذات طابع صناعي ، وتجاري ، تُكلف بتسيير مراكز الردم التقني لولاية سطيف ، و تختص بضمان السير المنتظم لها ، وتنظيم التسيير التقني والإداري والحسابي لها لحساب الولاية ، كما تضمن مهمة المرفق العام طبقا لدفتر أعباء يحدد حقوق والتزامات المؤسسة اتجاه الولاية والبلديات ، كما يمكن للمؤسسة التكفل بكل نشاط آخر ذا صلة بنشاطها الرئيسي⁹⁴.

ب- مضمون عملية تسيير الردم التقني

تشمل عملية تسيير النفايات ، التي تدخل ضمن اختصاصات المؤسسة الولائية المذكورة أعلاه عمليات رفع ، وكس ، وجمع ، ونقل النفايات المنزلية ، وما شابهها من الأحياء السكنية الحضرية وشبه الحضرية لإقليم بلدية ما إلى مركز الردم التقني ، وبعد دخول الشاحنات المُحملة بالنفايات إلى المركز يتم وزنها ومراقبتها ، فلا يسمح بمرور بعض النفايات كالنفايات الهامدة ، والمواد الكيميائية والمبيدات ، والنفايات الصحية والصيدلانية وغيرها ، ثم تُوجه إلى مكان التفرغ ، وبعد تفرغها تتم مراقبة النفايات مرة أخرى ، ثم تُوجه إلى مركز الفرز ، حيث يقوم العمال بفرزها يدويا ، وأخيرا تُوجه النفايات المفزة للبيع ، إذ تصبح مواد أولية من الدرجة الثانية ، أما بقية النفايات غير القابلة للرسكلة فتُرمى في المطمر فوق بعضها البعض ، وعندما يصبح ارتفاعها 70 سنتيمتر يتم رصها بضاغطة ((compacteur à pied de mouton ، ثم يُضاف فوقها 40 سنتيمتر من التراب ، ويُرس أيضا وهكذا حيث تتم عملية الرص للتقليل من حجم النفايات ، والتراب ومن أجل الزيادة في الطاقة الاستيعابية للمطمر ، وعند امتلاء المطمر بالنفايات المضغوطة يُغلق ،

الردم التقني ، لذلك تحتاج عملية الردم التقني للنفايات إلى إنشاء مراكز الردم التقني (1) ، وإلى تسييرها (2).

1- إنشاء مراكز الردم التقني

مراكز الردم التقني هي مواقع مُخصصة لاستقبال النفايات ، تُصنف إلى ثلاثة أصناف ، يُخصص الصنف الأول لردم النفايات الخاصة والخاصة الخطرة ، والصنف الثاني لردم النفايات المنزلية وما شابهها ، والصنف الثالث لردم النفايات الهامدة ، وبخصوص النفايات الخاصة والخاصة الخطرة فإنها لا توجد بشأنها مراكز للردم التقني في الجزائر⁹⁰ ، أما عن ردم النفايات الهامدة فإنها لا تثير أية مشاكل ، لأنها لا تفرز العصارة كما لا تنبعث عنها الغازات ، لذلك سنركز على دراسة مراكز الردم التقني للنفايات المنزلية وما شابهها وبالخصوص على مركز الردم التقني بسطيف.

أنشأ مركز الردم التقني للنفايات المنزلية وما شابهها بسطيف من طرف مديرية البيئة بالولاية وهي الهيئة المخولة قانونا لإنجاز وتهيئة المراكز ، وهو يستقبل يوميا حوالي 320 طن من نفايات ستة بلديات وهي: سطيف ، أورييسا ، أولاد صابر ، عين أرناط ، بني فودة وقجال ، حيث تُرمى النفايات في المطمر الموجود على مستوى المركز ، والمطمر هو حفرة كبيرة تُخصص لاستقبال النفايات ، يُحدد حجمها بالنظر إلى حجم النفايات التي ستستقبلها يوميا ، والذي يُحدد بواسطة الدراسات التي تسبق المشروع.

بعد الانتهاء من الحفر توضع على جدران المطمر عدة طبقات تتكون من مواد عازلة مختلفة ، مُهمتها منع نفاذ المياه المرتشحة إلى المياه الجوفية ، وبالإضافة إلى ذلك يشترط في إنشاء مراكز الردم التقني احتراما للمقاييس الدولية ، وضع قنوات لجمع المياه المُرتشحة⁹¹ ، وأخرى لتجميع الغازات المنبعثة من النفايات المغمورة ، حيث تتم معالجة المياه المرتشحة على مستوى بعض المراكز بالجزائر ، من طرف مهندسين مختصين ، لتحويلها إلى مياه صالحة للسقي الزراعي ولتنظيف الطرقات ، أما على مستوى مركز سطيف فبالإضافة إلى عدم وجود القنوات الخاصة بتجميع الغازات⁹² التي يُستفاد منها في إنتاج غاز الميثان وفي تخفيض حجم النفايات المردومة وبالتالي السماح للمطمر باستيعاب أكبر قدر ممكن

على المستوى الوطني، وبسبب بُعد بعض البلديات عن المراكز الموجودة حاليا، وبالتالي فإن إنشاء المزيد من مراكز الردم التقني يشكل ضرورة ملحة.

خاتمة

عرفت الجزائر في الآونة الأخيرة ارتفاعا كبيرا في حجم النفايات، بسبب ازدياد عدد السكان وبسبب العامل السلوكي للمجتمع الجزائري المتميز باتجاهه نحو الاستهلاك، فكان لزاما على الدولة الجزائرية وضع إستراتيجية وطنية واضحة في مجال تسيير النفايات، من ضمنها تطبيق الآليات المستدامة في التسيير، وهذا تماشيا مع الأوضاع الدولية، التي تفرض بذل المجهودات الكافية لحماية البيئة، ومع الأوضاع الداخلية التي تقتضي تسيير هذا الكم من النفايات الذي يهدد صحة المواطن.

وبناء على هذه الدراسة تم التوصل إلى النتائج

التالية:

- 1- أن عملية جمع النفايات هي عملية أساسية على ضوءها يتحدد وبشكل كبير نجاح إستراتيجية الدولة في تسيير النفايات، وأن الجزائر ما تزال تتبع طريقة الجمع المختلط، بينما يقتضي التسيير المستدام للنفايات إتباع طريقة الجمع الانتقائي، وبالأخص عن طريق الحاويات المظورة، حماية للبيئة وتسهيلا للتثمين واقصاء للقطاع غير المشروع من عملية جمع النفايات، وبيعها، أو تثمينها.
- 2- أن نسبة النفايات العضوية في تركيبة النفايات في الجزائر عالية مقارنة بالأنواع الأخرى من النفايات، ما يعني بأنه من الممكن استغلالها في إنتاج السماد الطبيعي وفي إنتاج الغاز، لكنه يعني أيضا بأن نسبة النفايات القابلة للرسكلة ضعيفة.

- 3- أن كثيرا من النفايات تُلقى في المفاغ، ويساهم في فرزها، وبنسبة كبيرة القطاع غير المشروع وهو ما من شأنه أن يؤثر سلبا على الاقتصاد الوطني، ضف إلى ذلك أن كثيرا منها يتم حرقه في الهواء الطلق، سواء بفعل التفاعلات الكيميائية المختلفة بين النفايات أو بفعل الإنسان، رغم ما يسببه ذلك من انتشار للدخان والغازات وحجب للرؤية وتلويث للهواء، ما يعني غياب سياسة وطنية لتثمين النفايات.
- 4- أن مسؤولية تسيير النفايات لا تقع فقط على الدولة، بل للمواطن دور أكبر في ذلك، وفي هذا الإطار

وبعد مدة معينة من الغلق يُعاد تأهيله بوضع غطاء يتضمن عدة طبقات تشكل في جزء منها من الطين، ثم يُزرع ويُغرس ويُستفاد منه كمنتزه أو كملعب أو غير ذلك، مع الاستمرار في مراقبة الانبعاثات بشكل مستمر⁹⁵.

وعند هذا الحد فإن مركز الردم التقني بسطيف، وإن كان يشكل آلية مستدامة تسمح بتثمين النفايات، وبالتخلص الآمن منها، فإنه لا يخضع للمقاييس الدولية في مسألة عدم معالجة المياه المُرتشحة، وفي عدم تجهيزه بقنوات تجميع الغازات المنبعثة، ولكن أيضا في عدم وجود سلسلة الفرز، والتي تُعرف بأنها مجموعة من العمليات الأوتوماتيكية التي تمر بها النفايات حتى تصبح مواد أولية من الدرجة الثانية، حيث يتم جمع النفايات في جهاز يشبه القمع، لتمر عبره إلى آلة تقوم بتقطيعها، ثم في آلة أخرى مثقوبة ((tambour مزودة بنظام الفرز (options de tri)، تقوم بفرزها فتخرج منها النفايات مفروزة إلى البلاستيك، والورق، والألمنيوم، والحديد وغير ذلك، في الأخير يمر كل نوع من النفايات في آلة ضاغطة لتشكيل رزم من مختلف المواد المفروزة والمضغوطة والجاهزة للبيع⁹⁶، وبناء على ما سبق يتضح بأن هذه السلسلة تتميز بوجود الآلات التقنية المتطورة، التي بإمكانها أن تقوم بعملية الفرز بطرق تقنية وتكنولوجية دقيقة وحديثة، وبفرز أحسن وفي وقت أقصر، وبتكلفة أقل، كما من شأنها أن تجنب المركز مشاكل إصابة العمال بالأمراض الخطيرة الناجمة عن احتكاكهم اليومي والمباشر بالنفايات، ورغم كل هذه المزايا التي من شأنها المساهمة في التنمية البيئية والاقتصادية المستدامة فهي غير موجودة في مركز سطيف.

في الأخير يمكن القول: بأن آلية الردم التقني المُطبقة بسطيف ومن خلالها في الجزائر وحتى في غياب المقاييس المعتمدة دوليا هي آلية مستدامة، يعوزها الاهتمام والتدعيم من جانب السلطات الرسمية، خاصة وأن تكاليف إنشاء قنوات تجميع الغازات، وإنشاء سلسلة الفرز تقدر بمليارات السنتيمات.

لكن يجب التركيز على أن 36% من النفايات التي تجمع سنويا في الجزائر، هي فقط التي توجه إلى مراكز الردم التقني، وتخضع لعملية الفرز وبالتالي للتثمين، وهذا بسبب عدم كفاية مراكز الردم التقني لاستيعاب كل النفايات المنتجة

يشكل التحسيس والتوعية البيئية شرطين أساسيين لضمان التسيير المستدام للنفايات.

5- أن الردم التقني للنفايات آلية مستدامة لتسيير النفايات.

وبناء على ما سبق يمكن تقديم الاقتراحات التالية:

1- يستحسن بالمشروع الجزائري تعديل نص الفقرة الأولى من المادة 3 من القانون رقم 19-01 كما يلي: "النفايات هي البقايا الناتجة عن عمليات الإنتاج أو التحويل أو الاستعمال أو الاستهلاك، غير القابلة بحكم خصائصها للمعالجة في الظروف التقنية والاقتصادية الراهنة".

2- التنصيص على ضرورة التزام المواطنين والتجار والمهنيين بفرز نفاياتهم عند المصدر، أو على مستوى الحاويات التي توضع في الأماكن العمومية تحت طائلة الغرامة، فقد أثبتت الجزاءات الردعية فعاليتها في معالجة العديد من الظواهر الاجتماعية في الجزائر.

3- السعي إلى إتباع أسلوب الجمع الانتقائي بواسطة الحاويات المظمورة من أجل تشجيع عمليات تجميع النفايات.

4- محاولة إدماج القطاع غير المشروع في إطار الإستراتيجية الوطنية لتسيير النفايات، لتغطية عجز السلطات العمومية في هذا المجال، وفرض شروط النظافة، والنظام الضريبي على هذا القطاع وذلك بتشجيع الشباب على إنشاء مشاريع مصغرة للاستثمار في تسيير النفايات، حماية للبيئة وللإقتصاد الوطني، وتوفيرا لمناصب الشغل القانونية.

5- وضع إستراتيجية واضحة لإنتاج السماد الطبيعي من أجل الحفاظ على جودة الأراضي الزراعية وتوفير تكاليف استيراد السماد الكيميائي.

6- تعميم سياسة إنشاء مراكز الردم التقني على المستوى المحلي والوطني، وتزويدها بقنوات تجميع الغازات وبسلسلة الفرز.

7- تبقى التربية البيئية الحل الأول والأمثل الذي يجب العمل على ترسيخه في سلوك المواطن، من خلال الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، ومختلف منابر الإعلام، ليصبح الردع المالي بعد ذلك أمرا مبررا وضروريا في الجزائر، بخصوص موضوع تسيير النفايات لا سيما في مرحلة الجمع.

الهوامش

- 1- صالح محمد بدر الدين ، المسؤولية عن نقل النفايات الخطرة في القانون الدولي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 2000 ، ص. 5.
- 2- قانون 19-01 المؤرخ في 12 ديسمبر 2001 ، المتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها وإزالتها ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، العدد 77 لسنة 2001.
- 3- « tout résidu d'un processus de production, de transformation ou d'utilisation, toute substance, matériau ou produit, ou plus généralement, tout bien meuble abandonné ou que son détenteur destine à l'abandon », art 1 de la loi n° 75-633 du 15 juillet 1975, relative à l'élimination des déchets et à la récupération des matériaux, www. Légifrance. Gouv. fr. 14-10-2016.
- 4- Raphael Romi, droit et administration de l'environnement, Montchrestien, 5^e édition, 2004, p.520.
- 5- la loi n° 92-646 du 13 juillet 1992, relative à l'élimination des déchets ainsi qu'à l'installation classés pour la protection de l'environnement, JORF, du 14 juillet 1992, www. Légifrance. gouv. fr. 14-10-2016.
- 6- Raphael Romi, Op. Cit., p. 520.
- 7- ميلود تومي ، "ضرورة المعالجة الاقتصادية للنفايات" ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد الثاني ، 2002 ، ص. 190 ، 191. متوفر على الموقع: iefpedia.com/arabe/06-05-2017
- 8- المرجع نفسه. ص؟
- 9- المادة 5 من القانون رقم 19-01 المتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها وإزالتها.
- 10- المادة 2 من المرسوم رقم 378-84 المؤرخ في 15 ديسمبر 1984 ، المحدد لشروط التنظيف وجمع النفايات الصلبة الحضرية ومعالجتها ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، العدد 66 لسنة 1984.
- 11- ماجد راغب الحلو ، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ، دار الجامعة الجديدة ، الأاريطه ، 2007 ، ص. 298 ، 299.
- 12- المرجع نفسه ، ص. 237 ، 236.
- 13- المادة 2 من المرسوم التنفيذي 141-06 ، المؤرخ في 19 أبريل 2006 ، التعلق بضبط القيم القصوى للمصنّات الصناعية السائلة ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، العدد 26 لسنة 2006.
- 14- ماجد راغب الحلو ، المرجع السابق ، ص. 155 ، 157.
- 15- الفقرة الثانية من المادة الثالثة من القانون رقم 19-01.
- 16- الفقرة الثالثة من المادة الثالثة من القانون رقم 19-01.
- 17- الملحق الثاني من المرسوم 104-06 ، المؤرخ في 28 فبراير 2006 ، المتضمن تحديد قائمة النفايات بما في ذلك النفايات الخاصة الخطرة ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، العدد 13 ، 5 مارس 2006.
- 18- المادة 2 من المرسوم رقم 378-84 المؤرخ في 15 ديسمبر 1984 المحدد لشروط التنظيف وجمع النفايات الصلبة الحضرية ومعالجتها ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، العدد 66 ، 16 ديسمبر 1984.
- 19- Alexandra Langlais, les déchets agricoles et l'épandage, le droit et ses applications, édition technip, Paris, 2007, p. 5, 6.
- 20- ماجد راغب الحلو ، المرجع السابق ، ص. 305 ، 306 ، 307.
- 21- وناس يحي ، رباحي أحمد ، ثامري عمر ، بوصفصاف خالد ، حمادي عبد الله ، المعالجة القانونية للمواقع الملوثة في التشريع الجزائري ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2014 ، ص. 61-64.
- 22- Tristan Turlan, les déchets, collecte, traitement, tri, recyclage, Dunod, Paris, 2013, p. 16.
- 23- الفقرة السابعة من المادة الثالثة من القانون رقم 19-01.
- 24- Anne France Didier, gestion et traitement des déchets, version 2, mars 2013, p. 8,9, disponible sur le site : www.ente-aix-fr/ 06-05-2017.
- 25- ميلود تومي ، المرجع السابق ، ص. 195.
- 26- الفقرة الرابعة من المادة الثالثة من القانون رقم 19-01.
- 27- معمور رتيب محمد عبد الحافظ ، المسؤولية الدولية عن نقل وتخزين النفايات الخطرة ، النفايات الخطرة بين مطرقة الفساد وسندان العولمة ، دار الكتب القانونية ، مصر ، 2008 ، ص. 27.
- 28- Patrick Thieffry, droit de l'environnement de l'Union européenne, Bruxelles, Bruylant, 2^e édition, 2011, p. 443.
- 29- محمد بن علي الزهراني ، فايدة أبو الجدايل ، الإدارة المستدامة للنفايات الطبية في الوطن العربي ، المؤتمر العربي الثالث للإدارة البيئية ، الاتجاهات الحديثة في إدارة المخلفات الملوثة للبيئة ، شرم الشيخ ، جمهورية مصر العربية ، 23-25 نوفمبر 2004 ، ص. 210 ، 211.
- 30- المادة 18 من القانون رقم 19-01.
- 31- الفقرة 5 من المادة 3 من قانون 19-01.
- 32- « les déchets spéciaux sont pour l'instant jugés spécialement toxiques et dangereux » Raphael Romi, Op. Cit., p. 521.
- 33- عامر محمود طراف ، إرهاب التلوث والنظام العالمي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط-1 ، 2002 ، ص. 39.
- 34- الملحق رقم الأول من المرسوم التنفيذي 104-06 ، المرجع السابق.

- 35-المادتين 17 و19 من القانون رقم 01-19.
- 36-المادة 2 من القانون رقم 01-19.
- 37-الفقرة 5 من المادة 3 من قانون 01-19.
- 38- « les déchets spéciaux sont pour l'instant jugés spécialement toxiques et dangereux » Raphael Romi, Op. Cit., p. 521.
- 39-عامر محمود طارف ، إرهاب التلوث والنظام العالمي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط-1 ، 2002 ، ص. 39.
- 40-الملحق رقم الأول من المرسوم التنفيذي 06-104 ، المرجع السابق.
- 41-المادتين 17 و19 من القانون رقم 01-19.
- 42-المادة 2 من القانون رقم 01-19.
- 43-المادة 3 من القانون رقم 01-19.
- 44-حيث يجمع العمال النفايات وبأخذونها إلى مكان مُعين مُخصص لتجميعها ، قاطعين مسافة تزيد عن 2 كلم ، ثم يرجعون إلى نفس المكان لمباشرة عملية الجمع من جديد ، يوميات عمال النظافة بعيون الجزائرية ، برنامج عرض على قناة الجزائرية يوم 24 مارس 2017 ، على الساعة 11:30.
- 45- brahim Djemaci, la gestion des déchets municipaux en Algérie, analyse prospective et éléments d'efficacité, thèse de doctorat, université de Rouen, faculté de droit science économiques et gestion, p. 33, disponible sur le site : <https://tel.archives.ouvertes.fr/06-05-2017>.
- 46-المادة 32 و33 من القانون رقم 01-19.
- 47- « parmi les différences du contexte pour la mise en place d'une politique de déchets Entre les pays développés et les pays en voie de développements est l'existence du secteur informel dans ces derniers ». Brahim Djemaci, Op. Cit., p. 28, 29.
- 48- Philippe Malingrey, Introduction au droit de l'environnement, Lavoisier, Paris, 5^e édition, 2011, p. 186.
- 49- Jean Michel Balet, Op. Cit., p. 24.
- 50- Tristan Turlan, Op. Cit., p. 62.
- 51- Jean Michel Balet, Op. Cit., p. 27.
- 52- Mohamed Hafidi, l'impact et la gestion des déchets solides, Konrad Adenauer Stiftung, 2015, p. 21, disponible sur le site : www.kas.de/21-03-2017.
- 53-بلال تجار ، مساعد المدير العام للمؤسسة الولائية لتسيير مراكز الردم التقني ، مقابلة بمقر المؤسسة ، بتاريخ 12 أبريل 2017 ، على الساعة 11 صباحا.
- 54- « Ce mode de collecte ...permet de collecter séparément une partie des déchets ...les déchets ainsi collectés sont orientés ensuite vers des centres de tri... » , Jean Michel Balet, Op. Cit., p. 25.
- 55- Philippe Malingrey, Op. Cit., p. 186.
- 56- Jean Michel Balet, Op. Cit., p. 28.
- 57- Karim Ouamane, la déchetterie industrielle de Blida, l'expérience de la ville, disponible sur le site : université de Lausanne/<http://www.unil.ch/02-04-201>, Brahim Djemaci, Op. Cit., p. 57.
- 58-المادة 3 من القانون رقم 01-19.
- 59- Amélie Fiorello, le comportement de tri des déchets ménagers : une approche marketing, thèse pour obtention du doctorat, Université de Nice- Sophia Antipolis, 14 novembre 2011, p. 130, 128, disponible sur le site : <https://halshs.archives-ouvertes.fr/27-03-2017>.
- 60- Mohamed Hafidi, Op. Cit., p. 28.
- 61- brahim Djemaci, Op. Cit., p. 29.
- 62- Tristan Turlan, Op.Cit., p. 137.
- 63- « toute opération par laquelle des substances, matières ou produit qui sont devenus des déchets sont utilisés de nouveau », Anne France Didier, Op. Cit., p. 21.
- 64-الفقرة 14 من المادة 3 من القانون رقم 01-19.
- 65-الفقرة 3 من المادة 2 من نفس القانون ، كما أُلزم المشرع بالإضافة إلى ذلك كل منج للنفايات و/أو حائز لها بضمان أو بالعمل على ضمان تهمين النفايات الناجمة عن المواد التي يستوردها أو يسوقها وعن المنتجات التي يصنعها ، وهذا بموجب المادة 7 من القانون رقم 01-19.
- 66-ماجد راغب الحلو ، المرجع نفسه ، ص. 191.
- 67- Jean Michel Balet, gestion des déchets, Dunod, Paris, 2005, p. 45.
- 68-جون إيونج ، الاستفادة من النفايات ، ترجمة شويكار زكي ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، مصر ، كندا 1994 ، ص. 33.
- 69-نبيلة سعدي ، تسيير النفايات الحضرية في الجزائر بين الواقع والفعالية المطلوبة ، "دراسة حالة الجزائر العاصمة" ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة بومرداس ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ، 2011-2012 ، ص. 90.
- 70- Tristan Turlan, Op.Cit., p. 142.
- 71-سارة تازروت ، المكلفة بالإعلام والتسويق بالوكالة الوطنية للنفايات ، برنامج ضيف الصباح ، القناة الإذاعية الأولى ، 18 مارس 2017.

72-نبهة سعيدي ، المرجع السابق ، ص. 84. وأيضا 126 p. Op. Cit., Trustan Turlan,

73- « ...fraction fermentescible et papier- carton des ordures ménagères, boues de station d'épuration, graisse et matières de vidanges, déchets des espace vertes, écorces, déjection animales, déchets des coopératives agricoles et des industries agro-alimentaires », Christian Desachy, les déchets, sensibilisation, à une gestion écologique, édition tec doc, 2^e édition, 2001, p. 29.

74- Ibid, p. 29, 30.

75-سارة تازروت ، المرجع السابق .

76-جاري جاردنر ، المرجع السابق ، ص. 6-15.

77- « ...l'application d'un procédé de bioconversion (la digestion anaérobie) offre la possibilité de combiner le traitement de ses déchets et la production d'une énergie renouvelable qui est le biogaz...ce gaz riche en méthane ...peut être utilisé dans de nombreuses applications comme le chauffage, la cuisson, la production d'électricité, l'éclairage ...et pouvant être injecté dans le réseau de gaz de ville. S.Kalloum, M. khelafi, M. djaafri, A. Tahri, A. Touzi, étude de l'influence du ph sur la production du biogaz à partir des déchets ménagers, revue des énergies renouvelables, vol 10, N° 4, 2007, p. 539, disponible sur le site : www.cder.dz/22-01-2017.

78- S. Kalloum et (al), Op.Cit., p. 542.

79- Jean Michel Balet, Op. Cit., p. 33.

80-حدة فروحات ، محمد حمزة بن قرينة ، واقع التسيير المستدام للنفايات المنزلية ، دراسة حالة المؤسسة العمومية الولائية لتسيير مراكز الردم التقني بورقلة ، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية ، العدد 8 ، 2015 ، ص. 186 ، متوفر على الموقع : reues.univ.ouargla.dz/06-02-2017

81- brahim Djemaci, Op. Cit., p. 48.

82-حدة فروحات ، محمد حمزة بن قرينة ، المرجع السابق ، ص. 187.

83-المرجع نفسه .

84- Trustan Turlan, Op. Cit., p. 122.

85- Jean Michel Balet, Ibid., p. 34.

86-ماجد راغب الحلو ، المرجع السابق ، ص. 190.

87- Jean Michel Balet, Ibid., p. 34.

88-حيث تحرق هذه النفايات في أفران خاصة بصناعات معينة (كصناعة الاسمنت مثلا)، كنتيجة لعشوائية عملية تسيير هذا النوع من النفايات في أغلب مستشفياتنا ، وبسبب التسيير السيئ لمسارات جمع النفايات في هذه المؤسسات ، وللغياب شبه الكلي لتصنيفها وفرزها. وناس يحي وآخرون ، المرجع السابق ، ص. 13.

89- brahim Djemaci, Op. Cit., p. 56.

90-وكنتيجة مباشرة لذلك ، أشار التقرير الوطني لحالة البيئة في الجزائر لسنة 2000 إلى وجود كميات معتبرة من النفايات المخزنة داخل مواقع المنشآت الصناعية الرئيسية ، أو داخل بعض مواقع التخزين الملحقة بها ، وناس يحي وآخرون ، المرجع السابق ، ص. 12.

91- Brahim Djemaci, Op. Cit., p. 52.

92-بلال تجار ، مساعد المدير العام للمؤسسة الولائية لتسيير مراكز الردم التقني ، مقابلة بمقر المؤسسة ، بتاريخ 12 أبريل 2017 ، على الساعة 11 صباحا .

93-قرار وزاري مشترك بين وزير الداخلية والجماعات المحلية ووزارة تهيئة الإقليم والبيئة ووزارة المالية ، مؤرخ في 8 نوفمبر 2008 ، تم استلامه من المؤسسة الولائية لتسيير مراكز الردم التقني مركز سطيف ، يوم 12 أبريل 2017.

94-المواد 1 ، 6 و 7 من القرار الوزاري المشترك السابق ذكره .

95-نصت في هذا الإطار المادة 43 من القانون رقم 19-01 على ما يلي: " في حالة إنهاء استغلال أو غلق نهائي لمنشأة معالجة النفايات ، يلزم المستغل بإعادة تأهيل الموقع إلى حالته الأصلية أو إلى الحالة التي تحددها السلطة المختصة".

96-بلال تجار ، المرجع السابق .

الهوية الافتراضية لدى المراهقين: دراسة ميدانية لعينة من المراهقين بمدينة مكنيف

Adolescent virtual identity: A field study of a sample of adolescents in Setif

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الارسال: 2018-04-19

جنات رجم، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

r.djenat@yahoo.fr

الملخص

استهدفت هذه الدراسة معرفة تجليات الهوية الافتراضية لدى المراهقين، والمعاني التي تحملها من حيث المعلومات التي يقدمها المراهقون عن أنفسهم وأسمائهم وصورهم المستخدمة عبر مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، نظرا لأهمية هذه المسألة بالنسبة لهذه المرحلة العمرية التي يبحث فيها المراهق عن هويته وإثبات ذاته، ويواجه فيها الكثير من التحديات وهو الأمر الذي ينعكس على هويته الافتراضية التي تكون جزءا من هذه التحديات. وذلك من خلال مساءلة عينة من المراهقين حجمها 150 مفردة باستخدام أداة الاستمارة لجمع البيانات، وقد توصلنا إلى أن معظم المراهقين يقدمون معلومات غير صحيحة عن أنفسهم حيث أن 63,33% منهم يقدمون أعمارا أكثر من أعمارهم و53,33% منهم يقدمون مستوى تعليميا أكبر، ويتواصلون عبر أسماء غير أسمائهم بنسبة 95,34% وصور غير صورهم الحقيقية بنسبة 86% والتي تحمل الكثير من المعاني والدلالات.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهوية الافتراضية، المراهقون، الشبكات الاجتماعية، التعبير عن الذات

Résumé

Cette étude se propose de décrire les expressions de l'identité virtuelle chez les adolescents à partir des informations données par ces adolescents, concernant leurs noms et leurs photos de profil via les différents sites web des réseaux sociaux. Nous soulignons l'importance de cette question chez cette tranche d'âge, pendant laquelle, l'adolescent est en quête de son identité, cherche à s'exprimer, à réaliser son être à travers plusieurs défis, dont cette identité virtuelle qui fait partie de ces défis. Notre recherche est menée sur un échantillon composé d'adolescents à travers un questionnaire dont les résultats révèlent que la majorité des adolescents donnent des informations incorrectes, communiquent à travers des pseudos noms et n'utilisent pas leurs photos réelles comme photos de profil, et ce phénomène peut avoir plusieurs interprétations.

Mots clés : L'identité, L'identité virtuelle, Les adolescents, Les réseaux sociaux, Expression de soi

Abstract

This study aims to know transfigurations of the virtual identity of adults, and meanings that convey from the information which is presented by teenagers from themselves, their names, and their pictures through the social media. According to the importance of this issue for this periodical age in which adults search their identity and prove himself and face a lot of challenges. This matter which reflect his virtual identity that is a part from this challenges. Through questioning a sample of teenagers as a means to collect data. the majority of teenager's present incorrect information of themselves and keep connected by names and pictures which are not their real ones that holds a lots of meaning and significances.

Keywords: Identity, Virtual identity, Teenagers, Social networks, Self-expression

مقدمة

تعتبر الشبكات الاجتماعية أهم فاعل تكنولوجي في عصرنا الحالي فقد أصبحت الوسيط الاتصالي الأكثر أهمية والأكثر جدلا بما أحدثته من تغيرات جذرية تمخض عنها واقع جديد بمفاهيم إنسانية جديدة تتعلق بالاتصال والتفاعل والعلاقات الإنسانية التي أصبحت افتراضية في بيئة رقمية تتميز بالحرية ويغيب عنها الحضور الجسدي في المكان والزمان وهو الأمر الذي أدى إلى ممارسات جديدة للتعبير عن الذات فصار لكل فرد هوية خاصة يشكلها كما يرغب بعيدا عن ضغوط الواقع وإكراهات المجتمع متجاوزا كل الحدود المتعارف عليها في محددات الهوية ، وبالتالي طرحت مسألة الهوية الافتراضية من عدة جوانب ومنها تجلياتها أو كيفية تجسيدها ودلالات الأشكال التعبيرية عنها وخاصة بالنسبة للمراهقين في هذه المرحلة العمرية الحساسة والمفصلة في حياتهم بعد خروجهم من مرحلة الطفولة حيث يتعرضون للكثير من الضغوط الاجتماعية والنفسية والجسدية في البحث عن الهوية في الواقع ، لذلك فالمراهق اليوم أتاحت له الشبكات الاجتماعية بكل يسر وسهولة ليعبر عن هويته ، وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة لمعرفة لتجليات الهوية الافتراضية للمراهقين من حيث المعلومات التي يقدمونها عن أنفسهم والأسماء والصور التي يعبرون بها عن أنفسهم .

أولا: الإشكالية

تعتبر الشبكات الاجتماعية مجالا لتمثيل الذات والهوية حيث يقوم كل شخص باستعراض نفسه من خلال كل ما يقدمه عن نفسه من معلومات أو أفكار وبالتالي يشكل لنفسه هوية افتراضية قد تكون امتدادا للواقع وقد تكون مختلفة عنه ، ففي معجم النظام الرقمي الجديد -على حسب تعبير الباحثين في المجال- أضحى وجود الفرد المعاصر وجودا رقميا لا وجودا جسديا فيزيائيا ومن لا حضور له اليوم على الشبكة لا وجود له رمزيا وبهذا انقسم البشر إلى قسمين: قسم الذوات التناظرية وقسم الذوات الرقمية فأما الذوات التناظرية فهي التي لا تمتلك حضورا على الشبكة وتستمر في تكريس أنماط التواصل التقليدي وأما الذوات الرقمية فهي الفئات المندمجة التي تحقق حضورها الفعلي من حضورها الافتراضي في وجودها على الشبكة ويفيد هذا التقسيم انخراط العالم في منظومة جديدة للتفكير والإنتاج والتواصل تجعل من الوجود الرقمي الخاصية الأولى للوجود بشكل عام¹.

وبذلك أصبحت مسألة الهوية الافتراضية من المسائل الهامة التي أثارت الكثير من التساؤلات حول طبيعة الوجود الإنساني المعاصر نظرا للإشكالية التي تطرحها مسألة الهوية في حد ذاتها فالهوية هي كل ما يشكل الذات ويميزها ، والهوية في الأساس تعني التفرد وهي السمة الجوهرية العامة لثقافة من الثقافات ، والهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية وإنما هي مشروع مفتوح على المستقبل أي أنها مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ لذلك فإن الوظيفة التلقائية للهوية هي حماية الذات الفردية والجماعية من عوامل التعرية والذوبان². والهوية تعكس ذلك الجزء من مفهوم الشخص عن ذاته والذي يتأسس في ضوء معرفته المسبقة بانتمائه لعضوية جماعة معينة علما بأنها ليست تراكم للخصائص الثابتة والنهائية إنها تبنى بأمور أخرى في علاقتها بالآخرين فالهوية بناء اجتماعي وظاهرة ديناميكية³. وعملية اكتساب الهوية هي مسألة أساسية بالنسبة للإنسان وخاصة في مرحلة المراهقة التي تعتبر نقلة نوعية وجذرية يتحول فيها الإنسان من طفل إلى راشد وتعد مرحلة انتقالية صعبة نظرا لحساسية المرحلة العمرية التي تتداخل فيها العديد من العوامل النفسية والاجتماعية والفزيولوجية.

يعد تشكيل الهوية من سمات مرحلة المراهقة لأنها فترة صياغة الأدوار المتوقعة للنوع الاجتماعي ، لكن التوصل إلى تشكيل الهوية يمر بحالة أزمة تتمحور حول العديد من الأسئلة حول الذات ، وهذه الأسئلة تحتاج إلى إيجاد إجابات لها للوصول إلى تحديد واضح المعالم لهوية الأنا وتظهر الأزمة في درجة القلق و الاضطراب المرتبط بمحاولة المراهق تحديد معنى وجوده في الحياة من خلال محاولة اكتشاف ما يناسبه من الأهداف والأدوار والعلاقات الاجتماعية ذات المعنى أو القيمة بالنسبة له⁴ ، ومما لا شك فيه أن المراهق يكتسب هويته ويكون لنفسه شخصية وقيما أخلاقية معينة من خلال التنشئة الاجتماعية والتربية التي يحصل عليها بانتمائه للأسرة ، فتوجهات الوالدين والأفراد المحيطين بالطفل وملاحظة سلوكهم ومحاولات تقليدهم أو معارضتهم وتعايير القبول والرفض ودرجات الحب والعاطفة التي يتعرض لها تشكل في النهاية تراكم لمجموعة من الخبرات التي تسهل تقدمه ونمو شخصيته المستقلة ، لينتقل بعد ذلك إلى المدرسة لتلعب دورها هي الأخرى في بناء ونمو شخصيته خاصة مع الفترة الزمنية الطويلة التي يقضيها التلميذ في المدرسة حيث تقوم من خلال المناهج والمقررات الدراسية

مثالية أو عالمية مثالية وهي هوية هجين تجمع بين الثقافة المحلية من لغة ودين وموروث ثقافي وشعبي وثقافة أجنبية بكل مكوناتها وهذا ما يهدد في الأخير هوية الفرد الأصلية⁷. فشبكة الفيسبوك مثلا بجدرانها وصفحاتها الشخصية وخدماتها المتعددة أشبه بمسرح اجتماعي للذات تمارس فيه الذات الافتراضية أنماط التواصل وصيغ التعبير ودلالات البحث عن الأنا بالمعنى الاجتماعي للكلمة في سياق تجاربها الداخلية وتفاعلاتها مع الآخر في إطار سلوكيات وممارسات شبيهة بالمسرحية الاجتماعية للذات لها يتخذ الآخر مرآة تعكس صورة الأنا كذات⁸ فالمرهق الذي ينضم إلى هذه التفاعلات يستطيع أن يخفي نفسه تحت عدة أسماء و يستعرض نفسه بالطريقة التي تحلو له عكس التفاعل الحقيقي فقد تكون هويته الافتراضية مزيفة وتعتبر عن أحلام وتخييلات غير واقعية.

لذلك فالهوية الافتراضية قد تعني الانتماء إلى هوية "شبحية" ما سيؤدي فعلا إلى انحسار الميخال ومن ثمة الإبداعية وابتكار الصور الذهنية لحساب المعرفة السطحية الهشة، والصور المعلبة والمصطلحات الفارغة من المدلولات ذات القيمة كما يؤدي إلى تكسير الطابوهات الاجتماعية والثقافية، وإضعاف الحساسية اتجاهها على حسب تعبير المفكر "عبد الرحمن عزي"، كما أن ارتباط الفرد بالحاسوب أنتج ذاتا جديدة أسماها الدكتور "علي رحومة ب" الانسوب "أي الإنسان الحاسوب" الذي يشير إلى مركب مبرمج أليا في حالة من التوازي والتمهي و التمهيز في بنيتها الخاصة من الأرقام الثنائية⁹.

وهناك من ذهب إلى اعتبار أن الهوية الافتراضية قد تؤدي إلى الانفصام والذي تبرز أكثر ملامحه في عيش الفرد بشخصية على أرض الواقع باسمه الحقيقي غير الشخصية التي يعيش به افتراضيا وباسمه الافتراضي لتضطرب حياة العديد من الأشخاص في انفصامية اتسعت نحو العالم الافتراضي وهي النتيجة التي أدت إلى بروز ظواهر لم تكن قبلا كحالات اكتئاب الفيسبوك أو احتمالات الأسماء المستعارة وتقمص شخصيات المشاهير ليتحول هذا الفضاء الافتراضي نحو منعطف غير متوقع من فضاء حريات وبناء مستحيلات الواقع المعيش واغتراب نفسي اجتماعي ورهاب المواجهة للمشكلات¹⁰.

بترسيخ القيم الأخلاقية للمجتمع وتقرير السلوكيات الإيجابية وحذف السلوكيات السلبية. إلا أن المسألة لم تعد بهذه البساطة فاكتماب الهوية أصبح أمرا معقدا بالنظر إلى نشوء مصادر جديدة لاكتساب الهوية بتأثير من الغزو الثقافي والعولمة والتجارة الحرة وغيرها من العوامل التي جعلت الباحثين يطرحون العديد من التساؤلات حول التغيرات التي تحدث في المجتمع والتي غيرت الكثير من مقوماته الفكرية والمادية محدرة من تبعاتها على مستقبل الأجيال الصاعدة مقترحة بذلك ضرورة مواجهة تلك التحديات بكل ما من شأنه أن يحافظ على ثوابت الهوية الأصلية لكل مجتمع.

وفي خضم هذا الجدل ظهرت متغيرات جديدة أضيفت لكل تلك التحديات التي لم تتم مواجهتها وهي مواقع التواصل الاجتماعي التي استحوذت على اهتمام الناس بكل ما لها من مميزات حيث لم يعد تعامل الفرد محصورا في عالم الواقع فقط بل يزداد تعامله مع العوالم الخيالية التي يزخر بها فضاء الأنترنت، عوالم من صنع أنساق الرموز يمارس فيها الفرد كثيرا من أنشطة حياته اليومية ويمارس فيها خبرات غير مسبوقة⁵. فقد أصبحت مقولة أن الإنسان اجتماعي بطبعه تراجع و بدأت في الاضمحلال فلا بأس أن نقول اليوم أن الإنسان تكنولوجي بطبعه، إذ أصبح ينهر و ينجذب لأحدث وأذكي وسائل التحاور و افتقارها إلى التغذية الراجعة و تبادل الأفكار و المشاعر، فأصبح الاتصال يقتصر على الجمل القصيرة بين أفراد الأسرة الواحدة التي تقتضيها الضرورة، فعوض أن يتحاور المرهق مع أمه أو أبيه على رغباته أو مشكلاته الدراسية والعاطفية، فانه يفضل التوجه والانخراط في عالم الشات لساعات عديدة وكأن البحث عن الحلول لمشاكله في العالم الافتراضي أفضل من البحث في العالم الواقعي⁶.

وبذلك طرحت إشكالية الهوية الافتراضية بما أن هذه المواقع بمميزات أتاحها الفرصة للأفراد من أجل التمثل بهوياتهم الحقيقية أو أخرى غير واقعية ومختلفة ولقد وصل قلق البعض من هذا الواقع الجديد إلى توقع أن ينتهي زمن التنوع الثقافي ومن ثمة إعادة تشكيل هويات جديدة في ظل ثقافة غربية مهيمنة تفرز مزيجا جديدا من السمات والتفاعلات و التمهيزات الفردية والجماعية في فضاء سايبيري لا حد له ولا قيد عليه ثم إن ما تتيحه هذه الشبكات من الدخول بشخصيات افتراضية تدفع الفرد إلى تقمص ذات أو ذوات

ويعبرون فيها عن هويتهم بكل حرية فالمجتمع الافتراضي يتميز بانعدام حدود الزمان والمكان واتساع مجال الحرية لإبداء الرأي والمشاركة والتفاعل وتبادل المعلومات والتعليقات وأصبحت هذه المواقع بمثابة المتنفس لقضاء وقت الفراغ وممارسة الهوايات والاهتمامات ، وهو ما طرح العديد من الإشكالات المتعلقة بهذه الهوية وما قد تحدثه من تغيرات جذرية في حياة المراهقين الذين وجدوا فيها ملاذهم بعيدا عن إكراهات الواقع .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة تجليات الهوية الافتراضية لدى المراهقين أي كيف يعبرون عن هويتهم وذلك من خلال:

- معرفة الأسماء التي يستخدمونها وما إذا كانت حقيقية أو مستعارة والمعاني التي تحملها.
- معرفة الصور التي يعبرون بها عن أنفسهم ما إذا كانت حقيقية أو صورا لأشخاص أو أشياء أخرى والمعاني التي تحملها.
- معرفة المعلومات التي يقدمونها عن أنفسهم للآخرين من حيث الجنس والسن والمستوى التعليمي وما إذا كانت هي الأخرى حقيقية أو ليست كذلك.

ثانيا: الإطار المفاهيمي والنظري للدراسة

1: مفهوم الهوية الافتراضية: يتشكل المصطلح من كلمتين: الهوية والافتراضية:

وردت لفظة الهوية بضم الهاء وكسر الواو وشد الياء في اللغة العربية للتعبير عن ماهية الشيء. والهوية لفظ مركب جعل اسما معرfa باللام ومعناه الإتحاد بالذات، فالهوية حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية¹¹. أما في اللغة الفرنسية فكلمة identité ترتبط بكلمة identique والتي تعني الوحيد أو الأصيل الذي لا شبيه له فريد من نوعه متميز عن الآخر¹².

وتعرف الهوية على أنها مؤشر انتماء الإنسان إلى وطن ومجتمع وهي وسيلة تمايز يدرك من خلالها بأنه يختلف عن الآخرين من حيث الاسم والجنس والتركيب الجيني والبناء الفكري والثقافي¹³.

إلا أن الأمر قد لا يكون كذلك في كل الأحوال حيث نجد مراهقين صادقين في هوياتهم من حيث أسمائهم وأفكارهم ونواياهم كما قد تصادف الكثير من المراهقين الذين ساعدتهم الهوية الافتراضية في التعبير عن أنفسهم بشكل أفضل وغيّرت حياتهم نحو الأحسن ذلك أن الواقع الحقيقي لا يخلوا من السلبيات والمشكلات فهناك الكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية التي يتعرض لها المراهقون في بحثهم عن الهوية فحين يعجز المراهق عن تحقيق التميز وإثبات ذاته واستقلاليتيه و يكون التفاعل الاجتماعي سببا لذلك ما قد يؤدي إلى زعزعة استقراره النفسي وبالتالي اضطراب الهوية التي يبحث عنها .

ومنه فإن النظرة السلبية إلى الهوية الافتراضية قد تكون نسبية وتختلف من شخص لآخر حسب العديد من المتغيرات الفردية والاجتماعية ولكن تبقى المشكلة الأساسية وهي طبيعة حساسية عمر المراهقة فهو مرحلة حرجة تحتاج إلى الحذر والمراقبة ذلك أن المراهق اليوم قد يفتقد للكثير من الإمكانيات الضرورية لتكوين رؤية سليمة حول ما يحيط به من مواقف معقدة بل متناقضة أحيانا الأمر الذي يجعله يفتقد إلى التوافق الاجتماعي المطلوب إضافة إلى غياب أو انعدام الرقابة عبر شبكة الأنترنت باسم الحرية الفكرية وهو ما جعلنا نتساءل: ما هي تجليات هوية المراهقين عبر مواقع التواصل الاجتماعي

ويندرج تحت هذا السؤال التساؤلات الفرعية التالية:

ما هي تجليات الهوية الافتراضية للمراهقين من خلال المعلومات السيسوديغرافية

ما هي تجليات الهوية الافتراضية للمراهقين من خلال الاسم المستخدم

ما هي تجليات الهوية الافتراضية للمراهقين من خلال الصورة المستخدمة

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية الدراسة من أهمية موضوع الهوية كأحد أهم مقومات الوجود الإنساني والذي أصبح اليوم مرتبطا بالشبكات الاجتماعية الوسيط الاتصالي الأقوى تأثيرا بالنظر إلى سرعة انتشارها واستقطابها لكل الشرائح الاجتماعية وخاصة المراهقين في هذه المرحلة العمرية التي تتميز بأنها مرحلة بناء الهوية حيث يبحثون فيها عن ذواتهم فأصبحوا يتمثلون عبر مواقع التواصل الاجتماعي كما يحلوا لهم

- الهوية المحسوبة: تبرز من خلال متغيرات عددية يعدها النظام وتعرض على الصفحة توضح عدد الأصدقاء وعدد المجموعات تواريخ مهمة وتسمح هذه الأبعاد الثلاثة بالتحليل الكمي لتغيرات ملامح الهوية وسياق توجهاتها في الفضاء الرقمي¹⁹ - كما تتميز الهوية الافتراضية ببعض الخصائص مقارنة بالهوية الواقعية ومنها:

- الشخص الافتراضي يولد بهوية يختارها ويسمى بمحض إرادته بخلاف الشخص الطبيعي الذي لا خيار له في متى وأين يولد ولا في انتقاء جنسه أو اسمه الذي سيلزمه مدى الحياة

- الهوية الافتراضية تجعل الشخص يختار بيئته بل يمكنه صنع الوسط الذي يناسب مزاجه واهتماماته ، حيث لا وجود للضغوط الأسرية المعهودة ولا للأوامر والنواهي ولا الإكراه الذي يؤثر على بصورة ما على تكوين الشخصية ، وليس هناك ما يخافه الشخص الافتراضي غير انقطاع الكهرباء أو عطل الحاسوب.

- الهوية الافتراضية توجب على الشخص التعامل مع برامج المحادثة الحاسوبية وتطبيقات الشبكة العنكبوتية ومواكبة تطوراتها أولا بأول وهذا ما يفرض على الفرد إتقان مهارة تقديم نفسه للأفراد الذين يتفاعلون معه لأنه لا يمكنهم إدراكه إلا من خلال البيانات التي يقوم بتقديمها لهم على أنها تمثل هويته

- الهوية الافتراضية تمنح الشخص الإرادة القوية في التعبير عن ذاته ، فكل من يتصفح موقعا فهو يبحث فيه عن شيء يشبع رغبة لديه في الإطلاع أو اقتناء شيء ما أو كسب صداقة أو نشر خاطرة كتبها أو الحصول على معرفة وهو في عملية البحث هذه يحمل صورة عن نفسه يظهرها للآخرين المفترض وجودهم على الطرف الثاني²⁰.

- لا يوجد للفرد جانبه الجسماني المادي كشخصية إنترنت افتراضية ما عدا تمثيلات الحواس مثل السمع (الصوت) اللمس (الكتابة) البصر (الرؤية) ، وتبقى كذلك القدرات والإمكانات العقلية السلوكية المتمثلة في اتصالاته الأنترنتية. ومع انعدام اتصال الفرد وجها لوجه مع الآخرين لا يوجد أثر لكثير من العناصر الاجتماعية الأخرى مثل دوره الاجتماعي الطبيعي ومكانته الاجتماعية والحرفة والوظيفة ونفوذه وسلطته المجتمعية إلا بقدر توظيفها في الاستخدام أو الإنتاج المعلوماتي ، كما أن عناصر أخرى في الشخصية الطبيعية للفرد تنعدم تماما ويمكن للفرد أن يغيرها فهي لا

كما تعرف هوية الشيء بأنها ثوابته التي تتجدد ولا تتغير وتتجلى وتفسح عن ذاتها دون أن تترك مكانها لنقيضها فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره¹⁴.

جاء في قاموس المعاني أن لفظ افتراضي هو اسم منسوب إلى افتراض بمعنى ما يعتمد على الفرض أو النظرية بدلا من التجربة أو الخبرة. والواقع الافتراضي هو الواقع التقريبي، محاكاة يولدها الحاسوب لمناظر ثلاثية الأبعاد لمحيط أو سلسلة من الأحداث تمكن الناظر الذي يستخدم جهازا إلكترونيا خاصا من أن يراها على شاشة عرض ويتفاعل معها بطريقة تبدو فعلية¹⁵.

أما الهوية الافتراضية فتعرف على أنها:

- مجموعة المعلومات الشخصية التي تكون الذات الإلكترونية كالاسم والسن والجنس وطريقة الإمضاء والحالة الاجتماعية إلى غير ذلك من البيانات التي يقدمها مستخدمو مواقع التواصل الاجتماعي على أساس أنها تعكس شخصيتهم وهويتهم الحقيقية¹⁶

- مجموع الصفات والدلالات والرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي فيتفاعل ويتواصل على أساسها وقد لا يتوافق مضمونها مع هويته الحقيقية في الواقع الاجتماعي¹⁷

- مجموعة الصفات والرموز والبيانات التي يستخدمها الأفراد في تقديم أنفسهم للآخرين في المجتمعات الافتراضية ويتفاعلون معهم من خلالها¹⁸

ومنه ومن خلال التعاريف السابقة فالهوية الافتراضية هي كل ما يستخدمه الفرد للتعريف بنفسه عبر الفضاء الافتراضي وتشمل المعلومات السيسوديغرافية والاسم والصورة.

خصائص الهوية الافتراضية: تنقسم الهوية الافتراضية

إلى ثلاثة عناصر رمزية تعكس تمظهراتها في المجتمع الشبكي حيث تبرز ملامحها والتغيرات الحاصلة لها وهي:

- الهوية التصريحية: تبرز من خلال المعلومات التي يجري إدخالها من قبل صاحب الحساب مثل الاسم وتاريخ الميلاد والصورة ...

- الهوية النشطة: تبرز من خلال التقارير الدورية للصفحة عن نشاطات المستخدم مثلا x و y أصبحا صديقين انضمام إلى مجموعة جديدة.

خصائص مرحلة المراهقة والبحث عن الهوية

- رغبة المراهق في الاستقلال عن الأسرة وميله نحو الاعتماد على نفسه فنتيجة للتغيرات الجسمية التي تطرأ على المراهق يشعر أنه لم يعد طفل ، كما لا يجب أن يخضع سلوكه لرقابة الأسرة وفي هذه المرحلة يريد أن يعتنق القيم والمبادئ التي يقتنع بها هو وليس تلك التي تفرضها الأسرة عليه²⁶

- من الخصائص العقلية في هذه المرحلة توجيه النقد إلى ما يذهب إليه الآخرون وما يعتقدون من معتقدات أو ما يعبرون عنه من آراء ، وهذا الاتجاه نحو النقد يعد علامة من علامات التفتح الذهني حتى وإن كانت الأسلحة النقدية التي يستخدمها المراهقون ضعيفة وبالرغم من أن يكون ذلك النقد غير ناضج²⁷

- تشكل اتجاهات المراهق حول نفسه ومعتقداته وآرائه وقيمه أهم مقومات مفهومه عن ذاته وتوسع هذه الاتجاهات لتشمل مشاعره وأفكاره ودوره في أن يمارس انتقاءاته الخاصة وحقه في أن يكون حرا ومسؤولا²⁸

- قلق الانحزام الانفعالي والتفكك والشعور بفقدان الأنا وهو قلق فقدان الهوية الذاتية فتتكون آليات دفاعية ضد هذا القلق يمكن المراهق من رد الاعتبار إلى ذاته وتأكيد هويته²⁹

- تعتبر جماعة الرفاق خير وسيلة يحقق المراهق فيها رغباته وآماله وتطلعاته المستقبلية وعن طريقها يمكن تغيير سلوكاته واتجاهاته ويمكن أن يعرف نفسه ويشبع الكثير من حاجياته الذاتية والاجتماعية التي تتعلق بالمركز والمكانة ويتمكن من خلالها من التفاعل الإيجابي بين أفراد مجتمعه³⁰

- يعالج أركسون مشكلة المراهقة من زاوية أزمة الهوية مركزا على خطوة ما يسميه الدور وغموضه الذي يصل إلى حد إحساس المراهق بالعجز التام الذي تصاحبه في أغلب الأحيان مشاعر الحيرة والضيق فمسألة الهوية الذاتية هي هذه الانطباعات عن ذاتنا وأفكار الآخرين عنا وتحقيق هذه الهوية مرهون بشعور الفرد بالانتماء إلى مجموعته وهو وليد النمو والتطور الذي يحدث في الطفولة ويصل إلى قمته في مرحلة المراهقة³¹

الدراسات السابقة

1-دراسة بايوسف مسعودة: الهوية الافتراضية: الخصائص والأبعاد: دراسة استكشافية على عينة من المشتركين في المجتمعات الافتراضية³² ، وجاءت هذه الدراسة للبحث عن علاقة الهوية الافتراضية بالهوية الحقيقية

يعول عليها كحقائق مثل السن والحالة الاجتماعية والجنس والعاهات الجسمية. أما الجانب السلوكي يأخذ أبعادا أخرى في الأنترنت حيث يرتبط بأمور أخرى ومنها الأدوار الجديدة التي يكتسبها الفرد من خلال علاقاته الجديدة وانتماءاته لجماعات ومنظمات الأنترنت وتحلل الفرد من قيود الزمن فهو يستخدم الأنترنت في أي وقت شاء فلا أثر لتوقيت معين في تصرفاته وكذلك التحلل من قيود المكان فالجغرافيا الطبيعية غير ملزمة للأفراد إضافة إلى التحلل من القيود السياسية والدينية والأخلاقية والقيمية فالفرد في مجتمع الأنترنت هو فرد مطلق يتعامل ويتفاعل مع أفراد من مجتمع الأنترنت نفسه ولكن قد يكونون في أي مكان من العالم لا بلد واحد لهم سوى جغرافيا المجتمع السايبري²¹.

2: مفهوم المراهقة

إن كلمة المراهقة مشتقة من الفعل رهق بمعنى غشى أو لحق أو دنى فهي تفيد معنى الاقتراب أو الدنو من الحلم فالمرهق بهذا المعنى هو الفرد الذي يدنو من الحلم واكمال النضج²².

أما اصطلاحا فتعرف المراهقة على أنها:

- فترة تقع بين مرحلة الطفولة والنضج ، وتمتد في الفترة الزمنية بين 13-20 سنة وتتميز بحدوث تغيرات بدنية ونفسية واجتماعية ، وقد تحدث خلالها بعض الاضطرابات النفسية والسلوكية²³

- هي الفترة التي تلي الطفولة وتقع بين البلوغ الجنسي وبين الرشد وفيها يعتري الفرد تغيرات أساسية واضطرابات شديدة في جميع جوانب نموه الجسدي والعقلي والاجتماعي والانفعالي وينتج عن هذه التغيرات والاضطرابات مشكلات كثيرة متعددة تحتاج إلى توجيه وإرشاد من الكبار المحيطين بالمرهق سواء الأيوين أو المدرسين أو غيرهم من المحتكين والمتصلين به حتى يتمكن من التغلب على هذه المشكلات وحتى يسير نموه في طريقه الطبيعي²⁴.

- هي مرحلة تبدأ من البلوغ الجنسي وتتميز بظهور أزمات كثيرة بسبب التغيرات الفيزيولوجية المؤدية إلى النضج الجسمي والضغط الاجتماعي²⁵.

ومن خلال التعاريف السابقة يمكن القول إن المراهقة هي المرحلة العمرية التي ينتقل فيها الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج والرشد والتي تتميز بتغيرات جسمية نفسية واجتماعية مهمة .

كيف يعبر الشباب محل الدراسة عن ذاتهم عبر شبكة الفيسبوك ماهي تمثيلات الشباب محل الدراسة لهويته الواقعية ولهويته الافتراضية عبر الفيسبوك ما مدى تأثير الهوية الافتراضية للشباب على واقعهم وهويتهم الحقيقية في سبيل الإجابة على التساؤلات المطروحة اعتمدت الباحثة على المنهج المسحي والاستمارة كأداة لجمع البيانات من خلال مسح عينة من الشباب مستخدمي الفيسبوك بولاية سطيف قوامها 400 مفردة ، وقد توصلت إلى النتائج التالية :

- أن الشباب يبني تمثيلات إيجابية حول موقع الفيسبوك في كونه أداة تواصل مهمة ومصدرا للتعبير بحرية وأداة لنسج علاقات جديدة

- أما فيما يخص الهوية المعلنة فأغلب المبحوثين يتواصلون بأسمائهم الحقيقية وهم من الذكور أكثر من الإناث ويصرحون ببياناتهم الحقيقية حول تاريخ الميلاد والإقامة والعمل ما يدل على أن استخدام الفيسبوك محاط بإطار من الجدية والثقة رغم أن بعض المبحوثين يحبون التواصل بأسماء مستعارة وهم خاصة من الإناث ، كما توصلت الدراسة إلى تعدد وتنوع دلالات الأسماء التي يختارها المبحوثون للتعريف بأنفسهم من شخصية إلى دينية وفكرية.

- أما عن الصور المستخدمة فأغلب الذكور يضعون صورههم الحقيقية وأغلب الإناث لا يفعلون ويضعون صوراً للأطفال أو للطبيعة أو لأشخاص مشهورين.

- أغلب المبحوثين يرون أن شخصياتهم على الفيسبوك متطابقة مع شخصياتهم الواقعية حيث لا يهدف المبحوثون إلى تزيين صورههم وشخصياتهم الافتراضية بقدر ما يهدفون إلى التواصل الهادف.

3 : دراسة صونيا عبيدش : الشباب الجزائري والفيسبوك ..بين فرص الاستخدام ومعضلة الإدمان³⁴ ، وقد تناولت الباحثة في هذه الدراسة العديد من المسائل المتعلقة بواقع استخدام طلبة جامعات الجزائر العاصمة للشبكة الاجتماعية على الأنترنت (الفيسبوك) ومنها الهوية الافتراضية وذلك في الفصل الأخير من الدراسة التي استعانت فيها الباحثة بالمنهج المسحي والاستمارة الموجهة لعينة من 500 طالب توصلت من خلالها إلى النتائج التالية :

- أغلب أفراد العينة يستخدمون هويات مستعارة وخاصة لدى الإناث

وكيف يتفاعل الأفراد داخل المجتمع الافتراضي وقد طرحت التساؤلات التالية:

ماهي خصائص المجتمعات الافتراضية التي يسعى الأفراد للانتماء إليها
ما هي دوافع الأفراد للانخراط في المجتمعات الافتراضية هل تعتبر الهوية الافتراضية انعكاسا للهوية الحقيقية للأفراد أم انفصالا عنها هل تسعى الهوية الافتراضية إلى الانسلاخ عن قيم المجتمع ومعاييره أم تراعيه داخل المجتمع الافتراضي كيف ينظر الأفراد إلى هوياتهم الافتراضية وتفاعلهم في المجتمع الرقمي

ومن خلال استخدام الباحثة للمنهج الوصفي وأداة الاستبيان الرقمي لجمع البيانات توصلت إلى أهم النتائج التالية:

- يفضل أفراد العينة الانضمام إلى أكثر من مجتمع افتراضي ذات البعدين العربي والعالمي وذات الطابعين الثقافي والعام وهو ما يعكس سعيهم للانفتاح على المجتمعات الأخرى.

- الانضمام إلى المجتمعات الافتراضية يكون في الغالب بدافع الحوار وتبادل الآراء بالدرجة الأولى.

تمثل الهوية الافتراضية عند غالبية الأفراد انعكاسا لهوياتهم الحقيقية وهو ما يفسر تصريحهم ببياناتهم الحقيقية حول السن والجنس والمواصفات ووضع صورههم الحقيقية والاسم المستعار الذي يكون له دلالات شخصية.

- يعتقد أغلب أفراد العينة أنهم عن طريق الهوية الافتراضية يكونون أكثر تفاعلا ومشاركة في المجتمع الافتراضي عنه في المجتمع الحقيقي.

2-دراسة لصلح عائشة : أشكال التعبير عن الهوية

عبر الفيسبوك — دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجزائري —³³ حيث انطلقت الباحثة من فكرة أن الفضاءات التي فتحتها شبكات التواصل الاجتماعي جعلت من مفهوم الهوية يتخذ أشكالا وأبعادا أوسع مدى حيث غيرت الوجه العام لبناء الهوية وانتقلت بها من سياق اجتماعي ثقافي إلى فضاء مرن يسمح للشباب ببناء ذاتي لهويته لذلك جاءت هذه الدراسة للإجابة على السؤال الرئيسي: ما هي أشكال التعبير عن الهوية عبر الفيسبوك لدى الشباب الجزائري والذي اندرج تحته التساؤلات الفرعية التالية :

كيف يتمثل الشباب الجزائري محل الدراسة شبكة الفيسبوك

وسلوكات مجموعة كبيرة من الأفراد انطلاقاً من الأجوبة المتحصل عليها³⁷. وتم بناء أداة الاستمارة من خلال عملية التحليل المفهومي لمفهوم الهوية الافتراضية وهذه الأخيرة تتجسد في: 1 المعلومات التي يقدمها الفرد عن نفسه (الجنس، السن، المستوى التعليمي) 2، الاسم المستخدم 3، الصورة المستخدمة. وهي التساؤلات الفرعية للدراسة ومحاو الاستمارة. وقد تم عرض الاستمارة على محكمين اثنين أبدوا بعض الملاحظات التي أدت إلى صياغة الاستمارة بصورتها النهائية.

مجتمع البحث والعينة: إن الجمهور المستهدف من الدراسة هو المراهقون دون تحديد لخصائص أو سمات معينة، فقط ما يتعلق بامتلاك حساب عبر أي موقع من مواقع التواصل الاجتماعي. ورغم الاختلاف الموجود بين الباحثين حول تحديد عمر المراهقة وخاصة عمر بدايتها ولكن المتفق عليه أن المرحلة الثانوية تعتبر مرحلة متقدمة من المراهقة، وبما أن الأمر كذلك فمجتمع البحث يتميز في هذه الحالة بكبر حجمه مما يصعب عملية حصره نظراً لغياب إطار مضبوط أو قاعدة بيانات، وعليه فإن العينات الغير احتمالية تقرض نفسها ولعل أنسب العينات في هذه الحالة هي العينة العرضية أو عينة الصدفة والتي لا يمكن في أي حال من الأحوال تقدير مدى تمثيليتها للمجتمع الأصلي لأنه يتم اختيار مفرداتها عن طريق الصدفة، أما بالنسبة لحجم العينة والذي يخضع لشروط معينة ومنها طبيعة التكوين الداخلي للمجتمع الأصلي من حيث التباين والتجانس والتوزيع الجغرافي للوحدات ونوع العينة المختارة، وبالنسبة للعينات الغير احتمالية فإنه من النادر تجاوز بعض المئات من الوحدات وعليه قمنا بتوزيع الاستمارة على 150 مفردة وهو العدد الذي رأينا أنه مناسب ويسمح بالحصول على نتائج مناسبة في حدود الإمكانيات المتاحة لأن مجتمع بحثنا وإن كان كبير الحجم إلا أنه متجانس من حيث أن المجتمع المعني هم المراهقون دون تحديد لخصائص معينة. وعليه اتجهنا إلى بعض المدارس الثانوية بمدينة سطيف وقمنا بتوزيع الاستمارة على الطلبة المتدربين وذلك خلال شهر أكتوبر سنة 2017، وقد تمكنا في النهاية من تحصيل العدد المطلوب الذي راعينا فيه أن يكون مناصفة بين الذكور والإناث أي 75 مفردة في كل جنس أما أعمارهم فقد تراوحت بين 16 سنة

الشابة الأقل سناً تستخدم هويات مستعارة أكثر من الفئات الأكبر سناً

- بالنسبة لأشكال الهوية المستعارة فالأغلبية يستخدمون اسم غير حقيقي مع صورة غير شخصية وهي عموماً أسماء لرياضيين مشهورين أو فنانين أو مشايخ وعلماء دين أو أسماء مختصرة لأسمائهم الحقيقية أو أسماء غريبة أو جذابة تدل على شخصية المستخدم أو حالته النفسية - اختار أغلب أفراد العينة هويات مستعارة للأسباب التالية بالترتيب وهي الخوف من الوقوع فريسة للقرصنة الحاسوبية والاختراق والاحتيال والتجسس أو بسبب الفضول والتسلية أو بسبب الجرأة في التعبير عما يريدون مع أي شخص أو من أجل البحث عن التميز ولفت انتباه الآخرين.

حدود الاستفادة: أوضحت هذه الدراسات أن مسألة الهوية الافتراضية أصبحت من المسائل المهمة في الوقت الراهن كنتيجة لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي وتطرح العديد من الإشكالات والتساؤلات المتعلقة باستخدامها، وقد اعتمدنا كثيراً على هذه الدراسات كونها جزائية وموجهة للشباب الجزائري وفي فترة زمنية قريبة من فترة دراستنا ورغم أنها لم تكن خاصة بالمراهقين إلا أننا استفدنا منها أولاً في طرح موضوع الهوية الافتراضية وتبيان أهميته والرهانات المتعلقة به، وثانياً في كيفية تصورنا لمؤشرات الهوية الافتراضية وهو الأمر الذي ساعدنا في بناء أداة جمع البيانات.

ثالثاً: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

نوع الدراسة: ولذلك تندرج هذه الدراسة في إطار الدراسات الوصفية في بحوث الإعلام والتي تمثل الأسلوب الأكثر قابلية للاستخدام لدراسة بعض المشكلات والظواهر التي تتصل بالإنسان ومواقفه وآرائه ووجهات نظره في علاقته بالإعلام ووسائله³⁵.

منهج الدراسة: إن أنسب منهج في موضوعنا هو المنهج المسحي والذي يعتبر واحداً من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية وهو المنهج الذي يهدف في الواقع إلى اكتشاف الواقع كما هو³⁶.

أداة جمع البيانات: استخدمنا الاستمارة كأداة لجمع البيانات، والاستمارة هي تقنية مباشرة لطرح الأسئلة على الأفراد بطريقة موجهة وذلك لأن صيغ الإجابات تحدد مسبقاً ما يسمح بالقيام بمعالجة كمية بهدف استخلاص اتجاهات

نلاحظ من خلال الجدول رقم 2 أن أغلب أفراد العينة لا يقدمون أعمارهم الحقيقية وذلك بنسبة 63,33% في مقابل 36,66% ممن يقدمون عمرهم الحقيقي

المتغيرات	ك	%
عمر أكبر	95	100%
عمر أصغر		
مج	95	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يتضح من خلال الجدول رقم 3 أن كل أفراد العينة يقدمون عمرا أكبر من عمرهم الحقيقي وذلك بنسبة 100%

المتغيرات	ك	%
لا يسمح لك بدخول مواقع معينة	11	11,57%
الرغبة في تقمص شخصية أكبر	34	35,78%
للتسلية	50	52,63%
مج	95	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يوضح الجدول رقم 4 أسباب تقديم عمر غير حقيقي حيث أن التسلية هي الدافع لدى أغلبهم بنسبة 52,63% ثم تليها الرغبة في تقمص شخصية أكبر سنا بنسبة 35,78% وأخيرا بسبب عدم السماح لهم بدخول مواقع معينة بنسبة 11,57%. وفي كل الأحوال فإن عدم الكشف عن العمر الحقيقي يجعل المراهق يزيّف شخصيته أثناء التحدث الإلكتروني فيظهر الصغير على أنه كبير ويظهر الكبير على أنه صغير فيمكنه ذلك من القفز عبر السن فيكون بمقدرته الدردشة مع أي شخص يريد بغض النظر عن عائق العمر وهو ما يجعل عددا كبيرا من الأشخاص المنطوين يصبحون ذوي شخصيات جريئة على الأنترنت بعكس الواقع³⁸.

جدول رقم 5: مدى تقديم المراهق للمعلومة

المتغيرات	ك	%
نعم	70	46,66%
لا أكبر من مستواك	80	53,33%
أقل من مستواك		
مج	150	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يبين الجدول رقم 5 أن أكثر من نصف أفراد العينة لا يقدمون مستواهم التعليمي الحقيقي والذي يكون دائما أكبر وذلك بنسبة 53,33% وأغلبهم من الذكور في مقابل 46,66% منهم يعترفون بمستواهم التعليمي. والمسألة هنا تصبح تحصيل

بنسبة 32,66% و 17 سنة بنسبة 40,66% و 18 سنة بنسبة 26,66%

رابعا: الإطار التطبيقي للدراسة: الهوية الافتراضية

لدى المراهقين

1: الهوية الافتراضية من خلال المعلومات

السيوديمغرافية: تعتبر المعلومات التي يقدمها المراهق عن نفسه ذات أهمية كبيرة في تشكيل هويته الافتراضية ويتعلق الأمر بجنسه وعمره ومستواه التعليمي.

جدول رقم 1: مدى تقديم المراهق للمعلومة

الحقيقية عن جنسه

المتغيرات	ك	%
نعم	106	70,66%
لا يسمح لك بدخول مواقع معينة	3	6,81%
تجنب مضايقات الطرف الآخر	15	34,09%
تجد راحتك في التواصل كجنس آخر	9	20,45%
للتسلية	17	38,63%
مج	44	29,33%
مج	150	100%

المصدر: من اعداد شخصي

نلاحظ من خلال الجدول رقم 1 أن أغلب أفراد العينة يتواصلون من خلال جنسهم الحقيقي وذلك بنسبة 70,66% ومع ذلك هناك 44 مفردة بنسبة 29,33% لا يتواصلون عبر جنسهم الحقيقي، وغم أن النسبة ليست كبيرة إلا أنها مؤشر على اختلال في التعبير عن الهوية خاصة وأن الجنس أو النوع الاجتماعي يعد من أهم وأول مكونات الهوية والميزة الأولية للإنسان وهو الأمر الذي لا يمكن تغييره أو رفضه إلا في بعض الحالات المرضية. أما عن أسبابهم في ذلك فهي التسلية بنسبة 38,63%. وتجنب مضايقات الطرف الآخر بنسبة 34,09% أما السبب الثالث فلأنهم يجدون راحتهم في التواصل كجنس آخر بنسبة 20,45% ولأنه لا يسمح لهم بدخول مواقع عبر جنسهم الحقيقي بنسبة 6,81%.

جدول رقم 2: مدى تقديم المراهق للمعلومة

الحقيقية عن عمره

المتغيرات	ك	%
نعم	55	36,66%
لا	95	63,33%
مج	150	100%

المصدر: من اعداد شخصي

ميزة المراهق الذي يتميز بالحيوية والانطلاق ، فالتواصل عبر الجنس الآخر قد لا يتعدى كونه مجرد تسلية من أجل المرح والمتعة والضحك وقد يكون مؤقتا إلا انه قد يكون عبثيا ويصبح مشكلة حين تصبح التسلية نمط الوجود المفضل للمراهق.

2: الهوية الافتراضية من خلال الاسم المستخدم

يعتبر الاسم من أهم مكونات الهوية الافتراضية المعلنة وهو التعبير اللساني عن الهوية والذي يميز المراهق داخل الجماعات الافتراضية التي ينتمي إليها.

جدول رقم 6: الاسم المستخدم في التعبير عن الذات

المتغيرات	ك	%
إسم حقيقي	7	4,66%
إسم مستعار	70	46,66%
مزيج بين الحقيقي والمستعار	73	48,66%
مج	150	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يؤكد الجدول رقم 6 أن 7 فقط من أفراد العينة يتواصلون من خلال أسمائهم الحقيقية وكلهم من الذكور وذلك بنسبة 4,66% في مقابل 143 منهم لا يفعلون ذلك حيث أن 70 مفردة منهم بنسبة 46,66% يقدمون أسماء مستعارة و73 منهم بنسبة 48,66% يقدمون أسماء تمزج بين الحقيقي والمستعار

جدول رقم 7: الجزء المستعار من الإسم المستخدم

المتغيرات	ك	%
الإسم		
اللقب	73	100%
مج	73	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يتعلق الجدول رقم 7 بالفئة التي تقدم اسما يمزج بين الحقيقي والمستعار حيث أنهم جميعا يستعملون أسماء مستعارة للقب وليس للإسم. ومنه فإن هذه الأرقام تؤكد ما توصلت إليه معظم الأبحاث حيث أن الهوية الافتراضية من خلال الاسم المستخدم ليست حقيقية بل هي أسماء أخرى غير أسمائهم وألقابهم الحقيقية. وهو الأمر الذي تتيحه مواقع التواصل الاجتماعي عامة فالكل حر في ما يقدمه عن نفسه والكل حر في اسمه ويعتبر ذلك من المفارقات المهمة بين الهوية الحقيقية التي تتميز في بعض النواحي بنوع من الإكراه عكس الهوية الافتراضية المتحررة من كل الضغوط وهو ما

حاصل للنتيجة التي تحصلنا عليها سابقا حيث أن أغلب المراهقين يقدمون أنفسهم بعمر أكبر من عمرهم الحقيقي وبالتالي لا بد من إكمال ذلك بمستوى تعليمي أكبر. وهو نوع من التحرر من إكراهات الواقع والتزامات الحياة اليومية وخاصة المدرسية منها حيث يتصورون أنفسهم يدرسون في الجامعة أو انتهوا منها.

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من الجداول السابقة أن الهوية الافتراضية للمراهقين من حيث المعلومات السيسودمغرافية التي يقدمونها عن أنفسهم ليست حقيقية في كل الحالات وذلك فيما يتعلق بأعمارهم ومستواهم التعليمي وبعضهم يكذب حتى بشأن جنسه من حيث ذكر أو أنثى ، وقد ينظر لهذه المسألة على أنها طبيعية بالنظر إلى طبيعة المرحلة العمرية التي يتميز فيها المراهق عموما بالرغبة في إثبات ذاته والقيام بأشياء غير اعتيادية تلفت النظر إليه كمحاولة التصنع ، كما أن مشكلة الذات تعتبر من أهم مظاهر النمو الانفعالي للمراهقين حيث أن الذات تشمل كل ما تتضمنه كلمات أنا ، لي ، ذاتي فهو يبحث عن اكتساب تقدير الآخرين وإعجابهم بمعنى أنه في حاجة إلى اعتراف الآخرين به لكي يعترف بذاته وهذا الوعي الذاتي لدى المراهق يتخذ وجهان وعيا ذاتيا تجاه الآخر ووعيا ذاتيا تجاه الذات وهذه الازدواجية تفسر إحساس المراهق بالأهمية التي يعطيها لانفعاله وعلاقاته مع المحيط والانفتاح على الحياة ، كما أن وعي المراهق بذاته يدفعه إلى العزلة والانطواء على الذات مع الميل إلى السرية فهو يريد أن يعرف من هو وما سيكون عليه ، ويتبع مرحلة الانطواء واكتشاف الذات مرحلة ثانية هي مرحلة الثقة في هذه الذات وتحقيق إمكانياتها³⁹ وهو ربما ما يفسر لنا التعبير عن ذواتهم كجنس آخر أو أنهم أكبر سنا أو أعلى مستوى تعليمي أو ينتمون إلى مكان آخر فهم يبحثون عن ذواتهم في أشياء أخرى غير تلك التي لديهم وهو أمر طبيعي بالنظر إلى حساسية المرحلة العمرية ، وهو أيضا ما يؤكد الباحثون في مجال التكنولوجيا وتأثيراتها حيث أن الدخول في البيئات الافتراضية والحياة الثانية يجعل المستخدمين يؤكدون على بعض الاختيارات ومنها المعاني المرتبطة بالجنوسة والجسد المكتمل ، والتي قد تكون صورا نمطية متحررة تماما من ضغوط الحياة الأولى ، والتي هي الحياة الاجتماعية الحقيقية⁴⁰ . ورغم أنهم يعتقدون أنفسهم يفعلون ذلك بدافع التسلية وهذه الأخيرة في حد ذاتها تعتبر

يؤكد الجدول رقم 8 أنه وفي كلتا الحالتين أي اسم مستعار كامل أو مزيج بين الحقيقي والمستعار فإن هذا المستعار هو عبارة عن شخصية مشهورة وذلك لدى أغلبهم بنسبة 49,65% ويليها اسم دلح بنسبة 13,98% ثم اسم إنسان عادي بنسبة 9,79% ثم اسم من الطبيعة بنسبة 7,69% وقول مأثور بنسبة 7,69% كما أن هناك من يستخدم اسم حيوان بنسبة 4,89% ومهما اختلفت هذه الأسماء المستعارة إلا أنها تشترك في شيء واحد وهي أنها غير حقيقية وهي نوع من التمثيل النفسي والاجتماعي تعبر عن مكونات داخلية قد يعيها المراهق وقد لا يفعل ، والهوية الافتراضية في المجتمع الافتراضي تعامل كخصوصية غامضة ، كذات واهمة موهومة يمكن لأي إنسان طبيعي أن يصبح في أي لحظة عضوا في مجتمع عالمي جديد وينتقل بين الهويات والشخصيات التي يكونها لنفسه بنفسه ..إن الحاسوب والانترنت بهذه الكيفية يتيحان للإنسان أن يستكشف أبعادا مختلفة في نفسه لم يعرفها من قبل ويجعلان الواقع الجديد لمجتمع الأنترنت أن يكون فقط مثلما يتظاهر أن يكون ⁴⁵ . واعتماد المراهق على الشخصيات المشهورة في هويته الافتراضية هو أمر طبيعي بالنظر إلى خصوصية المرحلة حيث يميل المراهق إلى التباهي بالراشدين والأشخاص المرموقين في المجتمع والناجحين وذوي الجاذبية الذين يشاهدهم في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ⁴⁶ كما أن المراهقة هي مرحلة الإفراط في المثالية وانتشار عبادة الأبطال ⁴⁷ ، والملاحظ أيضا في هذا الجدول أن أكثر من نصف العينة من الذين يستخدمون أسماء مستعارة لا يعتمدون على الشخصيات المشهورة بل يذهبون إلى أشياء أخرى كأسماء الدلع التي يعرفون بها أو أسماء عادية قد تعني لهم شيئا ما أو أسماء الورود والنبات من الطبيعة وهذه الأسماء لا بد أنها تعبر عن شيء جميل يترك أثرا إيجابيا في أنفسهم ، وهناك من استخدم أسماء الحيوان ربما لميزة معينة أو للتخفي بشكل كلي وهناك من استعان بالأقوال المأثورة والتي غالبا ما تحمل معاني إيجابية .

جعل الباحثين في هذا المجال يستخدمون مصطلحات ومفاهيم جديدة لوصف هذا الواقع الجديد مثل الحضور عن بعد telepresence للفرد عن طريق ما يمكن تسميته ببطاقة تعريف avatar ، وهو وسيلة الدخول الرئيسية للحياة الثانية ⁴¹ ، فالأفاتار هو كيفية تجسيد الذات في الجماعات الافتراضية . وهذه النتيجة تتوافق مع العديد من الدراسات ومنها دراسة صونيا عبيدش حول الهوية الافتراضية للشباب عبر الفيسبوك حيث توصلت إلى أن أغلب أفراد العينة يستخدمون هويات مستعارة بنسبة 59,20% وأغلبهم من الإناث بنسبة 73,54% كما أن الفئة الشابة الأقل سنا من 18 إلى 24 سنة تستخدم هويات مستعارة أكثر من الفئات الأخرى ⁴² . وهذا الأمر وإن كان يبدو طبيعيا بالنظر إلى انتشاره في المجتمع الجزائري والعربي وحتى المجتمعات الغربية إلا أنه يطرح العديد من الإشكالات المتعلقة بهذه الأسماء المستعارة من حيث ماهيتها والدلالات التي تحملها والأدوار التي يمكن القيام بها من خلالها وخاصة في مرحلة المراهقة التي تتميز بغموض هوية المراهق ومبولة المتناقضة وصراعاته النفسية وقلقه الجنسي وهي عوامل أساسية في انهيار توازنه كليا واضطراب علاقاته مع ذاته ومع الآخرين بمعنى الاختيار في التوازن البيولوجي والنفسي وظهور الوظائف الجديدة في حياة المراهق هو مظهر من مظاهر ما يطلق عليه أزمة المراهقة وهي الأزمة التي تخلف مواقف متناقضة وثورة ، فهو يرفض الخضوع لسلطة الأهل ويكف عن الثقة في الأفكار والأوامر السابقة وهو يريد الآن أن يفعل ما يشاء ⁴³ . لذلك فإن الاسم المستعار المستخدم من طرف المراهق قد يعبر عن حالة من الاضطراب والبحث عن المكانة التي لا يجدها في الواقع الحقيقي وبحسب المختصين في المجال فإن هذه الصور النمطية التي تختزن داخل الأفاتار هي تعبير عن رفض مختلف المعطيات السابقة حول الهوية والجسد والمكانات الاجتماعية التي يملئها النظام الاجتماعي الأول ⁴⁴ .

جدول رقم 8 طبيعة الأسماء المستعارة

المتغيرات	ك	%
شخصية مشهورة	71	49,65%
اسم إنسان عادي	14	9,79%
اسم دلح	20	13,98%
قول مأثور	11	7,69%
من الطبيعة	20	13,99%
اسم حيوان	7	4,89%
مج	143	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يحضون بشهرة في الفرق المعروفة دوليا أو وطنيا أو محليا والمرتبطة أساسا بلعبة كرة القدم، حيث يحظى هؤلاء اللاعبين بإعجاب المراهقين بهم وتقليدهم لهم في الملبس والسلوك.

الشخصيات التمثيلية : حيث يتأثر الأطفال والمراهقون والشباب بأفلام ومسلسلات التلفاز، إلى درجة التقليد الأعمى لأبطال وهميين، وتقليدهم بارتكاب جرائم، وقد كان هذا التقليد وراء انزواء وبُعد جيل الصغار والمراهقين عن جيل الكبار، في العادات والتقاليد والأفكار، وعدم سيطرة الكبار على هذه الأحداث، بسبب اغترابهم وانعزالهم عن محيطهم الاجتماعي، فقد أكدت الدراسات في علم الإجرام أن أغلب عمليات الإحرام التي يقوم بها فئة المراهقين، هي جراء التقليد الأعمى للأفلام والمسلسلات التي يشاهدونها عبر التلفاز، فالمراهق في أغلب الأحيان يحاول أن يلعب دور البطل⁵⁰

الشخصيات الإعلامية الدينية : وهو ما يعكس اهتمام المراهقين بهذا المجال نظرا للمكانة التي يحتلها الدين في حياة كل فرد ونظرا لطبيعة المرحلة العمرية التي يبحث فيها المراهق عن هويته حيث أن التنشئة الدينية جزء أساسي من التنشئة الاجتماعية ككل وأن الدين جزء أساسي من مكونات الهوية الأصلية، كما أن هذا الاهتمام بالشخصيات الدينية يعود أيضا إلى وسائل الإعلام بعد انتشار القنوات الدينية المتخصصة والبرامج الدينية في مختلف القنوات الأخرى بما ساهم في ظهور الكثير من الشخصيات الدينية التي أصبح لها دور كبير في التأثير على كل أفراد المجتمع .

الشخصيات الغنائية من أهم الشخصيات البارزة عبر وسائل الإعلام والتي يهتم بها المراهقون ويتابعون أخبارها وتعتبر من أهم النماذج التي يتم تسويقها عبر وسائل الإعلام المختلفة وترتبط صفاتها بالجمال الجسدي وروح الشباب وهي الأمور التي يجذب إليها المراهقون في هذه المرحلة.

جدول رقم 10 تأثير الاسم المستعار على المستخدم

المتغيرات	ك	%
أكثر راحة	47	32,86%
أكثر جرأة	60	41,95%
أكثر ثقة	36	25,17%
مج	143	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يبين الجدول رقم 10 والخاص بتأثير الاسم المستعار على المستخدم أنه يجعلهم أكثر جرأة بنسبة 41,95% وأكثر

جدول رقم 9: الشخصية المشهورة في الاسم

المتغيرات	ك	%
رياضية	19	26,76%
غنائية	16	22,53%
تمثيلية	18	25,35%
إعلامية دينية	18	25,35%
مج	71	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يتضح من خلال الجدول رقم 9 أن هناك تنوع في الأسماء المستعارة المستمدة من الشخصيات المشهورة والتي تراوحت بين الرياضية بنسبة 26,76 في المرتبة الأولى وتليها التمثيلية والدينية بنفس النسبة وهي 25,35 ثم الشخصية الغنائية بنسبة 22,53% والملاحظ على هذه الأرقام أنها متقاربة وتشترك في كونها شخصيات عامة يتم الترويج لها عبر وسائل الإعلام المختلفة حيث تركز أغلب القنوات الفضائية على أخبار النجوم على اختلاف ألوانهم وتخصص لهم من المساحة ووقت البث ما لا يقارن مع الأوقات المخصصة للموضوعات التربوية والثقافية والعلمية...إن إبراز القنوات الفضائية لقضايا محددة وأشخاص معينين لا يؤدي فقط إلى تضخيم تلك القضايا وأولئك الأفراد على حساب قضايا وأفراد أهم، بل له آثاره البعيدة في الوعي المجتمعي العام بقضايا الأمة الحساسة كما أنه يساهم في وضع نماذج وقذورات من الناس كالمطربين والممثلين وغيرهم ويقدمهم للأجيال الشابة على أنهم أبطال ونجوم⁴⁸، وهذه المسألة تطرح العديد من الإشكالات منها المحاكاة وما هي طبيعة السلوك الذي سوف يتم تقليده انطلاقا من المشاهير من حيث قيمته وإيجابيته وسلبيته و في أي مصلحة يصب لأن المحاكاة هي تقليد الفرد لغيره. فوسائل الإعلام تلعب دورا في المحافظة على ثقافة الأداء المتميز وذلك من خلال الصورة المثالية للفرد ومختلف الأمثلة التي تقدمها للجمهور والتي عادة ما تكون من المشاهير وأحيانا تقدم أشخاص غير معروفين ولكنهم يجسدون النجاح الكامل في حياتهم المهنية والخاصة، وهذه النماذج تحث الفرد على البحث عن الأداء المتميز في كل مجالات حياته: الصحة، العمل، العائلة، المال، الجنس، الجمال، الموضة، المتعة، الطبخ... وهو ما يؤدي إلى ظهور سلوكيات جديدة⁴⁹.

الشخصيات الرياضية: تعتبر من أكثر الشخصيات التي يتأثر بها المراهقون ويتعلق الأمر بالرياضيين الذين

بالتعرف عليهم وهناك 23 مفردة منهم بنسبة 11,5% يسمحون لبعض أقاربهم بالتعرف عليهم ، أما بالنسبة للمتغير المتعلق بكل أفراد العائلة وجدنا 6 أفراد بنسبة 3% فقط. وهذه الأرقام تدل على أن استخدام اسم مستعار لا يمنع المراهقين من التعريف بأنفسهم لبعض الأطراف ويتعلق الأمر بانفتاحهم على أصدقائهم أكثر من عائلاتهم ، وهذا الأمر يعود لكون مواقع التواصل الاجتماعي اليوم أصبحت وسيلة للاتصال والتفاعل اليومي عوضا عن الهاتف في الكثير من الأحيان وقضاء الكثير من المصالح مثل تبادل الملفات المتعلقة بالدراسة أو الحصول على المعلومات التي يحتاجون إليها في حياتهم اليومية ، والمعروف أن عدد الأصدقاء يعتبر جزءا مهما من الهوية الافتراضية المحسوبة وقد أثبتت دراسات عدة أن عدد أصدقاء الشخص عبر الفيسبوك ومستوى جاذبيتهم لديه تأثير مهم على إدراك هذا الشخص لجاذبيته⁵³ ، كما أن إنتاج الهوية في الفضاء الإلكتروني يبقى مرتبطا بنظرة الآخرين فعندما يؤثر فردا ما فضاءه الإلكتروني بالنصوص وبالصورة فهو يأخذ بعين الاعتبار نظرة الآخر له كما أن نشاط الفرد على الشبكة يتوجه كذلك إلى الآخرين فتعاطف التفاعلية يؤكد بشكل صريح أن الهوية على الشبكة لا يمكن أن تنفصل على الآخر⁵⁴ إلا أن المسألة تبقى محدودة على الأصدقاء حيث وجدنا 6 من أفراد العينة فقط ممن هم منفتحين على عائلاتهم والسبب في ذلك يعود إلى كون أن أهم مظاهر النمو في مرحلة المراهقة رغبة المراهق في الاستقلال عن الأسرة وميله نحو الاعتماد على النفس فهو يشعر أنه لم يعد طفلا نتيجة للتغيرات الجسمية التي تطرأ عليه ولهذا لا يحب أن يحاسب على كل صغيرة وكبيرة أو أن يخضع سلوكه لرقابة الأسرة⁵⁵.

ثالثا: الهوية الافتراضية من خلال الصورة

تعتبر الصورة التي يستخدمها المراهق في التعريف بنفسه عبر مواقع التواصل الاجتماعي جزءا أساسيا ومهما في تشكيل هويته الافتراضية والتي قد تكون صورة حقيقية له أو صورة ما تعبر عن شيء ما.

جدول رقم 12: مدى استخدام صورة حقيقية

المتغيرات	ك	%
صورة حقيقية	21	14%
صورة غير حقيقية	129	86%
مج	150	100%

المصدر: من اعداد شخصي

راحة بنسبة 32,86% وأكثر ثقة بنسبة 25,17% وهي الخصائص التي يبحث عنها المراهقون بشكل خاص من أجل إثبات ذواتهم والتعبير عن أنفسهم بشكل أفضل بعيدا عن إكراهات الواقع خاصة أن المراهقين في هذه المرحلة يتميزون بنمو عقلي وانفتاح ذهني وإبداء آراء غير تقليدية وانتقاد ما يعتقدونه الآخرون من معتقدات ، ومن جهة أخرى يعاني الكثير من المراهقون في هذه المرحلة من مشكلة الخجل من خلال الارتباك والخوف من تقييم الآخرين ، والخجل شعور ناتج عن موقف الفرد تجاه الآخرين ونقص الثقة في النفس عند مواجهتهم ويزداد ارتباك الخجل كلما كثر عدد المحيطين به والمراقبين له لأنه في الأساس يبالغ في تقديره لذاته فيعمد بالتالي إلى المبالغة في تقدير الأخطاء الصادرة عنه فيقع فريسة الخجل خوفا من النقد والسخرية⁵¹ ، وبذلك يجد المراهق نفسه من خلال الهوية الافتراضية متحررا من خوفه وارتبائه وخجله ذلك أن العملية الاتصالية الأتريئية هي جماعات حوارية افتراضية وهي جميعا منتج معقد من الاتصال الدينامي ، وبخاصة حين يدرك أن في هذا المجتمع حرية التعبير منفتحة على مصراعيها فالأفراد يمكن أن يقولوا ما يشاؤون بهويات مختلفة ويتعاملون في مجتمع منفتح الآفاق على كل الاحتمالات التمثيلية والتعبيرية الحوارية وغيرها فليس هناك بهذه المعطيات ما قد يسمى عقدا اجتماعية قد تعيق انطلاق الأصوات أو الحركات الاجتماعية المختلفة⁵².

جدول رقم 11: الأشخاص الذين يسمح لهم المراهق

بالتعرف عليه

المتغيرات	ك	%
كل أفراد العائلة	6	3%
بعض أفراد العائلة	33	16,5%
كل الأصدقاء	56	28%
بعض الأصدقاء	82	41%
بعض الأقارب	23	11,5%
مج	200	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يتبين من خلال الجدول رقم 11 أن أغلب أفراد العينة ممن يستخدمون إسما مستعارا أو مزيج بين الحقيقي والمستعار يسمحون لبعض أصدقائهم بالتعرف عليهم وذلك بنسبة 41% كما أن جزء كبير منهم يسمحون لجميع أصدقائهم بالتعرف عليهم بنسبة 28% إضافة إلى وجود 33 مفردة منهم بنسبة 16,5% يسمحون لبعض أفراد عائلاتهم

يوضح الجدول رقم 13 أن أفراد العينة الذين لا يستخدمون صورهم الحقيقية يستعملون العديد من الصور أغلبها كانت صوراً لشخصيات عامة معروفة وذلك بنسبة 24,80% وهذه الشخصيات هي رياضية ب 10 تكرارات وتمثيلية ب 8 تكرارات ودينية ب 6 تكرارات وإعلامية ب 4 تكرارات وغنائية بنفس النسبة. وهذه الأرقام تتوافق مع نتائج الجدول رقم 8 الخاص بطبيعة الأسماء المستعارة ويأتي في المرتبة الثانية صور الأطفال الغير معروفين بنسبة 21,70% وفي المرتبة الثالثة صور عارضين أو أشخاص غير معروفين بنسبة 18,60%. وفي المرتبة الرابعة الصور المتضمنة لمقولات مأثورة أو أدعية بنسبة 11,62% وفي المرتبة الخامسة صورة مكان بنسبة 7,75% وتليها صورة حيوان بنسبة 5,42% صور من الرسوم المتحركة بنسبة 3,87% إضافة إلى صورة نبات وصورة أطفال من الأقارب بنفس النسبة وهي 3,10%. واستخدام صور غير حقيقية للتعبير عن الهوية يطرح إشكالية ما تعبر عنه الصورة سواء كانت صورة لشخص ما أو شيء ما ذلك أن الصورة هي من أكثر الأشياء التي تحمل الدلالة حيث تتحول الصورة إلى نماذج اقتداء بحكم جاذبية الصورة المزخرفة المزينة بصفة الاصطناع والحاصل أنه وفي غياب القيمة ينهر المشاهد بهذه القوالب ويأتيه الظن أن حياة هؤلاء الذين هم على الصورة أكثر أهمية من حياته في الواقع المعاش فيجئ من خلال تجاربهم ويتقمص شخصيات وأدوار فيصبح مستهلكاً لتجارب الآخرين الوهمية بعيداً عن تجربته الواعية في عالم الحياة⁵⁷

جدول رقم 14 أسباب عدم استخدام صورة حقيقية

المتغيرات	ك	%
تجنب المضايقات	51	32,07%
لا تريد تعرف الآخرين عليك	67	42,13%
تخاف من تعرف الآخرين عليك	41	25,78%
مج	159	100%

المصدر: من اعداد شخصي

أكبر دون أن يعرفه الجميع وهو أمر طبيعي حيث يتجنب انتقادات الآخرين الذين يعرفهم خاصة وأن انتقال المراهق من جماعة إلى جماعة هو الانتقال إلى عالم جديد غير مألوف تماماً وتعني عدم المألوفية عدم الوضوح وغموض مجال الفرد فلا يعرف أي سلوك يسلك وعما إذا كان سلوكه صواباً أم خطأ وعما إذا كان هذا السلوك يؤدي به إلى الهدف الصحيح أم لا وهذا ما يعزى إليه اضطراب الفتى في سلوكه وعدم تأكده من صحة ما يقوم به ولهذا يجد المراهق نفسه يخطو نحو عالم

توضح الأرقام المتضمنة في الجدول رقم 12 أن أغلب أفراد العينة لا يستخدمون صورهم الحقيقية وذلك بنسبة 86% في مقابل 14% منهم يفعلون ذلك وكلهم من الذكور، وقد يبدو الأمر غريباً بالنسبة للفئة التي تستخدم صورها الحقيقية مقارنة بالنتائج المتحصل عليها سابقاً من أن 7 فقط من أفراد العينة يستخدمون أسماءهم الحقيقية وهذا معناه أن هناك حالات يستخدم فيها الاسم المستعار مع صورة حقيقية رغم التناقض بين الأمرين. وهذه النتيجة هي نفس ما وصلت إليه الباحثة صونيا عبدش في دراستها حيث أن 20,60% يعتمدون على تجسيد هوية مستعارة من خلال اسم غير حقيقي مع صورة شخصية⁵⁶ وفي مطلق الأحوال فإن ما يهم من خلال هذه الأرقام أن أغلبية المراهقين يستخدمون في التعريف بأنفسهم صوراً غير حقيقية يعبرون من خلالها على شيء ما من مكونات أنفسهم.

جدول رقم 13: طبيعة الصورة المستخدمة

المتغيرات	ك	%
صورة شخصية عامة معروفة	10 4 4 8 6	24,80%
عارضين	24	18,60%
طفل غير معروف	28	21,70%
مقولة	15	11,62%
مكان	10	7,75%
حيوان	7	5,42%
رسوم متحركة	5	3,87%
نبات	4	3,10%
طفل من اقاربك	4	3,10%
مج	129	100%

المصدر: من اعداد شخصي

يوضح الجدول رقم 14 أن أفراد العينة الذين لا يستخدمون صوراً حقيقية يفعلون ذلك لأنهم لا يريدون تعرف الآخرين عليهم بنسبة 42,13% ولتجنب المضايقات بنسبة 32,07% ولأنهم يخافون من تعرف الآخرين عليهم بنسبة 25,78% والملاحظ هنا أن المسألة تتعلق بالآخرين دائماً حيث قد يكون الأمر متعلقاً بالأسرة أو رفاق المدرسة أو كل من يعرفهم ويعرفونه أو أنه يريد خوض تجربة جديدة عبر مواقع التواصل الاجتماعي بأفكار وشخصية جديدة وبحرية

الافتراضية ويبقى في عملية مستمرة للبحث عن الهوية ولكن هذه المرة بحرية أكبر بعيدا عن ضغط الواقع وهو الأمر الذي يتجلى في الاختيارات التي يقوم بها لتجسيد نفسه اسما وصورة ليست حقيقية بل مزيفة تعبر عن شيء ما من مكوناته الداخلية والسؤال الذي يطرح نفسه هل يغير هذا المراهق نظرته إلى نفسه وإلى هويته الافتراضية بعد أن يتجاوز مرحلة المراهقة.

غريب له معالمة غير واضحة فيشوب سلوكه التردد والشك والتذبذب ولما كان الانتقال من جماعة إلى جماعة ومن حياة إلى حياة يعني تخلخل الأسس القديمة يؤدي إلى ما نلاحظه من تطرف بين الفتيان في آرائهم وتذبذبهم في معتقداتهم وقيمهم الأخلاقية والدينية⁵⁸.

خلاصة نستنتج من خلال تحليلنا للجداول السابقة
أن ما يعيشه المراهق في حياته الواقعية والإكراهات التي يتعرض لها في الواقع بحثا عن هويته ينقله إلى الحياة

الهوامش

1. : عبد الله الزين الحيدري: الإعلام الجديد: النظام والفوضى: أبحاث المؤتمر الدولي: الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد ، جامعة البحرين ، أبريل 2009 ، منشورات جامعة البحرين 2009 ص 140
2. : هانس بيتر مارتن ، هارولد شومان: فخ العولمة: سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1998 ص 10-20
3. صونيا عبدش: الشباب الجزائري والفيسبوك: طاكسيك كوم للدراسات والنشر والتوزيع الجزائر ص 203
4. : فريال حمود: مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها: مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27-2011 ص 1557
5. : نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات: سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت العدد 276 ديسمبر 2001 ص 309¹
6. : طاوس وازي ، عادل يوسف: وسائل التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على الإتصال بين الآباء والأبناء متاح بالموقع:
تم الإسترجاع بتاريخ 10 أبريل 2013 http://www.bu.univ-ouargla.dz/production_scientifique/national/2013/39.pdf
7. صونيا عبدش: مواقع التواصل الاجتماعي: الماهية ، المخاطر ، والمستقبل: مجلة فكر ومجتمع ، عدد خاص جوان 2014 ص 64-65
8. عادل بن الحاج رحومة: تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الإتصالية والمعلوماتية ، مجلة إضافات العدد 9-2010 ص 137
9. دحماني سمير: أثر استخدام شبكة الأنترنت على الهوية لدى الشباب في ظل العولمة الإعلامية : مذكرة ماجستير ، اعلام واتصال ، جامعة الجزائر 3 2007-2008 ص 58
10. : همال فطيمة: انفصامية حقيقة الاسم والهوية للشباب الجزائري عبر الفيسبوك: متاح بالموقع:
<http://www.mominoun.com/articles/> انفصامية-حقيقة-الاسم-والهوية-للشباب-الجزائري-عبر-الفيس-بوك-وعى-الذات-إلى-أين-4185
تم الإسترجاع بتاريخ 20 نوفمبر 2017
11. : كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق بيروت ، 2000 ، ط 38 ص 875¹
12. : نصر الدين العياضي: الهوية الوطنية والتلفزيون: مجلة المعيار جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، العدد 18 2009 ص 302
13. : فؤاد بدوي بطرس: الهوية وثقافة السلام ، د د ن 2008 ص 20
14. : محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية: سلسلة التنوير الإسلامي: دار نهضة مصر القاهرة 1999 ص 6
15. : معجم المعاني الجامع: متاح بالموقع:
<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%81%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%B6%D9%8A/>¹
16. صونيا عبدش: الشباب الجزائري والفيسبوك: مرجع سابق ص 203
17. : بيبيمون كلثوم: تصور وممارسة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري بين الفضاء الإلكتروني والممارسة الواقعية: متاح بالموقع:
www.univ-chlef.dz/eds/wp-content/uploads/.../article-7-N2.pdf تم الإسترجاع بتاريخ 20 نوفمبر 2017
18. : بايوسف مسعودة: الهوية الافتراضية: الخصائص والأبعاد ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 3 العدد 5 ص 470
19. : الصادق رايح: الهوية الرقمية للشباب بين التمثلات الاجتماعية والتمثيل الذاتي: مجلة إضافات ، العدد 19 — 2012 ص 82
20. : بلوطي ريحانة: دوافع استخدام الهوية الافتراضية في الشبكات الاجتماعية وأثرها على الفرد: رسالة ماجستير ، اعلام واتصال
21. : جامعة باتنة 2015 ص 93
22. : علي محمد رحومة: الأنترنت والمنظومة التكنو اجتماعية: مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 2005 ص 284 285¹
23. : فؤاد الباهي السيد: الأسس النفسية من الطفولة إلى الشيخوخة: دار الفكر العربي ، القاهرة 1997 ص 272
24. : لطفي الشربيني: معجم مصطلحات الطب النفسي ، مركز تعريب العلوم الصحية ص 4
25. : ابراهيم وجيه محمود: المراهقة خصائصها ومشكلاتها: دار المعارف ، 1981 ص 15
26. : سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل ، دار النهضة المصرية ، القاهرة 1994 ص 123
27. : عبد الرحمان العيسوي: علم نفس النمو ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1995 ص 42
28. : يوسف ميخائيل أسعد: رعاية المراهقين ، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة (د س) ص 14
29. : ميخائيل ابراهيم أسعد: مشكلات الطفولة والمراهقة ، دار الجيل ، بيروت 1998 ص 232
30. : مريم سليم: علم نفس النمو ، دار النهضة العربية ، بيروت 2002 ص 385¹
31. : المرجع نفسه ص 440
32. : المرجع نفسه ص 386
33. : بايوسف مسعودة: المرجع السابق
34. : لصلح عائشة: أشكال التعبير عن الهوية عبر الفيسبوك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الأمير قسنطينة 2017 — 2018
35. صونيا عبدش: الشباب الجزائري والفيسبوك: المرجع السابق¹
36. : محمد منير حجاب: أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية ، دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة ، 2003 ، ص 82
37. : أحمد بن مرسل: مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والإتصال ، ط 3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2005 ص 287
38. : مورييس أنجريس: ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون: منهجية البحث في العلوم الإنسانية ، دار القصة للنشر الجزائر 2004 ص 204
39. صونيا عبدش: الشباب الجزائري والفيسبوك: المرجع السابق ص 209¹

40. مريم سليم: المرجع السابق ص 417
41. Paul Sermon & Charlotte Gould: Liberate your Avatar the Revolution Will Be Socially Networked. In: Astrid Ensslin & Eben Muse (ed): Creating Second Lives: Community, Identity and Spatiality as Constructions of the Virtual. Routedledge. New York. 2011. P 17.
42. :ibid p 17
43. صونيا عبيدش: الشباب الجزائري والفايسبوك ، المرجع السابق ، ص 204- 205
44. مريم سليم: المرجع السابق ص 382
45. Paul Sermon & Charlotte Gould: op —cit p 17
46. علي محمد رحومة: المرجع السابق ص 304 — 305
47. مريم سليم: المرجع السابق ص 415¹
48. المرجع نفسه ص 382¹
49. وديع العززي: الشباب بين ثقافة الصورة والثقافة الأصولية: مطبعة الأمل ، صنعاء ص 53
50. Alexis Metais : Pourquoi la Societe Moderne Devient-elle Plus Individualiste ? insa de lyon . (En ligne), Page consulté le 03-02-2011 disponible sur :www.Sociologie.insa.lyon.fr/files/rte/file/sociologos/Ressources/managment/pph-individualisne.PDF
51. طاوس وازي ، عادل يوسف: المرجع السابق
52. مريم سليم: المرجع السابق ص 422
53. علي محمد رحومة: المرجع السابق ص 309
54. لصلح عائشة: المرجع السابق ص 283
55. الصادق الحمامي: الميديا الجديدة: الإشكالات والسياقات ، المنشورات الجامعية منوبة ، تونس 2012 ص 51
56. عبد الرحمان العيسوي: مرجع سابق ص 42¹
57. صونيا عبيدش: الشباب الجزائري والفايسبوك: المرجع السابق ص 207¹
58. عزي عبد الرحمن: الاعلام والبعد الثقافي من القيمي الى المرئي: مجلة التجديد الجامعة العالمية ماليزيا العدد 1 فيفري/ 97 ص 107
59. سعد جلال: الطفولة والمراهقة ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د س) ، ص 149

قائمة الملاحق: الاستمارة

البيانات السيسودمغرافية

1 الجنس: ☐ ذكر ☐ أنثى

2 السن:

3 المستوى التعليمي:

المحور الأول: الهوية الافتراضية من خلال المعطيات السيسودمغرافية

4- هل تتواصل عبر الفيسبوك من خلال جنسك الحقيقي: ☐ نعم ☐ لا

إذا كانت الإجابة بلا فهل السبب يعود إلى:

☐ لا يسمح لك بدخول مواقع عبر جنسك الحقيقي ☐ تجنب مضايقات الطرف الآخر

☐ الرغبة في الإطلاع على ما يفكر به الجنس الآخر ☐ التسلية

☐ الرغبة في التواصل مع الجنس الآخر من خلال جنسه

☐ تجد راحتك في التعبير والتواصل كجنس آخر

أخرى تذكر:

5- هل تتواصل عبر الفيسبوك من خلال عمرك الحقيقي: ☐ نعم ☐ لا

إذا كانت الإجابة بلا فهل السبب يعود إلى:

☐ لا يسمح لك بدخول مواقع عبر عمرك الحقيقي ☐ الرغبة في تقمص شخصية أكبر سنا

☐ الرغبة في تقمص شخصية أصغر سنا ☐ للتسلية

أخرى تذكر:

6- هل تتواصل عبر الفيسبوك من خلال مستواك التعليمي الحقيقي: ☐ نعم ☐ لا

إذا كانت الإجابة بلا فهل المستوى التعليمي الذي تقدمه: أكبر من مستواك

☐ أقل من مستواك

إذا كانت الإجابة بلا فهل السبب يعود إلى:

☐ تخجل من مستواك الحقيقي ☐ الرغبة في تقمص شخصية بمستوى تعليمي أكبر أو أقل

☐ الرغبة في دخول مواقع أو صفحات بمستوى تعليمي معين

أخرى تذكر:

الهوية الافتراضية من خلال الإسم المستخدم

6- هل الإسم الذي تستخدمه هو:

☐ اسمك الحقيقي ☐ اسم مستعار ☐ مزيج بين الحقيقي والمستعار

أخرى تذكر:

7- إذا كان الإسم المستخدم مزيج بين الحقيقي والمستعار فما هو الجانب الحقيقي:

☐ اسم ☐ لقب

8- إذا كان الإسم المستخدم مستعار فهل هو

☐ اسم إنسان عادي ☐ اسم شخصية مشهورة ☐ اسم شيء مادي ☐ قول مأثور

دعاء ☐ شيء من الطبيعة ☐ أم فلان ☐

أخرى تذكر :

.....

9- إذا كان الاسم المستخدم شخصية مشهورة فهل هذه الشخصية :

سياسية ☐ إعلامية ☐ رياضية ☐ غنائية ☐ تمثيلية ☐ وجه إعلامي ديني ☐

أخرى تذكر :

.....

10- هل الاسم المستعار يجعلك : أكثر راحة ☐ أكثر جرأة ☐ أكثر ثقة ☐

11- من تسمح له بالتعرف على شخصيتك الحقيقية رغم اسمك المستعار :

عائلتك ☐ المقربون من أصدقائك ☐ أقاربك ☐

الهوية الافتراضية من خلال الصورة

12- هل تستخدم صورة : حقيقية ☐ غير حقيقية ☐

إذا كانت غير حقيقية فهل هي صورة:

شخصية عامة معروفة ☐ صور رجال أو نساء لا تعرفهم (عارضين) صورة حيوان ☐
صورة نبات ☐ صورة مكان ☐ صورة طفل غير معروف ☐ صورة مقولة ☐

أخرى تذكر :

.....

13- هل تستخدم جزء من صورتك الحقيقية : نعم ☐ لا ☐

14- لا تستخدم صورتك الحقيقية بسبب : ☐

تجنب المضايقات ☐ لا تريد أن يتعرف الآخرون عليك ☐ تخاف أن يتعرف الآخرون عليك ☐

أخرى تذكر :

.....

- إذا كان السبب يتعلق بالخوف من تعرف الآخرون عليك فهل الأمر يتعلق ب:

الأب ☐ الأم ☐ الأخ ☐ الأخت ☐ الأقارب ☐
معارفك القدامى ☐ زملاء الدراسة ☐

الرضا عن الحياة لدى طلبة قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف

Life Satisfaction for the students of the Department of Science and Technology of physical activities and sports at the University of Setif

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الارسال: 2018-09-23

عبد المنعم مفتي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

naimmmdo@gmail.com

المخلص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مستوى الرضا عن الحياة لدى طلبة قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية في جامعة سطيف، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي لكي يكشف مستوى الرضا عن الحياة للطلبة من جهة، ومعرفة الفروق في هذا المستوى من جهة أخرى تبعا لمتغيرات الجنس، المستوى التعليمي، التخصص، الحالة الرياضية للطلاب، التوظيف، لذلك استخدم الباحث مقياس الرضا عن الحياة من إعداد مجدي الدسوقي (1998م) على عينة من طلبة قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية في جامعة سطيف، والبالغ عددهم 161 طالبا من أصل 1607 طالبا يدرسون في هذا القسم، وخلص الباحث إلى أن مستوى درجة الرضا عن الحياة لدى أفراد العينة متوسط، كما توصل إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الرضا عن الحياة تبعا لمتغيرات الجنس والمستوى التعليمي والتخصص والحالة الرياضية للطلاب والتوظيف.

الكلمات المفتاحية: الرضا، الرضا عن الحياة، الطالب الجامعي، علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية.

Résumé

Le but de la présente étude est de relever le niveau de satisfaction des étudiants, des étudiants du Département de STAPS (Sciences et Techniques des Activités Physiques et Sportives) de l'Université de Sétif 2. À l'égard de leurs vies. Pour déterminer le degré de cette satisfaction et pour savoir si les variables (sexe, niveau d'instruction, spécialité, profil sportif de l'étudiant, etc.) ont un effet significatif sur ce niveau, nous utilisons la méthode descriptive comparative. Ainsi, l'échelle de satisfaction de vie développée par DESSOUKI Magdy (1998) a été appliquée à un échantillonnage de 161 étudiants. L'analyse des données a révélé que le niveau de satisfaction de vie de notre échantillon est au-dessus de la moyenne et qu'il n'existe, par conséquent, aucune différence statistiquement significative de la satisfaction à l'égard de la vie, entre les variables représentant le sexe, le niveau d'instruction, la spécialité, l'emploi et le profil sportif de l'étudiant.

Mots-clés : La satisfaction, Satisfaction l'égard de la vie, étudiant universitaire, Sciences et techniques des activités physiques et sportives (STAPS).

Abstract

The purpose of the present study is to identify the level of life satisfaction among students of the Department of Sciences and Techniques of Sports and Physical Activities at Setif 2 University. In order to determine the level of life satisfaction among students, and to find out whether the variables of gender, educational level, specialty, sports status as well as employment, have a significant effect on this level, the researcher, accordingly, used the comparative descriptive method. Hence, the scale of life satisfaction developed by DESSOUKI Magdy (1998) was applied on a sample of 161 out of 1607 students. The data analysis therefore revealed that the level of life satisfaction of our sample is above average, and thus there are no statistically significant differences, at the level of life satisfaction, between the variables representing sex, level of education, specialty, students' athletic state and employment.

Keywords: The Satisfaction, Life satisfaction, University student, Sciences and techniques of physical and sports activities.

1- مقدمة ومشكلة البحث

الرضا عن الحياة هو إدراك الفرد لمدى إشباع حاجاته الأساسية بالتزامن مع إدراكه لتنوعية الحياة خلال خبراته الحياتية، لذلك تجده يختلف من شخص إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى، وبالتالي فالحكم على درجة الرضا عن الحياة يأتي من الأفراد بحسب تقييمهم لأنفسهم وتقديرهم لذاتهم (Korff, 2006, P20)

فقدرة الفرد على التكيف مع المشكلات التي تواجهه تؤدي دورا مهما في تحقيق سعادة الفرد وشعوره بالرضا عن الحياة التي يحياها.

(Rice, R., et al., 1980, p38)

وبالتالي يتقبل الفرد لذاته ولأسلوب الحياة التي يحياها في المجال الحيوي المحيط به، فيكون متوافقا مع ربه وذاته وأسرته، وسعيدا في عمله، متقبلا لأصدقائه وزملائه، راضيا عن إنجازاته الماضية، ومتفائلا بما ينتظره من مستقبل، مسيطرا على بيئته، فهو صاحب القرار، وقادر على تحقيق أهدافه. (عبد المقصود، 2003، ص4)

والأمر الذي يجب ملاحظته عند دراسة مسألة الشعور بالرضا عن الحياة بمجملها أن هذا الشعور يكتسب أهمية كبيرة في أهم مرحلة من مراحل حياة الفرد، وهي مرحلة الدراسة، ويعود ذلك إلى أن هذا الشعور يؤثر ويتأثر بشكل كبير بالتحصيل العلمي للفرد ونجاحه الدراسي.

كما يتزايد دوره لدى الشباب الجامعي بوصفهم الفئة الأكثر تعرضا وتأثرا بالتغيرات السريعة والمتلاحقة التي نشهدها في عصر العولمة في شتى مجالات الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية (خليفة، 2004)، وفي الوقت نفسه فإن الشباب الجامعي بحكم وضعهم الاجتماعي يؤلفون فئة غير مستقرة؛ فهي تعيش مرحلة انتقالية تسعى - في أثنائها ومن خلال تحصيل العلم والمعرفة - نحو تغيير وضعها الاجتماعي إلى الأفضل. كما أن الشباب الجامعي من جهة أخرى يشكلون أقوى عوامل التغير الثقافي والاجتماعي لما يحملونه من رؤى وتصورات تخالف في بعض جوانبها تلك الرؤى والتصورات التي تحملها الأجيال السابقة (الأنصاري وكاظم، 2008، ص108)، وهذا ما يظهر خصوصية وحساسية المرحلة التي يمر بها الشباب الجامعي، وبالتالي فدراسة الرضا عن الحياة لهذه الفئة من الأفراد له أهمية خاصة.

وقد أشارت نتائج بعض الدراسات المتعلقة بالرضا عن الحياة إلى وجود ارتباط إيجابي بينها وبين عدد من المتغيرات النفسية الإيجابية مثل تقدير الذات (الدسوقي 1998)، (الزعيبي، 2015)، والمرونة النفسية (شقورة، 2012)... الخ، كما أشارت دراسات أخرى إلى أن الرضا عن الحياة يرتبط سلبا ببعض الصفات السلبية كالشعور بالوحدة والاكئاب (الدسوقي 1998)، والعصبية (جودة 2010)، والتشاؤم (شقورة 2012)... الخ.

ولتفادي وقوع الطلبة الجامعيين في هذه الصفات السلبية بسبب عدم الرضا عن الحياة، والمحافظة على المتغيرات النفسية الإيجابية بسبب الرضا عن الحياة، أراد الباحث أن يوضح مستوى درجة الرضا عن الحياة لطلبة علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، لذلك تسعى هذه الدراسة للإجابة على التساؤلات الآتية:

1- ما مستوى الرضا عن الحياة لدى طلاب قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف؟
2- ما هي الأبعاد الأكثر انتشارا من بين أبعاد الرضا عن الحياة لدى الطلبة؟

3- هل توجد فروق دالة إحصائية في مستوى الرضا عن الحياة للطلاب تبعا لمتغيرات الجنس، المستوى التعليمي، التخصص، الحالة الرياضية للطلاب، التوظيف؟

2- فروض البحث

1- مستوى الرضا عن الحياة مرتفع لدى طلاب قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية لجامعة سطيف.
2- بعد بعد الاجتماعية الأكثر انتشارا لدى الطلبة.
3- لا توجد فروق في مستوى الرضا عن الحياة للطلاب تبعا لمتغيرات (الجنس، المستوى التعليمي، التخصص، الحالة الرياضية للطلاب، التوظيف).

3- أهداف البحث

- معرفة مستوى الرضا عن الحياة لطلاب قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف.
- معرفة أبعاد الرضا عن الحياة الأكثر انتشارا لدى الطلاب.
- معرفة الفروق إن وجدت في مستوى الرضا عن الحياة تبعا لكل من (الجنس، المستوى التعليمي، التخصص، الحالة الرياضية للطلاب، التوظيف).

4- أهمية البحث

تكمن أهمية البحث من جانبين: جانب علمي سيستفيد منه الطلبة الجامعيون والباحثون ، وذلك بتعزيز المكتبات الجزائية ببحث جديد ، وتوضيح كيفية معالجة هذا النوع من الدراسات منهجيا وإحصائيا ، وجانب عملي يحاول الباحث من خلاله معرفة وجهة نظر الطلبة فيما يخص رضاهم عن الحياة ، من أجل معرفة مستواهم من خلال درجاتهم في المقياس ، وفتح مجالات للباحثين لبناء برامج تحافظ على مستوياتهم المرتفعة في الرضا عن الحياة ، أو ترفع من مستوياتهم المنخفضة ، وبالتالي سينتفع الطالب علميا وعمليا.

5- تحديد مصطلحات البحث

1-5 الرضا

يعدّ الرضا من المفاهيم القديمة ، وقد ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۝﴾ (30) {سورة الفجر ، 27-30}

وقال البركوي: الرضا هو طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغير. (النابلسي ، 2008 ، 105)

والرضا حسب عديد العلماء هو شعور الفرد بالراحة النفسية بعد القيام بإشباع حاجاته ، وعلى هذا فإن الرضا يعني إرضاء الحاجات والرغبات لدى الفرد.

2-5 الرضا عن الحياة

1-2-5 مفهوم الرضا عن الحياة

هو حالة داخلية يشعر بها الفرد وتظهر في سلوكه واستجاباته ، وتشير إلى ارتباطه وتقبله لجميع مظاهر الحياة من خلال تقبله لذاته ولأسرته وللآخرين ، وتقبله للبيئة المدركة ، وتفاعله مع خبراتها بصورة متوافقة. (أمانى عبد المقصود ، 2003 ، ص 5)

كما يعرف بأنه حضور المشاعر الإيجابية مقابل غياب المشاعر السلبية ، كما أن تقييما للسعادة يتطلب فهم بنود الرضا عن الحياة ، وكذا بنود المشاعر والعواطف الإيجابية والسلبية. (Marilo B-S, 2014,p17)

ويعرف الباحث الرضا عن الحياة بأنه شعور الفرد بالسعادة والطمأنينة والقناعة نتيجة استقراره النفسي ، ونجاح علاقاته الاجتماعية ، وتقبله لذاته وللآخرين.

كما يرى الباحث أنّ الرضا عن الحياة يبرز إجرائيا من خلال الدرجة التي يحصل عليها المفحوصون من أفراد العينة

على مقياس الرضا عن الحياة ، حيث من خلال الدرجة نتعرف على مستوى الرضا عن الحياة منخفضا أو متوسطا أو مرتفعا.

2-2-5 أبعاد الرضا عن الحياة

السعادة

قد سعى الجميع في الثقافات المختلفة إلى السعادة بوصفها هدفا أسمى للحياة ؛ لارتباطها بالحالة المزاجية الإيجابية ، والرضا عن الحياة وجودتها وتحقيق الذات والتفائل. (السيد أبو هاشم ، 2010 ، ص 1)

وتختلف السعادة من شخص لآخر ؛ فمثلا المريض يرى السعادة في صحته ، والسجين يرى السعادة في حريته وهكذا ، أما الطالب الجامعي فيسعى إلى تحقيق سعادته في شتى المجالات ، ومن هذه المجالات دراسته وتعليمه الجامعي. إن تفوق الطالب في مساره الجامعي على الصعيد الدراسي والأخلاقي والتعامل مع الزملاء والموظفين والأساتذة يبعث في نفسيته الارتياح ، فيشعره بنوع من السعادة تساهم ولو بشكل بسيط في رضاه عن الحياة.

الاجتماعية

إن الشخص الناجح في حياته وعلاقاته الاجتماعية يكون أكثر نشاطا وحيوية وتقبلا للآخرين ، وتشير كافة الأبحاث إلى أن الشخص السوي هو من يتمتع بعلاقات اجتماعية سوية ، وهؤلاء الأشخاص — أي الذين يتمتعون بعلاقات اجتماعية سوية — يشعرون بالرضا عن حياتهم ، ويتميزون بدافعية نحو العمل وتقدير قيمته ، والسيطرة على القلق والتفكير بإيجابية وتفاؤل ، والتمتع بشخصية ذات صحة جيدة ، فهم أكثر قدرة على تحقيق ذاتهم ، والتعاون والمشاركة مع الآخرين ، والتخطيط الجيد لحياتهم وطموحاتهم. (عبد الخالق ، 2003 ، ص 322)

والشخص الذي يبني علاقات اجتماعية صحيحة وقوية تجده مرتاحا نفسيا ، وراضيا عن نفسه ، فالطالب الجامعي الذي تكون علاقته مع الجميع جيدة سواء داخل الحرم الجامعي أو خارجه ، تجد له القدرة على التواصل مع الآخرين لحل مشاكله ، وبالتالي له القدرة على تحقيق الأهداف ، وهذا يشعره بنوع من الارتياح الذي يعدّ دافعا لرضاه عن الحياة.

الطمأنينة

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۝﴾ (30) {سورة الفجر ، 27-30}

(2003) إلى أن مستوى الرضا عن الحياة يزداد كلما حظي الفرد بتقدير اجتماعي مرتفع.

وإذا حظي الطالب الجامعي بالتقدير الاجتماعي فبالتالي سوف يقدر نفسه، ويسعى إلى الوصول إلى مبتغاه وتحقيقه وبالتالي يصل إلى الإحساس بالرضا عن الحياة.

القناعة

القناعة هي الرضا بما قسمه الله لك في الحياة، لذلك تجدها مرتبطة بالرضا عن الحياة، فكلما زادت القناعة لدى الفرد زاد رضاه عن الحياة، والعكس، فلا يمكن القول إن الفرد راض عن حياته إذا لم تكن القناعة صفة من صفاته.

وهي رضا الفرد بما يقدم له من مساعدة أو عون، وقبول ذاته والمحيطين به. (تفاح، 2009، ص 276) ويرى الباحث أن القناعة هي الرضا وتقبل الأمر الواقع، والعيش والتكيف وفقا للظروف المحيطة بحياة الفرد. والطالب الجامعي الذي يتصف بالقناعة تجده راضيا عن حياته بصفة عامة، وعن حياته الجامعية بصفة خاصة.

3-5 الطالب الجامعي

الطلاب هم مدخلات ومخرجات العملية التعليمية الجامعية. (محمد العربي ولد خليفة، 1989، ص 197) والطالب هو ذلك الشخص الذي سمحت له كفاءته العلمية بالانتقال من المرحلة الثانوية إلى الجامعة تبعا لتخصصه الفرعي بواسطة شهادة أو دبلوم يؤهله لذلك، ويعتبر الطالب أحد العناصر الأساسية والفاعلية في العملية التربوية طيلة التكوين الجامعي إذ إنه يمثل عدديا النسبة العالية بالمؤسسة. (فضيل دليو وآخرون، 2006، ص 95) والطالب الجامعي أحد عناصر العملية التربوية في الجامعة، بل هو أهم عنصر، يتلقى فيها تكوينا ملائما لتخصصه يسمح له بإعداد نفسه لمهنة ملائمة.

4-5 ميدان علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية:

يعدّ أحد الميادين في الجامعة الجزائرية، والذي يسعى إلى تكوين الطلبة المقبلين على التخصصات التي لها علاقة بالرياضة التطبيقية، وهي التربية البدنية، والتدريب الرياضي، والنشاط الرياضي المكيف، أو التعريف بالرياضة وإدارتها، كالإدارة والتسيير الرياضي، والإعلام الرياضي.

ويتوزع هذا الميدان في عدة ولايات، ويدرس في معاهد وأقسام خاصة به، حيث يهدف إلى تكوين كفاءات

من خلال الآيات الكريمة نلاحظ أن الطمأنينة مقرونة بالعمل الصالح والإيمان بالله، وبالتالي فهي مقرونة بالتدين، فتربية الفرد تربية دينية وأخلاقية يعتبر دعامة لسلوكه السوي وشعوره بالإطمئنان. (زهان، 1997، ص 117)

ويشير الحديدي 2007 إلى أن الدين يوفر قاعدة وجدانية تضمن الأمن والإطمئنان النفسي والاتزان الانفعالي، والتفاؤل وحب الحياة ورضاه عنها، كما يوفر إحساسا بمعنى الحياة اليومية، فهو يخفف من وطأة الكوارث والأزمات التي تعترض طريق الفرد، كما أن الشعور الديني يؤدي إلى الإحساس بالسعادة، والرضا عن الحياة، والقناعة والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، واليقين بأن الله عز وجل يتدخل في الأحداث المهمة من أجل الأفضل دائما، ويتحقق ذلك للفرد من خلال الدعاء، والصلاة، والشكر، مما يوفر له أسس صور الدعم والطمأنينة. (المحروقي، 2011، ص 30-31) فالفرد المتخلق المتدين الذي يربط كل أموره برضا الرحمان تجده مطمئنا في حياته، راضيا عن نفسه، يشعر براحة نفسية وبارتياح.

الاستقرار النفسي

هو تلك الحالة التي يستطيع فيها الفرد إدراك الجوانب المختلفة للمواقف التي تواجهه، ثم الربط بين هذه الجوانب وما لديه من دوافع وخبرات وتجارب سابقة من النجاح والفشل تساعد على تحديد نوع الاستجابة وطبيعتها التي تتفق ومقتضيات الموقف الراهن، وتسمح بتكيف استجابته تكيفا ملائما ينتهي بالفرد إلى التوافق مع البيئة، والإسهام بشكل إيجابي في نشاطاتها، وفي الوقت نفسه ينتهي إلى حالة من الشعور بالرضا والسعادة. (عبد الفتاح، 1984، ص 36).

ولا يمكن للفرد أن يسعى إلى تحقيق أهدافه إلا باستقراره النفسي؛ لأنه الطريق السوي إلى الإنتاج والبقاء، والطالب الجامعي المستقر نفسيا تجده دائما يتحدى الصعاب، ويتكيف مع المعطيات من أجل تحقيق أهدافه، والوصول إلى مبتغاه.

التقدير الاجتماعي

للتقدير الاجتماعي جانبان الأول يتمثل في تقدير الفرد لذاته، والثاني يأتي من خلال تقدير الآخرين له، وهما متكاملان ومتلازمان، فلا يمكن تحقيق أحدهما دون الآخر. والفرد يسعى بكل جهده لكي يحظى بتقدير الآخرين له لكي يحقق رضاه عن الحياة، حيث توصل (سليمان،

ونوع السكن والمستوى الدراسي، حيث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي على عينة قدرها 480 طالبة من جامعة أم القرى بمدينة مكة المكرمة، واستخدمت الباحثة مقياس الرضا عن الحياة للدسوقي ومقياس عوامل الشخصية الكبرى من إعداد كوستا وماركي وترجمة الأنصاري، وتوصلت النتائج إلى أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الرضا عن الحياة والانبساطية والطيبة ويقظة الضمير، وعلاقة ارتباطية سالبة بين الرضا عن الحياة والعصابية، كما بينت النتائج أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في الرضا عن الحياة تعزى لمتغيرات الحالة الاجتماعية، والعمر والتخصص، ونوع السكن، والمستوى التعليمي.

4-6 دراسة أبو العلا (2008م) بعنوان: ((الرضا عن الحياة وعلاقته بأحداث الحياة الضاغطة لطلبة المرحلة الثانوية بمدينة المنصورة))

هدفت الدراسة إلى معرفة الفروق بين النوع والمستوى الاجتماعي الاقتصادي في أبعاد مقياسي الرضا عن الحياة والحياة الضاغطة، وتحديد العلاقة الارتباطية بين درجتيهما، لذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لعينة قدرها 457 طالبا وطالبة في المرحلة الثانوية بمدينة المنصورة، ولتحقيق الغاية سُلِّمَ لهم كل من مقياس المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة لعبد العزيز الشخص، ومقياس الحياة الضاغطة من إعداد الباحث نفسه، ومقياس الرضا عن الحياة لسكوت هوبنر، وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق جوهرية بين الإناث والذكور في مقياس الرضا عن الحياة، في حين توجد فروق تبعا لمتغيري المستوى الاقتصادي والاجتماعي لصالح الطلاب ذوي المستوى المرتفع، كما وصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية سالبة ودالة بين درجات كل من مقياس الحياة الضاغطة، ومقياس الرضا عن الحياة.

5-6 دراسة المدهون (2009م) بعنوان: ((فاعلية برنامج إرشادي لخفض الضغوط النفسية وتحسين مستوى الرضا عن الحياة لدى طلبة جامعة فلسطين بغزة))

هدفت الدراسة إلى التحقق من فاعلية برنامج إرشادي لخفض الضغوط النفسية، وذلك من أجل تعديل سلوك الطلبة، وتحسين مستوى الرضا عن حياتهم، حيث استخدم الباحث المنهج التجريبي على عينة قدرها 200 طالب وطالبة من طلبة جامعة غزة، ولتحقيق الغاية استخدم الباحث مقياس الحياة الضاغطة من إعداد زينب شقير، ومقياس الرضا عن الحياة لمجدي الدسوقي، وأظهرت النتائج

وإطارات للعمل في مختلف القطاعات التربوية، والتكوين العالي، والتكوين المهني... الخ.

6- الدراسات السابقة والمماثلة

1-6 دراسة الدسوقي (1998م) بعنوان: ((أبعاد الرضا عن الحياة وعلاقتها بعدد من المتغيرات النفسية لدى عينة من الراشدين صغار السن))

هدفت الدراسة إلى التحقق من تأثير كل من الجنس والنوع والمستوى الاجتماعي الاقتصادي في تباين درجات أفراد العينة على الأبعاد الفرعية لمقياس الرضا عن الحياة، كما هدفت إلى معرفة العلاقة بين الرضا عن الحياة وبعض المتغيرات النفسية، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي الارتباطي على عينة قوامها 200 طالب وطالبة من كلية التربية جامعة عين شمس، وكلية التربية جامعة المنوفية، وذلك باستخدام عدة مقاييس منها مقياس الرضا عن الحياة من إعداد الباحث، وأوضحت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المستوى الاجتماعي والاقتصادي لصالح الأفراد ذوي المستوى المرتفع، كما بينت النتائج عدم وجود فروق جوهرية في الرضا عن الحياة تعزى لمتغير الجنس، كما أوضحت النتائج وجود علاقة موجبة دالة بين الرضا عن الحياة وتقدير الفرد لذاته، وعلاقة سلبية دالة بين الرضا عن الحياة، والشعور بالوحدة النفسية والإكتئاب.

2-6 دراسة العشي (2002م) بعنوان: ((الرضا عن الحياة وعلاقته بأنماط التعلق في المرحلة الوسطى من مرحلة الرشد))

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى درجة الرضا عن الحياة لدى الأفراد الأردنيين في الفئة العمرية الممتدة من 40 إلى 60 سنة، ومعرفة هل توجد فروق في درجات الرضا عن الحياة بين الذكور والإناث؟ لذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي على عينة قوامها 1500 فرد أردني، ولتحقيق هدفه أعد الباحث مقياس الرضا عن الحياة وطبقه على عينة البحث، وتوصل إلى أن الأفراد الأردنيين يتمتعون بمستوى عال من الرضا عن الحياة، كما أن الذكور يفوقون الإناث في مستوى الرضا عن الحياة.

3-6 دراسة قاروث (2007م) بعنوان: ((الرضا وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى بمكة المكرمة))

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الرضا عن الحياة وبعض سمات الشخصية، ومعرفة الفروق في الرضا عن الحياة تبعا لمتغيرات الحالة الاجتماعية والعمر والتخصص

بينهما وكشف الفروق في مستوى كل منهما من حيث الجنس والتخصص، والجامعة والمعدل التحصيلي للطالب، لذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي على عينة قوامها 600 طالب وطالبة من طلبة جامعات (الأزهر، الأقصر، الإسلامية) من التخصصات العلمية والأدبية، وقد توصل الباحث إلى وجود مستوى فوق المتوسط في كل من المرونة النفسية والرضا عن الحياة للطلبة، ووجود علاقة ارتباطية موجبة بين المرونة النفسية والرضا عن الحياة، كما توصل إلى أنه لا توجد فروق في الرضا عن الحياة تعزى لمتغير الجنس والتخصص.

6-9 دراسة منار وطرطوش (2014م) بعنوان: (أحداث الحياة الضاغطة والشعور بالرضا عن الحياة والعلاقة بينهما لدى طلبة جامعة اليرموك بالأردن))

هدفت الدراسة إلى الكشف عن مستوى كل من الحياة الضاغطة والرضا عن الحياة، ومعرفة العلاقة بينهما، كما هدفت إلى معرفة هل توجد فروق جوهرية في كل منهما تعزى إلى عدة متغيرات؟ لذلك استخدم الباحثان المنهج الارتباطي المقارن على عينة قوامها 350 طالبا وطالبة من طلبة جامعة اليرموك، وقد توصل الباحثان إلى أن مستوى الحياة الضاغطة كان مرتفعا بينما مستوى الرضا عن الحياة كان منخفضا، كما أنه لم تكن هناك علاقة دالة إحصائية بينهما، كما توصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في مستوى الرضا عن الحياة تعزى لمتغيري الجنس والمستوى الدراسي، في حين توجد فروق جوهرية تعزى في التحصيل لصالح ذوي التحصيل الممتاز.

6-10 دراسة الزعبي (2015م) بعنوان: ((الرضا عن الحياة وعلاقته بتقدير الذات لدى طلبة كلية التربية جامعة دمشق))

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الرضا عن الحياة وتقدير الذات لدى العينة، وما إذا كانت توجد فروق جوهرية بين الذكور والإناث، وبين السنة الأولى والسنة الخامسة، لذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي الارتباطي على عينة قوامها 300 طالب وطالبة من كلية التربية بجامعة دمشق، مستعينا بمقياس الرضا عن الحياة الذي أعده ميخائيل، كما استخدم مقياس تقدير الذات الذي طوره الزعبي، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث وجود مستويات إيجابية متوسطة في كل من الرضا عن الحياة وتقدير الذات، كما أنه لا توجد فروق تعزى لمتغيري الجنس والمستوى التعليمي.

أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في كل من الرضا عن الحياة، ومواقف الحياة الضاغطة بين القياس القبلي والبعدي. 6-6 دراسة جودة (2010م) بعنوان: (سمات الشخصية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى معلمي المرحلة الأساسية الدنيا في محافظة غزة))

تهدف الدراسة إلى كشف مستوى الرضا عن الحياة لعينة البحث، ومعرفة العلاقة بينه وبين سمات الشخصية، لذلك استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي على عينة قوامها 293 معلما ومعلمة من معلمي المرحلة الأساسية الدنيا بمحافظة غزة، ولتحقيق الغاية استخدمت الباحثة مقياس الرضا عن الحياة من إعداد دينر وآخرون وترجمته الباحثة، ومقياس العوامل الخمسة الكبرى للشخصية من إعداد كوستا وماكري وقام بتعريبه الأنصاري، وتوصلت النتائج إلى أن مستوى الرضا عن الحياة كان مقبولا، كما توصلت إلى أنه توجد علاقة سالبة دالة بين العصبية والرضا عن الحياة، وعلاقة موجبة دالة بين الانبساطية والمجارية ويقظة الضمير والرضا عن الحياة، كما توجد فروق جوهرية في الرضا عن الحياة تعزى لمتغير الجنس.

6-7 دراسة الهالكي (2011م) بعنوان: ((فاعلية الأنا وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى عينة من السعوديات في مدينة مكة المكرمة في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية والاجتماعية))

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين فعاليات الأنا كما افترضها إيركسون وبين الرضا عن الحياة، حيث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي على عينة قوامها 272 من السعوديات العاملات و غير العاملات، ومن أعمار مختلفة ومستويات تعليمية مختلفة، ولتحقيق الهدف استخدمت الباحثة مقياس فاعليات الأنا مارستكروم وآخرون (1997)، ومقياس الرضا عن الحياة من إعداد مجدي الدسوقي (1999)، وتوصلت الباحثة إلى أنه توجد علاقة ارتباطية قوية دالة بين الدرجة الكلية لفاعليات الأنا، والدرجة الكلية للرضا عن الحياة، كما أظهرت الدراسة أنه توجد فروق جوهرية في درجة الرضا عن الحياة تبعا لمتغيرات المستوى التعليمي، واختلاف المهنة للعاملات، والحالة الاجتماعية لصالح العازبات.

6-8 دراسة شقورة (2012م) بعنوان: (المرونة النفسية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية بمحافظة غزة))

تهدف الدراسة إلى معرفة مستوى كل من الرضا عن الحياة والمرونة النفسية لطلبة جامعات غزة، ومعرفة العلاقة

التعقيب على الدراسات السابقة

قسم الباحث الدراسات السابقة من حيث الهدف إلى عدة أقسام فمنها ما تطرق إلى مستويات الرضا عن الحياة في عينة البحث ، ومنها ما تطرق إلى العلاقة بين الرضا عن الحياة ومتغيرات أخرى ، ومنها ما تطرق إلى الفروق في الرضا عن الحياة تبعا لعدة متغيرات كالجنس والمستوى التعليمي والتخصص.

أما من حيث المنهج فمعظم الدراسات التي تهدف إلى إبراز العلاقة استخدمت المنهج الوصفي الارتباطي ، أما باقي الدراسات فقد استخدمت الوصفي التحليلي لكشف المستوى باستثناء دراسة المدهون (2009) التي استخدمت المنهج التجريبي.

أما بالنسبة إلى العينة فإننا نلاحظ أن معظم الدراسات السابقة اهتمت بالطلبة باستثناء دراسة الدسوقي (1998) التي قامت على عينة من الراشدين الصغار ، ودراسة العش (2002) التي اهتمت بالراشدين من 40-60 سنة ، ودراسة جودة (2010) خاصة بمعلمي المرحلة الأساسية ، ودراسة المالكي (2011) والتي اهتمت بالسعوديات القاطنات بمكة المكرمة.

أما من حيث الأداة المستخدمة فلاحظ الباحث تنوع المقاييس المستخدمة في الدراسات السابقة لقياس الرضا عن الحياة فنجد من استخدم مقياس الرضا عن الحياة مثل دراسة الدسوقي (1998) ودراسة قاروت (2007) ودراسة المدهون (2009) ودراسة المالكي (2011) ، ومنهم من استخدم مقياس لسكوت هيوبنر مثل دراسة أبو العلا (2008) ، ومنهم من استخدم مقياس دينر وآخرين مثل دراسة جودة (2010) ، ومنهم من استخدم مقياس الرضا عن الحياة من إعداد ميخائيل كما لاحظناه في دراسة الزعبي (2015).

وبالنسبة للنتائج فلاحظ الباحث أنها كانت متباينة ؛ فعلى مستوى الرضا عن الحياة نجد دراسة أثبتت أن مستواه مرتفع ، في حين أن دراسة أخرى أظهرت أن مستواه منخفض ، أما باقي الدراسات فكان المستوى معتدلا أو قريبا من المرتفع ، أما على مستوى الفروق في درجة الرضا تبعا لبعض المتغيرات فلاحظ الباحث أن هناك دراسات توصلت إلى وجود فروق في مستوى الرضا عن الحياة تبعا لمتغيرات الجنس والمستوى التعليمي والتخصص ، في حين لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الرضا عن الحياة تعزى لمتغير الجنس والمستوى التعليمي في دراسات سابقة أخرى . واستفاد الباحث من الدراسات السابقة في معرفة الجوانب المختلفة للمشكلة والحلول التي تطرقت لها

الدراسات السابقة ، كما استفاد من معرفة المقاييس التي تقيس الرضا عن الحياة وأبعاد هذه الأخيرة.

وتتفق الدراسة الحالية مع بعض الدراسات التي تهدف إلى معرفة مستوى الرضا عن الحياة ، والتي تهدف أيضا إلى معرفة الفروق في هذا المستوى تبعا لعدة متغيرات ، كما تتفق مع بعض الدراسات التي تهتم بفئة الطلبة.

لكن تكمن خصوصية هذه الدراسة في التركيز على طلبة قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف لتحديد مستواهم في الرضا عن الحياة من جهة ، ولفتح مجالات للباحثين من أجل رفع مستوى الرضا عن الحياة لهذه العينة من جهة أخرى ، إضافة إلى معرفة الفروق في مستوى الرضا عن الحياة تبعا لمتغيرات جديدة كحالة الطالب رياضيا (غير ممارس ، لاعب ، مدرب) والتوظيف (موظف ، غير موظف).

7- المنهج المتبع

استخدم الباحث المنهج الوصفي في هذه الدراسة ؛ إذ يعد المنهج المناسب في وصف مستوى الرضا عن الحياة لأفراد عينة البحث ، وما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في درجات الرضا عن الحياة تعزى إلى كل من الجنس (ذكر ، أنثى) والمستوى التعليمي (من السنة الأولى ليسانس إلى الثانية ماستر) ، والتخصص (جذع مشترك ، تربوي ، تدريب) والحالة الرياضية للطلاب (غير ممارس ، لاعب ، مدرب) وأخيرا التوظيف (موظف ، غير موظف).

8- مجتمع وعينة البحث

تمثل مجتمع البحث في جميع الطلبة الذين يدرسون في قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة محمد لمين دباغين بسطيف والبالغ عددهم 1607 ، حيث تم اختيار عينتين الأولى خاصة بالدراسة الاستطلاعية قوامها 30 طالبا وتم استبعادها فيما بعد من العينة الثانية الخاصة بالدراسة الأساسية ، هذه الأخيرة تمثل 10 % من مجتمع البحث أي ما يعادل نحو 161 طالبا ، وذلك باستخدام العينة الطبقية انطلاقا من المستوى الدراسي.

والجدول رقم 01 يصف عينة البحث الخاصة بالدراسة الأساسية ، حيث يتضح من خلاله أن 77% من أفراد العينة ذكور و 23% إناث.

كما نرى أن توزيع العينة على السنوات الدراسية الأولى والثانية والثالثة ليسانس والأولى والثانية ماستر قد جاء في الترتيب كالاتي: 27.3% ، 31.1% ، 26.1% ، 10.6% ، 05%.

10- أداة الدراسة

10-1 وصف الأداة

استخدم الباحث مقياس الرضا عن الحياة من إعداد مجدي الدسوقي (1998م)، حيث تكون من 30 فقرة موزعة على ستة أبعاد كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (02): توزيع فقرات مقياس الرضا عن

الحياة على الأبعاد

الأبعاد	عدد الفقرات	الفقرات
السعادة	7	15-11-9-8-7-3-1
الاجتماعية	5	28-22-18-16-14
الطمأنينة	6	29-25-23-20-19-30
الاستقرار النفسي	3	15-5-2
التقدير الاجتماعي	6	27-26-24-21-6-4
القناعة	3	17-13-10

المصدر: شقورة، 2012

توزيع فقرات مقياس الرضا عن الحياة على الأبعاد

وقد وزعت درجات فقرات المقياس على النحو التالي:

تنطبق دائما	تنطبق	بين بين	لا تنطبق	لا تنطبق أبدا
5	4	3	2	1

المصدر: شقورة، 2012

حيث يتحدد مستوى الرضا عن الحياة بالدرجات الكلية للمقياس والتي تتراوح بين 30 و150 درجة، وقسم إلى ثلاث فئات كالآتي:

مستوى الرضا عن الحياة	منخفض	متوسط	مرتفع
الدرجات	من 30 إلى 70	من 70 إلى 110	من 110 إلى 150

المصدر: من إعداد الباحث

10-2 الخصائص السيكومترية للأداة

أولا: صدق المقياس: تم استخدام صدق الاتساق الداخلي وذلك بحساب معامل الارتباط بين درجة كل فقرة، والدرجة الكلية للبعد الذي تندرج تحته كما هو مبين في الجدول رقم (03)، ثم تم حساب معاملات الارتباط بين

أما بالنسبة للتخصص فوجد أن 27.3% جذع مشترك 35.4% تربوي 37.3% تدريب، ونرى أن هناك ما نسبته 43.5% لا يمارس الرياضة خارج القسم 43.5% يمارسها كلاعب و13% كمدرّب.

وفي الأخير نلاحظ أن 23% من الطلبة موظفون ووظيفة رسمية، في حين أن 77% غير موظفين.

الجدول رقم (01) عينة الدراسة حسب متغيرات

الجنس والمستوى والتخصص والمهارة والتوظيف

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكور	124 77%
	إناث	37 23%
الإجمالي		
المستوى التعليمي	الأولى ليسانس	44 27.3%
	الثانية ليسانس	50 31.1%
	الثالثة ليسانس	42 26.1%
	الأولى ماستر	17 10.6%
	الثانية ماستر	8 05%
الإجمالي		
التخصص	جذع مشترك	44 27.3%
	تربوي	57 35.4%
	تدريب	60 37.3%
الإجمالي		
المهارة	غير ممارس	70 43.5%
	لاعب	70 43.5%
	مدرّب	21 13%
الإجمالي		
التوظيف	موظف	37 23%
	غير موظف	124 77%
الإجمالي		
المصدر: من إعداد شخصي		

9- الدراسة الاستطلاعية

قام الباحث بالدراسة الاستطلاعية للتعرف على مختلف الظروف التي سيتم فيها إجراء الدراسة الأساسية، ورصد مختلف الصعوبات التي ربما تؤثر على تطبيق الدراسة الأساسية، كما قام الباحث بالاتصال بإدارة قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف من أجل تزويده بكافة المعلومات الخاصة بمجتمع الدراسة، وأخيرا قام الباحث بالتأكد من الصدق والثبات للأداة المستخدمة وذلك بعد استرجاع الأداة من أفراد عينة الكفاءة السيكومترية المقدرة بـ 30 طالبا.

درجة كل بعد والدرجة الكلية لمقياس الرضا عن الحياة كما هو موضح في الجدول رقم (04):

الجدول رقم (03): معامل الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للبعد الذي تندرج تحته

السعادة		الاجتماعية		الطمأنينية		الاستقرار النفسي		التقدير الاجتماعي		القناعة	
رقم	معامل الارتباط	رقم	معامل الارتباط	رقم	معامل الارتباط	رقم	معامل الارتباط	رقم	معامل الارتباط	رقم	معامل الارتباط
1	0.503*	14	0.422	19	0.635*	2	0.831*	4	0.370	10	0.553*
3	0.716*	16	0.624*	20	0.713*	5	0.641*	6	0.590*	13	0.690*
7	0.833*	18	0.797*	23	0.400	12	0.701*	21	0.657*	17	0.394
8	0.627*	22	0.642*	25	0.603*			24	0.708*		
9	0.717*	28	0.507*	29	0.776*			26	0.770*		
11	0.762*			30	0.572*			27	0.598*		
15	*0.830*										

المصدر: من اعداد الباحث

** دالة عند مستوى دلالة 0.01

Guttman split-half لتعديل طول الاختبار، وقد تبين أن معامل جثمان يساوي 0.887، وكان معامل الارتباط للفقرات الفردية يساوي 0.766، وللقرات الزوجية يساوي 0.734
ب- الثبات بإيجاد معامل ألفا-كرونباخ: قام الباحث بحساب ثبات مقياس الرضا عن الحياة باستخدام معامل ألفا-كرونباخ حيث كانت قيمته تساوي 0.863 وهي مرتفعة، وتقترب من الواحد مما يدل على ثبات المقياس.

11- الأساليب الإحصائية المستخدمة

- التكرارات والنسب المئوية لوصف عينة البحث.
- الاتساق الداخلي لمعرفة صدق الأداة والتجزئة النصفية، ومعامل ألفا-كرونباخ لمعرفة ثبات الاختبار.
- المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، والوزن النسبي لمعرفة مستوى الرضا عن الحياة لأفراد عينة البحث
- الاختبار التائي وتحليل التباين الأحادي لمعرفة الفروق الفردية في الرضا عن الحياة تبعا لعدة متغيرات.

12- الدراسة الأساسية

12-1 خطوات الدراسة الأساسية

- من أجل تحقيق أهداف الدراسة، قام الباحث بالخطوات التالية:
- إعداد الإطار النظري وذلك بعد الاطلاع على مختلف المصادر والمراجع والنظريات والدراسات السابقة التي لها علاقة بمتغيرات الدراسة الحالية.

الجدول رقم (04)

معامل الارتباط بين درجة كل بعد والدرجة الكلية للمقياس

البعد	معامل الارتباط
السعادة	0.774
الاجتماعية	0.647
الطمأنينية	0.851
الاستقرار النفسي	0.869
التقدير الاجتماعي	0.576
القناعة	0.616

** دالة عند مستوى دلالة 0.01

المصدر: من اعداد الباحث

من خلال الجدول رقم (03) يتبين لنا أن جميع فقرات المقياس قد حققت دلالة إحصائية، كما أن معظم الفقرات حققت هذه الدلالة عند مستوى دلالة 0.01.

كما يتضح من الجدول رقم 04 أن جميع الأبعاد حققت دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.01 مما يحقق صدق التكوين الفرضي كل بعد عن الدرجة الكلية لمقياس الرضا عن الحياة.

ثانيا: ثبات المقياس: تم حساب معاملات الثبات بالطرق التالية:

أ- الثبات بطريقة التجزئة النصفية: قام الباحث بحساب معامل الارتباط بين مجموع درجات الفقرات الفردية ومجموع درجات الفقرات الزوجية لمقياس الرضا عن الحياة، ثم استخدم الباحث معادلة جتمان Coefficient de

الجدول رقم (06): تحديد مستوى الرضا من خلال

درجات مقياس الرضا عن الحياة

مرتفع	متوسط	منخفض	مستوى الرضا عن الحياة
من 110 إلى 150	من 70 إلى 110	من 30 إلى 70	الدرجات

المصدر: من إعداد الباحث

وتشير نتائج الجدول رقم (05) أن قيمة المتوسط هي 110.08، وبمقارنة هذه النتيجة مع معطيات الجدول رقم (06) يتبين أن مستوى الرضا عن الحياة لدى طلبة قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية جامعة سطي مرتفع، ويعزو الباحث ذلك إلى أنه وبالرغم من وجود مشاكل في حياة الطلبة اقتصادية كانت أو اجتماعية أو في الميدان الدراسي إلا أنهم راضون عن حياتهم وربما يعود هذا الرضا لكونهم يرون أن نجاحهم في البكالوريا ودراساتهم في الجامعة قد تفتح لهم مستقبلاً أبواباً لتحسين ظروف حياتهم، كما أن الدراسة في الجامعة ترفع من مستواهم العلمي والثقافي، وبالتالي تزيد من إصرارهم على مواجهة مشاكل الحياة.

فالجامعة تفتح أفقاً جديدة من العلم والثقافة التي تعمل على ازدياد معارف الطلبة ومدرّكاتهم، بالإضافة إلى أن الالتحاق بالجامعة يعدّ الخطوة الأولى لرسم مستقبل الطلبة المهني والحياتي، وما يصاحبه من آمال بمستقبل مشرق يساعدهم على خوض غمار الحياة متسلحين بشهاداتهم الجامعية التي تؤهلهم للبحث عن فرصة عمل أو وظيفة تمكنهم من بناء حياتهم المستقبلية. (شقورة، 2012، ص 89)

وتوافق هذه الدراسة دراسة العشي (2002) الذي توصل إلى أن عينة البحث تميزت بمستوى عال من الرضا عن الحياة.

لكن جاءت نتائج هذه الدراسة مخالفة لكل من دراسة جودة (2010) التي توصلت إلى أن مستوى الرضا عن الحياة لعينة البحث كان مقبولا، ودراسة شقورة (2012) والذي توصل إلى أن مستوى الرضا عن الحياة لعينة بحثه كان فوق المتوسط، ودراسة الزعبي (2015) والذي توصل إلى وجود مستويات إيجابية متوسطة في مستوى الرضا عن الحياة لدى طلاب كلية التربية بجامعة دمشق، ودراسة منار

- جمع وإعداد الدراسات السابقة للاستفادة منها في معرفة الجوانب التي تطرقت إليها في المشكلة، والجوانب التي لم تنطرق إليها، وفي فروض الدراسة، وإعداد أدوات الدراسة.

- تم التأكد من الخصائص السيكومترية، وذلك بتقديم هذه الأدوات إلى أفراد عينة الكفاءة السيكومترية، والتي تكونت من 30 طالبا بقسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطي.

- تم تطبيق أدوات الدراسة على العينة الفعلية والتي تكونت من 161 طالبا، ومن ثم إجراء المعالجات الإحصائية المناسبة باستخدام برنامج الإحصاء SPSS وعرض النتائج وتفسيراتها ومناقشتها، ومحاولة ربطها بنتائج الدراسات السابقة، ومن ثم صياغة التوصيات اللازمة.

12-2 مناقشة وتفسير نتائج الدراسة الأساسية

12-2-1 مناقشة نتائج الفرضية الأولى

"مستوى الرضا عن الحياة لطلاب قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية مرتفع".

قام الباحث بحساب الدرجة الكلية للمقياس ومتوسط الدرجات كما هو موضح في الجدول رقم 05:

الجدول رقم (05): يبين متوسط الدرجات لمقياس

الرضا عن الحياة

المقياس	عدد الفقرات	الدرجة الكلية	المتوسط
	30	150	110.08

المصدر: من إعداد الباحث

ثم قام الباحث بمقارنة المتوسط المتحصل عليه من البيانات مع مفتاح المقياس لمعرفة مستوى الرضا عن الحياة للطلبة.

حيث من خلال مفتاح المقياس يتحدد مستوى الرضا عن الحياة بالدرجات الكلية للمقياس، والتي تتراوح بين 30 و150 درجة، وقُسم إلى ثلاث فئات كما هو موضح في الجدول رقم (06):

وطرطوش (2014) حيث كان مستوى الرضا عن الحياة لطلبة جامعة اليرموك منخفضاً.

سبب الاختلاف إلى مجانية التعليم في الجامعات الجزائرية عكس الجامعات في الأردن.

2-2-12 مناقشة نتائج الفرضية الثانية

"يعد بعد الاجتماعية الأكثر انتشاراً لدى الطلبة".

قام الباحث بحساب متوسط الدرجات والوزن النسبي لكل بعد من أبعاد مقياس الرضا عن الحياة ، والدرجة الكلية للمقياس ، كما هو موضح في الجدول رقم 07

الجدول رقم (07) يبين متوسط الدرجات والوزن النسبي لمعدل انتشار الرضا عن الحياة

الأبعاد	عدد الفقرات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
السعادة	7	3.54	0.24	70.828	4
الاجتماعية	5	4.06	0.18	81.320	1
الطمانينة	6	3.48	0.39	69.633	5
الاستقرار النفسي	3	3.66	0.27	72.066	3
التقدير الاجتماعي	6	3.80	0.35	76.033	2
القناعة	3	3.48	0.25	69.600	6
الدرجة الكلية	30	110.08	15.697	73.386	/

المصدر: من إعداد الباحث

يتبين من الجدول رقم (07) أن معدل انتشار الرضا عن الحياة هو 110.08 بوزن نسبي قدره 73.38، كما يرى الباحث بعد ترتيب أبعاد الرضا عن الحياة أن بعد القناعة هو الأقل انتشاراً بوزن نسبي قدره 69.60، ورغم ذلك فقد كان لبعد الاجتماعية دور كبير في مستوى الرضا عن الحياة بوزن نسبي قوامه 81.32، وهذا ما يؤكد أن الطلبة يتمتعون بعلاقات اجتماعية جيدة وملائمة، وقد يرجع ذلك إلى أن الأشخاص المحيطين بهم يعاملونهم معاملة حسنة، لذلك نلاحظ أن الطالب الجامعي الذي تكون علاقته مع الجميع جيدة سواء داخل الحرم الجامعي أو خارجه تجد له القدرة على التواصل مع الآخرين لحل مشاكله، وبالتالي فإن له القدرة على تحقيق الأهداف، وهذا يشعره بنوع من الارتياح الذي يعدّ دافعاً لرضاه عن الحياة. فالعلاقات الاجتماعية تنشأ من

طبيعة اجتماع الطلبة مع بعضهم، ومع أفراد المجتمع وتفاعلهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعض. كما احتل بعد التقدير الاجتماعي المرتبة الثانية بوزن نسبي قدره 76.03، وبالتالي فله أيضاً دور في رضا الطلاب عن حياتهم، ونحن نعلم أن للتقدير الاجتماعي جانبين متكاملين وهما تقدير الطالب لذاته، وتقدير الآخرين له.

وهذا ما يؤكد على أهمية التقدير الاجتماعي في تحسين مفهوم الذات لدى الفرد، والذي ينتج عنه اقتناع الفرد بنفسه وتقدير الآخرين الجيدة له، ومن ثم الإحساس بالرضا عن الحياة وتشكيلها من خلال حالة القبول لمناحي الحياة. (شعبان، 2013، ص 19)

3-2-12 مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

أبعاد الرضا عن الحياة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	القيمة الاحتمالية
السعادة	بين المجموعات	99.56	4	24.89	0.94	0.44
	داخل المجموعات	4115.25	156	26.38		
	المجموع	4214.82	160			
الاجتماعية	بين المجموعات	27.67	4	6.91	0.83	0.50
	داخل المجموعات	1287.88	156	8.25		
	المجموع	1315.55	160			
الطمأنينية	بين المجموعات	100.95	4	25.23	1.22	0.30
	داخل المجموعات	3214.25	156	20.60		
	المجموع	3315.20	160			
الاستقرار النفسي	بين المجموعات	25.88	4	6.47	0.94	0.44
	داخل المجموعات	1074.52	156	6.88		
	المجموع	1100.41	160			
التقدير الاجتماعي	بين المجموعات	44.05	4	11.01	1.02	0.40
	داخل المجموعات	1682.35	156	10.78		
	المجموع	1726.41	160			
القناعة	بين المجموعات	18.88	4	4.72	0.82	0.51
	داخل المجموعات	894.80	156	5.73		
	المجموع	913.68	160			

المصدر: من إعداد الباحث

" لا توجد فروق في مستوى الرضا عن الحياة تبعاً لمتغيرات (الجنس، المستوى التعليمي، التخصص، الحالة الرياضية للاعب، التوظيف)".

قام الباحث باستخدام الاختبار التائي بالنسبة لعينتين مستقلتين مثل الجنس والتوظيف، واستخدام تحليل التباين الأحادي بالنسبة للعينات المستقلة مثل المستوى التعليمي والتخصص والممارسة الرياضية.

1- بالنسبة للجنس

الجدول رقم (08): يوضح الفروق بين متوسطات درجات أبعاد الرضا عن الحياة تبعاً لمتغير الجنس

أبعاد الرضا عن الحياة	المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	القيمة الاحتمالية	الدلالة الإحصائية
السعادة	ذكور	24.44	5.23	1.57	0.11	غير دالة
	إناث	25.95	4.66			
الاجتماعية	ذكور	20.19	2.86	1.16	0.24	غير دالة
	إناث	20.81	2.84			
الطمأنينية	ذكور	20.82	4.67	0.36	0.715	غير دالة
	إناث	21.14	4.18			
الاستقرار النفسي	ذكور	10.64	2.63	1.57	0.11	غير دالة
	إناث	11.41	2.51			
التقدير الاجتماعي	ذكور	22.68	3.36	0.96	0.33	غير دالة
	إناث	23.27	2.98			
القناعة	ذكور	10.26	2.36	1.79	0.07	غير دالة
	إناث	11.05	2.39			

المصدر: من إعداد الباحث

في درجات أبعاد مستوى الرضا عن الحياة بين الطلبة من حيث متغير الجنس.

يتبين من الجدول رقم (08) أن القيم الاحتمالية لكل أبعاد مقياس الرضا عن الحياة تتراوح بين (0.36 و 1.791) وهي أكبر من مستوى الدلالة 0.05، وبالتالي لا توجد فروق

وتقبله لهم يجعل من عملية التعليم عملية إنسانية تضيف على الحياة عمقا وقيمة. (Roberts, et. al.2004)، وهذا يتطابق مع العديد من الدراسات منها دراسة الدسوقي (1998) وأبو العلا (2008) ودراسة شقورة (2012) ودراسة منار وطرطوش (2014) ودراسة الزعبي (2015)، حيث توصلت إلى أنه لا توجد فروق بين الذكور والإناث في مستوى الرضا عن الحياة، كما أن هذه الدراسة تتعارض مع دراسة كل من العش (2002) وجودة (2010) اللذين توصلا إلى أنه توجد فروق بين الذكور والإناث في الرضا عن الحياة.

2- بالنسبة للصف الدراسي

الجدول رقم (09): يوضح نتائج تحليل التباين لأبعاد مقياس الرضا عن الحياة تبعا لمتغير الصف الدراسي

أبعاد الرضا عن الحياة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	القيمة الاحتمالية
السعادة	بين المجموعات	99.56	4	24.89	0.94	0.44
	داخل المجموعات	4115.25	156	26.38		
	المجموع	4214.82	160			
الاجتماعية	بين المجموعات	27.67	4	6.91	0.83	0.50
	داخل المجموعات	1287.88	156	8.25		
	المجموع	1315.55	160			
الطبايينية	بين المجموعات	100.95	4	25.23	1.22	0.30
	داخل المجموعات	3214.25	156	20.60		
	المجموع	3315.20	160			
الاستقرار النفسي	بين المجموعات	25.88	4	6.47	0.94	0.44
	داخل المجموعات	1074.52	156	6.88		
	المجموع	1100.41	160			
التقدير الاجتماعي	بين المجموعات	44.05	4	11.01	1.02	0.40
	داخل المجموعات	1682.35	156	10.78		
	المجموع	1726.41	160			
القناعة	بين المجموعات	18.88	4	4.72	0.82	0.51
	داخل المجموعات	894.80	156	5.73		
	المجموع	913.68	160			

المصدر: من إعداد الباحث

يقضيها الطالب في الجامعة لا تؤثر على رضاه عن الحياة، ويرجع الباحث ذلك كون الطالب يواجه ظروفه ومشاكله حسب المستوى الذي يكون فيه ويعدّه مناسباً له، وبالتالي فإنه رغم اختلاف السنوات التي يدرسونها لكنهم راضون إلى حد ما عن حياتهم.

ورغم اختلاف المستوى الدراسي لطلبة علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطي إلا أنهم يشتركون في مرحلة عمرية تتمثل في مرحلة الشباب، حيث يسعى

ويرجع الباحث ذلك إلى أن العادات والتقاليد السائدة في المنطقة تجعل من الإناث راضيات عن حياتهنّ بمجرد كونهنّ يدرسن، كما أن الظروف التي يتعرض لها الطلبة والطالبات في جامعة سطي متشابهة إلى حد ما، مما يجعل مستوى الرضا عن الحياة متقارباً عند كلا الجنسين، كما أن مصدر تلقي المعرفة والعلم للطلبة هو نفسه من نفس المصدر؛ حيث يرى روبرت وآخرون أن الجامعة تؤثر تأثيراً مهماً في شخصية الطلبة من الجنسين، فالأستاذ الجامعي – بما له من أهمية – يعد مصدر توافقهم النفسي الاجتماعي، ورضاهم عن الحياة، وتقديرهم لذاتهم، إذ إن إحترامه لطلبته

يتضح من بيانات الجدول (09) أن القيمة الاحتمالية لكل الأبعاد تتراوح بين (0.30 و 0.51) وهي كلها أكبر من مستوى الدلالة 0.05 وعليه لا توجد فروق دالة إحصائية في جميع أبعاد الرضا عن الحياة لدى طلبة علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطي بين المستويات الدراسية (السنة الأولى، السنة الثانية، السنة الثالثة، السنة الأولى ماستر، السنة الثانية ماستر).

وبالتالي فالرضا عن الحياة للمستويات الدراسية المختلفة للطلبة متقارب، مما يعني أن المدة الزمنية التي

تختلف مع دراسة الهالكي (2011) التي استنتجت وجود فروق جوهرية بين السعوديات في متغير المستوى التعليمي.

3- بالنسبة للتخصص

الطلبة في هذه المرحلة إلى تحقيق آمالهم ، والتخلص من أوجاعهم حسب إمكاناتهم وقدراتهم الشبابية.

وهذا يوافق دراسة كل من قاروث (2007) ومنار

وطرطوش (2014) والزعي (2015)، كما أن هذه الدراسة

الجدول رقم (10): يوضح نتائج تحليل التباين لأبعاد مقياس الرضا عن الحياة تبعا لمتغير التخصص

أبعاد الرضا عن الحياة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	القيمة الاحتمالية
السعادة	بين المجموعات	2.29	2	1.14	0.04	0.95
	داخل المجموعات	4212.52	158	26.66		
	المجموع	4214.82	160			
الاجتماعية	بين المجموعات	6.63	2	3.32	0.40	0.67
	داخل المجموعات	1308.91	158	8.28		
	المجموع	1315.55	160			
الطمأنينة	بين المجموعات	45.64	2	22.82	1.10	0.33
	داخل المجموعات	3269.56	158	20.69		
	المجموع	3315.20	160			
الاستقرار النفسي	بين المجموعات	21.15	2	10.57	1.54	0.21
	داخل المجموعات	1079.25	158	6.83		
	المجموع	1100.41	160			
القدير الاجتماعي	بين المجموعات	6.52	2	3.26	0.29	0.74
	داخل المجموعات	1719.89	158	10.88		
	المجموع	1726.41	160			
القناعة	بين المجموعات	18.03	2	9.01	1.59	0.20
	داخل المجموعات	895.65	158	5.67		
	المجموع	913.68	160			

المصدر: من اعداد شخصي

فرغم اختلافها في التسميات وبعض الخصوصيات إلا أنها تشترك في الكثير من الخصائص ، فالتخصصات الثلاثة هي تخصصات تابعة لميدان علوم وتقنيات النشاطات الرياضية ، وكل الطلبة رغم اختلاف التخصصات يدرسون مقاييس نظرية ، و أخرى تطبيقية على أرضية الميدان ، كما تشترك التخصصات السابقة في كثافة المقاييس وكثافة الحجم الساعي ، وبالتالي كثافة المادة العلمية وتعدد متطلبات استيعابها ، كما أن طلبة هاته الاختصاصات يدرسون في رقعة جغرافية واحدة ، والمتمثلة في جامعة سطيف ومن الأساتذة أنفسهم في الظروف البيداغوجية والإدارية نفسها ، مما يجعل مستوى رضاهم عن الحياة متقاربا.

يتضح من بيانات الجدول (10) أن القيمة الاحتمالية لكل الأبعاد تتراوح بين (0.20 و 0.95) وهي كلها أكبر من مستوى الدلالة 0.05 وعليه لا توجد فروق دالة إحصائية في جميع أبعاد الرضا عن الحياة لدى طلبة علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف بين التخصصات (جذع مشترك ، تربوي ، تدريب).

ويرى الباحث أن عدم وجود الفروق راجع ليقين الطلبة أن التخصصات الموجودة لا تؤثر حاليا على الوظيفة المستقبلية ؛ لأنه ورغم اختلاف التخصصات فإنهم في الأخير يتولون الوظيفة نفسها سواء كأستاذ رياضة في المتوسط أو الثانوي ، أو كمدرّب في التخصصات المختلفة.

وهذا يتوافق مع دراسة كل من قاروث (2007) عن الحياة تبعا لمتغير التخصص في عينتي دراستهما.

وشقورة (2012) والذان توصلا إلى عدم وجود فروق في الرضا

4- بالنسبة للحالة الرياضية للطلاب:

الجدول رقم (11): يوضح نتائج تحليل التباين لأبعاد مقياس الرضا عن الحياة تبعا لمتغير حالة الطالب الرياضية

أبعاد الرضا عن الحياة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	القيمة الاحتمالية
السعادة	بين المجموعات	5.19	2	2.60	0.09	0.91
	داخل المجموعات	4209.62	158	26.64		
	المجموع	4214.82	160			
الاجتماعية	بين المجموعات	22.33	2	11.16	1.36	0.25
	داخل المجموعات	1293.21	158	8.18		
	المجموع	1315.55	160			
الطمأنينة	بين المجموعات	25.68	2	12.84	0.61	0.54
	داخل المجموعات	3289.52	158	20.82		
	المجموع	3315.20	160			
الاستقرار النفسي	بين المجموعات	4.52	2	2.26	0.32	0.72
	داخل المجموعات	1095.88	158	6.93		
	المجموع	1100.41	160			
التقدير الاجتماعي	بين المجموعات	34.70	2	17.34	1.62	0.21
	داخل المجموعات	1691.71	158	10.70		
	المجموع	1726.41	160			
القناعة	بين المجموعات	3.35	2	1.67	0.30	0.74
	داخل المجموعات	910.33	158	5.76		
	المجموع	913.68	160			

المصدر: من إعداد الباحث

أي وقت لأن يكون لاعبا أو مدربا ، كما أن اللاعب أيضا مؤهل لأن يصبح مدربا ، لذلك لا يرى الطلبة غير الممارسين والطلبة اللاعبين أن هذا المتغير يؤثر على رضاهم عن الحياة.

يتضح من بيانات الجدول (11) أن القيم الاحتمالية لكل الأبعاد تتراوح بين (0.21 و 0.91) وهي أكبر من مستوى الدلالة 0.05 ، وعليه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في جميع درجات متوسطات أبعاد الرضا عن الحياة لدى طلبة علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف تبعا لمتغير الحالة الرياضية للطلاب (غير ممارس ، لاعب ، مدرب).

ويرجع الباحث عدم وجود فروق إلى أن الطالب غير الممارس للرياضة خارج القسم يعلم أنه مؤهل في أي وقت لأن يكون لاعبا أو مدربا لذلك لا يرى أن هذا المتغير يؤثر على رضاه عن الحياة.

ويرجع الباحث عدم وجود فروق في متغير الحالة الرياضية للطلاب كونه غير ممارس أو لاعبا أو مدربا أن الطالب غير الممارس للرياضة خارج القسم يعلم أنه مؤهل في

5- بالنسبة للتوظيف

الجدول رقم (12): يوضح الفروق بين متوسطات درجات أبعاد الرضا عن الحياة تبعاً لمتغير التوظيف

أساليب المواجهة	المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	القيمة الاحتمالية	الدلالة الإحصائية
السعادة	موظف	25.62	5.58	1.12	0.26	غير دالة
	غير موظف	24.52	4.98			
الاجتماعية	موظف	20.32	2.77	0.27	0.78	غير دالة
	غير موظف	20.36	2.90			
الطمأنينية	موظف	21.32	4.79	0.65	0.51	غير دالة
	غير موظف	20.77	4.48			
الاستقرار النفسي	موظف	10.92	2.63	0.27	0.78	غير دالة
	غير موظف	10.78	2.62			
التقدير الاجتماعي	موظف	23.57	3.05	1.59	0.11	غير دالة
	غير موظف	22.59	3.33			
الطمأنينية	موظف	10.57	2.43	0.36	0.71	غير دالة
	غير موظف	10.40	2.38			

المصدر: من إعداد الباحث

وجود طلبة يلعبون في فرق مختلفة تضمن لهم أجورا مقابل ذلك.

ولا يمكن نفي عدم وجود وقت كاف للتحضير بالنسبة للطلبة الموظفين، خاصة عندما نعلم طبيعة مهنتي التدريس والتدريب والتي تستلزم التخطيط والتحضير المسبق للقيام بالوحدات التعليمية أو الوحدات التدريبية، وبالتالي كثافة المهام وضيق الوقت بين التحضير لما تستلزمه المهنة والتحضير لما تستلزمه الدراسة، لكن في المقابل يمكن لهم توفير سيولة لمجابهة أعباء الحياة، عكس الطلبة غير الموظفين، الذين لا يملكون المال الكافي لمواجهة أعباء الحياة، لكنهم في الوقت نفسه يمتلكون الوقت لانشغالهم بتحضير الدروس واستيعابها، لذلك نلاحظ أن لكلا المجموعتين (الطلبة الموظفين، والطلبة الغير موظفين) سلبيات وإيجابيات، وبالتالي هم متكافئون في أبعاد الرضا عن الحياة.

13- الاستنتاجات العامة للدراسة

- مستوى الرضا عن الحياة لدى طلبة علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية مرتفع.

- احتل بعد الاجتماعية المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره 4.06 وانحراف معياري 0.18.

- جاء ترتيب أبعاد الرضا عن الحياة على النحو التالي: بعد الاجتماعية، يليه بعد تقدير الذات، ثم بعد الاستقرار

يتضح من بيانات الجدول (12) أن القيم الاحتمالية لكل أبعاد الرضا عن الحياة تتراوح بين (0.11 و 0.78) وهي كلها أكبر من مستوى الدلالة 0.05 وعليه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في جميع أبعاد الرضا عن الحياة لدى طلبة علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف تبعاً لمتغير التوظيف (موظف، غير موظف).

ويرجع الباحث عدم وجود فروق في أبعاد الرضا عن الحياة بين الطلبة الموظفين والطلبة غير الموظفين إلى أن غير الموظفين يعلمون أن الشهادة التي يدرسون من أجل تحصيلها قد تعتبر تأشيرة للحصول على وظيفة في المستقبل، كما أن الطالب غير الموظف ربما يصعب عليه توفير ما يلزمه من مال لصرفه على أعباء الحياة وأعباء الدراسة، لكن له الوقت الكامل في التركيز على دراسته عكس الطالب الموظف الذي يمتلك مالا لمواجهة الأعباء، لكن لا يمتلك الوقت الكافي للتركيز في الدراسة، وبالتالي فكل منهما له إيجابيات، ويعاني من سلبيات مما أدى إلى عدم وجود فروق في هذا المتغير.

أما الطلبة الموظفون فنلاحظ أن معظمهم يقتصر توظيفه في تخصصه، فمثلا تجده طالبا وفي الوقت نفسه مدربا للفئات الصغرى في إحدى الرياضات، كما نجد أن الكثير من طلبة الماستر يمتهون مهنة تدريس مادة التربية البدنية والرياضية في المتوسطات والثانويات، كما نلاحظ

- الإهتمام المستمر بقياس مستوى رضاهم عن الحياة بشكل دوري من أجل الرفع من تركيزهم الدراسي، والابتعاد عن ممارساتهم السلبية في دراستهم.
- إعداد برامج إرشادية ونفسية للطلبة للرفع من مستوى رضاهم عن الحياة.
- إجراء المزيد من الدراسات لكشف مستوى الرضا عن الحياة في مختلف الكليات والجامعات والمعاهد المتواجدة في أرض الوطن وفي الدول العربية والإسلامية.

النفسي، ثم بعد السعادة، يليه بعد الطمأنينة، وفي الأخير يأتي بعد القناعة.

- لا توجد فروق في متوسط درجات أبعاد مقياس الرضا عن الحياة تبعاً لمتغيرات الدراسة (الجنس، المستوى التعليمي، التخصص، الحالة الرياضية للطالب، التوظيف).

14- التوصيات والاقتراحات

في ضوء ما تم التوصل إليه من نتائج هذه الدراسة ونتائج الدراسات والبحوث السابقة يقترح الباحث ما يلي:

- الإهتمام الضروري بطلاب قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة سطيف لزيادة مستوى رضاهم عن الحياة.

المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية

- 01- القرآن الكريم.
- 02- الأنصاري وآخرون، قياس التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة الجامعة: دراسة ثقافية مقارنة بين الطلبة الكويتيين والعراقيين، مجلة العلوم التربوية والنفسية، 9(4)، 2009.
- 03- السيد محمد أبو هاشم، النموذج البنائي للعلاقات بين السعادة النفسية والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية وتقدير الذات والمساندة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، 2010.
- 04- المحروفي عائشة بنت عباس، مصادر السعادة لدى عينة من طالبات المرحلة المتوسطة والثانوية والجامعية في ضوء بعض الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والأكاديمية بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2011.
- 05- أماني عبد المقصود، دليل مقياس الرضا عن الحياة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2013.
- 06- تفاح جمال الدين، الصلابة النفسية والرضا عن الحياة لدى عينة من المسنين، مجلة كلية التربية، جامعة الاسكندرية، المجلد التاسع، العدد الثالث، 2009.
- 07- خليفة عبد اللطيف، التغير في نسق القيم لدى الشباب الجامعي: مظاهره وأسبابه، ورقة مقدمة في مؤتمر كلية التربية جامعة الزرقاء، الأردن، 2004.
- 08- سليمان عادل محمود محمد، الرضا عن الحياة وعلاقتها بتقدير الذات لدى مديري المدارس الحكومية ومديراتها في مديريات محافظة فلسطين الشمالية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، الضفة الغربية، 2003.
- 09- شقورة يحي عمر شعبان، المرونة النفسية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية بمحافظة غزة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، 2012.
- 10- شعبان دعاء أبو عبيد، الرضا عن الحياة وعلاقته بقلق المستقبل لدى الأسرى المحررين المبعدين إلى قطاع غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.
- 11- زهران حامد عبد السلام، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 1997.
- 12- عبد الخالق أحمد محمد، معدلات السعادة لدى عينات عمرية مختلفة من المجتمع الكويتي، مجلة دراسات نفسية، المجلد 13، العدد الرابع، 2003.
- 13- عبد الفتاح كاميليا، مستوى الطموح وعلاقته بالشخصية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1984.
- 14- فضيل دليو وآخرون، المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة، ط2، مخبر التطبيقات النفسية التربوية، مخبر علم الاجتماع والاتصال جامعة منتوري، قسنطينة.
- 15- محمد العربي ولد خليفة، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

ثانياً: باللغة الأجنبية

- 16- Marilou.B; Schweitzer, Psychologie de la santé: Concepts, méthodes et modèles, 2 édition, Dunod, Paris, 2014.
- 17- Rice, R. et al. The job satisfaction / life satisfaction relationship: a review of research, Basic and Applied Psychology. 1980.
- 18- Roberts, et Al, Perceived family, Peer transaction, and self- esteem, Journal of Adolescence, 2004.
- 19- Korff, S. Religious orientation as a predictor of life satisfaction within the elderly population, Ph.Ds. Thesis, Walden University. School of psychology. U.S.A. 2006.

الترياق الديمقراطي للتخلف السياسي في المجتمعات المسلمة وجهة نظر نبهاني كريع*

The democratic antidote to political backwardness in Muslim societies from the perspective of Nabhani Koribaa

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الارسال: 2018-09-28

اليزيد بوعرووي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2
lyazidbouarouiri@yahoo.com

الملخص

يتناول المقال الذي بين يدي القارئ تشخيصا لواقع المسلمين المتردي، قدمه أحد المفكرين الجزائريين المعاصرين، وما يمكن أن يقال عنه إنه مؤسف. والمفكر يقدم حلا يراه كفيلا بدفع المسلمين إلى الظهور من جديد على مسرح التاريخ، ولكن ذلك لا يكون إلا بالركون إلى الخيار الديمقراطي بكل قناعة وصدق، لأن الديمقراطية تسمح بأن يكون الأفراد كلهم فاعلين في صناعة حاضرهم ومستقبلهم، وهذا ليس غريبا عن الإسلام، فهذا الأخير يحوي في طياته ثقافة ديمقراطية وما على المسلمين إلا تنميتها وترقيتها، لتتوافق مع الواقع المعاصر ومشكلاته، ومن عناصرها الأولية الكرامة والحرية الفردية والمسؤولية والاحترام المتبادل بين الفرد والجماعة، والتحلي بالأخلاق العالية التي ترفع من قدر الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الديمقراطية، العدالة الاجتماعية، المسلمون، الحرية، الحضارة.

Résumé

L'article présenté au lecteur traite d'un diagnostic de la détérioration de la réalité des musulmans, présenté par l'un des penseurs moderne algérien. Le penseur propose une solution qu'il considère comme un outil permettant de ramener les musulmans dans l'histoire, mais ce n'est qu'en permettant au choix démocratique avec conviction et sincérité que la démocratie permet à tous les individus d'être actifs dans la construction de leur présent et de leur avenir, ce qui n'est pas étranger à l'islam. C'est une culture de la démocratie que les musulmans doivent développer afin de s'adapter à la réalité contemporaine et à ses valeurs : dignité, liberté individuelle, responsabilité, respect mutuel de l'individu et de la communauté, et haute moralité qui élève l'être humain.

Mots-clés : Démocratie, Justice sociale, Musulmans, Liberté, Civilisation.

Abstract

The article in front of the reader deals with a diagnosis of the deteriorating reality of Muslims, presented by one of the modern Algerian thinkers, and what can be said to be unfortunate. The thinker offers a solution as a tool to push Muslims back to the stage of history by allowing the democratic choice with all conviction and sincerity, because democracy allows all individuals to be active in the industry of their present and future. This is not strange to Islam which has a culture of democracy that Muslims must develop in order to conform to contemporary reality and its problems. Its primary components are dignity, individual freedom, and responsibility, mutual respect between the individual and the community, and the high morals that elevate the human being.

Keywords: Democracy, Social justice, Muslims, Freedom, Civilization.

تمهيد

لا خلاف بين المفكرين والباحثين على أن المسلمين إبان حضارتهم، شهدوا تألقا روحيا وعقليا وعمرانيا مشعا، ولكن في المقابل هناك جانب قائم فيها، كان أضعف العناصر على الإطلاق وهو الجانب السياسي.

وما زال ذلك الضعف ملازما للجسم السياسي العربي الإسلامي إلى اليوم، وذلك ما تترجمه الإخفاقات اليومية المتلاحقة على أكثر من صعيد.

ولقد أشار المفكرون إلى ظاهرة تدني مستوى الأداء السياسي في حياة المسلمين، وعلى امتداد العالم الإسلامي بصورة تدعو إلى القلق، وإلى ضرورة إيلاء ذلك الوضع مزيدا من الانتباه، أو قل مزيدا من الشجاعة في الاعتراف أولا بوجودها وخطورتها البالغة، ثم بالشروع في دراستها ومناقشتها على أوسع نطاق، من مفكرين وساسة ومثقفين، وبما تستحقه من تشخيص معرفي وموضوعي.

ومن المفكرين الجزائريين الذين أولوا أهمية بالغة للظاهرة نجد نهاني كريغ، إذ يعتقد بأن النظام السياسي لدى المسلمين من الأسباب الرئيسية التي ساهمت في تخلفهم واندحارهم من المشهد الحضاري اليوم. لكن لا يزال هناك أمل في عودتهم إليه إذا ما اتجهوا بخطى حثيثة وصادقة نحو الديمقراطية. لكن ما مفهوم هذه الديمقراطية؟ هل هي نسخة مكررة عن الديمقراطية الغربية أم أن في نظام القيم الإسلامية ما يمت بصلة إلى ديمقراطية خاصة؟ وهل ثمة علاقة بين الديمقراطية والعدالة الاجتماعية؟

1- مفهوم الديمقراطية

الديمقراطية أصلها يوناني وتعني "سلطة الشعب" وهي نوع من أنظمة الحكم يتميز بالسيادة الشعبية، وقد تجلّى ذلك في المدن الإغريقية القديمة. ومصطلح الديمقراطية نصادفه في مجالات عدّة لكن معناه لا يخرج عن البحث عن الشرعية في المؤسسات والممارسات.¹

ونعثر لدى سبينوزا إشارة إلى بعض مميزات النظام الديمقراطي، فبعدما أشار إلى وجود ديمقراطيات، وليس ديمقراطية واحدة، انتهى إلى وصف نوع واحد يقول فيه: (هي تلك التي يتمتع فيها كل السكان دون استثناء بحق الانتخاب في المجلس الأعلى، وحق تقلد الوظائف العمومية، شريطة ألا يطيعوا قوانين أخرى غير قوانين وطنهم، وأن تكون حياتهم التي يحيونها حياة شريفة).²

والتعريف كما يبدو يستبعد المواطنين الخاضعين لسلطة أخرى غير سلطة الدولة التي يحيون فيها، كما يستبعد النساء الخاضعات لأزواجهن، العبيد الخاضعين لأسيادهم، الأطفال اليتامى والمجرمين.³

وفي العشرية الأولى من الألفية الثالثة أصبحت الدول كلها ديمقراطية في الظاهر، تتغنى بقيمها وتثمن العمل على ترقيتها، إلا أن معايير دقيقة وضعت من أجل قياس مدى ديمقراطية بلد من البلدان، وأشهر تلك المعايير هو تقرير دار الحرية - وهي منظمة متخصصة بمراقبة الديمقراطيات مقرها في نيويورك - وإليك أيها القارئ بعض النقاط من ذلك المعيار:

— الانتخاب الحر والعدل لرئيس الدولة وممثلي الهيئة التشريعية.

— حرية الشعب في الانتظام ضمن أحزاب سياسية، وإمكانية وصولها إلى كرسي الحكم.

— بعد الشعب عن سيطرة العسكر والقوى الأجنبية، وقوى الاستغلال الداخلي.

— تمتع الأقليات بالحق والحرية في تقرير المصير.

— حرية الشعب في التظاهر والمناقشات العامة العلنية، وتشكيل منظمات.

— استقلالية القضاء.

— المساواة أمام القانون.⁴

واستنادا إلى هذه المفاهيم الديمقراطية يعتقد نهاني كريغ بأن اليونان القديمة شهدت مناخا ديمقراطيا خاصة مدينة أثينا، ولكنها كانت ديمقراطية مقيدة نوعا ما، أما عرب الجاهلية فكانوا يتسمون بضعف الإرادة الديمقراطية رغم شهرة مجلسهم الذي يضم زعماء مكة، كما شهدت بعض الجمهوريات الإيطالية مناخا ديمقراطيا انعكس إيجابا على الثقافة والاقتصاد، لكن الديمقراطية انتصرت وتوطدت دعائمها في أوروبا بدافع الثورة العلمية، وجهود طبقة البورجوازية.⁵

وتعود قوة الديمقراطية إلى قوة مبادئها: الحرية، المساواة والأخوة. ونهاني يرفض بأن تأخذ الديمقراطية بمعناها الحرفي "حكم الشعب لنفسه"⁶ ولعل هذه المبادئ هي التي تجعل من الديمقراطية برأيه نظاما عالميا لا يختص به شعب دون آخر، إذ يمكن لأي شعب أن يعيش في ظل ديمقراطية بشرط تكييفها وفق خصوصيات ثقافته. والأنظمة قد لا تكون ديمقراطية، ولكن شعوبها تعيش الديمقراطية، فهناك أنظمة ملكية في بريطانيا، هولندا، بلجيكا والسويد لكن ديمقراطياتها نموذجية، ويمكن أن نأمل في أي نظام وتحت أي مسمى

معقدة ، وبكفي أن نقول إن الثقافة الديمقراطية من المؤكد أن تركز على قيمة الحرية الشخصية ، وبذلك تقدم الدعم لحقوق وحرريات إضافية ، وما قاله رجل الدولة الإغريقي بركليس عن الديمقراطية الأثينية في 431 ق م ينطبق بنفس القدر على الديمقراطية الحديثة: (إن الحرية التي نتمتع بها في حكومتنا تمتد أيضا إلى حياتنا العادية).

- إن الديمقراطية هي وحدها التي تستطيع أن تقدم أكبر فرصة لممارسة المسؤولية الأخلاقية ، وذلك يعني أن ممارسة المسؤولية الأخلاقية يقضي بتبني المبادئ الأخلاقية ، واتخاذ القرارات التي تعتمد على تلك المبادئ ، ولكن بعد تفكير وتمحيص والأخذ بالاعتبار كل البدائل وما يترتب عليها ، وأن يكون الفرد مسؤولا أخلاقيا ، يعني أن يكون له حكم ذاتي في مجال الخيارات الأخلاقية المحتملة. فالديمقراطية تعظم فرص الفرد للحياة لأن يعيش في ظل قوانين من اختياره ، وتمكنه أيضا من التصرف كشخص مسؤول أخلاقيا إلى مدى لا يستطيع أي بديل غير ديمقراطي أن يحققه.⁹

- تستطيع الديمقراطية أن تعزز التنمية البشرية بشكل أكمل من أي بديل آخر ، فكل الأفراد تقريبا لديهم آراء بشأن الصفات المرغوب فيها وغير المرغوب فيها ، صفات يجب تنميتها إذا كانت مرغوبا فيها ، وتجنبها إذا كانت غير مرغوب فيها ، ومن الصفات المرغوب فيها نجد الأمانة ، الإنصاف ، الشجاعة والمحبة ، وكثير منا يعتقد أيضا أن الأشخاص البالغين كاملي النمو يجب أن تكون لديهم القدرة على العناية بأنفسهم ، والعمل على رعاية مصالحهم غير معتمدين على غيرهم للقيام بذلك ، ويعتقد أغلبنا أنه من المرغوب فيه أن يتصرف الراشدون بمسؤولية ، وأن يوازنوا بين بدائل التصرف كأفضل ما يستطيعون ، وأن يضعوا العواقب في الاعتبار ، وأن يراعوا حقوق وواجبات الآخرين إلى جانب مراعاتهم لأنفسهم ، ويجب أن يمتلكوا القدرة على المشاركة في مناقشات حرة ومفتوحة مع الآخرين بشأن المشاكل التي يواجهونها معا. ومنذ الولادة يمتلك أغلب الناس القدرة الكامنة لتنمية هذه الصفات ، ويتوقف ما يتحقق فعلا على ظروف كثيرة ومن بينها طبيعة النظام السياسي الذي يعيش في ظله الفرد ، والنظم الديمقراطية وحدها هي التي تهئ الظروف التي يمكن أن تحقق الصفات المذكورة على نحو أفضل.

- الديمقراطيات النيابية الحديثة لا تخوض حروبا فيها بينها ، والبرهان أصبح قاطعا في العقد الأخير من القرن العشرين ، فمن بين أربع وثلاثين حربا دولية فيما بين

بشرط أن يضمن الحرية والمساواة والأخوة ، ويكون بذلك قد حقق الديمقراطية ، مثلما حدث في عصر أغسطس الروماني ، وهارون الرشيد في العصر العباسي من الحضارة الإسلامية.

2- مزايا الديمقراطية :

ورغم أن نهائي لم يقدم الأسباب التي جعلته يلح على أن الديمقراطية هي السبيل الأمثل لحكم الدول أكثر من أي بديل آخر غير ديمقراطي ، إلا أننا نستطيع أن نذكر بعض مزايا هذا النظام الذي أمنت به الشعوب واستحسنه أغلب المفكرين والفلاسفة:

- الديمقراطية تساعد على تجنب الحكم القاسي من الحاكم الفرد ، وربما كانت أكبر مشكلة في السياسة هي تجنب حكم الفرد ، فعبر التاريخ كان القادة الذين يحركهم جنون العظمة ، جنون الشك ، المصالح الشخصية ، النزعة القومية ، المعتقدات الدينية ، الاعتقاد بالامتياز الفطري ، أو مجرد العاطفة والنزوة ، يستغلون طاقات الدولة للقهر لخدمة أهدافهم الخاصة. إن الثمن الذي دفعه الناس نتيجة حكم الطغاة يساوي أو يفوق نتائج المرض ، المجاعة والحرب. ولنا في حكم ستالين وهتلر أمثلة حية عن خطورة حكم الفرد.

- الديمقراطية تضمن لمواطنيها عددا من الحقوق الأساسية لا تقدمها النظم غير الديمقراطية كحق المشاركة ، حق التعبير عن آرائهم في الأمور السياسية ، المساواة في حق التصويت ، وحق تعداد أصواتهم بنزاهة. ولاستيفاء متطلبات الديمقراطية فإن الحقوق المتأصلة فيها يجب أن تكون متاحة فعلا للمواطنين ، والوعد بالحقوق الديمقراطية كتابة ، في القانون أو في وثيقة الدستور ليس كافيا ، بل يجب أن تطبق وتكون متاحة بفعالية للمواطنين عند التطبيق ، وإذا لم تكن كذلك ، يكون النظام السياسي غير ديمقراطي رغم ما يزعمه حكامه ، فالتظاهر بالديمقراطية لا يعني بالضرورة الديمقراطية.⁸

- الديمقراطية تضمن لمواطنيها مدى واسعا للحرية الشخصية أكثر من أي بديل آخر. إن حرية التعبير مثلا مطلوبة لذاتها ، ففي عالم القيم تحتل الديمقراطية مكانا حاسما ، ولكن ليست وحدها الخير ، وحرية التعبير شأنها شأن الحقوق الأخرى الأساسية في العملية الديمقراطية لها قيمتها الخاصة بها لأنها وسيلة للمسؤولية الأخلاقية والحياة الصالحة. والأكثر من هذا أن الديمقراطية لا يمكن أن تستمر طويلا إلا إذا عمل مواطنوها على خلق ثقافة سياسية مساندة ، فالعلاقة بين نظام الحكم الديمقراطي والثقافة الديمقراطية التي تساندها علاقة

واحترام المواطنين ، إلى جانب الحفاظ على شخصيتها ، وهذا لا يمكن أن يضمه أي بديل إلا الديمقراطية.¹³

3- الثقافة الديمقراطية في الإسلام

يعتقد نبهاني كريع بأن الإسلام حقق في بداياته نوعا من الديمقراطية ، عندما ألغى الامتيازات الإقطاعية ، وأعلى من شأن الجانب الروحي ، فانتشر بذلك خارج الحدود العربية ، واستوعب كل شعوب الدنيا: العرب ، اليهود ، المسيحيين ، الفرس ، الأتراك والبربر... وكان المعيار الذي يحتكم إليه المسلمون في ذلك الظرف هو الإيمان بالله ، الجدارة والمنافسة ، وبهذا المعيار استطاع المسلمون تحقيق الرقي الثقافي والاقتصادي.

وفي ظل هذا المناخ الديمقراطي تمت إعادة تشكيل النفس العربية ، وغدت منفتحة على الغرب والشرق ، واستخدمت لمصلحة نزعة إنسانية موسعة ، غنية وصافية.¹⁴ كما أن الإسلام وضع قواعد الديمقراطية بتحريره لوعي الأفراد ، وجعله يرنو إلى مثال سام ، وفتح منظورات جديدة للتشريع ، وأثرها بقوانين متعددة إلى جانب الشريعة الإلهية ، ويمكن الإشادة بمحاولة الفلاسفة المسلمين من زاوية أنهم حاولوا الاعتماد على العقل إلى جانب الشرع في تنظيراتهم. وإذا كانت الحرية الاقتصادية هي نقطة قوة الديمقراطية ، فالاقتصاد عرف انطلاقة قوية على طول الحضارة الإسلامية.¹⁵

وفي مقابل ذلك اليوم البلدان الإسلامية تعاني شعوبها البؤس والامية ، فالنخب لم تكوّن في الوقت المناسب ، والمثقفون يتم التوجس منهم ، والأفراد المبدعون لا يُقدّرون ولم تعط لهم قيمتهم الحقيقية ، والساسة يتصرفون كما لو أن الدولة ملكهم الخاص ، والشعب مجرد قطيع موضوع تحت تصرفهم.¹⁶

لكن نبهاني كريع حاول أن يزرع الثقة مرة أخرى في نفوس المسلمين ، فرغم الواقع المرّ الذي يعيشونه ، إلا أن مصيرهم لأزال بأيديهم ؛ لأن الإسلام دين لأزال صالحا إذا أرادوا هم النهوض من جديد ، ولكن الاتصال بالشعوب المحيطة بهم ضرورة حتمية ، ويضرب لنا مثلا بالأتراك الذين حققوا التقارب مع الغرب ، لذلك كانوا من الأوائل الذين ذاقوا طعم الديمقراطية.¹⁷

وفيما يتعلق بالفرق الكلامية الإسلامية يذهب نبهاني كريع إلى أن فرقة الخوارج لعبت دورا مهما في التاريخ السياسي الإسلامي ، من زاوية أنهم كانوا وراء ولادة مذهب سياسي جديد

1945 و1989 لم تقع أي منها بين دول ديمقراطية ، والأكثر من هذا أنه لم يكن هناك كذلك توقع ملحوظ أو استعداد للحرب فيما بينها ، والأسباب ليست واضحة تماما ، ولكن يمكن القول إن ذلك راجع إلى المستوى الرفيع للتجارة الدولية فيما بين الديمقراطيات الحديثة الذي مهّد السبيل للصدقة بدلا من الحرب ، ولكنه من الصحيح أيضا أن المواطنين والقادة الديمقراطيين يتعلمون دائما فنون الحل الوسط.¹⁰

- الدول ذات الحكومات الديمقراطية تتجه إلى أن تكون أكثر رخاء من الدول ذات الحكومات غير الديمقراطية ، فالعلاقة بين الرخاء والديمقراطية واضحة خصوصا في النصف الثاني من القرن العشرين ، وتفسير ذلك يعود إلى التجاذب بين الديمقراطية واقتصاد السوق ، حيث لا تخضع الأسواق في الأغلب إلى تنظيم شديد ، وللععمال حرية الانتقال من مكان أو عمل إلى آخر ، والمصانع المملوكة للقطاع الخاص تتنافس على المبيعات والموارد ، ويستطيع المستهلكون أن يختاروا من بين البضائع والخدمات المقدمة من موردين متنافسين. وفي نهاية القرن العشرين ، وعلى الرغم من أن الدول التي تتبع اقتصاد السوق لم تكن جميعها ديمقراطية ، إلا أن جميع الدول ذات النظم السياسية الديمقراطية كانت تتبع اقتصاد السوق. والديمقراطيات تمتلك عادة مزايا اقتصادية أخرى أكثر من أغلب النظم غير الديمقراطية ، فالأولى من ناحية تعزّز تعليم الشعب ، والقوة العاملة المثقفة تساعد على الابتكار والنمو الاقتصادي ، يضاف إلى ذلك أن حكم القانون يدعم بقوة أكثر في الدول الديمقراطية ، فالمحاكم أكثر استقلالا ، وحقوق الملكية أكثر أمنا ، والاتفاقات التعاقدية تطبق بفعالية أكبر ، والتدخل التحكّمي في الحياة الاقتصادية من جانب الحكومة والسياسيين يكون محدودا. وأخيرا فإن الاقتصادات الحديثة تعتمد على الاتصالات ، والقيود على الاتصالات في الدول الديمقراطية أقل ، والتماس تبادل المعلومات أيسر وأقل خطورة منه في أغلب النظم غير الديمقراطية.¹¹

لكل هذه الأسباب وغيرها أصبحت الديمقراطية نظاما سياسيا مرغوبا فيه ، بل وضروريا للشعوب إذا أرادت أن تتطور فعلا ، وهذا ما عبر عنه نبهاني كريع بقوله: (يجب أن ندرك بأن الإنسان لا يمكن له أن يتطور إلا في إطار من الديمقراطية ووفق المبادئ المشهورة: الحرية ، المساواة والأخوة).¹²

والتاريخ برهان ساطع على ذلك من زاوية أن كل أمة لا يمكن أن تتطور إلا بتربية نخبتها ودفعها للعمل والتفكير

4- الديمقراطية والعدالة

العدالة في اللغة تعني الاستقامة، وفي الشريعة هي الاستقامة على طريق الحق والبعد عما هو محظور ورجحان العقل على الهوى. وعند الفلاسفة تعني المبدأ المثالي أو الطبيعي أو الوضعي الذي يحدّد معنى الحق، ويوجب احترامه وتطبيقه.

والعدالة عند الفلاسفة عدالتان: المعاوضة والتوزيع. الأولى تتعلق بتبادل المنافع بين الأفراد على أساس المساواة في البيع والشراء وسائر المعاملات، والثانية تتعلق بتوزيع الثروة على الأفراد بحسب الاستحقاق. الأولى تنظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض، في حين أن الثانية تعطي صورة عن علاقات الأفراد بالدولة.

ومنه فإن اصطلاح العدالة الاجتماعية المتداول في الكتب السياسية ووسائل الإعلام في الفترة المعاصرة، تعني احترام حقوق المجتمع والتقيّد بالصالح العام.²¹ والعدالة مبدأ لا يُضاهى في أهميته لصالح الإنسان، إنها ينبوع كل المبادئ التي يسعى إليها الإنسان في إصلاح ذاته، والوصول إلى الغايات السامية في الوجود، وهي من مبادئ الأديان السماوية والفلسفات وأنظمة الحكم بهدف الارتقاء بالوضع البشري، وتجسيد علاقات عادلة بين الناس، والتوصل إلى عقد اجتماعي مع من يتولون مقاليد الحكم في البلاد. وإذا اختلت موازين العدالة اشتكى الناس من الظلم ونشبت الصراعات والحروب وتقاتل البشر، ولهذا قامت ثورات تسعى إلى تحقيق الكرامة الإنسانية، أولها كانت ثورة الإسلام، والثورة الفرنسية، وآخرها الثورات العربية ضدّ الظلم والاستبداد.²²

إن خيار الديمقراطية كنظام سياسي عند نهائي ليس هدفا لذاته، وإنما هو لتحقيق العدالة الاجتماعية التي غاب شمسها على أرض الإسلام، بعدما كانت في زمن ما السمة المميزة للحضارة الإسلامية.

والعامل الاقتصادي يلعب دورا كبيرا في هذه المقاربة الخاصة بالعدل، لأن توزيع الخيرات له أهمية كبرى على الصعيد الاجتماعي، وقد جسّد ذلك أحسن تجسيد نبي الإسلام محمد (ص)-والذي عاش في مجتمع إقطاعي حيث الثروات يستأثر بها الأرستقراطيون الوثنيون على حساب جموع الفقراء والعبيد-من خلال الزكاة، الصدقة، الجزية، الغنائم التي احتفظ بالخمس منها كي يصرفه هو نفسه على المحتاجين. هذه

يتوافق مع روح الإسلام، فإذا كان الشيعة لهم توجه سياسي ثيوقراطي، وأهل السنة كان توجههم أرستقراطيا عقائديا، فإن الخوارج كانوا ديمقراطيين.¹⁸

ومعروف عن الخوارج أنهم نادوا بشعار "لا حكم إلا لله" وكان لهذا الشعار تبعات سياسية مهمة لأنه فتح باب المناقشة واسعا فيها يتعلق بأساس الحكم، ذلك أنه مع هذا الشعار طرحت مسألة الحكم طرحا جديدا لم يسبق له مثيل، فلم يعد محصورا بين علي ومعاوية، وأيهم أحق بالخلافة، ولكن المبدأ نقل المسألة من المسكوت عنه "الأئمة من قريش" إلى مجال النقاش السياسي والديني حول الأساس الذي يجب أن يقوم عليه الحكم في الإسلام.

وقد أخذ شعارهم ذاك مضمونه السياسي والعملية عندما رفضوا العودة إلى الكوفة مع علي (ض) واتجاههم إلى "حرّاء" وتعيينهم إماما للصلاة، وأميرا للقتال، وتأكيدهم على الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبعد مفاوضات مع علي (ض) انتهت بالفشل ذهبوا إلى غاية مبايعة أحد كبارهم بالخلافة وهو رجل من اليمن، بعدما أسندوا إمارة القتال إلى رجل من تميم، وإمارة الصلاة إلى رجل من بكر.¹⁹

وهكذا ظهر الخوارج كتخالف "لا قبلي" ضدّ قبيلة قريش عندما قالوا في البداية الخلافة حق لكل عربي حرّ، وعندما أخذت تلتحق بصفوفهم جموع من الموالي طوّروا مبدأهم هذا فجعلوا منصب الخلافة من حق كل مسلم عادل حرا كان أو عبدا، يقول الشهرستاني في هذا المعنى عن الخوارج الأوائل: (...إذ جوّزوا أن تكون الإمامة في غير قريش... وجوّزوا ألا يكون في العالم إمام أصلا، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا، أو نبطيا، أو قرشيا).²⁰

مما سبق يبدو أن الإسلام كرسالة سماوية فيه كل مقومات الديمقراطية من حرية، ومساواة وكرامة، وهذه هي مقومات الديمقراطية الحديثة. لا نقول بأن الديمقراطية موجودة في الإسلام، ولكن نقول في الإسلام مفاهيم تستوعب الديمقراطية وغيرها من أنظمة الحكم، وقد ترك الإسلام المسلمين أحرارا في اختيار نظام الحكم الذي يليق بهم - على اختلاف ثقافتهم وأزمانهم وظروفهم- بشرط عدم التعدي على تلك المقومات. وفي التاريخ السياسي للمسلمين كان الخوارج أبرز فرقة كلامية دافعت عن الديمقراطية إلا أن الظروف التي أحاطت بظهورهم ودعوتهم أجهض المشروع الديمقراطي عند المسلمين.

وأما الدلالات فإنها تتمثل في تزايد الوعي العربي بأن الديمقراطية اليوم هي طوق نجاة من المآزق الكثيرة التي وضع العرب —حكومات وأفراد— أنفسهم فيها وأصبحوا بالتالي غير قادرين على الفعل وعاجزين عن إدارة أوجه الصراعات الداخلية المدمرة، سلبيا على مستوى العلاقة بين القوى التي تنشأ التغيير، ومستوى العلاقات بين المعارضة والحكومات. فالديمقراطية من ناحية أثبتت اليوم قدرتها النسبية على إدارة أوجه الاختلاف، وتعارض المصالح في إطار الجماعة الواحدة على مستوى الدولة، وفي المنظمات غير الحكومية، وسمحت بالاستقرار السياسي، ونمو الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، وأكدت على الجماعية والشفافية في اتخاذ القرارات لمواجهة التغيرات المتسارعة، كما نجحت في تحقيق مصالحات تاريخية، لذلك أصبحت أنظمة الحكم الديمقراطية اليوم كفيلة باكتساب احترام البشر قبل مهابة الدول.

إن الديمقراطية هي الشعار الوحيد الذي يُرفع اليوم جهارا دون أن يشعر رافعه بالحاجة إلى الدفاع عن مصداقيته. صحيح أن الفلاسفة منذ أفلاطون أحصوا عيوب الديمقراطية، وهذه هي العيوب التي لا زال يدافع عنها البعض بحجة أنها ليست نظاما مثاليا للحكم، ولكن يمكن أن نقول لهؤلاء بأن عيوب الديمقراطية يمكن التخفيف منها بواسطة مزيد من الديمقراطية، أما عيوب الديكتاتورية فهي لا تقبل التخفيف إلا بالتخلي عنها والجنوح إلى الديمقراطية، لأن هذه الأخيرة تقتضي أولا وقبل كل شيء احترام حقوق الإنسان كحرية التعبير، حرية إنشاء الجمعيات والأحزاب، حرية التنقل، الحق في الشغل، المساواة والعدل، وهذه الحقوق لا تقبل التأجيل.

وهناك أصوات تنادي بأن الديمقراطية تحتاج إلى نضج الشعب أولا، لكيلا تنقلب إلى فوضى، وبالتالي فمن الضروري تأجيلها إلى أن يتحقق هذا النضج، وما نقوله لهؤلاء هو أن نضج الشعب للديمقراطية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال ممارسة الديمقراطية، والاستئثار بالسلطة يؤدي دائما إلى خنق إمكانيات التفتح والنضج، أضف إلى ذلك أن المشاكل الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية التي تترجح تحت وطأتها الأقطار العربية لا يمكن التستر عليها، ولا قمع الإحساس بها ومعاناتها بالاستبداد. إن المشاركة الشعبية في إطار ديمقراطي سليم هي وحدها القادرة على تجنيد الطاقات والإمكانات كافة للعمل من أجل التغلب على الصعوبات في بيئة من تحمل أعباء المسؤولية.

العدالة التي أقامها (ص) بأمر من الله عز وجل، كانت ضربة للشرك القبلي الذي حافظت عليه الطبقة الميسورة، وأدى بالناس إلى الدخول في الدين الجديد بأعداد كبيرة، لأنه دين أكثر إنسانية. والنبى (ص) نفسه كان مثالا يُحتذى به، عندما مات وهو فقير دون أن يطمع في خيرات الدنيا.²³ ولكن اليوم، العالم الإسلامي شيء آخر، فالقائمون عليه لم يراعوا أبسط القواعد لتلك العدالة الاجتماعية، ولكنهم راحوا يستلهمون البنيات القانونية للغرب، وتصرفوا ضد شعوبهم، واستهتروا بالقوانين الوضعية والإلهية على حد سواء.²⁴

ولتحقيق العدالة الاجتماعية-بعد أن تكون الديمقراطية ثقافة الجميع-ينبغي أن يتم عمل جرد للثروات المتوفرة، وجرد السكان لكي يكون التوزيع عادلا، بعد أن تكون التراتبية الاجتماعية سليمة، أي أن يكون كل واحد في مكانه "الرجل المناسب في المكان المناسب"، وكإجراء عملي ينبغي مساعدة الناس للحصول على السكن، العمل، وجعل رأس المال يقوم بدورته الاقتصادية، بدل تركه في جيوب المستغلين. على الساسة كذلك تقدير الأيدي العاملة والعقول المفكرة، ومشاركة المرأة في صنع مستقبل أبنائها. ينبغي الحذر من الدخول إلى الحداثة بتهور، وإنما لابد أن يكون ذلك بحذر.²⁵

— مناقشة

يمكن التأريخ للوعي السياسي لدى نهاني كريع منذ صدور كتابه "أفارقة يتساءلون" الذي صدر في الخمسينات من القرن العشرين، إذ يكتشف القارئ بأنه انتبه إلى المزالق التي وقع فيها المسلمون في الجانب السياسي، ووضع عليها الأصبع لأنه عرف خطورتها على مستقبل المسلمين، ولكن مناداته بالديمقراطية كانت منذ صدور كتابه "مدخل إلى الفلسفة" في بداية الثمانينيات، ولعل وراء هذه الدعوة دواعي ودلالات: أما الدواعي فهي ما وصلت إليه الشعوب العربية من ضيق بحالة الاستبداد السافر التي عمت بلاد العرب المسلمين دون استثناء، فالدول العربية قد تختلف نسبيا من حيث حرية القول، أما من حيث الممارسة الديمقراطية فإنها مع الأسف غائبة على أرض الواقع، الأمر الذي أدى إلى تخلف التنمية وتآكل الإرادة الوطنية، وانكشاف الأمن القومي، إلى جانب تمزق النسيج الوطني، فضلا عن الفساد والمحسوبية وهدر المال العام.

فالتاريخ يكذب بأن الديمقراطية كانت نظاماً مألوفاً عند عرب الجاهلية، لقد خبر هؤلاء مختلف الحكومات: حكومة الفرد، الإقطاع، المشيخة، العسكر. وكلها حكومات مفروضة، فالديمقراطية هي النظام الوحيد الذي لم يعرف في الجاهلية.

وذهب المستشرقون إلى أبعد من ذلك حين قالوا بأن الثقافة الديمقراطية التي جاء بها الإسلام هي في حقيقتها ديمقراطية عرفها عرب الجاهلية، ولكن الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان هي أن الديمقراطية جاء بها الإسلام، لأنها ديمقراطية إنسانية وليست سياسية فقط، أي تلك الديمقراطية التي يكتسبها الإنسان كحق ثابت يخوله اختيار حكومته، وليست حيلة لاتقاء شرٍّ أو حسم فتنة، ولا هي إجراء من إجراءات التدبير تعتمد إليها الحكومات لتيسير الطاعة والانتفاع بخدمات العاملين وأصحاب الأجور.

وقد لاحظ القارئ بأن نهائي تجاوز الجدال الدائر حول وجود الديمقراطية في الإسلام، هذا التساؤل الذي أسأل الكثير من الحبر دون أية فائدة ترجى على الصعيد الواقعي، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، حين قرّر بأن الديمقراطية تذكرة ضرورية لعودتهم من جديد إلى التاريخ، فإذا لم يتمكن المسلمون من تأكيد العنصر الديمقراطي الأصيل الكامن في تكوينهم، وإذا لم يوضحوا أن هدفهم النهائي المبدّد حتى الآن هو الديمقراطية، فإن الغرب لن يقبلهم، ولن يقبل الإسلام كنموذج يحتذى به، وسيترتب عن ذلك أن المسلمين لن يتمكنوا من تحقيق وتطوير إمكاناتهم، وسيعقب ذلك تخلفهم وعجزهم.

ولا ينقص المسلمين فهم طبيعة السياسة ولا الرغبة في تقدّم الدولة والاقتصاد المزدهر، بل على العكس، لقد التزم المسلمون تاريخياً بإقامة كيان دولة يضم كل المؤمنين، ويكفل للجميع المساواة والعدالة، الرفاهية، الحرية والكرامة، أي نقيض الدولة القومية في عالم الدول القومية.

إن الشريعة لا تطلب شكلاً محدداً للدولة المثالية، فعلى كل جيل من المسلمين أن يجتهد للتوصل إلى تنظيم الدولة الذي يتماشى مع أفضل سبيل مع موروثاته ودرجة تطوره، ويحقق أفضل مصالحه، فمن الممكن أن يكون هذا الكيان مملكة أو جمهورية. وعليه فإن من يتهمة الديمقراطية بأنها غير إسلامية فإنه لا يفهم شيئاً عن الإسلام أو عن الديمقراطية أو عن كليهما، ولذلك فمن الظلم محاربة الإسلام بالديمقراطية، أو الهجوم على الديمقراطية من منبر الإسلام.

ومن البديهي أن يرفض المسلم حكم الشعب، إذا كان هذا يعني أن تحكم مجموعة من الناس لمجرد أنها تحظى

والسؤال الذي يمكن أن يطرحه القارئ هو: هل نظر نهائي إلى الديمقراطية من خلال الظروف التاريخية التي أنتجتها في أوروبا، أم من خلال الظرف التاريخي الإسلامي الراهن الذي يجعل من الديمقراطية ضرورة تاريخية؟

يمكن القول بأن المنظور الأول يؤدي إلى تفسير التاريخ، أما الثاني فيقود إلى صنع التاريخ، وبالتالي فإن نهائي يريد للمسلمين من خلال الديمقراطية صنع التاريخ، لذلك فهي ضرورة من ضرورات العصر، فالإنسان لم يعد مجرد فرد من رعية، بل هو مواطن يتحدّد كيانه بجملة من الحقوق هي الحقوق الديمقراطية، وفي مقدمتها الحق في اختيار الحكام، مراقبتهم وعزلهم، فضلاً عن الحرية، حرية التعبير الاجتماعي، وإنشاء الأحزاب والنقابات والجمعيات، الحق في التعليم والعمل، المساواة مع تكافؤ الفرص السياسية والاقتصادية.

إذا فالمسألة الديمقراطية يجب أن يُنظر إليها لا من إمكانية ممارستها في هذا المجتمع أو ذاك، بل من ضرورة إرساء أسسها، وإقرار آلياتها، والعمل بها بوصفها الإطار الضروري لتمكين أفراد المجتمع من ممارسة حقوق المواطنة من جهة، وتمكين الحكام من الشرعية الحقيقية التي تبرّر حكمهم من جهة أخرى.

إن الشرعية الديمقراطية هي اليوم الشرعية الوحيدة التي لا بديل عنها، وهي الأولوية، وهي الحق الذي لا يمكن تبرير تعليقه أو وضعه تحت الرقابة أو الوصاية من أي جهة كانت. إن الممارسة الديمقراطية إنما تتم داخل مجتمع، وهذا الأخير ليس مجرد كم من الأفراد، بل هو علاقات ومصالح، فئات، صراعات ومنافسات، مما يجعل من الديمقراطية في نهاية المطاف طريقة سلمية وإيجابية لتنظيم العلاقات داخل المجتمع تنظيمًا عقلانياً يوجّه الصراع والمنافسة لفائدة تقدم المجتمع ككل في إطار ممارسة المواطن لحقوقه.

وعلى صعيد آخر رأينا بأن نهائي أقرّ بأن عرب الجاهلية لم تكن لديهم إرادة لتبني الديمقراطية ربما خوفاً على مصالحهم، وهو حكم يكذب ما ادعاه بعض المستشرقين من أن العرب عرفوا الديمقراطية لأنهم أقوام من البدو الأحرار ولم يعرفوا طغيان الملوك، ولا يخضعون لسطوة الحاكمين بأمرهم من الأكاسرة والقيصرة الذين حكموا بلاد الفرس والروم. صحيح أن الجزيرة العربية عرفت حرية البداوة على أتمها قبل الإسلام ولكنها حرية غير صادرة عن مبدأ ولا عن تعريفات الحقوق الإنسانية.

العدالة ذات صلة وثيقة بانشغالات المفكرين والمؤسسات في الأزمنة المعاصرة.²⁶

— خاتمة

خلاصة القول من كل ما سبق أن نبهاني كريع يعلم ماضي المسلمين المشرق على كل الأصعدة، وأن كل ذلك مصدره عظمة الإسلام وعالمية رسالته، هذا الإسلام الذي اعتبره لم يتحقق بعد. إنه السعادة الحقيقية للبشرية جمعاء. وعلى امتداد صفحات كتبه يشعر القارئ بلوعة حارقة في نفسه، لما آلت إليه حال المسلمين من تخلف وضياع، بعد مجد وعز غابرين. يريد نبهاني تنبيه المسلمين إلى حالهم، كما يريد إبقاء الأمل حيا في نفوسهم، في إمكانية نهوضهم من جديد. لا يشحن نفوس المسلمين بأعداء وهميين كما تفعل الدول القومية المعاصرة، ربما لأنه يعلم أن العدو الحقيقي هو الذات، ... وهذا العالم الغربي الذي تصوره بعض الكتابات بأنه العدو الذي يترصب بنا، يشير نبهاني إلى إمكانية الاستفادة منه، بشرط أن نكون طلابا للحكمة، فأينما وجدناها فنحن أحق بها. وينطبق هذا على الديمقراطية، هذا المفهوم الذي تشير إليه بعض الدوائر الثقافية والفقهية بأنها بضاعة غربية، وبالتالي فإنها لا تصلح لتقويم أحوالنا. إنها في نظر نبهاني أداة تساعدنا على إصلاح حالنا التي لم تعد تحتل، لأن الذل والهوان الذي يعاني منه المسلمون قد بلغ أقصى درجاته.

إن المشكلة ليست في الأداة المستوردة، وإنما في الذات التي لم تستطع أن تقرر ماذا ستفعل، وكيف تفعل. إن العالم الخارجي يمكن تغييره مهما حقته العقبات، لأن العالم الحقيقي هو عالم النفس، فلما تعتزم النفس عمل أي شيء فإنها ستتوقف عن اختلاق الأعذار: فتارة الشعب غير مهياً للديمقراطية، وتارة أخرى الديمقراطية نظام وضعه الكفار ولا يصلح بالتالي للمسلمين. وقد تنبأ نبهاني بانفجار الأوضاع في البلدان الإسلامية إثر تراكم المشكلات وتفاعس الحكام على إيجاد الحلول، وها هي نبوءته قد تحققت، فلم تعد تلك البلدان كما كانت عليه، من انفلات الأوضاع وخروجها عن السيطرة، وإذا أمكن تصور ألمانيا واليابان بلدين استعادا عافيتهما بعد الحرب العالمية الثانية، بعدما تخلص حكامها من عنادهم، فإنه من الصعوبة تصور بلدان العالم الإسلامي كسوريا، ليبيا والعراق، أن تقوم لها قائمة مرة أخرى، إذا بقي الحكام مصريين على عنادهم قائلين "أنا وبعدي الطوفان".

بغالبية مقاعد البرلمان، كما يحلو لها، وكما تصورها لها أهواؤها، وأن تحكم بما تشاء وكيفما تشاء، ولكن هذا ليس الوضع الحقيقي حتى في الديمقراطيات الغربية، فحكم الشعب ليس تسلط الشعب وقهر الشعب أو سلطته المطلقة. ولذلك فإن الدساتير الغربية لا تحمي مواطنيها من الدولة فقط، بل تحمي كذلك الدولة من مواطنيها، كما تحمي الأقلية من الأغلبية، والوضع في الإسلام ليس مخالفا لذلك.

والخلاصة في هذه المسألة وفق خطاب نبهاني هو أن على المسلمين بدل الوقوف عند مفردات منفرة وإضاعة الجهد في مجادلات كلامية، أن يتبينوا أن أهم أهداف الديمقراطية ووظائفها، إنما هي تأمين وجود رقابة منظمة على الحكومات لمنع أي ظلم وتسلط، وسوء استخدام السلطة، وما هذا إلا جوهر الأهداف الإسلامية. إن الإسلام لا يعادي الديمقراطية، وما بل على النقيض يضمن لبنات أساسية لتوطيد الديمقراطية، وما على المسلمين إلا العمل على تحقيقها. ولن تتشابه الديمقراطية الإسلامية بالضرورة مع ديمقراطية الغرب، لأن العالم الإسلامي يملك خصوصيات.

إن فكرة اقتران الديمقراطية بالعدالة الاجتماعية عند نبهاني مسألة فلسفية مهمة كانت مطروحة منذ أفلاطون، وإن كان هذا الأخير له رأي خاص في الديمقراطية، وتكمن الأهمية في كون الإنسان يتمتع بالقدرة على الإحساس بالعدالة، وارتبطت هذه القدرة منذ زمن طويل بقدرة الإنسان على تعلم اللغة، وكثيرا ما كانت هاتان القدرتان تعتبران من الخصائص التي يمتاز بهما البشر وحدهم، يقول أرسطو في كتاب السياسة: (إن الطبيعة، مثلها نرغب دائما في أن نؤكد، لا تخلق شيئا دون غرض، والإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي مُنح موهبة الكلام...والغاية من الكلام...هي التعبير عن الكسب والخسارة وبهذا يتم التعبير أيضا عن الإحساس بالعدالة والظلم، لأن من الخصائص الفريدة التي تميز بها الإنسان عن جميع الكائنات الأخرى هي قدرته وحده على إدراك الخير من الشر، والعدالة من الظلم، وما إلى ذلك).

وفكرة العدالة الاجتماعية من ثمرات الاعتقاد بأن البشر قادرون على إعادة تشكيل وإصلاح عالمهم الاجتماعي لكي يتوافق مع مخطط وضع مسبقا، وهو اعتقاد ظهر أول مرة في أئينا القديمة، ولكنه توسع وحظي بانتشار واسع في القرن الثامن عشر. لقد استمدت الفكرة الحديثة عن العدالة الاجتماعية جذورها من فرضية أن جميع البشر متساوون في القيمة، ثم نتجت من ذلك سلسلة من الأفكار والنظريات في

الهوامش

* من مواليد أولاد جلال ولاية بسكرة (الجزائر) عام 1918م ، تلقى تعليمه الابتدائي هناك ، وأكمل تعليمه الثانوي بالجزائر العاصمة ، ثم في باريس بثانوية لويس الأكبر أين نال شهادة البكالوريا. وعاد إلى الجزائر بأمر من أبيه الذي أراد أن يكون تاجرا في التمور ، ولكنه فضلَ الدخول إلى الجامعة ، فنال الليسانس في الفلسفة. واشتغل عشر سنوات في بيع التمور ، ثم عاد إلى فرنسا ليشغل في المطبعة الوطنية الفرنسية. ثم نال شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة السوربون سنة 1967. عمل أستاذا للفلسفة بجامعة الجزائر إلى أن وافته المنية عام 2005. Jean Déjeux, *Dictionnaire des auteurs maghrébins de la langue française*, Kharthala, 1948, p. 145.

بالنسبة لتاريخ الوفاة لم يرد ذكره في هذا المعجم ، ولكن أفادني به الدكتور عمر بوساحة الأستاذ بجامعة الجزائر ، في مقابلة جمعتني به في ربيع 2013. أهم مؤلفاته: أفارقة يتساءلون ، الإنساني الشامل ، الخير والشر في القرآن ، الإنسان في الإسلام...

- 1- *Larousse-Grand Dictionnaire de la Philosophie*, sous la direction de Michel Blay, CNRS Editions, 2005, p. 255.
- 2- سبينوزا ، رسالة في السياسة ، ترجمة وتقديم عمر مهيب ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1995 ، ص 177.
- 3- المرجع نفسه ، الموضع نفسه.
- 4- تشارلز تيللي ، الديمقراطية ، ترجمة محمد فاضل طباح ، ط 1 ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2010 ، ص 14-15.
- 5- Nabhani Koribaa, *L'Homme en Islam-historicité et ouverture*, EDITIONS PUBLISUD, Paris, 2001, p. 105.
- 6- Nabhani Koribaa, *Initiation à la Philosophie*, OFFICE DES PUBLICATIONS UNIVERSITAIRES, ALGER, 1984, p. 83.
- 7- Nabhani Koribaa, *L'Homme en Islam-historicité et ouverture*, op. cit, p. 106.
- 8- روبرت أ. دال ، عن الديمقراطية ، ترجمة أحمد أمين الجمل ، ط 1 ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، القاهرة ، 2000 ، ص 47-50.
- 9- المرجع السابق ، ص 50-54.
- 10- المرجع السابق ، ص 55-56.
- 11- المرجع السابق ، ص 57.
- 12- Nabhani Koribaa, *Initiation à la Philosophie*, op. cit, p. 82.
- 13- Ibid, p. 83.
- 14- Ibid, p. 82-83.
- 15- Nabhani Koribaa, *L'Homme en Islam-historicité et ouverture*, op. cit, p. 106.
- 16- Nabhani Koribaa, *Initiation à la Philosophie*, op. cit, p. 82.
- 17- Nabhani Koribaa, *L'Homme en Islam-historicité et ouverture*, op. cit, p. 107.
- 18- Nabhani Koribaa, *Les Kharidjites-démocrates de l'Islam*, PUBLISUD, Paris, 1991, p. 16.
- 19- الجابري ، العقل السياسي العربي ، ط 8 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2011 ، ص 239.
- 20- الشهرستاني ، الملل والنحل ، تقديم صديقي جميل العطار ، ط 2 ، دار الفكر ، 2002 ، ص 94.
- 21- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 2 ، ط 2 ، دار الكتاب اللبناني ، 1982 ، ص 58-60.
- 22- ديفيد جونستون ، مختصر تاريخ العدالة ، ترجمة مصطفى ناصر ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 387 ، أبريل 2012 ، ص 25.
- 23- Nabhani Koribaa, *L'Homme en Islam-historicité et ouverture*, op. cit, p. 103.
- 24- Ibid, p. 103.
- 25- Ibid, p. 104-105.
- 26- استأنست في كتابة هذه المناقشة بالمراجع التالية:
- علي خليفة الكواري ، الديمقراطية طوق نجا- ضمن كتاب جماعي ، مداخل الانتقال إلى الديمقراطية في البلدان العربية ، ط 2 ، د س ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص 7-8.
- الجابري ، الديمقراطية وحقوق الإنسان ، سلسلة كتاب في جريدة ، عدد 95 ، تموز 2006 ، بيروت ، ص 8-12.
- العقاد ، الديمقراطية في الإسلام ، ط 3 ، دار المعارف ، د س ، ص 23 وما بعدها.
- مراد هوفمان ، الإسلام في الألفية الثالثة ، تعريب عادل المعلم ويس إبراهيم ، ط 1 ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، 2001 ، ص 111 وما بعدها.
- ديفيد جونستون ، مختصر تاريخ العدالة ، مرجع سابق ، ص 25 وما بعدها.

مقولة المنهج وإشكالية تلقي النصوص نصير بحتري في أنساق التفاعل بين القارئ والنص في النقد المعاصر

Theory of the Method and Problem of Receiving Texts

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-02-03

نبيل مسالتي*، جامعة قسنطينة للعلوم الإسلامية

messalti_mouhamed@yahoo.com

محمد عبد البشير مسالتي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

messalti_mouhamed@yahoo.com

الملخص

تروم الدراسة استنطاق مرجعيات المقاربة الحداثية التي تشكلت حول النص العربي ، بحثا في بعض مسارات التلقي الحداثي للنص العربي ؛ وذلك من أجل التحقق من أن القراءات الحداثية إنما هي محكومة بأفقها التاريخي وسياقها الثقافي ، فهي تتحرك وفق ما يتيح لها أفقها وسياقها من "ممكنات" ، وفي المقابل فإنها ترضخ تحت الإكراهات/الأيديولوجيات التي يمارسه عليها هذا الأفق وهذا السياق.

الكلمات المفتاحية: منهج ، التراث العربي ، إجراءات ، الحداثة الغربية ، رؤية.

Résumé

Cette étude a pour but d'interpréter certaines lectures modernistes critiques apparues sur la réception des textes arabes. Les lectures modernistes considèrent que les textes arabes sont régis par leur contexte historique et culturel. Ces lectures s'appuient sur les données fournies par le contexte et elles relèvent de la domination des processus compulsifs / idéologiques des contextes historique et culturel.

Mots-clés: Méthode , L'héritage arabe , Procédures, Modernité occidentale , Le discours critique de rabian , Point de vue.

Abstract

This study aims at interpreting some of modernistes readings which are formed about Arabic texts. That is to chek that the Modernistes reading for the Arabian texts which are governed by its historical and cultural context. Those readings moves according to somavailable possibilities of the context. In other hand, those readings fall under the domination of compulsive/ideological processes of the historical and cultural contexts.

Key words: Method, The arab heritage , Procedures, Western modernity , The rabian critical discourse, Point of view.

* المؤلف المراسل

أولاً: كيف أقرأ نصاً ثرائياً

« إعادة فهم التراث واختياره عملية متواصلة، خاصيتها الجدل بين طرفين: أحدهما سلبي فاعل، والآخر إيجابي منفعل. سلبية التراث معناها كونه موضوعاً للتأمل والفهم، تقابلها إيجابية الحاضر التي تتحقق بحماسته لتأمل التراث وفهمه »

عبد الحكيم راضي: مدخل في قراءة التراث

يجب التذكير في البدء أن قضية المنهج تستمد أهميتها من كونها تمثل حجر الزاوية في نظرية المعرفة، فلا تكاد المعارف الإنسانية تبني وتتقدم إلا إذا توقّرت لها الأدوات المنهجية الملائمة، وقد أدرك المفكرون والفلاسفة منذ القدم الترابط الوثيق بين تحصيل المعرفة والالتزام بشروطها المنهجية، فكانوا يلحّون على أن الارتقاء بالتفكير لتحقيق المعرفة الصحيحة يستوجب بالضرورة وضع قواعد وأسس تحدّد علاقة الذات العارفة بموضوعها، وتضمن أن يكون التفكير سليماً، فيقود إلى معرفة الحقيقة، ولا يوقع في الزيف والأوهام. فما هي طبيعة المعالجة التي يمكن أن نرومها في قراءة النص التراثي؟ هل نحلّل ذلك النص، أم نشرحه، أم نفسره، أم نوّله أم نقاربه؟ هل نتعامل مع النص القديم مثلاً نتعامل مع النص المعاصر؟ ثم بأيّ أداة أو رؤية نفعل ذلك؟ بواسطة وسيلة عربية معاصرة أم بالاستفادة من الملاحظات الجمالية والالتفاتات النقدية القديمة المبنوثة نلتقطها ثم نستثمرها استثماراً حداثياً؟ هل نقارب ذلك النص في ضوء مفاهيم نظريات التلقي والأجناس الأدبية، والبلاغية والأسلوبية الغربية، أم بمنهج نقدي عربي؟ تحاول هذه المقاربة تعميق القلق المعرفي، والدعوة إلى السعي الحثيث من أجل المزيد من التفكير في فتح أبواب جديدة للقراءة الأدبية والنقدية، فكما ثبت أن النص التراثي لا تحدّد الحدود، سيظلّ الإبداع في شأنه مفتوحاً؛ فكذلك ما يكتب من حوله يجب أن يظلّ مفتوحاً، وهو تحليله وقراءته وتأويله.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا صدحنا بأنّ التحوّلات التي يخضع لها وعي القراء وحاجاتهم وتصوّراتهم ورؤاهم، تؤثر في بنية نصوص التراث المقروءة وفي دلالاتها ووظائفها وقيمها؛ فالتراث العربي القديم لم يكفّ عن التحقّق في وعي قرائه المعاصرين وفي تمثّلاتهم المختلفة له. ولقد اكتسبت

نصوص التراث بأنماطها المختلفة دلالاتٍ وقيماً مختلفةً عبر تاريخ التلقي؛ فقد خضعت لمناهج متباينة في الفحص والتأويل وفي جميع الأحوال ظلّت نصوص التراث مرتبطة إلى تحولات سياقات القراءة وتبدّلات وعي القراء⁽¹⁾

تصدر قراءتنا لفكرة علاقة المنهج بالنص التراثي عن مبدأ يقر بأن أحد وجوه بلاغة النص التراثي يكمن في مشاركة القارئ في إنتاج معانيه، غير أن هذا المبدأ قد يكون مناقضاً لطبيعة ووظيفة بعض النصوص؛ كتلك التي لم تحظ في تاريخ تلقيها القديم بتجاوب جمالي أو تأويل أدبي.

غير أن تعاقب القراء وتحول آفاق القراءة كشفاً عن جوانب أدبية ظلت مضجرة في التلقي القديم، وهذا دليل على الدور الذي يضطلع به القارئ، ودليل على فعالية النص الذي يحمله على إنجاز القراءة.

ولعل المتأمل لنصوص التراث العربي حتى تلك التي لم تقارب جمالياً في تاريخ تلقيها- سيجد لا محالة أن ثمة علامات أخرى غير محددة بشكل كاف، تقتضي أن يعيد القارئ تأويلها وإدماجها في سياق خطابات وأنساق ثقافية لعلها انبثقت عنها أو تؤول إليها.

تتنزل هذه الدراسة ضمن تصور معرفي عام مداره استجلاء الخواص النظرية والعملية الواسمة المنظومة النقدية الحديثة في تعاملها مع الظاهرة التراثية، وبيان ذلك أن المدونة التراثية في الفترة الحديثة أشبعت بحثاً وتدبراً من لدن دارسين ندبوا أنفسهم لهذا الأمر وأناطوا بعقولهم ووجدانهم تلك المهمة، فاختلفت مقارباتهم وتباينت نتائجهم، حتى كادوا أن يفرقوا وتنبه مراكبهم في بحر التراث تيها يضل معه الموضوع المدروس وتمحي رسومه، ولعلّ مرد اختلاف هذه المقاربات راجع إلى تباين مستويات المباشرة التي يتخذونها منطلقات لنظراتهم في التراث وتقويمهم إيّاه.

وقد حصر بعض من اعتنى بهذا المشغل مستويات المقاربة في خمسة مداخل بارزة: المفهوم/المنهج/العمق التاريخي/نمط المعالجة/الموقف من الإحياء، وكل مستوى يتفرع فرعين وينقسم قسمين فيصير التراث في محيط هذه الرؤية، مفهوماً مشكلاً تتعدد مقارباته وتنوع منطلقات النظر فيه⁽²⁾.

صُنِفَتِ القراءات السائدة من منظور الغاية في المجالات التالية: القراءة الانتقائية التي تحاول التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، والماضي والحاضر، والقراءة التثويرية التي تهدف إلى تقديم مشروع رؤية جديدة، تنتقل بها من التراث إلى الثورة، حسب تعبير طيب تيزيني، أو من العقيدة إلى الثورة، حسب رأي حسن حنفي، أو من الثابت الإتباعي إلى المتحوّل الإبداعي، حسب رأي أدونيس، أو من الضرورة إلى الحرية، حسب رأي حسين مروة. والقراءة التنويرية التي تسعى إلى الكشف عن "تكوين العقل العربي"، في فكر محمد عابد الجابري، أو الكشف عن المستويات الخطائية السائدة في الفكر العربي بأبعاده العربية الإسلامية في فكر محمد أركون.

أ- قراءة استعمال التراث: وهي قراءة تؤمن بإهمال النظر إلى علاقة الماضي بالحاضر «إذ يجمع الدارس بين آراء المتقدمين وآراء النقاد المعاصرين»⁽⁵⁾. وفي السياق الواحد يُربط بين تصورات الجاحظ ونظريات جان كوهن وبياكسون مثلاً، فهي تقوم على استعمال النصوص القديمة على أساس يجعل من النص جسراً لتدعيم بعض التصورات بغية الاستدلال والتّمثيل لا التفكير لمعرفة طبيعته⁽⁶⁾، كما تقوم أيضاً على تغييب الجدار الفاصل بين القديم والحديث أو الاختلاف والتقاطع بينهما لقيام المقاربة المزعومة. إذ تُوظّف النصوص التراثية توظيفاً غير تاريخي. ولا تعدو هذه القراءة أن تكون إعادة قول ما سبق أن قيل في الماضي بصورة مغايرة⁽⁷⁾

ب- قراءة التراث التأويلية: وهي تشبه القراءة التنويرية عند الباحث جابر عصفور.

إنّ مقولة الحداثة عند العرب اليوم «أغزر طرافة وأكثر إخصاباً إذ تنزّل لديهم متفاعلة مع اقتضاء آخر يقوم مقام البديل في التفكير المعاصر وهذا الاقتضاء مداره قضية التراث من حيث هو يدعوهم اليوم الى «قراءته» — على حد عبارة المنهجية الزاهنة — ومعنى ذلك أنّ العرب يواجهون تراثهم لا على أنّه ملك حضورٍ لديهم ولكن على أنّه ملك افتراضيّ يظلّ بالقوة ما لم يستردوه، واسترداده هو استعادة له واستعادته حمله على المردود المنهجيّ المتجدد، وحمل الرؤى التقديّة المعاصرة عليه، حتى لكأنّ الاستعادة عند العرب اليوم مقولة قائمة بنفسها تكاد لا تعرف وجوداً عند سواهم على النحو الذي هي عليه عندهم.

ومن رام الوقوف على القواعد التأسيسية في هذه المقولة كفاه النظر في غايتها وهي فك إشكالية الصراع بين القديم والجديد، فمقولة الاستعادة تنفي الديمومة إذ هي تكسير الزّمن⁽⁸⁾

إنّ كلّ قراءة للتراث إنما هي نتاج سياقاتها المعرفية والتاريخية، وإنّ كل فعل قرائي لا يعي شروطه وآلياته يظل بعيداً — مهما كان حرصه — عن النفاذ إلى أغوار النصوص وبواطنها، يقول الباحث عباس أرحيلة معبراً عن ذلك: «إذا كانت الكتابة انتصاراً على الزمن وتخليداً له، فإن القراءة تأمل في دلالات المقروء عن طريق فهمه وتفسيره واستنطاقه

إنّ تعدد التّفرعات في مباشرة الظاهرة التراثية دليل على أنّ الاشتغال بالتراث لا يعني الاندراج في ثقافة ماضية بقدر ما يعني استحضار تمام أمة من الأمم (عقيدة وشريعة، لغة وأدباً، عاطفة وعقلاً، حنيناً وتطلعاً) وهكذا «فإذا كان الإرث أو الميراث هو عنوان اختفاء الأب وحلول الابن محله — كما تحيل إلى ذلك مادة الأصل المعجمي "و،ر،ث" في التقليدين العربي والأعجمي —، فإنّ التراث قد أصبح بالنسبة إلى الوعي العربيّ المعاصر عنواناً على حضور الأب في الابن، حضور السلف في الخلف، حضور الماضي في الحاضر»⁽²⁾ ويحدّد الباحث خالد سليكي أنماط قراءة التراث في:

1- القراءة الماضوية: وهي القراءة التي تحاول بعث التراث وعده الأنموذج الأرقى، ومن أهمّ مميزات هذه القراءة اقتصرها على الشرح والتلخيص، والبحث عن مواطن القوة في التراث على حساب وجوه أخرى فهي تعمل على «الإقصاء» و«الانتقاء»⁽³⁾.

2- القراءة التاريخية: وهي التي تبحث في متابعة الحياة المعرفية متابعاً تاريخية بتتبع بداياتها ونموها. وسمتها الجمع المتسلسل تاريخياً لمادة البحث⁽⁴⁾.

3- القراءة الحداثيّة: وهي القراءة التي يكون الغرض منها جعل التراث معاصراً، من خلال بعث مواطن تساؤلات معرفية جديدة فيه. وثمة نمطان من القراءة الحداثيّة هما:

الأدبية المعاصرة، بالقدر الذي تطالبنا فيه نصوص التراث بمعاشيتها وتمثيلها بعدها جزءاً من الموروث الأدبي الكلاسيكي؛ فكثير من هذه النصوص تقتض متلقياً لا يكفي بتلقي رسائلها الصريحة، ولكنها تسهم في بناء معناها⁽¹²⁾

ثانياً: النقد المعاصر وعواضل فهم النص التراثي (مقامات الهمداني أنموذجاً):

« خليفٌ بقارئ التراث أن تكون عينه على الحاضر؛

أي البحث عن مدى انعكاسات قراءته في واقعه الثقافي المعاصر »

إنَّ القارئ الحديث الذي يحاول أن يأخذ وجهة نظر منسجمة عن مقامات الهمداني سيصاب بالدوار أمام الآراء المتضاربة التي صدرت في حقِّ مقامات الهمداني؛ فأنت تجد التأويل وضده ينسبان لمقامات الهمداني نفسها (مقامات الهمداني حديث أدبي بليغ وفي الآن ذاته هي لا تقسح للعقل كي يعبر عن العواطف ويحللها؟)، (مقامات الهمداني فيها خاصية تجنيسية تتمثل في احتدام الصراع بين الشعر والنثر/ التوتر بين الشعر والنثر، ومرة فهي تقوم على الإثارة والمفاجأة والمفارقة والسخرية).

دون اهتمام بتفسير نصوص المقامة، وهذا كله ناتج في نظر البحث عن غياب القراءة التفسيرية المستندة إلى الأسئلة والخلفيات والإحراجات التي حكمت نصوص المقامة.

يقتضي النظر في مقامات الهمداني⁽¹³⁾ بوصفها نصوصاً قديمة تحقق نمطا من الوعي القرائي النقدي (La conscience Lisante critique)؛ متسما بتعدد واجهاته، وتنوع استراتيجياته حتى يتمكن من الانتشار في أكثر من اتجاه معرفي، ويقدر على مواجهة الأسئلة المخصوصة التي يفرزها تراثنا القديم: ما هي طبيعة المعالجة التي يمكن أن نرومها؟ هل نحلل ذلك النص، أم نؤوله أم نقاربه؟ هل نتعامل معه مثلما نتعامل مع نصوصنا المعاصرة؟ ثم بأي أداة أو رؤية نفعل ذلك: بواسطة وسيلة عربية معاصرة أم بالاستفادة من الملاحظات الجمالية والالتفاتات النقدية القديمة المبتوثة: نلتقطها ثم نستثمرها استثماراً حداثياً؟ هل نقارب ذلك النص في ضوء مفاهيم نظريات التلقي والأجناس الأدبية، والبلاغية والأسلوبية الغربية، أم بمنهج نقدي عربي؟

وتأويله... والتطور الحضاري ما هو إلا قراءة للنصوص... ولقد لوحظ خلال التاريخ أن القراءات للنصوص تنوع وتعدد، وإن كل قراءة تنسجم مع سياقها التاريخي وخلفياتها الحضارية. وتبين خلال التاريخ، أن هناك نصوصاً تعددت قراءاتها لأهميتها وتعددت دلالاتها وكثرت إحياءاتها. إذا كان من نافلة القول: إنَّ القارئ يفعل بالمقروء، فإنه قد انكشف للباحثين أن القارئ تتحكم فيه ظروف متعددة تتداخل مع حقول معرفية أخرى منها: البحث النظري، والنقد، والمنهج والإيديولوجيا، وتحليل النصوص الإبداعية بصفة خاصة واتضح أن: القراءة عملية معقدة يدخل فيها المكتوب مع ما لدى القارئ من تكوين ثقافي، ومن تصورات وقناعات، وأن القراءة تتطلب قدرة على تحويل الرموز إلى مفاهيم ذهنية في ضوء مرجعية خاصة، وقدرة على الفهم⁽⁹⁾.

وما يشير إليه هنا الباحث عباس أرحيلة لا يعني بتاتا اعتقاده بإمكانية قراءة التراث قراءة محايدة أو بريئة، بل هناك دائما بالضرورة قراءة منحازة أو مغرضة تختلف درجاتها ومحركاتها وأهدافها بين خدمة التراث والعمل على الاستفادة منه وتطويرة، أو النكر له والتهجم عليه بغية التخلي عنه.

يقول حسين جمعة: «إن الظروف الموضوعية والذاتية التي تحيط بحركة النقد العربي لم تسمح حتى الآن بتشكيل رؤية نقدية موحدة وواضحة المعالم على وجود الانتماء للثقافة والجنس الواحد غالباً... فالحركة النقدية العربية تتقاذفها رياح التقليد؛ إما للموروث والتمسك به، وإما للآخر الغربي»⁽¹⁰⁾

انطلاقاً مما تقدم، فإنَّ الحديث عن قراءة التراث «تلمنا التثبت والتأني في اختيار المنهج الملائم والمقاربة المواتية، وهذا لا يتأتى إلا داخل النظام المعرفي المعين، سواء أكان هذا خاصاً بالتراث، أم بالنظريات الغربية»⁽¹¹⁾. والسؤال المطروح هنا إلى أي مدى تجسدت هذه الرؤية عند قراء التراث؟

وعلى الرغم مما تحمله تحولات الأسئلة النظرية إلى المعرفة النقدية وإلى مفهوم التأويل من غنى وفائدة، يظل النص الأدبي هو المعيار الحقيقي في أي تفكير نقدي. وإذا ما تعلق الأمر بصياغة مفهوم لتأويل نصوص التراث، فإننا مطالبون باستيعاب هذا النقاش الحيوي الدائر في النظرية

(13) يقول كيليطو: «إن الانصراف عن البلاغة العربية ليس سوى واحد من مخلفات أزمة البلاغة الغربية. اهتم المستشرقون بكل ميادين الثقافة العربية، ما عدا استثناءات نادرة حين أهملوا البلاغة. والقارئ العربي، إذ يقتفي خطاهم فهو يحكم على نفسه بأن يتجاهل مظهرًا من مظاهر الثقافة الكلاسيكية، وأن يحجب عن نظره الألعاب اللفظية، التي تقاس أهميتها مع ذلك بأهمية المقولات اللغوية التي تجلوها للعيان، وأن لا يرنف كتابه عريقة، سوى تعفن وانحطاط» (14) يتضح مما سبق قوله أن المواقف المدينة للمقامة ليست سوى انعكاس للمعايير السائدة في الزمن الذي تشكلت فيه هذه المواقف.

وتبعًا لهذا، نجد جملة من المعايير الأدبية الحديثة تسخر لإدانة المقامة والتقليل من قيمتها السردية والأدبية؛ فباسم معياري البساطة و/الابتعاد عن بلاغة التزيين، وبلاغة التعليم، ومعايير التعبير عن الذات وعن الحياة، وعن العصر والمجتمع، وتصوير النفس الإنسانية، أدين المقامة وحوكت في الثقافة العربية الحديثة. مثلما نجده عند شوقي ضيف الذي أصدر كتابه "المقامة" سنة 1954.

ولعل المتأمل لقراءة شوقي ضيف المبكرة للمقامة يلحظ أنها نزعَت إلى استبعاد المقامة من دائرة الأدب للمكانة الرفيعة التي حظيت بها الأساليب البلاغية في هذا الجنس الأدبي، ولأغراضها التعليمية، يقول شوقي ضيف: «وإذا كانت الغاية الأولى للمقامة هي التعليم، فقد أطلق عليها صاحبها اسم "مقامة"، ولم يجعلها "قصة" ولا "حكاية"، بل جعلها "حديثًا قصيرًا" "مشوقًا" أجراه في شكل قصصي» (15) بيد أن شوقي ضيف في تعريفه للمقامة لم يكتف برفض إجراء المقارنة بين المقامة والقصة، بل إنه يستبعد المكون السردية من تعريفه مما يشي بنظرة لغوية للمقامة يقول: «ليست المقامة إذن قصة وإنما هي حديث أدبي بليغ، وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة، فليس فيها من القصة إلا الظاهر فقط» (16) وقد أدان شوقي ضيف المقامة على أساس ما أسماه بلاغتها اللفظية.

لقد كانت البلاغة في الفترة التي شهدت ظهور موقف شوقي ضيف -وغيره من المواقف المستبعدة لفن المقامات من دائرة الأدب-، تعاني الجمود وخمول الذكر وكان الميل

في وقت مبكر من عصرنا الحديث بدأت خصائص المقامة من جديد تشكل موضوعًا للمناقشة وإبداء الرأي؛ كان النهج في البداية يسير على منوال الأحاديث القديمة التي لا تكاد تخرج عن وضع هذه الخصائص في موضعي الدفاع أو الهجوم. ولكن مع تقدم الزمن والتطورات التي حدثت في مناهج الدراسات الأدبية في الثقافة العربية (مناهج نفسية واجتماعية وبلاغية، لسانية أسلوبية وبنوية...) وتحولت هذه الخصائص/البلاغة إلى موضوع نظر وتأمل في ضوء تعاقب سلسلة من الأسئلة التي أسهمت في الكشف عن أسرارها وتفسير سماتها والوقوف على معانيها المتجددة.

1- شوقي ضيف والأفق اللغوي و معيار هدم

البلاغة:

لعلنا لا نجافي الصواب إذا قلنا إن المقامة تعد أكثر الأنواع الأدبية القديمة تعرضًا لإدانة الدارسين المحدثين؛ فقد شكّل اختلافها الكبير عن الأنواع الأدبية الحديثة وعن مفهوم الأدب الحديث، أحد أهم العوامل التي جرت عليها اعتراضاتهم. وربما كان من الضروري الإشارة إلى أن موقف الإدانة الذي تبناه هؤلاء الدارسون العرب المحدثون لا يعبر عن مقت للأدب العربي، بقدر ما يعبر عن رغبة في أن يقوم الأدب العربي على جنس أدبي يظاهرون به الأجناس السردية الحديثة.

وهكذا، فهم يصدرون عن فكرة أن المقامة جنس أدبي عربي أصيل كان من الممكن مضاهاته بأنواع سردية حديثة مثل القصة والرواية، لولا أنه تورط في جملة من العيوب أضرت به وأعاققت نموه وتطوره. وواضح أن الأمر يتجاوز الإدانة بمعناها الإيديولوجي، إلى الإدانة بمعناها الأدبي الخالص؛ فهؤلاء على نحو ما يرى عبد الفتاح كيليطو وقعوا ضحية التصور الغربي لأدب القرن التاسع عشر مجارين في ذلك آراء المستشرقين الذين كانوا يصدرون في تذوقهم للأدب عن هذا التصور. فالموقف الحديث الرافض للمقامة ينطوي في العمق على موقف شائع رافض للبلاغة على أساس أن المقامة فن بلاغي بامتياز، وهو في واقع الأمر ليس سوى انعكاس للموقف الغربي الرافض للبلاغة التي أصبحت سيئة السمعة في الثقافة الغربية عمومًا منذ القرن التاسع عشر، قبل أن تسترد مجدها ابتداءً من السبعينيات من القرن الماضي

وفوضى أوزانها تذكر بمقامات الهمذاني المنحطة و«كأننا في عودة إلى مقامات بديع الزمان والحريري وأشباههما من بلغاء عصور الانحطاط»⁽²¹⁾

ونجد أن أحمد أمين لا يخرج عن أفق التلقي الاستبعادي أو أفق الإدانة، ففي مقال بعنوان "أدب اللفظ وأدب المعنى" لم يجد أحمد أمين مثالا على أدب اللفظ في الأدب العربي كله أظهر من مقامات الهمذاني والحريري، فإذا كان في كل أمة أدب لفظ وأدب معنى ففي الأدب العربي أمثلة واضحة لهذه القسمة "قل أن تعثر فيها على معنى جديد، أو خيال رائع، وهما من الناحية القصصية في أدنى درجات الفن ولكنهما توديان غرضا جليلا من الناحية اللفظية ففيهما ثروة من الألفاظ والتعبيرات لاتقدر" ⁽²²⁾

2-القراءات الحداثية للمقامة ومراعاة الأنظمة/الأسيقة المعرفية

يبدو أنّ أصحاب المقاربات المنتمية إلى هذا الاتجاه أكثر حرصا على تجنب ما يمكن أن يوجه إليهم من تهمة قراءة المقامة من منظور أفق الإدانة الذي لم ير في المقامات سوى حيل حياة مغلقة بقشور الصنعة والتكلف، ومن ثم كان جلهم إلى المجادلة أنزع وإلى إبراز الأسس السليمة التي ينبني عليها اختيارهم أميل، وإذا صحّ ما يراه بعض المنظرين من أنّ كلّ دراسة تنهض على إجابة عن سؤال وإثارة لآخر، فإنّ للسؤال الذي يحاول هؤلاء أن يجيبوا عنه بعدا مزدوجا قائما على ما يلي: هل بوسعنا أن نقرأ المقامة/التراث دون أن نفترب عن عصرنا، وأن نخترط في العصر دون أن نفترب عن أنفسنا وما به نكون؟ أو وفقّ تعبير محمد العمري الذي يرى: «أنّ تغيّر المعطيات التي نمتلكها، والإمكانيات التي نسخرها، وتغيّر الأسئلة المطروحة على الأدب، يجعل من اللازم إعادة الكتابة كلّما تغيّرت شروط القراءة و ظروفها. فالحاضر بغني الماضي بقدر ما يغتني بمحاورته. الماضي نص مفتوح للقراءة على الدوام»⁽²³⁾.

إنّ قراء المقامة وفق هذا الأفق طمحو إلى إعادة التأسيس والكتابة، ولم يكن هذا الطمّوح يتوجه إلى الإدانة أو الاستعادة أو الإسقاط أو كتابة نوع من التّاريخ الصّامت بقدر ما كان يتوجه إلى الانتقاد والتّثوير والمجازة.

في التعبير يتسم بالابتعاد عن التعابير المثقلة بأساليب البديع، وبتحاشي الخطابة. وقد أثر هذا الوضع في تبخيس القيمة الذاتية للمقامة التي كانت تستمدّها من هذا المكون البلاغي بمعناه الأسلوبي أو التداولي؛ فلا يمكن تصور المقامة مغسولة من البلاغة الشعرية، لأنها فن ظهر في عصر هيمنة الشعر والبديع؛ فالمقامة ما كان لها أن تتشكّل خارج دائرة الشعر الذي فرض مكانته على الأدباء في القرن الرابع للهجرة⁽¹⁷⁾

لأجل ذلك كانت إحدى أهم سمات هذا الجنس الأدبي كما يقول محمد أنقار، التوتر بين الشعر والنثر: «التوتر البنيوي الذي يحتمل في عمق المقامة الهمذانية بين شتى أجناس الأدب، وتخصيصا الصراع بين جنسي النثر والشعر»⁽¹⁸⁾

كما أن المقامة فن برز في عصر لم يفصل فيه الأدب عن وظيفته التواصلية؛ فتراثنا الأدبي لم يفصل بين الوظيفة الأدبية والوظائف التداولية التي تنهض بها النصوص سواء أكانت قصائد أم مقامات أم نوادر أم أخبارا⁽¹⁹⁾، كما نجد أن شوقي ضيف يدين المقامة على أساس معيار جمالي معاصر يتمثل في أن الأدب الحقيقي الجدير بالتقدير هو الأدب الذي يتغلغل في تصوير النفس الإنسانية ويفسح المجال للتعبير عن الذات الإنسانية بوصف وتحليل عواطفها، ودقائق حركاتها النفسية. يقول شوقي ضيف: «وكانها أجموا عقولهم وأطلقوا ألسنتهم، فلم يتجهوا بالمقامة إلى وصف حوادث النفس وحركاتها، ولا إلى الإفصاح للعقل كي يعبر عن العواطف ويحللها، وإنما اتجهوا بها إلى ناحية لفظية صرفة؛ إذ كان اللفظ فتنة القوم، وكان السجع كل مالفهم من جمال في اللغة وأساليبها، وكانت ألوان البديع كل مراعهم منها ومن أسرارها»⁽²⁰⁾ وهناك امتدادات عديدة لقراءة شوقي ضيف فالمقامات حسب يوسف الخال ليست أدبا ألبته، بل هي هرطقات تعليمية، وهراء فارغ، وشكل متعفن غرق في الشطارة اللغوية اللفظية، فمات فيه الإنسان والحياة وهكذا، أصبحت المقامات حسب الخال تستدعي تلقائيا كلما جرى الحديث عن شكلية الأدب وانحطاطه وسخفه وتعفنه، يلاحظ يوسف الخال في سياق تعليقه على قصيدة لشاعر "طليعي شاب" أنّ هذه القصيدة ياغراقها في القوافي

أظهر مبحث يوضح التصور الإجناسي للباحث هو الفصل الذي وسمه كيليطو بـ(تصنيف الأنواع)⁽²⁴⁾

لم يقارب كيليطو المقامة الهمذانية بعيداً عن الأنساق الثقافية التي تعني مواضعة اجتماعية، دينية، أخلاقية تفرضها في لحظة معينة من تطورها الوضعية الاجتماعية والتي يقبلها ضمنها القارئ وجمهوره⁽²⁵⁾.

بينت مقارنة كيليطو أنّ مقامات الهمذاني من حيث الاطار الزمني عن أن روايته عيسى بن هشام عمر مئات السنين، وتلك لفظة لم يفتن لها فيها رصدت من آراء الدارسين- ناقد قبله، ويسوق كيليطو الأسباب المقنعة التي دفعته إلى ذلك الرأي سالكا سبيل الاستقراء للأحداث القصصية التي يرويها عيسى بن هشام، فهو مرة يشترك في غزوة ضد البيزنطيين سنة 375هـ، وتارة يجالس عصمة بن بدر الفزاري الذي عاين دون وسيط مناقضة شعرية جرت في قلب الصحراء بين الفرزدق وذو الرمة، وهما شاعران عاشا أواخر القرن الأول الهجري⁽²⁶⁾ ويقوده التأويل المقنن إلى اكتشاف ملخصه أن الشعر كان وصمة خزي وعار في عهد الهمذاني، وهو لا يطلق هذا الحكم جزافاً، بل يصل إليه بعد تحليل عميق للمناضرة التي جرت بين بديع الزمان والخورزمي⁽²⁷⁾

وهكذا لم يقرأ كيليطو المقامة في ضوء مكونات فنون القص الحديث؛ كان كيليطو كما يقول نادركاظم "يقف على الطرف النقيض من كل تلك القراءات الساخطة المتبرمة أو المأزومة المبررة. فقراءة النص يجب أن تتقبل طبيعته وتحاول بعد ذلك تفسيرها، بدل أن تشجبها أو تدينها أو حتى تبررها". إن ما كان يهم الباحث هو "الحديث عن المقامة باعتبارها نوعاً ذا سمات ثابتة"⁽²⁸⁾؛ أي الحديث عن المقامات بوصفها جنساً أدبياً ذا مكونات نوعية خاصة ثابتة. بل كما يقول نادر كاظم بوصفه «شكلاً أدبياً يتضمن داخله أنواعاً مختلفة، مثله في ذلك كمثل الشعر حين يكون شكلاً أدبياً يتضمن داخله مجموعة متنوعة من الأنواع»⁽²⁹⁾

والحال هذه فقد نفى الباحث أن يكون الأسلوب الرفيع، والكدية، ونسبة الخطاب إلى شخصيات متخيلة مكونات خاصة بالمقامة. فالأسلوب الأنثيق يوجد في المقامات كما يوجد في الرسائل، والكدية لا تنحصر في المقامات ونسبة

نبتغي في هذا السياق الوقوف على مقاربتين طريقتين؛ حرصنا على تجنب ما يمكن أن يوجه إليهما من تهمة قراءة المقامة من منظور أفق الإدانة، ومن ثم فقد حاولنا بيان واستبطان طبيعة المقامة من حيث الأطر البنيوية والأسلوبية والثقافية؛ الأولى للباحث المغربي عبد الفتاح كيليطو موسومة بـ«المقامات السرد والأنساق»، والثانية للباحث السعودي عبد الله الغدامي موسومة بـ«القمر الأسود أو النص القاتل ضمن كتابه المشكلة والاختلاف: قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه والمختلف».

2- عبد الفتاح كيليطو وتجنيس المقامة / سمة

التعرف

لعلنا لا نجافي الصواب إذا اعتبرنا أعمال الناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو مفصلاً مهماً في الدراسات النقدية الحديثة، التي اهتمت بمجال نقد الموروث السردى استناداً إلى المنهجيات الحديثة، فقد بذل كيليطو جهداً خصباً في هذا المجال منذ أعماله الأولى التي كتبها بالفرنسية، ثم ما لبثت أن ظهرت بالعربية تباعاً في وقت متقارب خلال العقود الأربعة الأخيرة مثل (الكتابة والتناسخ: مفهوم المؤلف في الثقافة العربية) و(المقامات - دراسة في السرد والأنساق) و(العين والإبرة، دراسة في ألف ليلة وليلة). وعدا ذلك توجه كيليطو إلى الكتابة بالعربية، فظهرت له جملة أعمال أكب فيها على فحص ودراسة بعض الجوانب الجزئية المتصلة بقضايا السرديات، التي تفرغ لها كيليطو فشلت مشروع عمره الذي خصّه بكل وقته وجهده. ويمكن التمثيل لدراسات كيليطو التي انشغلت بجوانب جزئية من الموروث السردى بـ(المقامات السرد والأنساق الثقافية).

بدأت مسيرة كيليطو مع المقامات العربية في أول الثمانينيات مع القرن الميلادي المنصرم، حيث درس في كتابه (الأدب والغربة) ألواناً من السرد العربي القديم دراسة بنيوية، ولأن المقامة جنس سردي فقد برزت بشكل واضح في عمله، إذ حاول تلمس أدوار الرواية في مقامات بديع الزمان⁽²⁴⁾

والقول الحق إنّ كتاب (الأدب والغربة) أقرب إلى لفت النظر إلى الأجناس السردية في التراث العربي، ولعل

هذه البنية المشتركة بينها، غير أنه قاد قراءته نحو جهة أخرى، وأثر أن يقود بحثه في اتجاه آخر، فاختار مقاربة غير مباشرة، وراح يحلل نصوصاً قريبة من المقامات، ومن خلال ذلك يستطيع أن يحيط بسمات هذه المقامات الذاتية والمشاركة» (35)

وهكذا مثلت قراءة كليطو للمقامة وعياً بضرورة فهمها وتفسيرها في سياقها الثقافي والجمالي القديم، لأجل ذلك كانت النتائج التي انتهت إليها القراءة مفيدة وجديدة.

وتعلق الباحثة فاتحة الطايب أمحزون على تأويلات كليطو بقولها: «إن تأويلات كليطو لمختلف أنواع الخطاب التراثي العربي إذ تتم في إطار أمة وتقاليد أمة، تتم أيضاً من داخل تيار فكري حي يعتبر السؤال في مركز الثقافة، والقارئ المتعود على قراءة هذه التأويلات يظل مشدوداً بفعل قوة سحرية إلى النهاية، وهو يتابع بعثرة المؤول لعناصر النصوص التي يقوم بتحليلها من أجل إعادة بنائها من جديد وبصفة لانهائية» (36)

وتضيف قائلة: «ولعل ما يخلق الدهشة أساساً، هو النتيجة التي يسفر عنها دمج المؤول كليطو بين الآفاق، أي طريقة اندماج أفقه التأويلي الخاص بصفته قارئاً عربياً حديثاً واعياً بوضعيته التأويلية، مع أفق النص التراثي الذي يدرك جيداً المسافة التي تفصله عنه مما يفيد، أن دهشة القارئ تحفزها نتيجة التأويل التي تنزع عنه الإحساس بالاطمئنان لعلاقته التقليدية بالتراث من جهة، والنهايات المغمومة التي تشكك في وضوح مقصدية المؤول من جهة أخرى. فتأويلات كليطو لا تحث القارئ على طرح أسئلة حول علاقته بذاته الماضية والحاضرة فحسب، وإنما تحثه أيضاً على طرح أسئلة حول التأويل الذي هو بصدد قراءته. خالقة بذلك دينامية مزدوجة: دينامية المؤول والنص التراثي المؤول، وجدل المؤول وقارئ التأويل... هكذا وبلا نهاية...» (37)

2- عبد الله الغدامي ومقولات الإثارة والمفاجأة

/المفارقة والسخرية

رام الغدامي في بحثه الموسوم: القمر الأسود أو النص القاتل ضمن كتابه: المشاكلة والاختلاف: قراءة في النظرية النقدية العربية وبحثاً في الشبيه والمختلف، وفحصاً للمقامة

الخطاب إلى شخصيات متخيلة نجدها في حكايات كليلية ودمنة. من هنا كان على كليطو أن يبحث عن مكونات نوعية خاصة بالمقامة لعل أبرزها يتمثل في:

أولاً: «شعرية الكتابة المرموزة»؛ من المكونات النوعية التي وقف عليها الباحث ما أطلق عليه «شعرية الستار»، أو شعرية الكتابة المرموزة، حيث المعنى يتوارى "في أفق عائم، ومن أجل الوصول إليه يجب اقتحام عقبة الغريب والمجازات. «الكتابة المرموزة مبنية بشكل يحفر مسافة بين الدال والمدلول، لذا فهي بحاجة إلى عملية شاقة لفك الرمز. (30) ويضيف قائلاً: «إن شعرية الكتابة المرموزة تدفع بالناثر إلى استخدام الأشكال الأسلوبية ذاتها التي يستخدمها الشاعر، وأن يلجأ إلى القافية التي بتجزئتها لسلسلة الخطاب إلى أجزاء تتميز بفواصل ثنائية (أو أكثر أحياناً) تُدخل إيقاعاً للقراءة-الاستماع مغايراً لإيقاع القصيدة (الخاضعة لبحر محدد وقافية وحيدة) لكنه إيقاع تمليه إرادة محو الحدود بين النثر والشعر» (31)

ثانياً: «التعرف» باعتباره فعلاً سردياً أي حين يتعرف الراوي على شخصية البطل (32)؛ «التعرف» حسب الباحث عنصر أساس في المقامات وهو: «الشكل السردى الذي يتكرر بوتيرة كبيرة في المقامات مرتبط بعودة الشخصيتين الرئيسيتين. مهما يكن تنكر أبي الفتح، ينتهي الراوي دائماً إلى التعرف عليه. يفترض التعرف عبوراً من المعرفة الوهمية إلى معرفة حقيقية، لكن هذه الأخيرة ليست ممكنة إلا إذا كانت معرفة سابقة على التجربة التي جرى وصفها» (33) إن سمة التعرف التي وقف عليها كليطو هي حسب الباحث خالد بن محمد الجديع «غير صحيحة أو على الأقل هي محل نظر-على حد تعبير الأسلاف-ف هناك مقامات كثيرة لبديع الزمان ومن جاء بعده لا تعرف فيها، بل قد لا تحتوي حكاية أصلاً، ولم يستطع كليطو حتى على الرغم من الجهد الذي بذله عند الحديث عن المقامة الوحشية أن يقنعنا بوجهة نظره» (34)

يقول نادر كاظم: «لقد فتح كليطو باب البحث في البنية السردية للمقامات، غير أنه كان أكبر من أن يقع فريسة لتثبيت قراءته على هذا المظهر. فقد كان حذراً وهو يقارب تلك البنية السردية في المقامات، وكان بإمكانه أن يقارن بين الاثنين والخمسين مقامة للبديع، وينطلق من ذلك ليحلو

في سياق تحليله للمقامة الجاحظية يفترض الباحث محمد أنقار أن «المقامة الهمدانية إنما تكتسب قيمتها التجنيسية نتيجة تأجيج ذلك الصراع بواسطة المكونات التخيلية، ومن الراجح ألا يناقض هذا الافتراض التجنيسي تلك الغاية الأخرى التي كان يتوخاها جنس المقامة عامة، أي العمل المتدرج على تأصيل السرد القصصي في تراثنا العربي»⁽⁴²⁾.

لقد انتهت قراءة أنقار إلى التأكيد على أن صناعة المقامة لم تكن لتقوم دون مراعاة الرتبة الحضارية التي كان يحظى بها الشعر في القرن الرابع؛ «لذلك خرجت المقامات من بين يديه مثل سبيكة فريدة، فيها من روح الشعر نصيب، ومن استشراف فنون المستقبل نصيب»⁽⁴³⁾.

نص المقامة الجاحظية⁽⁴⁴⁾:

«حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَثَارَتْنِي وَرَفَقَةٌ وَلَيْمَةٌ فَأَجَبْتُ إِلَيْهَا، لِلْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أَهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ" فَأَقْضَى بَيْنَا السَّيْرُ إِلَى دَارٍ.

ثُرِكتُ وَالْحُسْنُ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَجِبُ

فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَاسْتَرَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُ

قَدْ فُرِشَ بِسَاطِطِهَا، وَبُسِطَتْ أَنْهَاطُهَا، وَمُدَّ سِمَاطُهَا، وَقَوْمٌ قَدْ أَحْذَوْا الْوَقْتَ بَيْنَ آسٍ مَخْضُودٍ، وَوَرْدٍ مَنْضُودٍ، وَدَنٍ مَفْضُودٍ، وَنَآيٍ وَغُودٍ، فَصَرْنَا إِلَيْهِمْ وَصَارُوا إِلَيْنَا، ثُمَّ عَكَفْنَا عَلَى جُؤَانٍ قَدْ حَيَّاهُ، وَنَوَّرَتْ رِيَاضُهُ، وَاصْطَفَتْ جِفَانُهُ، وَاخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُ فَمِنْ حَالِكٍ يَأْزِئُهُ نَاصِعٌ، وَمِنْ قَانٍ تَلْقَاهُ فَاقِعٌ، وَمَعْنَا عَلَى الطَّعَامِ رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْخَوَانِ، وَتُسَفِّرُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ، وَتَأْخُذُ وَجُوهَ الرُّغْفَانِ، وَتَقْفُ غَيُونَ الْجِفَانِ، وَتَرْغَى أَرْضَ الْحِيرَانِ، وَتَجُولُ فِي الْقَصْعَةِ، كَالرَّحَى فِي الرُّفْعَةِ، يَرْحُمُ بِاللُّقْمَةِ اللَّقْمَةَ، وَيَهْزِمُ بِالْمَضْغَةِ الْمَضْغَةَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَاكِتٌ لَا يَنْسُ بِحَرْفٍ، وَنَحْنُ فِي الْحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ، حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ الْجَاحِظِ وَخَطَابَتِهِ، وَوَصَفِ ابْنِ الْمُفَقِّعِ وَذَرَابَتِهِ، وَوَأَفَقَ أَوَّلَ الْحَدِيثِ آخِرَ الْخَوَانِ، وَزَلْنَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ؟ فَأَحْذَنَّا فِي وَصْفِ الْجَاحِظِ وَلَسْنِهِ، وَحُسْنِ سَنَنِهِ فِي الْفَصَاحَةِ وَسُنَنِهِ، فِيمَا عَرَفْنَاهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ لِكُلِّ عَمَلٍ

البشرية بحيث تكشف المقاربة منذ مفتحتها عن السر الذي دفع هذا الناقد لاختيار هذه المقامة فهي عنده "مقامة فريدة ومثيرة، فيها خصائص تميزها عن سواها من المقامات، مثلما أنها تنطوي على أسئلة هامة تهتم الباحث في نظرية الإبداع، وفي التداخل النصوسي، وتكشف عن وجوه مثيرة من وجوه المشاكلة والاختلاف⁽³⁸⁾

يحاول الغدامي أن يستمع إلى صوت النص، فيقرر-

بداية- أن الوظيفة السردية تحتل المقامة وتطغى عليها، وفي مقابل ذلك يتراجع الإيقاع، وأن الاتكاء على الأحداث والتكرار عليها كان نتيجة تعويضه لفقد عنصر البطل فيها⁽³⁹⁾

وهكذا، يحاول الباحث من منظور تأويلي تنشيط

التركيب وملء بياض النص من خلال التركيز على دلالة الفعل الناقص الذي صدرت به المقامة «كان بشر بن عوانة صعلوكا» ناقلا الحركات الإعرابية النحوية إلى أفعال دلالية مصيرية يسقطها على بشر⁽⁴⁰⁾

وتبعاً لهذا يحرض الفعل الغائب-الذي أعقب الجملة

الفاصلة- هذا الناقد على مزيد من التأويل والتساؤل يصل بعده إلى أن «هناك فضاءات دلالية يضرها النص، حيث ترك لها فراغا داخليا تتحرك فيه وتتوالد في ظله»⁽⁴¹⁾ وقد تبه الغدامي في تحليله للمقامة البشرية إلى بعض سمات المقامة التي تجعل بلاغتها مختلفة عن بلاغة الشرحيث بين الباحث أنها تتجه إلى الإثارة والمفاجأة والمفارقة والسخرية مستخدمة لذلك أساليب اللغة وحيلها بالإيقاع والسرد. يحدث ذلك في زمن أدبي عربي اشتهر وعرف بأنه زمن البلاغة والبدیع، وهذا هو المزاج الثقافي للعصر.

2- ج نص المقامة بوصفه نصا قارئاً/ شارحاً: (محمد

أنقار/محمد مشبال)

(تجليات التوتر التجنيسي بين الشعر والنثر: قراءة

في المقامة الجاحظية)

«التوتر البنيوي الذي يحدث في عمق المقامة

الهمدانية بين شتى أجناس الأدب، وتخصيص الصراع بين جنسي النثر والشعر»

محمد أنقار: تجنيس المقامة

رَجَالٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ دَارٍ سَكَّانٌ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ جَاحِظٌ، وَلَوْ ائْتَقَدْتُمْ، لَبَطَلَّ مَا اَعْتَقَدْتُمْ، فَكُلُّ كَشْرٍ لَهُ عَنْ نَابِ الْإِنْكَارِ، وَأَشْمَ بِأَنَّ فِي الْإِنْكَارِ، وَضَحِكْتُ لَهُ لِأَجْلِ مَا عِنْدَهُ، وَقُلْتُ: أَفِدْنَا وَزِدْنَا، فَقَالَ: إِنَّ الْجَاحِظَ فِي أَحَدِ شَقِيّ الْبَلَاغَةِ يَقْطِفُ، وَفِي الْآخَرِ يَقْفُ، وَالْبَلِغُ مَنْ لَمْ يَقْصِرْ نَظْمُهُ عَنْ نَثْرِهِ، وَلَمْ يُزِرْ كَلَامُهُ بِشَعْرِهِ، فَهَلْ تَرُوُونَ لِلْجَاحِظِ شَعْرًا رَائِعًا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَهَلُّهُوَ إِلَى كَلَامِهِ، فَهُوَ بَعِيدُ الْإِشَارَاتِ، قَلِيلُ الِاسْتِيعَارَاتِ، قَرِيبُ الْعِبَارَاتِ، مُنْقَادٌ لَغَرَيَانِ الْكَلَامِ يَسْتَعْبِلُهُ، نَفُورٌ مِنْ مُعْتَصِيهِ يُهْمِلُهُ، فَهَلْ سَبَّغْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً، أَوْ كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ؟ قُلْنَا: لَا، فَقَالَ: هَلْ تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يُخَفِّفُ عَنْ مَنَكِبَتِكَ، وَيَنْبِغُ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، قَالَ: فَأَطِيقُ لِي عَنْ خُنْصِرِكَ، بِمَا يُعِينُ عَلَى شُكْرِكَ، قُلْنَا: رَدَائِي، فَقَالَ:

لَعَبْرَ الَّذِي أَلْقَى عَلَيَّ ثِيَابَهُ

لَقَدْ حُشِيَتْ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهٍ مَجْدًا

فَتَى قَهْرُهُ الْمَكْرُمَاتِ رِدَاءَهُ

وَمَا ضَرَبَتْ قِدْحًا وَلَا نَصَبَتْ نَزْدًا

عَدَّ نَظْرًا يَا مَنْ حَبَانِي ثِيَابَهُ

وَلَا نَدْعِ الْآيَاتِ تَهْدِيْمُنِي هَذَا وَقُلْ لِلأَوَّلَى إِنَّ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضَحَى وَإِنْ طَلَعُوا فِي غَمَةٍ طَلَعُوا سَعْدًا صَلُّوا رَحِمَ الْعُلْيَا، وَبَلُّوا لَهَائِهَا فَحَيَّرَ النَّدَى مَا سَحَّ وَابْلَهُ نَفْدًا. قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَارْتَاخَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَيْهِ، وَانْتَالَتِ الصَّلَاتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَمَّا تَأَسَّنَا: مِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذَا الْبَدْرِ؟ فَقَالَ:

سَكَنْدَرِيَّةُ دَارِي ... لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي

لَكِنَّ لَيْلِي بَنَجِدٍ ... وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي

لعل أهم خلاصة انتهى إليها الباحث محمد مشبال هي أن بلاغة نثر الجاحظ لم تكن تتسم بسمات الشعر؛ أي إنها بلاغة تشكلت في سياق مخالفتها للبلاغة الشعرية وإنشاء بلاغة أخرى، على نحو ما ستكشف عن ذلك مجموعة من القراءات الحديثة لنثر الجاحظ⁽⁴⁾.. والحق أن هذه البلاغة التثريّة المتميزة عن البلاغة الشعرية، هي التي لفتت نظر القدماء بانزياحها عن معايير تلقيهم الأدبي؛ حيث أشاروا إلى جملة من السمات في نثره تثبت خصوصية هذه البلاغة التي قامت على التناقض والهزل والحجاج والعري والموسوعية⁽⁴⁵⁾.

ولعلنا نستطيع أن نخلص من مجموع هذه القراءات إلى أن بلاغة مقامات الهمذاني قامت على مكونات أساسية لعل أبرزها هي:

- «التعرف» باعتباره فعلا سرديا أي حين يتعرف الراوي على شخصية البطل؛ ففعل «التعرف» عنصر أساس في المقامات وهو: «الشكل السردى الذي يتكرر بوتيرة كبيرة في المقامات مرتبط بعودة الشخصيتين الرئيسيتين. مهما يكن تنكر أي الفتح، ينتهي الراوي دائما إلى التعرف عليه»

- «شعرية الستار»، أو «شعرية الكتابة المرموزة»، حيث المعنى يتوارى في أفق عائم، ومن أجل الوصول إليه يجب اقتحام عقبة الغريب والمجازات.

- خاصية تجنيسية تتمثل في احتدام الصراع بين الشعر و/النثر، التوتر بين الشعر والنثر عطفًا على تهجين الأسلوب النثري، واعتماد الشعر بعده وسيلة تصويرية متجانسة تجانسا مطلقا مع الوسيلة النثرية المضادة.

- التوسل بالسجع والقافية والتصرع والترصيع من حيث هي مكونات مستمدة من موسيقى الشعر الخارجية. -الإثارة والمفاجأة والمفارقة والسخرية.

-خاصية نبوية؛ حيث تقوم المقامة على مكونين أساسين: أولهما: راو يقوم بوظيفة الإخبار. وثانيهما: بطل يقوم بفعل مهم. ويتكون المثن الحكائي من تفاعل الراوي والبطل؛ أي من الرواية والحكاية، والعلاقة التي تربطهما⁽⁴⁶⁾.

-تستحضر المقامة البنية التقليدية للحديث النبوي الشريف والملحمة الروائية، والسيرة، ذلك أن معظم المقامات تبدأ بذلك التوكيد: «حكى لنا/لي، عيسى بن هشام فقال: (...) وهو موجود في الأحاديث النبوية الشريفة⁽⁴⁷⁾.

خلاصة

لعل ما أثير في هذه الدراسة من أفكار يسمح ببيان أن التراث العربي لا يثنى إلا بالوقوف على مسأله وفق رؤى، وأدوات تستمد من أصول معرفية أثبتت الممارسة النقدية جدتها في تفحص كثير من الإشكالات التي تثار من حول الإبداعات الكبرى، إيماناً منها أن الفكر النقدي هو الذي يثير السؤال أكثر من ادعاء القول الفصل فيها ابتداءً عن المعيارية، والأخذ بالنسبية التي أصبحت القاعدة الأساس التي يتبناها الفكر المنهجي، وبذلك أدرك النقد العربي

الحديث ؛ وهو يقارب مقامات الهمذاني وفق رؤى مختلفة (سياقية ، ونسقية) ، أن هذه المقاربات لا يمكن أن تتحقق إلا باستيعاب المفاهيم الكبرى للقراءة الحديثة في مظانها الغربية.

لقد كانت مقامات الهمذاني كما مر بنا موضوع مقاربات نقدية متعددة ، وكل هذه المقاربات أجهدت نفسها في مدارستها ، وحاولت الاقتراب من عالمها ، بأدوات إجرائية مختلفة اختلاف المنطلقات المعرفية والأدوات الإجرائية التي تنبناها ، مما أعطى ثراءً نقدياً وشجّع الخطاب النقدي العربي الحديث على محاولة الاجتهاد ، الاجتهاد الذي أدرك أن مقامات الهمذاني رسالة ذات شفرات غير محددة تحديداً يقينياً ، بل هي نصوص تخترق الزمن لتعيش في اللازمان ، وأن أصلاتها نابعة من تفتحها لكل قراءة جادة تحاول أن تتعامل مع بنيتها الداخلية بأدوات فيها من الجدة والأصالة ، لتفك شفراتها دون السقوط في المعيارية ، وإنما تعمل من أجل طرح السؤال لتنبثق منه أسئلة متعددة.

وهكذا ، فإذا كانت تلك الدراسات تعدّ امتداداً للحوار الفكري والعلمي مع الثقافات الأجنبية وهو حوار متواصل منذ قرون ، فإنها لا بد أن تتأثر بالطرف الثاني في الحوار (الغرب) سلبي وإيجاباً ؛ فهي من جهة ، من قبيل التجريب النقدي والعلمي ؛ إذ إنها تعكس رغبة قراء الهمذاني/ التراث في تجديد أدواتهم وفي مواكبة التطورات والمستجدات العلمية والمنهجية قصد تقريب النصوص وكشف قيمها الفنية ومواقفها الفكرية والفلسفية والإيديولوجية وغير ذلك من المهام التي ينبغي أن يضطلع بها الناقد والباحث. ومن جهة ثانية ، لا بد أن تكون محكومة بقيود وعيوب المنهج المطبق ، موسومة بنواقصه وثغراته

هكذا ، لا نجانب الصواب إذا قلنا: إن قراءة النصوص ينبغي أن تتم انطلاقاً من الفترة التاريخية المعاصرة للدارس ؛ أي "الحاضر الراهن" لا "الحاضر الماضي" ، مع مراعاة السياق العام الذي تشكل النص في إطاره ؛ كما لا يمكن للتأويلات أن

تكون على حساب حقيقة النص ، بل يجب أن تستنطقه وتبحث عن حفريات المشكلة له.

إلى جانب ذلك ، تبقى ضرورة البحث في النص عن ما يقوله ، بالإحالة إلى انسجامه السياقي الخاص ، وإلى حالة الأنساق الدلالية التي تشكل مرجعيته ، وعن ما يجده المرسل إليه destinataire بالإحالة إلى أنساقه الدلالية الخاصة لهذا السبب كان من اللازم عدم الالتزام بالظاهر النصي ، وإلا صارت دراسة التراث لذاته ، وتحوّل إلى نص ميت. فما يهم من مجموع النصوص التراثية هو المستوى الصامت والمسكوت عنه فيها ؛ خصوصاً أن النص يمارس ، دائماً ، عملية التغييب والإظهار ، الخفاء والتجلي. ذلك أنه عالم من الرموز المنتظمة والمفكر فيها سلفاً. فهو يخضع للتأمل والبحث ، كما أنه يشحن بوعي يسعى إلى مجاوزة المرحلة.

ففي النصوص التراثية فجوات أو ثغوب — على حدّ تعبير إيزر و إيكو — ينبغي ملؤها أثناء عملية القراءة ، ومن هنا ، تأتي الأهمية القصوى التي يتمتع بها فعل القراءة والتأويل.

إن كل من يريد فهم النص التراثي لا بد أن يحمل مشروعاً ؛ بمعنى أن مقارنة هذه النصوص ، خاصة تلك التي تتمتع بخصوصيات نوعية تفترض في العمق مشروعاً تحديثياً. إن التراث يبدأ في الاشتغال ، منذ اللحظة التي يبدأ فيها فعل القراءة بمساءلة نصوصه واستقراءها والكشف عن خلفياتها وموجهاتها. إذ القراءة تجلية وتحيين Actualisation ، وبهذا تكون دراسة النص التراثي ، كيفما كانت طبيعته ، هي تفكيك له وتبسيط للضوء على البنيات المشتغلة فيه ، ورصد تحركاتها وطرائق اشتغالها. وهي عملية لا تكون هدفاً في ذاتها بقدر ما تشكل العتبة التي بواسطتها يتمكن الدارس للتراث من فهم النص وآلياته ، كما تقتضي من جانب آخر فعل التأويل. فما هي الآليات التي يمكن توظيفها في عملية تأويل النصوص التراثية ؟

الهوامش

- (1)- عبد الواحد التهامي العلمي: قراءة السرد العربي القديم بين وهم المماثلة و مبدأ المغايرة ، مجلة عالم الفكر ، العدد 1 يوليو-سبتمبر 2012 ، المجلد 41 ، ص 93
- (*)- للوقوف على تفاصيل هذا المشغل راجع: سلام رفعت ، بحثا عن التراث العربي ، نظرة نقدية منهجية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1989 ، ص 15 - 25 . ووقفا على كون التراث مفهوما مشكلا تتعدد مقارباته وتتنوع منطلقات النظر فيه راجع تمثيلا لا حصرا المؤلفات الآتية:
 - حردان ، نواف: صانعو تراثنا الثقافي الحضاري ، دار الحداثة ، ط 1 ، 1996 .
 - عبد الرحمن طه: تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1994 .
 - تيزيني طيب: من التراث إلى الثورة ، دار دمشق ودار الجبل ، دمشق ، بيروت ، ط 4 ، دت .
 - حنفي حسن: التراث والتجديد ، المركز العربي للبحث والنشر ، القاهرة ، ط 1 ، 1980 .
 - شكري غالي: التراث والثورة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 2 ، 1979 .
 - طرايشي جورج: المثقفون العرب والتراث ، التحليل النفسي لعصاب جماعي ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط 1 ، 1991 .
 - أحمد رحيم كريم الخفاجي: التراث النقدي العربي والتقوليل الحداثي المعاصر ، رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية / أدب ، مخطوط (وقد طبعت ببيروت) ، جامعة بابل ، كلية التربية ، إشراف قيس حمزة الخفاجي ، نوقشت سنة 2009 .
- (2)- محمد عابد الجابري: التراث والحداثة ، دراسات ومناقشات ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1991 ، ص 24 ، حيث نجد صدى هذه الفكرة ووقعها.
- (3)- ينظر: خالد سليكي: التراث وأنماط القراءة ، مجلة جذور ، النادي الثقافي ، جدة ، السعودية ، ج 1 ، مج 1 ، ع 1 ، 1419 هـ-1999 م: ص 10 . و ينظر أيضا: أحمد رحيم كريم الخفاجي: التراث النقدي العربي والتقوليل الحداثي المعاصر .
- (4)- ينظر: المرجع نفسه ، ص 12 .
- (5)- المرجع نفسه ، ص 15 .
- (6)- ينظر: المرجع نفسه ، ص 15 .
- (7)- ينظر: المرجع نفسه ، ص 16 .
- (8)- المسدي عبد السلام: التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ط 1 ، 1981 ، ص 20 .
- (9)- عباس أرحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، ط 1 ، 1999 ، ص 50 - 51 .
- (10)- حسين جمعة: المسبار في النقد الأدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم وللتناص) من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003 ص 8-9
- (11)- صلاح الدين ززال: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، منشورات الاختلاف ، ط 1 ، 2008 ، ص 31 .
- (12)- ينظر: البلاغة والسرد ، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي ، تطوان - المغرب ، 2010 ، ص 35 .
- (*)- المهامة بالفتح : المجلس ، والجماعة من الناس ، والمجلس في الأكثر تدور فيه أحاديث للمسامرة ، وقد كانت للعرب قبل الاسلام مجالس سمر يتحدثون فيها بقصص الجن والحيوان ويتحدثون بالمواعظ والأمثال . وفي العصر الإسلامي نجد شخصا يقوم في هذا المجلس بين يدي خليفة أو غيره ويتحدث واعظا . وتستخدم المهامة بمعنى المحاضرة ، وقد عقد ابن قتيبة (ت 276 هـ) فصلافي كتابه (عيون الأخبار) بعنوان (مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك) أورد فيها عشر مقامات ، وهي مواضع يقف فيها الراوي أمام الخليفة لنصحه وإرشاده . وأصبحت المهامة فيما بعد مصطلحا أدبيا تطلق على نوع من الكتابة الفنية على شكل أقصوصة منهقة في ألفاظها وأسلوبها ، فيها شيء من الحوار ، وتعتمد في الأكثر على راو واحد وبطل أديب متحایل ، يراد بها وصف حالة نفسية ، أو مفارقة أدبية ، أو مسألة دينية ، أو قضية علمية ، وتنطوي على لون من ألوان النقد ، أو التهكم والسخرية . أو التصحيح والتقويم ، أو الثورة ، ويعد بديع الزمان الهمذاني أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء . إلا أن الذين أرخوا للأدب من المحدثين قد تضاربت أراؤهم في تعيين مبتدع المقامات فالرأي الأول يقول : إن الجاحظ (ت 255 هـ) هو المنشئ الأول لها في رسالته (الترييع والتدوير) أو في رسالته (صناعات القواد) ، ورأي ثان يقول : إن أبا بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت 321 هـ) هو مبتكرها والسابق لها ، ورأي ثالث يقول : أن المبتكر الأول لها هو أحمد بن فارس اللغوي (ت 390 هـ) أستاذ بديع الزمان ، ورأي آخر يرى أن أبا حيّان التوحيدي (ت 414 هـ) ابتدئها وأنشأها . إلا أن بديع الزمان كان أديبا عالما ، مثقفا بثقافة كبيرة مستوعبا أكثر الكتابات التي أنشأها السابقون ، وفكرة المقامات بصيغتها وشكلها المعروف هو صاحبها ، ويعود له الفضل في إعطائها المعنى الاصطلاحي بين الفنون الثرية في الأدب العربي .
- (13)- محمد مشبال: عن تحولات البلاغة ، مجلة بلاغات ، العدد 1 ، 2009 ، المغرب ، من ص 11 إلى ص 21 .
- (14)- عبدالفتاح كيليطو: المقامات السرد والأنساق الثقافية ترجمة عبد الكبير الشرقاوي ، دار توبقال للنشر ، ط 2 ، 2001 ص 179 .
- (15)- شوقي ضيف: المهامة ، سلسلة فنون الأدب العربي ، دار المعارف ، ط 4 ، ص 8 .
- (16)- المرجع نفسه ، ص ن
- (17)- ينظر: عبد الواحد التهامي العلمي: قراءة السرد العربي القديم بين وهم المماثلة ومبدأ المغايرة ، ص 75 .

- (18) - ينظر: محمد أنقار: تجنيس المقامة ، مجلة فصول ، العدد الثالث ، 1994م ، ص10.
- (19) - محمد مشبال: عن تحولات البلاغة ، من ص11 إلى ص21.
- (20) - شوقي ضيف: المقامة ، سلسلة فنون الأدب العربي ، دارالمعارف ، ط4 ، ص 10
- (12) - يوسف الخال: دقاتر الأيام ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن 1987 ، ص11.
- (22) - أحمد أمين: فيض الخاطر(مقال بعنوان: أدب اللفظ وأدب المعنى " مكتبة نهضة مصر ، دت ، ج01 ، ص303.
- (23) - محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، والدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1999 ، ص 09.
- (24) - عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغربة ، دراسات بنيوية في الأدب العربي دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1982 ، ص 26.
- (*) - شكل الدرس الأنواعي ملمحاً ظاهراً في أعمال كيليطو ، يقول أبلاغ عبد الجليل في كتابه «شعرية النص النثري: مقارنة نقدية تحليلية لمقامات الحريري» ، شركة النشر والتوزيع ، المدارس ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2002. (ص 147): «يعتبر هاجس تحديد النوعية حاضراً بشكل لافت للنظر في بحث الأستاذ كيليطو ، ذلك أن هذه النوعية لا تتحدد لديه في البحث عن السمات المشتركة بين نصوص ذات جذور ثقافية مختلفة فقط ، وإنما كذلك بعقد مقارنات تحليلية نصية بين نصوص تقترب شكلياً من المتن المقامي».
- (25) - عبد الفتاح كيليطو: المقامات السرد والأنساق ، ص 08. الكتاب في أصله رسالة دكتوراه وتمثل أما مدونة كيليطو في هذه الأطروحة فتتمثل في نتاج الهذاني ، وابن شرف القبرواني ، وابن بطلان وابن نايقا والحريري. أي مقامات ق4 و5 هـ.
- (26) - عبد الفتاح كيليطو: المقامات السرد والأنساق ، ص 25.
- (27) - المرجع نفسه ، ص 62.
- (28) - المرجع نفسه ، ص 05.
- (29) - نادر كاظم: المقامات والتلقي: بحث في أنماط التلقي لمقامات الهذاني في النقد العربي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2003. ص393-394..
- (30) - عبد الفتاح كيليطو: المقامات السرد والأنساق ، ص 75.
- (13) - المرجع نفسه ، ص ن
- (32) - المرجع نفسه ، ص 102
- (33) - المرجع نفسه ، ص ن
- (34) - خالد بن محمد الجديع: الدراسات السردية الجديدة ، قراءة المقامة أنموذجاً ، دراسة علمية محكمة ، صادرة عن ، مركز كلية بحوث الآداب ، عمادة البحث العلمي ، جامعة الملك سعود ، 2007 ، ص 27.
- (35) - نادر كاظم: المقامات والتلقي: ص 403.
- (36) - فاتحة الطاييب أمحزون: رهنات تأويل الخطاب التراثي العربي ، تأصيل الكيان من المنظور الحوارى ، الندوة الدولية الثانية: قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة ، بحوث علمية محكمة ، 2014 ، جامعة الملك سعود ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها (نسخة الكترونية). ص 128 .
- (37) - المرجع نفسه ، ص ن
- (38) - عبد الله الغدامي: المشاكلة والاختلاف: قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه والمختلف (القمر الأسود أو النص القاتل) ، ط 01 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء 1994 ، ص 147.
- (39) - المرجع نفسه ، ص 154
- (40) - المرجع نفسه ، ص 155
- (41) - المرجع نفسه ، ص 159
- (42) - محمد أنقار: تجنيس المقامة ، بحث أنقار عن تأصيل المكونات النوعية لجنس المقامة ؛ حيث سعى إلى اكتشاف "سمات تكوينية جوهرية" لم يلتفت إليها الدارسون السابقون ولم يولوها أي اهتمام وهي احتدام الصراع بين الشعر والنثر الموجود في صلب المقامة.
- (43) - المرجع نفسه ، ص 18.
- (44) - بديع الزمان الهذاني: المقامات ، بشرح محمد عبده ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ص 79-81. وينظر أيضاً: بديع الزمان الهذاني: شرح مقامات بديع الزمان الهذاني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت ، ص 87-88.
- (*) - خاصة قراءات من قبيل : قراءة شوقي ضيف ، وزكي نجيب محمود ، وعبد الفتاح كيليطو ، ومصطفى ناصف.
- (45) - محمد مشبال: البلاغة والسرد ، ص 109-110.
- (46) - عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1992 ، ص 185
- (47) - جيمس توماس مونرو : فن بديع الزمان الهذاني وقصص البيكاريسك ، مجلة فصول ، المجلد 12 ، العدد 3 ، خريف 1993 ، ص 153-154.

الأنسنة، الابستمية والإسلام، أركون في سياق الكونية

The Humanization, Episteme and Islam, Arkoun in the context of cosmic

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-11-05

عبد المالك عيادي، جامعة الجزائر 2

ayadiabdelmalek77@gmail.com

الملخص

تمثل الإسلاميات التطبيقية جانبا مهما من مشروع "أركون" الإصلاحية للعقل الإسلامي، لذلك تطلب منه الأمر لتحقيق هذه المهمة الاستناد إلى مجموعة من المناهج التي تعتمد عليها العلوم الإنسانية منها الألسنية والتاريخية والابستمولوجية والجينالوجية والايتمولوجية والأركيولوجية والبنوية والتفكيكية وغيرها من المناهج الأخرى، من هنا استند إلى النصوص الدينية بما فيها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتعامل معها خارج إطارهما التقديسي ووفقا للسياقات التي صنعتها؛ ذلك لأن القداسة هي العائق الأول الذي يحول بيننا وبين الفهم الصحيح لديننا وتاريخنا وثقافتنا - كما يرى أركون - كونها تشكل سياجا دوغمائيا يغلف تاريخنا وهو ما يجعله عرضة للزيف والأخطاء. إن الحضور المحتشم الذي ظهر به النقد في البيئة الإسلامية الحديثة واحتكار رجال الدين لفهم النصوص المقدسة هو ما يسميه أركون بالأرثوذكسية الإسلامية وهو ما ينبغي علينا تجاوزه والعودة إلى التراث الإسلامي في نظر أركون للحفر في طبقاته لاكتشاف ما تم نسيانه أو إهماله أو استبعاده، وهو ما وجدته في إسلام القرنين التاسع والعاشر للميلاد بالخصوص مع جيل "مسكويه" و"التوحيدي" وغيرهم في مجال الأنسنة والابستمية والنقد والنقاشات العلمية المحتمدة التي ميزت هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: الأنسنة، الابستمية، الإسلام، الأرثوذكسية، الدوغمائية.

Résumé

Pour "Arkoun", l'Islam appliqué représente un aspect important du projet de la réforme de l'esprit islamique. Par conséquent, il est nécessaire d'accomplir cette tâche en s'appuyant sur un ensemble d'approches critiques sur lesquelles les sciences humaines, notamment l'Histoire, l'épistémologie, la généalogie, l'étymologie, l'archéologie, le structuralisme, le déconstructivisme et d'autres approches, reposent sur le Saint-Coran, et sur la "sunna" du noble prophète, et les a traités en dehors de leur cadre de consécration et conformément au contexte qui les a créés, c'est que la sainteté est le premier obstacle qui nous empêche de bien comprendre notre religion, notre histoire et nos culture - comme Arkoun le voit -, elle constitue une clôture dogmatique qui enveloppe notre Histoire et la rend vulnérable au mensonge et aux erreurs. La présence faible de critiques dans l'environnement islamique moderne et la monopolisation des textes sacrés par le clergé sont appelés par "Arkoun" l'Orthodoxie Islamique, fait que nous devons dépasser en revenant à l'héritage islamique pour fouiller dans ses couches et découvrir ce qui a été oublié, négligé ou exclu. C'est ce qu'il a trouvé dans l'islam aux neuvième et dixième siècles avec la génération de "Miskawayh" et de "Tawhidi" et d'autres dans le domaine de l'humanisme, l'épistémè, la critique et les débats scientifiques ayant caractérisé cette période.

Mots-clés : Humanisme, Epistémè, Islam, Orthodoxie, Dogmatisme.

Abstract

Applied Islam represents an important aspect of the "Arkoun" reform project of the Islamic mind. Therefore, it is required to achieve this task relying on a set of critical approaches on which the human sciences, including history, epistemology, genealogy, etymology, archeology, Structuralism, Deconstructivism and other approaches rely, where he depended on the Holy "Quran" and "the Sunnah" of the Noble Prophet, and dealt with them outside their consecrating framework and in accordance with the contexts that created them, that is because holiness is the first obstacle that prevents us from the correct understanding of our religion, history and our culture - As Arkoun sees -, it constitutes a dogmatic fence enveloping our history which makes it vulnerable to the falsehood and errors. The poor presence of criticism in the modern Islamic environment and the monopolization of the holy texts by the clergy is what "Arkoun" calls Islamic Orthodoxy, which we must overcome and return to the Islamic heritage to excavate in its layers to discover what has been forgotten, neglected or excluded. This is what he found in Islam in the ninth and tenth centuries with the generation of "Miskawayh" and "Tawhidi" and others in the field of humanism, Episteme, criticism and scientific debates that characterized this period.

Keywords: Humanism, Episteme, Islam, Orthodoxy, Dogmatism.

مقدمة

يأتي هذا البحث الأنسنة، الاستمسية والإسلام، أركون في سياق الكونية ضمن مشروع "محمد أركون" (1928-2010) الاستمولوجي في قراءته للتراث العربي الإسلامي، يعني قراءة هذا التراث بما فيه القرآن الكريم والسنة النبوية قراءة استمسية، وهو المشروع الذي يندرج في إطار ما يسميه "أركون" بالإسلاميات التطبيقية، كما أنه بحث في الشروط الاجتماعية، والتاريخية، والنفسية، واللسانية... عبر أدوات وآليات معرفية مصدرها العلوم الإنسانية والاجتماعية كاللغوية، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، والهيرمينوطيقا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع... بواسطتها يفتح العقل الإسلامي أقفال التراث الفكري والديني الذي لا يزال مكبلاً ومغلفاً بمعرفة دوغمائية مشرعة تحول دون الكشف عن مضامينه الاستمولوجية والأنثروبولوجية ودوافعه الترميمية سلطوباً.

إن إقحام "أركون" ضمن سؤال الكونية في تقديرنا هو نتيجة نظرته للإسلام، والتي كانت عالمية فهو لا يتحدث عن إسلام المعتزلة، أو الشيعة، أو السنة، أو الفلاسفة، أو المتصوفة... فهو لا يقصي أي شكل من هذه الأشكال، كما لا يعد أي شكل من هذه الأشكال مصدراً وحيداً للمعرفة، كما لا يتحدث عن إسلام جهة أو فترة، بل يتحدث عن الإسلام خارج الدلالات المتعارف عليها في الأوساط الإسلامية، وبهذا لا يمكن أن نصل إلى الإسلام المعقول إلا بالدراسة العلمية المتأنية التي تقوم على المناهج العلمية التي تقوم عليها العلوم الإنسانية؛ كالأركيولوجيا، والجينالوجيا، والتفكيكية... من هنا لن يتأتى لنا فهما علمياً عالمياً عن الإسلام ما لم نطبّق عليه مقولات العلوم الإنسانية ضمن سياقها التاريخي والاجتماعي واللساني.. الذي صدرت منه، وهكذا جاءت مشكلة بحثنا كما يلي: كيف وظّف "أركون" المناهج النقدية للعلوم الإنسانية في الدراسات الإسلامية؟ وما حدود قابليتها لذلك؟ وهل نجحت الإسلاميات التطبيقية في إطار الأنسنة بلوغ مطلب الكونية؟

مقاربة هذه المشكلات بالاستناد للنص الأركوني موضوع بحثنا ضمن مفصلة عامة للموضوع تقوم على ما يلي:

أولاً في استمسية الدراسات الإسلامية عند محمد أركون، ثانياً

الإسلاميات التطبيقية ومأزق المقدس، ثالثاً أنسنة الدين ومطلب الكونية.

أولاً - استمسية الدراسات الإسلامية عند محمد أركون

نقصد باستمسية الدراسات الإسلامية عند "أركون" ذلك التوظيف للمناهج الغربية الحديثة والمعاصرة في حقل الدراسات الإسلامية، فقد كان استخدام مصطلح الاستمسية⁽¹⁾ في مجال العلوم الإنسانية معروفاً لدى الفيلسوف الفرنسي المعاصر "ميشال فوكو" (1926-1984) في صياغته للخطاب العلمي الصارم في كتابه "الكلمات والأشياء" الصادر عام 1966م، أو في غيره من كتاباته الأخرى التي حاول من خلالها التنقيب عن المسكوت عنه، والهامش، والمختلف، والإرجاء... في قطاعات معرفية مختلفة ظلت إلى وقت متأخر من الفترة المعاصرة من الطابوهات، وهكذا اقتحمت كتابات فوكو العيادة، والسجن، والملاجئ، والأرشفة، والجنون، والجنس، والمقدس، والذاكرة، وغيرها من الفضاءات التي حاول الحفر فيها للكشف عن طبيعة الخطاب الذي يحكمها، وما تضرره في بنياتها التحتية التي تغلفت بفعل الطبقات الرسوبية التي تشكلت عليها بفعل المركزية اللوغوسية.

إن كتب "فوكو" مثل "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" الصادر عام 1961م، أو "مولد العيادة" 1963م، أو "الكلمات والأشياء" 1966م، أو "حفريات المعرفة" 1969م، أو "نظام الخطاب" 1971م، أو "المراقبة والمعاقبة" 1975م، أو "تاريخ الجنسية" 1984م، كلها حافلة بالمنهج الأركيولوجي الذي يعمل على الكشف عن البنية التي تحكم خطاب العلوم الإنسانية، وإذا كانت هذه البنية المرجع الذي يتأسس عليه هذا الخطاب فهي من طبيعة استمسية، من هنا كان حضور الاستمسية في النص الفوكوي من خلال فتحه للأرشفة الغربي لتلميع المناطق المظلمة ضمن هذا التاريخ المغلف والمتنكر بسميات مختلفة أقيمت عليها حراسة مشددة، وهكذا ظلت مفاهيم مثل الحقيقة، السلطة، العقل، الوعي، المركز، اللوغوس... بمنأى عن النقد والشك، والريبة، وهو الدور الذي أخذه "فوكو" على عاتقه للكشف عن اللاوعي المتمظهر في صورة الوعي، يقول "فوكو": "إنني أحاول الكشف داخل تاريخ العلم وتاريخ المعارف

والمعرفة الإنسانية عن شيء ما يكون بمثابة اللاوعي... لقد حاولت الكشف عن ميدان مستقل ذاتيا، قد يكون ميدان لا وعي العلم، أو لا وعي المعرفة، وقد يملك قواعده الخاصة، مثلما يملك لا وعي الفرد البشري، بدوره، قواعده وتحدياته⁽²⁾، تلك هي سمات التحليل الأركيولوجي التي تبحث عن نقاط التماسك التي تتخفى في الاستمسية، لتحدد طبيعة الإرادات المتحركة في الخطابات.

لقد انتبه "أركون" للدور البارز الذي أدته الجينيولوجيا في الثقافة الغربية بخاصة على مستوى الدراسات التاريخية، أو ما يسميه نيتشه بالحاسة التاريخية، فالتاريخ بالمعنى الجينيولوجي ليس إصغاء للترهات أو عبادة للماضي؛ إنه البحث الأفقي الذي يقحم فيه المؤرخ الظروف والملابسات التي تشكّل فيها الحدث بعيدا عن كل توظيف تقديسي، أو إيديولوجي، وهو بلغة الفيلسوف الفرنسي المعاصر "جيل دولوز" (1925-1995) وبلغة علم النبات جدامير Rhizomes⁽³⁾، لكن في المقابل يربط "دولوز" التاريخ الميتافيزيقي كما تنسجه الذاكرة بالمسار الشجري العمودي، أين كانت صناعة التاريخ دائما وفق هذا المنطق؛ من منظور الحضر وباسم جهاز دولة موحد.

إن ما ينقصنا في نظر "دولوز" هو مذهب البداوة أو الترحال "Nomadologie"، نقيض التاريخ، أي تلك الكائنات التي من قدرها أن لا يكتبها التاريخ، هكذا تلوّث المفاهيم تاريخيا وتكلسّت عليها طبقات من الدوغمائية والقدسية عبر الأزمنة الغابرة، ولا يمكن تقطيعها إلا بتمريغها في التربة التي نشأت فيها، وهو ما يتيح لنا العودة جينيولوجيا إلى لحظة تكوّنها، من هنا جاءت أهمية الدراسات التاريخية في نظر "أركون" "كدرس جينيولوجي لتحليل مشاكلنا وتشخيصها، من هنا ينبغي أن نشجع هذه الدراسات ونؤسس ورشات جديدة، ونفكر مليا بنوعية الروابط التي يمكن إقامتها بين مختلف المجالات المدروسة بهدف تجنب هذا الضيق في التخصص... أي تكون لدينا إستراتيجية بعيدة عن التلاعبات الإيديولوجية التي تحاول فئات سلطوية خاصة فرضها لعدم خلع المشروع عنها"⁽⁴⁾، فهذه المحاولة التي تجعلنا نضفي الصبغة التاريخية على ماضيها هي ما يُصطلح عليه بالأرخنة.

كذلك من بين المناهج التي استعارها أركون ووظفها في الدراسات الإسلامية نجد تفكيكية الفيلسوف

الفرنسي "جاك دريدا" (1930-2004)، فقد كان التفكيك⁽⁵⁾ خلخلة وتصعد في البناء الذي شيدته الأنساق المعرفية الكبرى وأمنت بيقينها بهدف الإفصاح عن مضمراتها، وهو ليس تقويضا أو هدمًا كما يدل على ذلك المصطلح الفرنسي Déconstruction بقدر ما هو إعادة بناء، أو تصحيح لمسار، لذلك فالتفكيكية تنفي وجود معنى متكامل لنص من النصوص وتعمل على إزاحة هيمنة اللوغوس بتصعد المركز، لكن في المقابل بنقدها للمركزية فهي لا تعمل على تأسيس مركزية جديدة من الهامش وفق منطق الثنائيات التقليدية، إنها تعمل على رج البنية الميتافيزيقية للخطاب ذلك بتشتيته إلى أجزاء متناثرة دون أن تنتصر لأي جزء، إن التفكيك يفتح لنا طرقا جديدة في التأويل ضمن لعبة الكتابة، "إنه استراتيجية في التعرية والغربة والعزل، إنه دهاء وحكمة ومهارة في التحليل تستهدف الطبقة التحتية، وبالأحرى الطبقات الملتهمة والمتشابكة"⁽⁶⁾. هذا المنهج، أو بالأحرى هذه الإستراتيجية في الممارسة التفكيكية بإمكانها إزاحة التكلسات المترامية في جسد النص الديني الإسلامي بالمفهوم الأركوني، فقد تراكمت التأويلات وتزاحمت في فضاء مغلق بالسياج الدوغمائي، لم تثمر إلا مذاهب أرثوذكسية متزمتة.

هذا، وقد شكّلت العودة إلى الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه" (1844-1900) من أوليات القراءة الأركونية للدراسات الإسلامية، باعتبارها عودة لمصدر الأقطاب الفلسفية الثلاثة التي ذكرناها آنفا -- فوكو، دولوز، دريدا -- بحسب استفادة أركون منها وتوظيفه لها، هذه الأقطاب التي شكّل نيتشه مرجعا مهما لها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى عودة للمنهج الجينيولوجي الذي استعاره منه أركون ووظفه بشكل أوسع في نصوصه؛ فالجينيولوجيا منهج استعاره "نيتشه" نفسه من علوم أخرى كعلم الحياة في مجال علم النبات، والدراسات التي تهتم بالأسلاف والسلالات ليوظفه في فلسفته كمنطقة يهدّم بها الأصنام التي دأب الإنسان الحديث والمعاصر على عبادتها، وهي كثيرة أصنام في العقل، والدين، والميتافيزيقا، والأخلاق، والسياسة، والثقافة، والعلم، والفن.. إن الجينيولوجيا باعتبارها بحث في الأصل؛ هذا البحث ليس تقديسا للأصل على شاكلة الميتافيزيقا، فالجينيولوجي لا ينظر للماضي إلا للاستخفاف به. إن الجينيولوجي لا يؤمن بالسر العظيم وراء الأشياء على شاكلة

"فرض المستشرقين لأي انخراط إبستيمولوجي في موضوع دراستهم واكتفائهم فقط بتجميع المعلومات الوصفية... إن رفض المؤرخ الحديث، وعالم الأنثروبولوجيا، وعالم الاجتماع، وعالم النفس، والناقد الأدبي، وعالم السيميائيات، أو الدلالات، أن يحدّدوا التحديات التي يطرحها علينا الخطاب النبوي، وأن يرتفعوا إلى مستواها أو يردوا عليها. يؤدي في النهاية إلى إفقار هذه العلوم بالذات" (10)، فالاستشراق سواء لأغراض امبريالية توسعية أو لأغراض إيديولوجية اعتقادية تحطّ من شأن الوحي وتحتقره في إطار الوضعية فهو لم يتجاوز حدود المنهجية الفيلولوجية الوصفية، فمع أن له الفضل في تحقيق تقدّم في الدراسات العلمية أو التاريخية عن القرآن، لكنه عجز عن استغلال هذه المعلومات من أجل القيام بتفكيك الانغلاقات التراثية الزمنية ونقد العقل الديني، أما نقده من جهة البيئة الإسلامية فهي تعاني من ضعف مستواها المعرفي، إذ "لا يزال المسلمون يفرضون على أنفسهم الكثير من أنواع البتر والردع والمحرمات، إلى حد أنهم يصابون بالشلل المعرفي أو الفكري. وهذا ما يزيد من تبعيتهم ومن تأخر الدراسات القرآنية عندهم في آن معاً. فالدراسات التي قدموها عن القرآن منذ القرن التاسع عشر ليس لها أهمية كشفية أو معرفية بقدر ما لها أهمية وثائقية" (11).

إن ما يبحث عنه "أركون" في هذه العودة للتراث الإسلامي ليس التفوق فيه كما في حالة الاستشراق الكلاسيكي، أو نظرة الفقهاء المسلمين المعاصرين - الذين يعتبرون أن الدين الإسلامي مكتمل يعلو فوق كل نص، وكل قراءة، وأننا لم نتجاوز عصر المفسرين الأوائل للقرآن الكريم -، كما أنه ليس إقصاء لهذا التراث بتجاوزه واعتباره ليس شيئاً ذا أهمية، بالتالي ينبغي تجاوزه، فمحاولة أركون ليست مصادرة لهذا الواقع والذوبان في التيار الاستشراقي الذي يلغي هذا التراث ويحطّ من قيمته كما يتهمه بعض الأصوليين بذلك، إنما تأتي محاولته هذه لتنوير هذا الإرث وقلبه وفق مقتضيات العلوم الحديثة، والمناهج النقدية المعاصرة التي استفادت منها علوم كثيرة. لقد وظّف "أركون" الاستمسية على التراث الإسلامي ليكشف عن البنية التحتية التي يتأسس عليها هذا الخطاب باعتبارها تمثّل نظام الفكر، وهنا يفصل النص عن حالة القداسة التي تحيط به بهدف دراسته دراسة إبستيمية، وهو ما يدخل في نطاق ما يسميه "أركون"

الميتافيزيقا وما يقوم به هو نزع حالة القداسة المحيطة بالأشياء للوقوف على طبيعتها والانتصار للحياة، وهو ما طبقه نيتشه في الأخلاق والديانة المسيحية على وجه الخصوص. يقول نيتشه في كتابه "أقول الأصنام": "إن الأخلاق المضادة للطبيعة، أي تقريبا الأخلاق الملقنة، الممجدّة، المنصوح بها إلى هذا اليوم، تسير، على العكس تماماً، ضد غرائز الحياة..." (7).

هذا، وإذا كان مضمون هذا العمل تاريخياً فإن المنهج الذي يحقق لنا ذلك هو ما يصطلح عليه بالجينالوجيا بالمعنى العام للكلمة، لذلك تأتي أهمية الجينالوجيا في طبيعة المسارات التي تسلكها، فهي لا تبحث عن الشرعية، ولا هي تريد أن ترسم مساراً مستقيماً للتاريخ؛ يقول نيتشه: "إن تطوّر شيء من الأشياء أو عرف من الأعراف أو عضو من الأعضاء، ليس كناية عن تقدم تدريجي يجري نحو هدف من الأهداف إطلاقاً، ولا هو أيضاً تقدم تدريجي منطقي ومباشر يصل إلى غايته بما تسير من القوى والتكاليف، بل هو تتابع دائم لعدد من ظاهرات التذليل والإخضاع المتفاوتة في مدى عنفها ومدى استقلالية الواحدة منها عن الأخرى" (8).

إن مقابل ذلك هو الذي يشكل تقدماً حقيقياً، فحالة التعطل الجزئي، والتلف، والانحلال، وفقدان المعنى، والغائية، أو حتى الموت، كلها أمور تنتمي إلى شروط التقدم التدريجي الحقيقي، وهو تقدم يؤشر على مزيد من الإرادة والرغبة والقوة على حساب عدد كبير من القوى الدنيا، وبالتالي على المؤرخ الموسوم جينالوجياً أن لا يهتم "بالسلطة المركزية وكتابة تاريخها وتاريخ القطاعات المدججة التابعة لها، وإنما ينبغي عليه أن يوسع من فضوله العلمي وأن يكتب تاريخ من لا تاريخ لهم، أي كل الفئات المهمشة والمنبوذة والتي كانت حتى أمد قريب خارجة عن نطاق السلطة المركزية" (9)، لذلك يتعين على هذه القراءة للتاريخ أن تدخل في سجلات مع المدارات المركزية الكبرى التي احتكرت التاريخ لفترات طويلة من الزمن بتأويلاتها المغرضة، وهو ما طبقه "أركون" في مشروعه عن "الإسلاميات التطبيقية" على تاريخ الفكر الإسلامي قرآناً كان أو سنة أو فكرياً.

لقد قدّم "أركون" مشروعه النقدي للتراث الإسلامي ضمن إبستيمية قائمة على نقد المنهج الاستشراقي من جهة، والدراسات الكلاسيكية في البيئة الإسلامية من جهة أخرى،

بالإسلاميات التطبيقية. فكيف واجهت هذه الدراسة فكرة المقدس؟

ثانياً - الإسلاميات التطبيقية ومازق المقدس

يقدم "أركون" الإسلاميات التطبيقية كمقابل للإسلام الكلاسيكي الذي قدمه الاستشراق، أو تلك الصورة النمطية التي قدمها علماء التفسير في القرون الأولى التي تلت ميلاد الرسالة الإسلامية، أو حتى تلك التي تقدمها المجامع الدينية في البلاد الإسلامية والتي تحرص أن تحاكي النصوص الأولى دون مراعاة ظروف تكونها. يقول "أركون" عن مشروعه "نقد العقل الإسلامي": "إن مشروعي يُمثل جزءاً لا يتجزأ من هذا البرنامج الطموح والجديد حقاً والذي يهدف إلى تفكيك مناخين من الفكر وليس مناخاً واحداً فقط. فليس المناخ الفكري العربي الإسلامي هو وحده المستهدف بالنقد أو التفكيك، وإنما المناخ الفكري الغربي أيضاً. إنني أهدف إلى تجاوز المنهجية الوصفية أو السردية... والمتبعة من قبل كتابة التاريخ في كلتا الجهتين" (12).

هذا النقد الذي مارسه "أركون" على تاريخ الفكر الإسلامي أضاء له دروب البحث التطبيقي، وأعطى للإسلاميات التطبيقية نفساً جديداً بفعل العلوم الإنسانية والاجتماعية التي قدمت إضافتها الهامة في ذلك، لقد كان الفكر الإسلامي في نظر "أركون" بمنأى عن النقد والشك وهو ما جعله ضعيفاً في جانب الممارسة الثقافية، والعقلانية، والأنثروبولوجية، المعروفة في الغرب.

لقد ظل هذا الفكر في إطار نظري مفارق للواقع المعيش ولم يخرج عن سياجه الدوغمائي المغلق، يقول "أركون" عن أهمية الدرس الأنثروبولوجي في الدراسات الإسلامية: "لقد ألححت منذ سنوات عديدة على ضرورة دراسة العلم الأنثروبولوجي وتدريبه. فهو الذي يُخرج العقل من التفكير داخل "السياج الدوغمائي المغلق" إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير... وإذا ما تم الإجماع الكامل على هذا التوجه المعرفي، فلا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية عن طريق إعادة القراءة لها قدمه الخطاب الديني عامة والخطاب النبوي الخاص بأهل الكتاب، من القصص" (13)، لأن القرآن نفسه يقر بأهمية القصص كوسيلة لتقديم التعاليم الإلهية المتعالية كبديل عن الأساطير.

لكن هذا القصص في التقليد الأنثروبولوجي هو أسطورة يحتاج فهمها إلى التعامل مع الرمز واللغة والعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية وكل ما يحيط بالإنسان، ولا يمكن فهم هذا النص القرآني أو الحديث النبوي بالتقوقع داخل بنينه دون تفكيكه وإعادة تركيبه وفق مقتضيات علم الأنثروبولوجيا، يقول "أركون": "علم الأنثروبولوجيا الحديث يُمارس عمله كنقد تفكيكي، وعلى صعيد معرفي، لجميع الثقافات البشرية المعروفة. إنه يُمارس عمله هذا بعيداً عن التأويلات التاريخية الإيديولوجية. وقد أثرت الأنثروبولوجيا أو أخصبت التفكير الحديث عن طريق بلورة ما أسميته بـ"المثلثات الأنثروبولوجية" Anthropological triangles، وهي مثلثات من نوع: "العنف والتحرير والحقيقة"، أو "الوحي والتاريخ والحقيقة"، أو "اللغة والتاريخ والفكر" (14)، وكلها بعيدة عن الثقافة الإسلامية ذلك لأن مجتمعاتها بعيدة وسطحية في الإنتاج العلمي المتعلق بعلوم الإنسان والمجتمع.

إن الإسلاميات التطبيقية هي الدراسة العلمية للقرآن والسنة ضمن الحاضنة التي نشأت فيها، ومعرفة بالشروط والظروف التي تكونت فيها معرفة ابستمولوجية تاريخية لتجنب السقوط في شرك الأوثوذكسية الإسلامية، والسماح للعقل الاشتغال بهدوء لاستكشاف مناطق جديدة لم ينتبه إليها، يقول "أركون": "إن علم الابستمولوجيا التاريخية هو ذلك العلم الذي يدرس نضالات العقل عبر التاريخ من أجل استكشاف مناطق الواقع الجديدة والتي لا تزال مجهولة. إنه يستكشفها عن طريق طرح فرضيات جديدة ومحاولة تجريبها أو وضعها على محك الواقع لمعرفة مدى صدقها أو كذبها" (15). لقد ازدهرت الدراسات الإسلامية عن القرآن أيام المعتزلة عندما كانت النقاشات الفلسفية محتدمة بين المعتزلة والحنابلة، ولكن مأساتنا نحن المسلمين عندما انتصرت أطروحة الحنابلة القائلة بأن القرآن غير مخلوق، وفي المقابل انطفأت أطروحة المعتزلة التي لم تعرف انتصاراً إلا أيام المأمون، لذلك علينا أن نمارس حفراً أركيولوجياً من أجل الكشف عن هذه النقاشات الحية في ثقافتنا التي طمسها الانغلاق الأوثوذكسي. فما الذي يعنيه موقف المعتزلة مثلاً من القول بأن القرآن مخلوق؟ يجيب "أركون" عن تساؤله هذا في قوله: "إن القرآن بحاجة إلى واسطة بشرية. أن نقول بأن

معطيات الراهن العلمي كمقابل لما كان سائدا في العصور الوسطى، يبرز ذلك "أركون" بأن "تصور العصور الوسطى مربع ومخيف يشل طاقة الإنسان عن الحركة أو يمنع تفكح طاقاته وتحقيق ذلك على وجه الأرض. هنا يكمن الرهان الأكبر لمراجعة التراث الإسلامي كله ولتأسيس "لاهور" جديد في الإسلام... هنا تكمن نقطة التمهيد الأساسية بين اللاهور والسياسة، بين التصور المربع للتأليه والتصور المطلق للحاكم أو لأنظمة الحكم" (18).

هكذا ينتهي "أركون" إلى أن تحرير الأرض مرتبط بتحرير السماء، وهو ما يجعل أولية الإصلاح ينبغي أن تنطلق من الدين قبل الجوانب السياسية والاجتماعية والأخلاقية كما حدث في أوروبا، لقد عرفت أوروبا كيف تتحرر من عقلية القرون الوسطى التي كانت مهيمنة وهو ما جعلها مقبلة على الحياة ومجتهدة في عملها دون خوف أو إحساس بالذنب. إن السبيل إلى ذلك في نظر "أركون" هو تجاوز تصور القرون الوسطى لله واستبداله بتصور أكثر رحابة ومحبة وغفران، وهكذا يتجلى التصور الحديث لله "في الأمل، في الانفتاح على أفق الأمل... هذا هو الله بالنسبة للعالم الحديث والتصور الحديث... فإذا كان المجتمع منفتحاً، متقدماً، مزدهراً، كان تصوّره لله هادئاً، سمحاً، ودبيعاً. وإذا كان المجتمع يعاني من الفقر والجهل وهيمنة الأب القاسي أو الحاكم الجائر المستبد، فإن تصوّره لله سوف يكون بالضرورة ضيقاً، عنيفاً، قمعياً" (19)، إننا بحاجة للاهور إسلامي جديد بإمكانه أن يحررنا من مأزق الدوغمائية الأصولية كما يتصور ذلك "أركون"، إنه يستحضر التراث الإسلامي بأكمله ويعطي الأهمية للأفكار فيه l'impensé على حساب المفكر فيه le pensé، ويحملنا "مسؤولية المفكر فيه واللامفكر فيه اللذين تراكما طيلة القرون الأربعة عشر الماضية، فإننا سنبتدئ ببلورة مفهومي الإسلام والتراث. وندرس بعدئذ وضع التراث والتراثات في المجال الإسلامي. وسوف نحاول أخيراً بلورة مفهوم التراث الإسلامي الكلي استناداً على المعطيات الناتجة والمتجمعة لدينا" (20)، في إطار علوم الإنسان والمجتمع التي توصل إليها العلم المعاصر.

إن مأزق المقدس الذي يواجه الباحث في الإسلاميات التطبيقية يمكن تخطيه في نظر "أركون" من خلال التنشئة التربوية الصحيحة، فإرساء أسلوب الحوار للتلاميذ في

القرآن مخلوق فهذا يعني أنه متجسد في لغة بشرية، هي هنا اللغة العربية. هذه هي النظرية التي نسيها المسلمون على مدار التاريخ. وبالتالي فلا يمكنك أن تذهب إلى الله أو تصل إليه إلا عن طريق لغة بشرية. وكل ما عدا ذلك وهم أو عدم قدرة على التمييز" (16).

هذا، وبعد "أركون" المانع الذي يقف في طريق الإسلاميات التطبيقية ليس استمولوجيا أو علميا بل هو نفسي، بمعنى أن القداسة شكّلت طبقات متكلسة على النص المقدس قرآناً كان أم سنة يصعب اختراقها، وهذه العقبة تعود للتنشئة والتربية التي تكون فيها التلاميذ في البلاد الإسلامية؛ هذه التي غطت أطروحة المعتزلة عن مسألة قولهم بخلق القرآن وحُجبت عن التناول في المدارس الإسلامية، وهو ما جعلنا ندفع ثمن هذا البتر لأطروحة المعتزلة في مناهجنا التربوية مزيد من الدم والمآسي التي تحصل باسم الأرثوذكسية الإسلامية في نظر أركون. إن نقد "أركون" لما يسميه بالأصوليين — ويقصد بهم كل من يرفض إقحام العلوم الإنسانية بمنهجها في الدراسات الإسلامية — ليس مستورد من الغرب أو من المستشرقين كما يتهمه البعض بل هو وليد الثقافة الإسلامية نفسها، فقد شهد القرنين الثاني والثالث للهجري — الثامن والتاسع ميلادي — نقاشات فلسفية وعلمية كبرى لا مثيل لها في ثقافتنا المعاصرة.

إن الممارسة الجينيولوجية النيتشوية على النص القرآني باتت أمراً ضرورياً في نظر "أركون"، ذلك للعودة للأصل الأول الذي غلّفته القداسة، بيد أن هذه العودة ليست بالأمر الهين بل تكلف الباحث الجينيولوجي مواجهة الأفكار الأصولية، وكلما اقترب من الحقيقة أكثر زادت الأخطار المحدقة به، إذ "كل مفكر كبير كان يمثل فضيحة في عصره... ولذلك فعندما يتقدم في عملية الحفر أكثر فأكثر ويكاد يقترب من منطقة الحقيقة، فإنه يجد كل القوى المحافظة والتقليدية تنهض في وجهه دفعة واحدة، وذلك لكي تمنعه من الوصول إلى هدفه... حذار إذن أن تقترب من الحقائق قبل الآوان!.." (17).

لقد ظلت العلاقة بين الإنسان والله في الثقافة الإسلامية منفصلة عن الواقع تعود إلى مرحلة القرون الوسطى، وهو الأمر الذي جعل الفكر الإسلامي مسجياً بأفقال الدوغمائية، من هنا ينبغي إعادة تأويل هذه العلاقة ضمن

الخمس والتسعين - على باب كنيسة القديسين في "فيتبرغ"، وفي اليوم نفسه، أرسل "لوثر" نسخة مكتوبة بخط يده إلى رئيس أساقفة "ماينز" "ألبرت ماغديبرغ"، وهو أحد كبار الداعمين للتكفير بالأعمال عن طريق صكوك الغفران، وفي غضون الأسبوعين انتشرت القضايا في جميع أنحاء ألمانيا وبعد شهرين سادت جميع أنحاء أوروبا، مما يجعلها من أكبر القضايا الجدلية في التاريخ الحديث. كتب "لوثر" "للأبوت ماينز" محتجاً على بيع صكوك الغفران، وقد أرسل للأسقف إحدى نسخ كتبه اللاهوتية. لم يكن "لوثر" ينوي مواجهة الكنيسة بقدر ما كان يُحذّر من خطورة لاهوت التبرير، غير أن هناك الكثير من التحدي يميّز هذه الأطروحات وبخاصة القضية ست وثمانون (86) التي قال فيها، لماذا لا يقوم البابا بالإنفاق من ماله الخاص لبناء "بازليك" "القديس بطرس" بدل استنزاف جيوب الفقراء.

إن اعتراض "لوثر" الأساسي كان ضد لاهوت التبرير الكاثوليكي الذي يمنح المغفرة مقابل تقديم هدايا وأموال بواسطة كنيسة بعيدا عن الأعمال الصالحة، من هنا كانت دعوة "لوثر" قائمة على الاتصال بالله مباشرة دون واسطة بشرية (22)، والتأسيس للاهوت أرضي بدل اللاهوت السماوي، فالله للجميع وليس خاصا بأحد. إن هذا السياق كان بارزا في تخلص الإنسان الغربي الحديث من التبعية الكنسية والعودة إلى الأرض لتأسيس مشاريعه التي ظلت معلقة في السماء، كما يؤسس هذا التصور لحرية الإنسان وبناء العلم الحديث، "إنه زمن استرجاع الكنوز التي أنفقناها في السماء إلى الأرض بتعبير الفيلسوف الألماني الحديث "لودفيغ فويرباخ" (1804-1872)، وهو صورة الإله الذي مات على يد نيتشه الحالم بمستقبل أفضل للإنسان عندما يستخلفه بالإنسان الأعلى؛ هذا الإنسان الأعلى ليس إنسانا أشبه بالله منه بالإنسان، وإنما هو مقدم إنسان لا علاقة له بالبتة بذلك الإله الذي ما زال يحمل صورته" (23)،

لكن ظهور فكرة الإصلاح الديني باعتبارها تعميقا للنزعة الإنسانية كانت إرهاباتها في إيطاليا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاديين؛ والتي عملت على إحياء التراث اليوناني واللاتيني من خلال الاهتمام بأدبيتهما، وفي ذلك تجلّى الاهتمام بـ "أفلاطون" من خلال أسلوبه المجازي

المرحلة الابتدائية وتنشئتهم في المراحل القادمة على هذا الأسلوب يجتنبهم الوقوع في الأصولية، ويفتح أمامهم طريقا للبحث العلمي الصارم المسلح بنتائج العلوم التي توصل إليها الإنسان في مختلف الميادين الطبيعية والاجتماعية والإنسانية، من هنا تتحدّد القداسة في شكلها غير المغلف بطبقات من الايديولوجيات التي ظلت تحكم هذا التاريخ، ويظهر الإسلام في صورته الإنسانية الكونية؛ لكن كيف يتم له ذلك؟

ثالثا - أنسنة الدين ومطلب الكونية

يحتل مفهوم الأنسنة في فلسفة "أركون" موقعا مركزيا، إذ بدأ يتبلور مشروعه في ما يعرف بعد بـ "نقد العقل الإسلامي" من خلال بحثه الذي أنجزه في أطروحته للدكتوراه نهاية العقد السادس من القرن الماضي والذي نشره بعنوان "نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي"، فالأنسنة هي الفكرة الرئيسة التي ألهمت "أركون" البحث في الإسلام بالمعنى الكوني الذي يتوافق مع الأديان السماوية الأخرى، ويتوافق مع ما وصلت إليه أوروبا من تقدّم في تصوّرهم عن الدين الذي استفاد كثيرا من نتائج العلوم الحديثة، لكن قبل الخوض في أهمية الأنسنة في التأسيس للإسلام التطبيقي علينا أن نحدّد مفهوم الأنسنة؛ فما المقصود بها؟ وكيف اعتبرها "أركون" تقويضا للأصولية والأرثوذكسية الإسلامية؟

يعرف الفيلسوف الفرنسي المعاصر "أندري لالاند" (1867-1963) الأنسنة Humanisme بقوله: "هي مركزية إنسانية متروية، تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لحقائق وقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال استعماله استعمالا دونيا، دون الطبيعة البشرية" (21)، وهو ما يعبر عنه بالمركزية الإنسانية. إن العودة إلى النصوص التأسيسية لنزعة الأنسنة يقودنا إلى بداية عصر النهضة الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وظهر فكرة الإصلاح الديني مع كل من "مارتن لوثر" (1483-1546) و"جون كالفن" (1509-1564) عندما نشر "مارتن لوثر" في 31 أكتوبر 1517 عشية عيد القديسين قضاياها المكتوبة باللاتينية - والمعروفة فيما بعد بالأطروحات

المجهود المبذول للرفع من الكرامة الإنسانية ؛ أي أن الإنسان من حقه أن يحقق أقصى ما يتمناه من خير ومنافع في الحياة الدنيا، وذلك عكس الرؤية التي تحتقر من شأن الحياة الدنيا وتتنظر إليها نظرة زهد واستخفاف، وهو تصوّر بالنسبة للإنسانيين أسطوري يتعارض مع أبسط أبجديات العقل الإنساني⁽²⁵⁾، غير أن مصطلح النزعة الإنسانية أو الأنسنة لم يُعرف في الثقافة العربية الإسلامية إلا في نهاية القرن العشرين مع المفكر الجزائري "محمد أركون" في الأطروحة التي قدّمها عن الدكتوراه بعنوان: "نزعة الأنسنة في الفكر العربي: جيل مسكوبه والتوحيدي"؛ هذه الأطروحة التي استوحاها من الثقافة العربية الإسلامية لجيل المفكرين الأوائل من خلال دراسة الأدبيات الفلسفية للقرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر ميلادي، ثم تلتها أعمال أخرى في هذا الإطار أين نجد فيها نزعة فكرية متمركزة حول الإنسان في المجال العربي الإسلامي تهتم بهوم الإنسان ومشاكله مثلها جيل من المثقفين الفلاسفة أمثال "ابن سينا"، و"ابن رشد"... هذه الاهتمامات بالنزعة الفلسفية الإنسانية في الإسلام تجلّت - في نظر "أركون" - في الإنسيّة الدينية، والإنسيّة الأدبية، والإنسيّة الفلسفية.

أما الإنسيّة الدينية سواء أكانت يهودية، أم مسيحية، أم إسلامية فهي لا تعني التأكيد على مركزية الإنسان كمقابل لله، بل تعني التفتح الكامل في هذا العالم والعالم الآخر والعمل على الدمج بينهما، وكل تعالي للدين على الحياة هو طعن للإنسيّة.

أما الإنسيّة الأدبية فهي إنسيّة مرتبطة بأرستقراطية الروح والمال والسلطة أين تشكّلت الحركة الإنسيّة الأدبية وتقمّرت في بلاطات الأمراء أو صالونات الأغنياء، وقد شهدت المدن الكبرى كالعراق وإيران ازدهارا ورقيا لهذا النوع من الدراسات، ودون عناء البحث نجد تقاربا بين النهضة الأوروبية في القرن السادس عشر ميلادي التي شهدت هذا الانتشار للنزعة الإنسيّة وما عرفته الحضارة العربية - الإسلامية في القرن الثالث للهجري من انتشار للنزعة الأدبية من خلال شخصية الجاحظ، والقرن الرابع للهجري مع "مسكوبه" و"التوحيدي" وغيرهما كثير، يقول "أركون": "الحركة الإنسيّة كانت من صنع هذا الجيل الكبير الذي شهد لمعان بعض الشخصيات العبقريّة... فالعالم العربي - الإسلامي شهد تبارا

البياني الحواري على حساب "أرسطو" الذي تنسم كتاباته بالطابع المنطقي الجاف.

إن أهم الكتابات التي أعطت بريقها الإنساني في هذه الفترة نجد "ديديي إيراسم" (1469-1536) الذي أسس ما يعرف بالتيار الإنساني المسيحي عندما صالح بين الفلسفة اليونانية والمسيحية، وأعطى الاهتمام الواسع لحرية الإنسان من خلال نظراته للعقيدة المسيحية نظرة إنسانية خالصة، كذلك من الكتابات الزاخرة بالنزعة الإنسانية في هذه الفترة نجد تلك الممهّدة لهذه النزعة مثل "فرانشيسكو بترارك" (1304-1374) هذا الشاعر الإيطالي الذي نالت أعماله الشهرة في كامل أوروبا، كذلك نتحدث عن الشاعر الإيطالي "جيوفاني بوكاتشو" (1313-1375) ومواطنه الشاعر "دانتي أليغييري" (1265-1321) المشهور بعمله "الكوميديا الإلهية"، ومن هؤلاء أيضا نتحدث عن "لورانزو فاللا" (1407-1457) الذي دافع عن حرية الاختيار كحق طبيعي للإنسان.

لقد كانت النزعة الإنسانية التي ظهرت مع عصر النهضة واستمرت إلى الفترة الكلاسيكية بخاصة مع فلاسفة العقد الاجتماعي إعلانا عن ميلاد عصر الأنوار الذي يؤرخ له بداية من عام 1690م مع ظهور كتاب "مقال في الفهم البشري" للفيلسوف الإنجليزي "جون لوك" (1632-1704)، وهنا تظهر النزعة الإنسانية في السياسة وقضايا المجتمع والاقتصاد... بعدما كانت أكثر في الأدب والفن، وتتصدر العقلانية عرش الفلسفة كمقابل للنزعة اللاهوتية ويظهر أفق التحرر الأكبر للإنسان، "لأن الاهتمام بالإنسان معناه إعطاء الأولوية لعقله في الإدراك والتمييز وبناء الأحكام المعيارية. ومعناه أيضا رفض كل أسبقية دينية أو ميتافيزيقية يمكنها أن تحدّ من إبداعه وفاعليته في التاريخ"⁽²⁴⁾، إنه استقلال الذات من كل أشكال التبعية وتحرير للعقل من الأصنام التي دأب على عبادتها بالمفهوم النيتشوي، لكن إذا كانت الأنسنة في الغرب بهذا المفهوم تعود إلى عصر النهضة، فكيف يفهمها أركون في الثقافة العربية الإسلامية؟ وما هي اللحظة التأسيسية لها؟ وبأي معنى هي كونية؟

يشير مصطلح الأنسنة في الثقافة العربية الإسلامية عند "محمد أركون" إلى الأدب بشكله الكلاسيكي العام وليس بالشكل الضيق الذي نعرفه حديثا، "فمصطلح الأدب في التراث العربي الإسلامي كان يعني الثقافة الواسعة الدالة على

إنسانيا وعقلانيا مدهشا قبل أوروبا بسبعة قرون... ولكن الفرق هو أن هذا التيار سرعان ما ذبل ومات في البيئة العربية – الإسلامية، في حين أنه استمر في الصعود في أوروبا حتى ولّد الحضارة الحديثة التي نشهدها حاليا⁽²⁶⁾، وليس بعيدا عن معنى الأدب يأتي المصطلح اللاتيني "humanitas" بمعنى: "وجود ثقافة كاملة أو متكاملة لا يعترئها النقص أي تلم بكل شيء. إنها ثقافة تحتوي على كل أنواع المعارف والعلوم... تهدف إلى توفير الخير لكل الجماعة عن طريق تنمية الإمكانات الجسدية والمعنوية والثقافية للفرد ومساعدتها على التفتح والازدهار"⁽²⁷⁾، وهو المعنى الذي عرفته الثقافة العربية – الإسلامية للأسنة مع جيل "مسكويه" و"التوحيدي" وغيرهم.

أما الإنسانية الفلسفية فهي مزيج بين الإنسانية الدينية والإنسانية الأدبية، إذ تعمل على إذابة عناصر كل منهما في الأخرى، لكن تتميز عنهما بنظامها الفكري الصارم والدقيق، وقد تحقق التقارب بين هذه الإنسيات في القرن الرابع للهجري عكس القرون السابقة التي لم تعرف هذا التقارب بين مستوى التعالي الإلهي ومستوى العمل البشري على الأرض، وتحققت إنسيّة متكاملة بعدما حقّق الإنسان نفسه على هذه الأرض في بعده الأفقي والعمودي بنفس التوتر والكثافة، أي تحقيق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي، وبين كونه كائنا سماويا وكائنا أرضيا، وبين كونه يعمل لدينه ويعيش ديناه.

هكذا تجلت خصائص الإنسانية العربية – الإسلامية في نظر "أركون" من خلال ما يلي:

1 – انفتاح الإنسانية العربية – الإسلامية على العلوم الدخيلة أو الأجنبية من خلال حاجات المجتمع لها دون اعتراض من أيّ دوغمائية أو لاهوتية.

2 – عقلنة الظواهر الدينية وشبه الدينية عن طريق ضبطها ومراقبتها إلى حد إلغاء المعجزة والأشياء الخارقة للطبيعة والشعوذات، بغرض إفساح المجال للتأويل العلمي أو السببي للظواهر.

3 – إعطاء الأولوية للاهتمام بالمشاكل الأخلاقية – السياسية.

4 – ترقية الفضول العلمي والحس النقدي ما أدى إلى تنظيم جديد للمعرفة.

5 – ظهور قيم جمالية جديدة لم تكن معروفة من قبل كفن الرسم، والعمارة، والديكور، والموسيقى...
6 – سيطرة غير كافية على عالم الخيال. هذه الخصائص جعلت الإنسانية في الحضارة العربية – الإسلامية تعرف ازدهارا كبيرا وصلت إلى حد انتفاض التوحيدي في كتبه ضد التفاوت الاجتماعي المريع بين طبقات المجتمع ويؤسس للعدالة الاجتماعية من خلال العدالة والحرية والشفافية في ما يسميه هو بالصدق والصرحة وما يندرج اليوم ضمن ما نسميه حقوق الإنسان⁽²⁸⁾، لكن هل بقيت هذه النزعة الإنسانية مستمرة؟ وهل واصل الخلف أو على الأقل حافظ على المسار الذي رسمه ذلك الجيل من الإنسيين؟ يجب أركون عن ذلك بالنفي: "إنه نسيان العرب والمسلمين للفتوحات الفكرية التي حقّقها "مسكويه" و"جيلة". لقد تم نسيان التعددية العقائدية التي كان يتحلّى بها التراث الديني الإسلامي إبان العصر الذهبي، وذلك بعد الدخول في عصر الانحطاط بدءاً من موت ابن رشد عام 1198، كما تم نسيان التراث الفلسفي بل وموته منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا"⁽²⁹⁾، في جهة الإسلام الأرثوذكسي السنيّ أو الشيعي؛ فكلاهما نسي الفتوحات الفكرية الكبرى التي حقّقها الفكر العربي الإسلامي في العصر الذهبي، وهو ما أدى إلى انسدادات تاريخية أنتجت أصوليات دينية توسعت رقعتها وتوزعت في العالم أجمع، ولا مناص لنا من الخروج من هذا الوضع والعودة إلى الإسلام الأول؛ أي إسلام القرون التي تلت مباشرة نزوله إلا بالعودة لمنهجية العلوم الإنسانية، يقول "أركون": "إذا ما طبقنا المنهجية التاريخية والسوسيولوجية نجحنا في جعل ما يبدو أنه فوق التاريخ (أي الإسلام) شيئاً إشكالياً، مندمجا داخل الزمان والمكان وداخل الصيرورة التاريخية للوجود. وإلا فإن مفهوم الإسلام سوف يظل مفهوماً مجرّداً، تقليدياً، يقف فوق الزمان والمكان وكأن لا علاقة له بالتاريخ"⁽³⁰⁾، فارغ من كل معنى نقدي يقف على مستوى الممارسة الصحفية أو التوظيف السياسي كما الحال في الحركات الإسلامية.

خاتمة

إن هذه الصورة المغلقة التي وصل إليها الإسلام المعاصر جاءت نتيجة تراكمات هائلة للأصولية على حساب العلمنة، بالتالي التسلح بالعلمنة يقي الدين من التوجهات الأرثوذكسية شريطة أن نفهم من العلمنة "كموقف للروح

للإطار العام الذي يتحرك فيه الفكر العربي الإسلامي، من هنا يتحدّد المُتاح البحث فيه ضمن قصدية غير معلنة تكون مصدرا لصقل ركائز البناء الإسلامي، بينما تقف في الجهة المقابلة للاستمسية الأنسنة كنزعة لتمجيد بطولات الإنسان على الأرض، إنها تأسيس لتاريخانية يكون الإنسان فاعلا فيها، ضمن هذه اللحظة يكون الإسلام ليس ثقلا على الإنسان بل محفّزا له على الإبداع، إن الإسلام في إطار الأنسنة هو العودة بالإنسان إلى الأرض لتنفيذ مشاريعه المعلّقة، إنه صورة الإسلام الذي يؤسس للحضارة الإنسانية الراقية التي تسير في طريق العلم والبناء والتشيد، لا الجهل والتخريب. إن هذا الفهم للإسلام هو الذي يضعه في سياق الكونية.

تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إليها⁽³¹⁾، ومعرفة الواقع بشكل صحيح والاندماج فيه، من هنا تأتي العلمنة في نظر "أركون" ليس لإنكار الدين أو النظر إليه نظرة عدائية، إنما لإحيائه وإعطائه صبغته الإنسيّة التي عهدناها مع المفكرين الأوائل مع جيل "مسكويه" و"التوحيدي"، بهذه الصورة فقط تأخذ الإنسيّة الإسلامية بعدا كونيا ضمن المعاشية العلمية التي عرفتها العلوم الإنسانية المعاصرة في إطار مناهجها.

لقد قدّم أركون مشروعه في الإسلاميات التطبيقية من خلال العودة إلى التراث العربي الإسلامي الزاخر بالمعانيات الميدانية والنقاشات المحتمدة للمسائل الدينية ضمن حاضنتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، وهو ما جعله يُفرد لهذا التراث مكانة خاصة؛ كانت عناوين مختلفة لكتبه. إن إقحام الإسلام في الحياة العامة واعتباره ليس شأنًا سماويا مفصولا عن الواقع الذي نزل فيه يجعل منه مدار أبحاث قيمية إيتيقية، وسباسبية، واجتماعية، وتربوية... فالاستفادة من هذه التجارب تُعطي للإسلام واقعيتها، وراهنيتها، وخصوبته، وهو ما حاول "أركون" إقحامه في المعارك العلمية التي تشهدها الساحة المعرفية المعاصرة من استمسيات مفتوحة وتأويلات متصارعة في إطار مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية بداية من التاريخانية إلى اللسانيات، والسيميائيات، والأركيولوجيا، والجينيولوجيا، وغيرها من المناهج الأخرى، لكن بهذا التوظيف للمناهج الغربية التي تأثر بها "أركون" في الدراسات الإسلامية أدمج ثقافات في بيئات غير بيئاتها، وفرض مفاهيم وتصورات على الفكر الإسلامي لم يوفّر الحاضنة التي تنمو فيها، من هنا يقع في الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون حينما يستخدمون المنهجية الوصفية التي تقتصر للتحليل الاستمولوجي، بمعنى أن سيادة النزعة الاستشراقية - التي ظلّ ينتقدها - على فكر "أركون" أخفت عنه قيمة بعض الحقائق المقدسة باعتبارها مناطق قابلة للاختراق في نظره باسم الاستمسية والنظرة العلمية، وأحكامه عن الدين الإسلامي ليست مستقلة عن نظراته للديانات الأخرى سيما منها اليهودية والمسيحية على وجه الخصوص.

مع ذلك شكّل البحث في الإسلاميات التطبيقية في إطار الاستمسية كوقوف عند البنية التحتية، أو اللاواعية

الهوامش

- 1 — يشير فوكو بمفهوم الاستمسية إلى: "مجموع العلاقات التي بإمكانها أن توجد في فترة معينة بين الممارسات الخطابية التي تفسح المجال أمام أشكال استمولوجية وعلوم، وأحيانا، منظومة مصاغة صوريا، إنها النمط الذي يتم حسبه الانتقال، داخل كل تشكيلة خطابية، إلى التنظير الاستمولوجي والعلمية والصياغة الصورية، إنها أيضا نمط توزّع تلك العتبات التي يوافق بعضها البعض أو ينضاف إليه أو يبتعد عنه زمانيا، الروابط الجانبية التي يمكن أن تنشأ بين بعض الأشكال الاستمولوجية وبعض العلوم من حيث أن هذه وتلك، تنتسبان لممارسات خطابية متقاربة، لكنها متميزة... هي مجموع العلاقات التي يمكننا الوقوف عليها في فترة ما بين العلوم حينما نحلل مستوى انتظاماتها الخطابية". ينظر ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1987، ص 176.
- 2 — ميشال فوكو، همّ الحقيقة، ترجمة مصطفى المسناوي، مصطفى كمال، محمد بولعيش، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2006، ص 32.
- 3 — الجذامير Rhizomes جمع الريزوم وهي عبارة عن ساق متمحورة تنمو تحت سطح التربة بصورة أفقية، تخرج من هذه الريزومات جذور تتجه إلى الأسفل وأفرع عليها أوراق تتجه للأعلى يتم تخزين المواد الغذائية الضرورية للنمو في الريزومات، هذه الساق أفقية زاحفة مدفونة تحت التربة، وهو خلاف المسار الشجري العمودي، يقول عنه دولوز: "ليس الجذوم موضع تكاثر، ولا تكاثر خارجيا مثل الشجرة - الصورة - ولا تكاثر داخليا مثل البنية-الشجرة، الجذوم هو "جينالوجيا مضادة" "Anti généalogie"، إنه ذاكرة قصيرة أو ضد الذاكرة... ما نحن بصده في الجذوم هو علاقة مع الجنسانية إنما أيضا مع الحيوان، مع النبات، مع العالم، مع السياسة، مع الكتاب، مع أمور الطبيعة والخداع، وهي علاقة مختلفة تماما عن العلاقة الشجرانية"، ينظر جيل دولوز وفيلكس غتاري، ألف مسطح "الجذوم"، إشراف ومراجعة مطاع صفدي، ترجمة بحثية جورج أبي صالح، أنظر مجلة العرب والفكر العالمي، العددان الواحد والعشرون (21) والثاني والعشرون (22)، 2007، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 45.
- 4 — محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، أبريل 1998، ص 71.
- 5 — يشير دريدا في كتابه "أحادية الآخر اللغوية" إلى التفكيك بكونه "لا شيء بما أنه يحيل إلى لا شيء، وكل شيء بما أنه يحيل إلى لا شيء" أيضا، إنه أكثر من لغة. وعلى الرغم مما سبق ذكره، فإن دريدا يصّر على نفي صفة السلبية عن التفكيك (ية): إن التفكيك هو حركة بنائية وضد البنائية في الآن نفسه، فنحن نفكك بناء أو حدثا مصطنعا لنبرز بنيانه... فالتفكيك من حيث الهامية، طريقة حصر البسيط أو تحليله، إنه يذهب إلى أبعد من القرار النقدي، من الفكر النقدي، لهذا فهو ليس سلبيا مع أنه فسر كذلك على الرغم من كل الاحتياطات...". ينظر جاك دريدا، أحادية الآخر اللغوية أو في الترميم الأصلي، ترجمة عمر مهيب، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص 15، 16.
- 6 — شكري الولهازي، دريدا وتفكيك الميتافيزيقا، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان المائة وأربعون (140) والمائة وواحد وأربعون (141)، ربيع — صيف 2007، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 87.
- 7 — فريدريك نيتشه، أفول الأصنام، ترجمة حسان بورقية ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1996، ص 40.
- 8 — Nietzsche, Généalogie de la morale, Traduction inédite par Eric Blondel, Ole Hansen-Love, Théo Leydenbach et Pierre Penisson, Flammarion, Paris, 1996, p 89.
- 9 — محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ص 137.
- 10 — محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999، ص 70، 71.
- 11 — المصدر نفسه، ص 71.
- 12 — محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ص 30، 31.
- 13 — محمد أركون، القرآن، من التفسير المهورث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2001، ص 06.
- 14 — المصدر نفسه، ص 07.
- 15 — محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ص 220.
- 16 — المصدر نفسه، ص 278.
- 17 — المصدر نفسه، ص 280.
- 18 — المصدر نفسه، ص 281.
- 19 — المصدر نفسه، ص 282.
- 20 — محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1996، ص 20، 19.
- 21 — أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، المجلد الثاني، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الأولى، 1996، ص 569.
- 22 — ينظر محمود حمدي زقزوق، دراسات في الفلسفة الحديثة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1993، ص 20.

- 23 - ميشال فوكو، هم الحقيقة، ترجمة مصطفى المسناوي، مصطفى كمال، محمد بولعيش، منشورات الاختلاف، الطبعة الجزائرية الأولى، 2006، ص 30.
- 24 - مصطفى كيحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص 59.
- 25 - المرجع نفسه، ص 60.
- 26 - محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997، ص 608.
- 27 - المصدر نفسه، ص 608.
- 28 - ينظر محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي، ص 619.
- 29 - محمد أركون، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 102.
- 30 - محمد أركون، الإسلام، أوروبا، الغرب. رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة وإسهام هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص 67.
- 31 - محمد أركون، العلمنة والدين، الإسلام، المسيحية، الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط3، 1996، ص 10.

دلالة المنصوق في سورة التكاثر البنية الصوتية أنموذجاً

Signification of enunciation in the Surat Takathor Phonological structure as a model

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-10-28

سجدة طبطوب، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

Tabtoub.sadjia@yahoo.fr

الملخص

يسعى البحث إلى النظر في البنيات اللغوية الصوتية للخطاب القرآني من حيث اقتضاؤها لمعان مضمر يُخفيها المنطوق الصوتي، ثم إجلال دلالاتها الاقتضائية التي تُساق وفق معطيات مقامية تواصلية محدّدة، واستراتيجية حوارية خاصة، وذلك من خلال إلباس المدلولات المضمونية الاقتضائية ما يُناسبها من الدوال الصوتية.

وقد اختار البحث الخطاب المكيّ، وتحديداً — (سورة التكاثر) — بعدّها عيّنة كاشفة للاقتضاءات الصوتية، لما يكتنفها من بناء صوتي فريد تليّن به القلوب الضالة، وتخشع له النفوس الحائرة، فجاءت الأصوات قوية شديدة تقرر الأسماع، مُحاكية للمعاني المعبرة عن مرحلة بداية الدعوة المحمّدية.

الكلمات المفتاحية: دلالة المنطوق، البنية الصوتية، الاقتضاء، الخطاب المكيّ، سورة التكاثر.

Résumé

Cette recherche tente d'examiner les structures phonologiques du verbe coranique dont le discours renferme un sens implicite dissimulé phonétiquement. La mise en évidence de sa signification préposée - véhiculée selon des données communicatives, une stratégie conversationnelle et une prosodie spécifiques - découle de la mise en adéquation des contenus sémantiques et de la matière phonétique.

Cette recherche a choisi le discours Mequois, précisément Sourat El-Takathor comme un échantillon découvrant les présupposés phonétiques qui distinguent par une structure prosodico-phonétique, qui psalmodiée, est fort influente. En ce sens, ces voix intenses, fortes et envoutantes sont venues sensibiliser fortement l'écoute en annonçant les l'expression d'un début du message du prophète Mohamed.

Mots-clés : Signification d'énoncé, Structure phonologique, Présupposition, Discours mekki, Sourat el-takathor.

Abstract

This paper seeks to examine the phonological and linguistic structures of the Qur'anic discourse in terms of the implicit meanings concealed phonetically, then to demonstrate its implicative designations which are delivered on a specific communicative situational data and special conversational strategy through combining the necessary substantive connotations with the appropriate phonetic functions. The research focuses on the Makki discourse and specifically "Surat Takathor" as a revealing sample of the Phonological presuppositions, for its unique sound structure that softens the stray hearts and influences the confused souls with its strong and intense voices that sensitize the listening and announce the beginning of the Mohammadian message.

Keywords: Signification of enunciation, Phonological structure, Presupposition, Makki discourse, Surat takathor.

تمهيد

يُعدّ البحث في الصّوت القرآنيّ مبحثاً أصيلاً وحقلًا معرفيًا خصباً وثرياً في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، لا سيما إذا تعلّق الأمر بالبحث في دلالات الاقتضاء بعدها مداخل مهمّة لفهم أحكام الله -جلّ وعلا-، وذلك لكون القرآن الكريم خطاباً كونياً قائماً على أفعال لغويّة، وأصوات تنطوي على دلالات مُضمرة يسعى هذا البحث إلى الكشف عنها من خلال مبحث: «دلالات المنطوق غير الصّريح»، الذي يجلي جانباً مهماً من جوانب الإعجاز اللّغويّ، والمتمثّل في ثراء دلالات المنطوق الصّوتيّة الواردة في موقف تواصليّ معيّن، وتحديدًا موقف الخطاب المكيّ في (سورة التّكاثر).

ومستويات الدّراسة اللّغويّة لأيّ خطاب لتشمل المستوى الصّوتيّ، والنّحويّ، والصّرفيّ، والمعجميّ، والدّلاليّ والتّداوليّ، وأبرز هذه المستويات وأولّها دراسة هو المستوى الصّوتيّ؛ لأنّ رصد الظّاهرة اللّغويّة صوتيّاً يعني العناية باللّغة ذاتها؛ ولأنّ الأصوات بانضمام بعضها إلى بعض تشكّل مفردات تلك اللّغة.

لهذا السّبب اعتمد البحث على المستوى الصّوتيّ لدراسة الدّلالات الإيحائيّة للصّوت القرآنيّ ومعرفة اقتضائه في (سورة التّكاثر)؛ ذلك أنّ قارئ القرآن الكريم تسترعي انتباهه خاصيّة تأليفه الصّوتيّ في الشّكل (المنطوق الصّريح)، والجوهر (دلالة المنطوق غير الصّريح)¹.

وبما أنّ الصّوت هو العنصر الخام والأساس في رسم ملامح الخطاب القرآنيّ؛ فإنّ القيمة الجماليّة والإعجازيّة، والآدات البلاغيّة لذلك الخطاب لا تتأثّر من ناحية الدّلالة والتّركيب فحسب، وإنّما يؤدّي الصّوت وظيفته البلاغيّة في تحقيق جانب مهمّ من جوانب دلالات المنطوق غير الصّريح، ألا وهي دلالة الاقتضاء؛ لأنّ الأصوات في تناسقها وتآلفها، فتؤدّي مهمّة كبيرة في تناسق الخطاب القرآنيّ في (سورة التّكاثر) وتآلفه.

- فما المقصود بالاقتضاء؟ وما علاقته بدلالة المنطوق غير الصّريح؟

- وما المولّدات الدّلاليّة (المقتضيّات) للصّوت القرآنيّ؟ وما دلالات مقتضيّاته التّواصليّة؟

- وهل تعدّ البنية الصّوتيّة لدلالة المنطوق مظهرًا من مظاهر الإعجاز اللّغويّ؟ وما علاقتها بالسياق الذي ترد فيه؟

1- مفهوم الاقتضاء

لا يزال مصطلح الاقتضاء يكتنفه الغموض نتيجة الاستخدام الواسع له في مجالات مختلفة من التّراث العربيّ، من نحو وبلاغة وتفسير وفلسفة ومنطق، فلا يزال مفهومًا قلقًا رجراجًا -على حدّ قول عبد الله صولة-، إذ يمثّل موضوع اختلاف حتّى بين كبار المناطق العرب المعاصرين²، ورغم الاختلاف الحاصل، «فلولا الاقتضاء بين الوحدات اللّغويّة لأصاب الكلام الضّعف والغموض والإبهام وعدم القدرة على فهمه»³، والوصول إلى المعاني المضمرّة التي يقصدها باث الخطاب، ولكان حديثه مجرد فوضى لغويّة.

والاقتضاء لغة: مصدر للفعل الخماسي اقتضى والثلاثي من قَضَى قَضِيًّا وَقَضَاءً، بمعنى حَكَمَ وَفَصَلَ وَأَمَرَ وَأَتَمَّ وَبَيَّنَّ.

ويرد في اللّغة بمعنى الطّلب والاستلزام والاستدعاء من الفعل اقتضى، ويُقال: اقتضى الدّين أي طلبه، أو يُقال: اقتضى أمرًا بمعنى استلزمه واستدعاه⁴. والاقتضاء عند الرّاعب الأصفهانيّ (ت402هـ): المطالبة بقضاء الأمر أو الدّين، ومنه قولهم: هذا يقضي كذا⁵، وقد يأتي «بمعنى الطّلب أو الاستيجاب أو الدّلالة، والمقتضيّ هو الطّالِب للشيء»⁶؛ أي هو ما يصاحب الشّيء ويطلبه⁷ والمقتضيّ هو المطلوب، وبالتالي فكلّ المفردات اللّغويّة يقتضي بعضها بعضًا كاقضاء الطّالِب للمطلوب.

وبناءً عليه، فإنّ الاقتضاء لغة يرد بمعنى الطّلب والحاجة والاستدعاء.

أما الاقتضاء اصطلاحاً، فيُحيل على صنف من المعاني غير الصّريحة التي تُضمّرها بالقوّة أو بالفعل بنيات لغويّة مُحَيّنة (actualisées/actualises)، مفردات كانت أم مركّبات، جملاً أم تعابير، فتلتصق بالخطاب اللّغويّ في ثابته (الدّلالة) ومتحوّله (التّداول)⁸.

فالاقضاء في أساسه طلب تقدير، أو إضافة معاني ضمنيّة لتحقيق مقصدية الكلام، وقد شاع استعماله عند علماء أصول الفقه، وارتبط في مباحثهم بمفهوم دلالة الاقتضاء، وهي «دلالة اللفظ على معنى لازم متقدّم مقصود

تقتضيه من معانٍ فرعية بطريق اللزوم، بل لا بدّ من النظر والتدقيق في مقامات الأحوال الدالة على الظروف والسيّاقات المختلفة التي رافقت نزول الشرع¹³، وهي ما أطلق عليها الإمام الشاطبي (ت 590هـ) اسم: الأمور الخارجية، وحدّدها في أمرين: أسباب النزول والعادات العربية المقارنة لنزول الشرع¹⁴، ولهذا قسّم الاقتضاء باعتبار مفهومه إلى قسمين (دلاليّ وتداولي).

2- اختلاف مفهوم الاقتضاء بين الدلالة

والتداول:

مرّ مفهوم الاقتضاء بمرحلتين هامتين، مرحلة الدلالة الصورية، ومرحلة التداولية، تمخض عنهما مفهومان للاقتضاء، هما:

أ- المفهوم الدلالي المنطقي والصوري للاقتضاء:

يعرّف الاقتضاء منطقيًا بأنه علاقة بين قول الخاتمة وقول سابق أو أقوال سابقة تعدّ حقًا المقدمات¹⁵.

أما دلاليًا، فيعدّ جزءًا من اللغة، منغرسًا فيها، متولّدًا عنها، وطريقة إثبات الاقتضاء دلاليًا وطريقة احتسابه يكون فيهما التحقق والإبطال من صنع اللغة نفسها¹⁶.

الملاحظ أنّ تصوّر المنطقيّ الدلاليّ نظر إلى الاقتضاء على أنّه علاقة بين القضايا، وجعل منه شرطًا مسبقًا لصدق القضية أو كذبها، إلّا أنّه تصوّر قاصر؛ لكونه أقصى من اهتماماته الظروف الخارجية الحافّة بالقول.

ب- المفهوم التداولي للاقتضاء: يكون اشتغال

الاقتضاء تداوليًا على عكس اشتغاله دلاليًا؛ ذلك أنّ الاقتضاء التداوليّ مُرتبّن بفرضيات المتكلّم الخلفية ومعتقداته، وبالتالي ينقل هذا الضرب من الاقتضاء الدلالة الاقتضائية من حيّز اللغة إلى حيّز السياق¹⁷.

وعموما، تطوّر مفهوم الاقتضاء وفق مستويات ثلاثة:

«مستوى دلاليّ، ويُعالج فيه الاقتضاء كمعلومة تأخذ من الملفوظ؛ أي كعنصر من عناصره الدلالية، ومستوى وظيفيّ يحدّد فيه دور الاقتضاء في تنظيم الخطاب، فإذا كانت للاقتضاء وظيفة فإنّها لتحقيق ملاءمة الخطاب، ثمّ مستوى تداوليّ ويتعلّق الأمر فيه بتحديد الاقتضاءات في العلاقات بين المتخاطبين، وكذا في التفاعلات التي يبنّي عليها التّخاطب».

18

للمتكلّم، يتوقّف عليه صدق معناه، أو صحته عقلا أو شرعا⁹، والمراد بالآزم المقصود، اللفظ المقدّر من طرف السامع، والذي يقتضيه المعنى صدقا أو عقلا، أو شرعا لتتوقّف عليه صحّة خطاب المتكلّم حتّى يصل مقصوده إلى السامع، توخيّا للفهم والإفهام.

«وتعدّ دلالة الاقتضاء عند الأصوليين قسما من أقسام المنطوق غير الصريح، الذي يُعرف على أنّه دلالة اللفظ على ما وُضع له بحسب اللغة بطريق الالتزام؛ بمعنى أنّ المنطوق غير الصريح هو المعنى أو الحكم الذي دلّ عليه اللفظ عن طريق دلالة الالتزام، وسُمّي بغير الصريح؛ لأنّ دلالة اللفظ على المعنى غير مباشرة؛ وإنّما تتمّ من خلال التأمّل في اللفظ وإدراك معانيه، ومن ثمّ الانتقال إلى لوازمه»¹⁰ بمعنى آخر، أنّ دلالة اللفظ على المعنى غير مباشرة، تُستفاد من التعريض والتلويح، لا من النطق والتّصريح، لكن كيف تكون دلالة الاقتضاء من ضرورة اللفظ؟

يوضح ذلك أبو حامد الغزالي بقوله: «أما من حيث لا يمكن كون المتكلّم صادقا إلا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلا به أو من حيث يمتنع ثبوته عقلا إلا به»¹¹. يفهم من هذا القول أنّ دلالة الاقتضاء هي دلالة الكلام على معنى يتوقّف تقديره صدق الكلام أو صحته عقلا أو شرعا.

والمقتضى عند عامة الأصوليين ثلاثة أقسام¹²:

أ- ما قدّر حذفه للمحافظة على صدق المتكلّم.

ب- ما قدّر حذفه للمحافظة على الصّحة العقلية

للكلام.

ج- ما قدّر حذفه للمحافظة على الصحة الشرعية

للكلام.

والسؤال الجوهريّ الذي يفرض نفسه في هذا المقام:

هل الإيحاءات الصوتية المقتضية لدلالة المنطوق في (سورة التكاثر) تخضع لدينامية الحوارات بين المتخاطبين، وملابسات سياق ورودها؟

لها كانت دلالة الاقتضاء عند الأصوليين تتوقّف على

تقدير مقصود المتكلّم صدق الكلام أو صحته عقلا أو شرعا؛ فإنّه من الخطأ والتّقصير الذي يُسيء إلى الخطاب القرآنيّ ومنزله -جلّ وعلا- أن يُكتفى في فهم واستنباط الأحكام الشرعية على مجرد اعتصار الألفاظ القرآنية، والاقتصار على مدلولاتها اللغوية، انطلاقا من بنياتها الحرفية المجردة، وما

الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت»²⁵. ولا يزال الصوت القرآني مطلب علماء التجويد واللغويين المحدثين ؛ لما له من صدارة في الدراسات اللغوية ولكونه أصل اللغات ، «وقد نُبه بتأكيد بالغ على مهمة الصوت اللغوي في إثارة الإحساس الوجداني عند العرب ، وإيقاظ الضمائر الإنسانية للتوجه نحوه لدى استعماله الحروف الهجائية المتقطعة في جمهرة من فواتح السور القرآنية ، وفي أسرار فواصل الآيات وفي قيم الأداء القرآني وفي الدلالة الصوتية للألفاظ في القرآن»²⁶، ولعل اقتضاءات البنية الصوتية في الخطاب القرآني لها من الأهمية في الكشف عن ذلك التفاعل والتّحاور بين المتخاطبين.

4- اقتضاءات البنية الصوتية لدلالة المنطوق في

(سورة التكاثر)

تأسيساً على ما سبق ذكره حول تطوّر مفهوم الاقتضاء ، يصل البحث إلى أنّ الاقتضاء اللغوي مصطلح وظيفي تداولي موزّع بين علوم اللغة العربية ، ومبثوث ضمن مباحثها ، وهذا دليل واضح على أهميته ضمن العملية التّواصلية. والصوت واحد من هذه الاقتضاءات الهامة ، والمؤسسة لكلّ الاقتضاءات الأخرى (تصريفية وتركيبية ودلالية وتداولية) ، يسعى إلى إظهار فهم السامع ، وكشف مقاصد المتخاطبين من خلال مباحثه الفرعية وظواهره اللغوية من وقف ومدّ وتنغيم وفاصلة ، وذلك باعتبار أنّ الصوت يشكّل أطر البنية اللغوية الرئيسة لكلّ لغة طبيعية ، وأنّه حيز الزاوية الأساس والعامل الرئيس المفضي إلى تشكيل اللغة التي تُوصف بأنّها مجموعة من الأصوات يقتضي بعضها بعضاً.

وتخضع المقتضيات الصوتية لعوامل سياقية ، وأخرى لغوية ، منها على سبيل الذكر العلة الفاعلية أو العامل المقتضي ؛ إذ يكون للأصوات أثر فعال في تشكيل الأبنية عن طريق اقتضاءها للتغييرات الصوتية على نحو المجانسة والمخالفة والمائلة الصوتية²⁷، وذلك حسب اقتضاء العبارات القرآنية وسياقاتها الإبداعية المشكّلة للخطاب القرآني المكّي ، وبما أنّ البحث يتناول الصوت في الخطاب القرآني بعدّه أصغر وحدة في المنطوق ، فإنّ هذه الوحدة الصوتية الأصغر يمكنها أن تمثّل مادّة بحثية لها قيمتها الدلالية.

يتّضح من هذا القول -بالنسبة لظاهرة الاقتضاء-، أنّ اعتماد التحليل على الجانب الدلالي وحده غير كافٍ ، بل لا بدّ من رصد إواليات تداولية في الظاهرة في شقّها الثاني (التداولي) ، ذلك أنّ التفاعل القائم بين المكونات الثلاثة: التركيب والدلالة والتداول في أيّ وصف يرمي إلى الإحاطة بمقومات الظاهرة اللغوية كلّها¹⁹.

لذا تحاول الدراسة التطبيقية في هذا البحث المزوجة بين البعدين الدلالي والتداولي للمقتضيات الصوتية لدلالة المنطوق في (سورة التكاثر) لمعرفة وظائفها التّواصلية ، وآداءاتها الإبداعية.

3- الصوت اللغوي في الخطاب القرآني

لقد استطاع الصوت القرآني خلق جوّ من التفاعل لدى مستمعيه ، وذلك من خلال نغماته المتباينة ودرجاته المتفاوتة بين الشدّة واللين ، وبين القوّة والضعف ، والتي تظهر تبعاً لاختلاف مخارج هذه الأصوات وصفاتها من حيث الوضوح والشدّة والسرعة والاستعلاء ، وغير ذلك من الصفات والخصائص التي يميّز بها الصوت ، و تتمايز بواسطتها الأصوات اللغوية ، ويتعلّق بها نوع من المعاني تسمّى المعاني الطّبيعية التي لا توصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية²⁰ ؛ لأنها في الواقع — كما يقول تّهام حستان — مؤشرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان — تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصّفة — فمثل تأثيرها في وجدان السامع مثل النّغمة الموسيقية تطرب لها ثمّ لا تستطيع أن تقول لم طربت²¹.

ولعلّ العنصر الذي يبهّر المستمع لهذا القرآن المعجز ، ويستحوذ على كيانه هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي هو أول ما تحسّه الأذن²² ، والذي قسّمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوّعاً يجدد نشاط السامع لسماعه ، ووزعت في تضاعيفه حروف المدّ والغنة توزيعاً عادلاً ، يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس فيه آنأ بعد آن²³.

هذا النظام الصوتي الفريد المعجز في تلاؤمه وحسن تناغمه هو ما سمّاه سيّد قطب بالموسيقى الدّاخلية ؛ إذ يقول: «إن هناك نوعاً من الموسيقى الدّاخلية يلحظ ولا يشرح ، وهو كامن في نسيج اللفظة المفردة ، وتركيب الجملة الواحدة ، وهو يدرك بحاسة خفية وهبة لدنية»²⁴ ، فالمزج للخطاب القرآني الكريم غير متعلّقة به جملة ، ولا تركيباً فحسب ، بل المزج الكامنة فيه انطلاقاً من أصغر وحدة صوتية في بناء تعبيره ، والصوت عند الجاحظ (ت255هـ) «هو آلة اللفظ وهو الجوهر

واحدة ، والصفات واحدة ، لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد ، وصفة واحدة لا تُفهم»³³ .

فالمقتضيات الصوتية تُعنى بالبنية الصوتية للمفردة القرآنية ، وما تقتضيها هذه البنية من عناصر الاتساق والانسجام بين الفونيمات ، أو التباعد بين مخارجها ، ذلك أن التشكيل الصوتي خاصة في الخطاب القرآني بما يتضمنه من مزايا فريدة يفرضها الاستعمال والقصد الدلالي يتعدى إطاره الخاص الذي وُضع له في اللغة ويصبح ذا أثر فاعل في جلاء القصد ، وإيضاح الغاية ، إضافة إلى ميزته الجمالية ، والتي تُضفي على التعبير أنغاما موسيقية تتداخل وتتواشج في بنية الخطاب اللغوية³⁴ .

ويروم هذا العنصر دراسة الفونيمات التركيبية لـ (سورة التكاثر) لكونها عنصراً أساسياً من المفردة القرآنية ، وبوصفها عناصر لغوية مقتضية للتركيب الصوتي³⁵ ، والمتمثلة في الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة.

* اقتضاء الأصوات الصامتة (الصوامت): تشكل الصوامت في المفردة القرآنية الركن الرئيس ، وهي قابلة للتغيرات الصوتية انطلاقاً من رتبتها في الكلمة ومجاورتها لبقية الصوامت والصوائت واقتضاءها لها ، وكذا الموقف التواصلي الذي صيغت فيه ولأجله ، وفي (سورة التكاثر) اقتضت الضرورة الصوتية والسياقية أن تستهل بصوت صامت (الهمزة) يكاد يلقي بظلاله على مجمل العبارة الشريفة: **أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ** ١ من الناحية الصوتية ، «وصوت الهمزة في أول اللفظة يضاهي نتوءاً في الطبيعة. وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع ، فيلفت الانتباه كهاء التنبيه»³⁶ ، والهمزة صوت حنجري وانفجاري قوي ، يهيئ الجهاز النطقي للقراءة ، والدّهن للتفكير والتدبر ، كما يهيئ السامع بفجاءته الخاطفة ، ووضوحه السمعي العالي لسماع السورة وتدبر معانيها³⁷.

ولوقوع هذا الصامت ، بانفجاره القوي المفاجئ اللّات في بداية السورة أن يوحى بعظم ما بعده من أمر جلل ، لا بدّ من التنبيه عليه ، ويدعمه في ذلك هذان الصوتان اللذان يقعان معه في المقطع الصوتي ذاته الفتحة القصيرة ، واللام في آ (أَلْ)، فهما من أوضح الأصوات اللغوية وقعا على السمع ، كما أن هذا المقطع الصوتي من النوع المتوسط ، الذي لا يمتدّ معه النَّفس ، ومن شأن هذا أن يدعم فجاءة

فكلّ صوت في هذا الكتاب الحكيم وضع موضعه الذي لا يصلح غيره ليحلّ محله ، فإذا وقف على سرّه انكشف بعض ممّا فيه ، وخفي ما هو أعظم²⁸ ، فإذا رجعت -مثلاً- إلى (سورة التكاثر) ألفت الهمزة في قوله تعالى **أَلْهَاكُم** قد وردت في سياق بليغ يوحى بالشدة ، ولفت انتباه الإنسان الغافل اللاهث خلف متاع الدّنيا ، هذا الانتباه الذي كان باعثاً على التأمّل والتدبر.

هذه البلاغة الصوتية القاهرة كانت سبباً في اختيار المتن الشريف (سورة التكاثر) -رغم قصره- مادةً تطبيقية للبحث لإظهار ما انمازت به هذه السورة من بناء صوتي متلائم²⁹ ، بمخاطبتها عقول المخمورين السادرين ، الذين أشرفوا على الهاوية ، المتكاثرين بالأموال والأولاد ، الذين لا بدّ من مخاطبتهم بلغة تنماز بالجمال الصوتي ، والتناسق الفني ، والإيقاع الموسيقي³⁰ ، غير ما ألفتة العرب في أشعارها ، وسمعته في خطبها وأخبارها.

وما يرومه هذا البحث هو إبراز الوشيجة بين الصوت الظاهر ومعانيه الخفية المقتضاة ، تلك الوشيجة التي راعت انتباه القدماء والمحدثين ، والتي ما تزال بحاجة إلى مزيد من الكشف والبسط.

5- المولدات والمقتضيات الصوتية في (سورة

التكاثر)

سيحاول هذا العنصر التعرّض بشيء من الحيطة والحذر لطبيعة العلاقة بين صفات الصوت اللغوي في نماذج من آيات في (سورة التكاثر) والمعنى الخفي المقتضى الذي يطلبه السياق التواصلي ، هذا المقتضى الصوتي الذي يحدده وينهض به إمّا صوت مفرد ، وإمّا صوت مركّب في لفظ واحد أو أكثر ، إن على مستوى الكلمة المفردة ، أو على مستوى الجملة والعبارة والآية ، أو حتّى على مستوى السورة بأكملها.

أ- اقتضاء الأصوات المفردة غير المرغبة: تعدّ

الأصوات مادة الألفاظ ، والعمدة في تكوين الأداء ، وإعطائه رنيناً إضافياً يزيد من وضوح التعبير وصدقه على حمل فكرة المتكلم ، أو التأثير بها في ذهن السامع³¹ ؛ ذلك أن حدّ اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم³² . ولاختلاف الصوت في الخطاب القرآني كميّة وظيفيّة تداوليّة ، هي التمييز بين المنطوقات توخيّاً لفهم والإفهام ، يقول مكّي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ): «ولو كانت مخارج الحروف

الشَّريفة الثَّانية فاصلة حرف (الرَّاء)، وليس هذا مراعاة للفاصلة في الآية الكريمة الأولى طلباً للتَّغْم الموسيقيّ فقط، بل أن لفظة (الْمَقَابِر) تفرض نفسها فرضاً بيانياً قاطعاً، دون حاجة إلى النَّظر في الفاصلة معها، ف (الرَّاء) في لفظة (الْمَقَابِر) هي المقتضي والمقتضى هو مقام الإنسان المتناسي دينه وآخرته، اللّاهي والمتكاثر والمتفاخر بأمواله وشهوته، ونسائه وأولاده، وبنائه وقصوره، وخدمه وحشمه، وشؤونه وسلطانه، وهذا كلّ تكاثر يصحبه التَّفاخر والتَّنازع ومن ثمَّ التَّنافر⁴⁵. والمقابر جمع مقبرة بفتح الموحدة وضمّها، والمقبرة الأرض التي فيها قبور كثيرة، ويحتمل أن تكون الغاية للمتكاثر الدّال عليه لفظ التكاثر؛ أي التكاثر بكلّ شيء حتّى بالقبور تعدّونها؛ بمعنى آخر "زرت المقابر لتعدّوا القبور"⁴⁶، وبالتالي كان المعنى المحذوف والمطلوب تضاعف الرّعب والرّهب في قلب الكفّار الذي دلّت عليه القرينة اللّغويّة (الْمَقَابِر)، والتي تُعدّ مولداً سياقياً لهذا المعنى المضمر.

ولمّا كان المقام مقام توبيخ موجّه للمشرّكين انتقل الخطاب إلى نسق آخر في فاصلة قرآنيّة تقف عند حرف (النون) في قوله عزّ وجلّ: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" ثمّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ⁴⁷. [التكاثر: ٣-٤] اقتضى سياق الرّجر إبطالا لإنهاء التكاثر⁴⁷. ثمّ انتقل الخطاب مرّة أخرى إلى تشكيل صوتي آخر في فاصلة قرآنيّة يحددها الصّامت (الميم) تظهر من خلال هاتين الآيتين الكريميتين: "لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ" [التكاثر: ٦] "ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" [التكاثر: ٨]، فلا شكّ في أن هذا الصّامت يُعدّ بؤرة اهتمام في كلتا الآيتين الشريفتين، وما يحمله من دلالة صوتية تقتضي دلالتين مختلفتين باختلاف اللفظة اللّغوية المولدة لكلّ منهما، فهو في الأولى يوحى بعظم الجحيم، وزيادة في الإنذار والتنبية تقشعر له الأبدان. وفي الثانية يوحى برهبة السّؤال الأخير ورعشته، سؤال الميزان الذي يحدّد مصير ابن آدم؛ فإمّا إلى النّعيم، وإمّا إلى الجحيم⁴⁸، — والعياذ بالله جلّ وعلا.

وبعدّ هذان الصّامتان (النون والميم) أكثر الأصوات تردداً في الفاصلة المكيّة لما لهما من موسيقى عالية وغنّة⁴⁹ ظاهرة، إلّا أنّها في صوت النون أشدّ منها في صوت الميم⁵⁰، لذا اقتضى سياق الإنذار والتّهديد تأهيل صوت النّون لما يحمله من رنين ودلالة توحى بالشّجن المؤثّر في النّفس اللّاهية وراء التكاثر والتّفاخر والتّنازع.

الصّامت (الهزّة)، وما تقتضيه هذه المفاجأة من إحياء ووقع على سمع مخاطبيها.

ومن الصّوامت التي اقتضى السّياق ورودها، وحقّقت انسجاماً في (سورة التكاثر) صوت (التاء) المكرّرة خمس مرّات في هاتين الآيتين الشريفتين: "أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ" حتّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ⁵¹ [التكاثر: ١-٢]، والتاء -كما هو معروف- صوت انفجاريّ مهموس يوحى في هذا المقام بما يجده اللّاهي في لهوه من توتّر وضلال، فما بالك أيّها السّامع، أو أيّها السّامع اللّاهي بما توحىه التّاءات المدغمة في الكلمتين الشريفتين (التكاثر) و(حتّى) من شدّة هذا الضّلال والضياع والتّخبط، وهذا ما يؤكّد اقتضاء التّاء لدلالة الاضطراب³⁸.

*-اقتضاء ضرب الفاصلة القرآنيّة: الخطاب القرآنيّ كلام الله فحسب، ليس من جنس التّثر في صنوفه وإن اشتمل على ذروة مميّزاته، ولم يكن ضرباً من الشّعْر وإن ضمّ بين دفتيه أوزان الشّعْر جميعها³⁹؛ لكنّه جمع بين خاصيتي التّثر والشّعْر معا في مصطلح الفاصلة القرآنيّة، فكانت كالفافية في الشّعْر، وقرينة السّجع في التّثر، فيها من جمال التّظم ما يستهوي النّفوس، ويستعري الأسماع.

«الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني»⁴⁰. وتقع الفاصلة القرآنيّة عند الاستراحة بالخطاب بغية تحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين الخطاب القرآنيّ بها سائر الكلام⁴¹، وتكمن الوظيفة التداوليّة لفواصل القرآن الكريم في أنّها طريق إبلاغيّ إلى إفهام المعاني الخفيّة والضمنيّة التي يُحتاج إليها في أحسن صورة يُدلّ بها عليها⁴².

والمتتبّع للنّظام الصّوتيّ في الخطاب القرآنيّ — وخاصّة الخطاب المكيّ منه-يلفه ينماز بحسن اتّساقه⁴³، وبديع ائتلافه «في حركاته وسكناته، ومدّاته وغمّاته، واتّصالاته وسكناته، اتّساقاً عجيباً ائتلافاً رائعاً، يستعري الأسماع، ويستهوي النّفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أيّ كلام من منظوم أو منثور»⁴⁴.

وما ورد من تنوّع في الفواصل القرآنيّة اقتضاه السّياق التّخاطبيّ، واستدعاه التّغْم الموسيقيّ، ولم تقرضه طبيعة النّسق القرآنيّ فحسب؛ ذلك أنّ في السّورة الواحدة تعرض لك أكثر من فاصلة، ففي قوله تعالى: "أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ" حتّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ⁵¹ [التكاثر: ١-٢] اقتضى سياق الآية

وأما ألف المدّ في الحرف (كَلَّا) أفي قوله -عزّ وجلّ-:
 "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ
 الْيَقِينِ ﴿٧﴾" [التكاثر: ٣-٥] فيوحي بهول ما ينتظر اللاهين بعد
 زيارة المقابر، وما يقتضيه من قرع للقلوب، وتنبيه للأسماع،
 وردع للتفوس من خلال جرسه الرهيب الرصين المكرر
 بألفاظه⁵⁹.

وأما صوت المدّ (الواو)، الناتج عن إشباع حركة
 الضمة والمكرر ثلاث مرّات في (تَعْلَمُونَ)، فهو «حرف لين
 جوفي»، ويكون للانفعال المؤثّر في الطّواهر⁶⁰، وقد صوّر
 حال اللاهين المتكاثرين بمتاع الدّنيا، الغافلين المتفاهرين،
 فهؤلاء كانوا في استمرار دائم في الانغماس في الملذّات،
 والإلهاء بالتكاثر بالأموال والأولاد، وامتداد لهوهم ولعبهم في
 الحياة الدّنيا، إلى أن يُلاقوا يومهم بعد طول الوعد وامتداده.
 وهذه الملاقاة دائمة ومستمرّة في الجحيم، يُحاكيها صوت
 (الواو) الممتدّ إلى الأمام.

وأما صوت المدّ (الياء)، فهو «حرف لين جوفي»
 ويكون للانفعال المؤثّر في البواطن⁶¹، وله دور بارز لا يقلّ
 عن دور مثليه (الألف والواو) في محاكاة المعنى، والمكرر في
 هذه الكلمات الشريفة (اليقين) و(الجحيم) و(النّعيم)، وقد
 تكرّر الإيقاع الناتج عن صوت المدّ (الياء) أربع مرّات، مرّتين
 منها بألفاظه من خلال تكرار الكلمة الشريفة (اليقين)،
 وحسب المرء ما يُوقعه هذا التكرار الصوتي ذو الإيقاع القويّ
 الموحى بعظمة منشئه -جلّ جلاله- في روعه من دلالة الرّهبة.

ب- اقتضاء الأصوات المفردة المركّبة: يتوسّل هذا
 العنصر إبراز بعض مظاهر اقتضاء الأصوات المفردة المركّبة في
 (سورة التكاثر)، والتي تعدّ اقتضاءات للفونيمات فوق
 التركيبيّة.

وينماز هذا الضرب من الاقتضاء بكونه «عناصر صوتيّة
 ووحدات وظيفيّة لا وجود لها ذاتيّاً، بل تظهر حين تُضمّ إلى
 أخرى مع فونيم واحد أو مع عدّة فونيمات، لتحقيق دلالة
 صوتيّة معيّنة في السلسلة الكلاميّة»⁶².

وللاقتضاءات الصوتيّة فوق التركيبيّة أثر فعال في
 إبراز الخطاب القرآنيّ، وتفسير دلالاته السياقيّة⁶³، وذلك من
 خلال توليد مقتضيات صوتيّة تنتج عنها دلالات اقتضائيّة
 مضمرة نحو ما ينتجه كلّ من التّبر والتّنفيم والوقف من معانٍ
 مقتضاة. وسيكون التّركيز في هذا العنصر على اقتضاء

*- اقتضاء الأصوات الصائتة (الصّوائت): يمثّل هذا
 الضرب من الاقتضاء بما يُعرف بالمدّ أو ظاهرة المدود، وهي
 ظاهرة صوتيّة موسيقيّة، تتمثّل في «إطالة الصّوت وامتداده،
 تقتضيها الألف، والياء، والواو، وهذه الإطالة ذات قيمة في
 العبارات القرآنيّة واقتضاءاتها الصوتيّة»⁵¹، أين تقتصر وظائف
 أصوات هذه المدود على الإيحاء بالاتّجاهات الثلاث، الألف
 اللينة إلى الأعلى، والواو إلى الأمام، والياء إلى الأسفل^{52,53}.

وتشارك الأصوات الصائتة (الألف، والياء، والواو)
 -إلى جانب الأصوات الصائتة في بناء فواصل (سورة التكاثر)
 بناء موسيقيّاً متميّزاً، لما تمتاز به من قوّة وضوحها السّمعّي،
 وما تفيد من ترنم وتطريب للأذن، وتنشيط للعقل⁵⁴، إذ
 «كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف
 المدّ واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكّن من
 التّطريب بذلك»⁵⁵.

فإذا تأملت الخطاب المكيّ في (سورة التكاثر)
 ألفتبه خطاباً واضحاً بصورة جليّة في اقتضاء ومحاكاة هذه
 الصّوائت للمعاني والأحداث الواردة في سياق الآيات، فأما في
 قوله -جلّ وعلا-: "أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾"
 [التكاثر: ١-٢] "لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٣﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٤﴾"
 [التكاثر: ٦-٧] فحرف الصائت (الألف) «يتّسم بما به
 من الاستطالة والامتداد إلى الأعلى»⁵⁶ قد حاكي أكثر من
 حدث، واقتضى أكثر من دلالة مضمرة كشف عنها السّياق
 القرآنيّ وأوردتها أسباب التّزول، منها دلالة طول اللّهُو
 واستطالة أمده، والوقت الطّويل الذي يقضيه اللاّهون في
 زيارة المقابر، فقد صوّر صوت المدّ (الألف) تلك الأحداث
 والمعاني المتّسمة بطول زمن استغراق حدوثه، وفي ذلك
 يقول صاحب التّحرير والتّنوير: «أي دام إلهاء التّكاثر إلى أن
 زرتم المقابر؛ أي استمرّ بكم طول حياتكم»⁵⁷، وهذا ما
 اقتضته هذه المقاطع الصوتيّة القويّة، المفتوحة: (ها: -haa-
 (كا: -kaa-) (تي: -taa-) (قا: -qaa-)، أين سمحت الفتحة
 الطويلة، والتي تُعدّ من أكثر الأصوات اللّغويّة امتداداً في
 التّطوق للصوائت الثلاث (الهاء والكاف والقاف) بالانطلاق
 مصوّرة دلالة استغراق اللّاهي المتفاهر في ضحكته تصويراً
 دقيقاً، وموحية بطول اللّهُو المستغرق عمر اللاهين كلّهُ،
 ذلك أنّ انفتاح النّفس وامتداده مع المقاطع الصوتيّة الأربعة
 السّابقة بفتحاتها الطويلة تجعل القارئ لها يستشعر أيّام هذا
 العمر ممتدّة⁵⁸.

النفس عند انقطاع النفس، وكذا عند تمام الغرض من الكلام⁷⁰. وتكمن الوظيفة التواصلية المتوخاة من الوقف في العملية الاقتضائية التي يستعملها المتكلم بغية إفهام السامع المضمون الدلالي للكلام⁷¹.

وهناك مواضع محدّدة في الآيات القرآنية يقتضيها الوقف، منها الوقف على رؤوس الآيات، ذلك أنّ النظام التشكيلي الصوتي للفواصل القرآنية هو الذي يقتضي هذا الوقف إبرازاً لموسيقى الفواصل⁷² التي تخدم معاني مضمرّة وفق سياق تواصلية خاصّة؛ لأنّ فواصل

الخطاب القرآني -خاصّة الخطاب المكي- «مطلّقة وقف واستراحة»⁷³.

ومن أمثلة هذا الضرب من الوقف في (سورة التكاثر) تسكين فاصلة (حرف الرّاء) في نهاية كلّ من الآيتين الشريفتين: "أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ" [التكاثر: ١-٢] تكرار لصوتها، الصادر بتكرار ضربات اللسان على مؤخّر اللّثة تكراراً سريعاً⁷⁴، «ومن شأن هذا الملمح التّمييزي، الذي تتمتع به هاتان الرّاءان، إضافة إلى راء (زرتم) أن يوافق فكرة التكاثر والتّناسل، التي تحمل دلالة التتابع والاستمرار في هاتين الآيتين»⁷⁵، لذا اقتضى السياق تكرار هذا الصّامت تنابعا، فجاء صوت الرّاء الساكن والمكرّر اقتضاء لدلالة تنابع التكاثر والتّناسل واستمرارهما.

وبالوقف على رؤوس هذه الآيات الست: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۚ" [التكاثر: ٣-٨]، يسكن الحرف الأخير، ممّا يقتضي تكوين المقطع الصوتي الطويل المغلق في (مون) و(قين) و(حيم) و(عيم) ذي البروز الصوتي والوضوح السمعي العالي، وما يتّصف به من ثقل ملحوظ في النطق، من شأنه أن يزيد بصفاته هاته شعور الخوف والرّهبة⁷⁶ وما يثيرانه في النفس من ثقل بهم الدّار الآخرة.

ج-الاقتضاء السياقي للأصوات في (سورة التكاثر):

يُعنى السياق الصوتي «بالتحوّلات السياقية التي تطرأ على الصوت اللّغوي، فتفقده بعض خصائصه، أو تُكسبه خصائص أخرى، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ هذه التّغيّرات تتمّ بمقتضى ما سمّوه قانون الصوت الأظهر، وهو الذي يكون فيه قدر من الخصائص التي تجعله أقوى من غيره من الأصوات»⁷⁷.

الأصوات المفردة المرغّبة للحرف الشّريف (كَلَّا) والاقتضاء الصوتي للوقف.

*- اقتضاء الصوت فوق التركيبي للحرف (كَلَّا):

تأمل أيّها المشرك اللّاهي، اللّاهث وراء شهواته هذه الآية الكريمة (كَلَّا سوف تعلمون) شملت ثلاث مقتضيات صوتية الفاصلة (النون) والتّكرار وتوظيف (كَلَّا)⁶⁴، هذا الحرف الذي يفيد الرّدع، وهو مولّد لغوي اقتضائي يقتضي مطلوبا مناسباً للرّد المؤثّر العنيف على نفوس المشركين المعاندين في مرحلة الدّعوة (الطّور المكي)، وقد كان فيهم جبابرة غلاظ الطّباع، وعناة أفضاظ لا تلين قلوبهم للكلمة العذبة الرقيقة، بل يناسبهم خطاب يحمل شحنات صوتية فيها شدّة وقوّة تؤزّمهم أزا، وفيها تخويف وتهديد يتوعّدهم توعّدا، ولا جرم أن يكون المقتضي الصوتي (كَلَّا) أنسب محدّد لدلالة الرّجز وغلظة الوعيد، والذي تُقال في مثل هذا المقام الشّديد، ومع هؤلاء الأشقياء الجبابرة، قساة القلوب⁶⁵.

وبعدّ الحرف (كَلَّا) آ في (سورة التكاثر) أساس

العملية التّخاطبية، فآله-جلّ وعلا- يخاطب حسّ السامع العربيّ الفصيح، ويقظة ذهنه، فيختزل الخطاب إلى أقصى حدود الاختزال، ويحرز السامع -والخطاب للمشركين- مراده منه، فيعيد بناء الكلام في ذهنه مستوعبا المعاني المضمرّة⁶⁶ بعد أن كفل له المولّد الاقتضائي (كَلَّا) آ الوصل بين بنية السابقة الشّريفة "أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ" [التكاثر: ١-٢] وبنية اللاحقة الشّريفة لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ [التكاثر: ٦-٨]، ولما كان دورها الوظيفي الوصل، كانت العلاقة علاقة اقتضاء بين المردود عليه والمردود به.

*-اقتضاء الوقف: تعدّد ظاهرة الوقف في (سورة

التكاثر) من مقتضيات الفونيمات فوق التركيبية، «إذ كلّ توجيه للمعنى يقتضي ضربا من الوقف يناسبه»⁶⁷. والوقف هو قطع الصوت عن الكلمة زمنا، يتنفس فيه بنية استئناف القراءة، ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها⁶⁸.

وللوقف في الخطاب القرآني دواعي وأسباب يجد

المتكلم نفسه إزاءها، أمام حاجة ملحّة لأن يقف ويسكت ويقطف كلامه زمنا⁶⁹، اقتضاء إمّا لاستئناف القراءة، أو تبيان الفروق بين المعاني المختلفة عن طريق التشكيل الصوتي لضبط العلاقة بين ظاهر اللفظ، ومضمون القصد، أو إراحة

اقتضت دلالة الضيق ما توحى به هذه الآيات الثلاث: "لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ" ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ " [التكاثر: ٦-٨] من ثقل في النطق اقتضاه القسم والغنة في البنيتين اللغويتين الشريفتين (لَتَرَوُنَّ) و (لَتُسْأَلُنَّ)، فكان التنغيم تنغيم قسم يوحى بوقوع العقاب، ويشعر بسلطة الله -عز وجل- القاهرة في الكون.

فحين يتأمل القارئ إصغاءً في البنيتين اللغويتين الشريفتين السابقتين، فإنه يقع على «تتابع انفجاري لصوت الغنة (ن)، وسبب الانفجارية هاته هو الـبـر الذي يقع في آخر المباني الإفرادية الثلاثية، وغاية البروز الصوتي الدلالي هنا، هو تأكيد وتشديد على الجزاء المنتظر، وهو أمر يُقرأ فيه إعجاز وإقناع ذهني، كما يُقرأ فيه دعوة إلى ترهيب نفسي لذات المتلقي»⁸⁴.

فيا أيها القارئ المتدبر للذكر الحكيم، إذا أخذت البعد التداولي لـ(سورة التكاثر) وأسباب نزولها لاحظت أنها ربطت السبب بالمسبب، فخاتمة السورة الكريمة ولاحقتها جاءت اقتضاء لصدارتها وسابقتها، حيث أن سبب ورود القسم برؤية الجحيم عياناً وبالسؤال عن النعيم اقتضته حياة الإنسان العابثة واللاهية.

خاتمة

جاءت (سورة التكاثر) المكينة رغم قصرها حافلة بدلالات صوتية اقتضاها السياق القرآني، لتشكّل وقعا خاصاً متجلياً بمفردات وتراكيب منتقاة، تكوّنت من صوامت وصوائت مختارة شكّلت نظاماً صوتياً فريداً في معانٍ مضمرة وظلال مكثفة، في النغم والإيقاع الموسيقي.

وجاءت لتختزل بتشكيلها الصوتي المتلائم رحلة الإنسان في هذه الحياة الفانية بين امتداد عبثه وانشغاله بالتكاثر والتفاخر وسفاسف الحياة الدنيا وبين حياة الجحيم التي يُحشر فيها، وسؤاله عن ذلك النعيم الذي شغله عن الدار الآخرة. وقد خلّص البحث إلى نتائج مفادها:

* تعدّ دلالة البنية الصوتية في (سورة التكاثر) ركناً رئيساً لا يمكن الاستغناء عنه بأية حال من الأحوال في بلوغ المعنى المقصود من المنطوق غير الصريح، والإحاطة به.

* إنّ التغيّيرات الصوتية تقتضي تغيّيرات في الدلالة، ولاختلاف الصوت قيمة تداولية تقتضي التمييز بين المنطوقات، فكلّ صوت في (سورة التكاثر) وُضع موضعه

يتوحى هذا العنصر النّظر في الاقتضاءات السياقية للأصوات الواردة في خطاب (سورة التكاثر) برمتها، نظرة كلية تتّصف بالشمولية، وذلك من خلال ربط المقترضات الصوتية الواردة في بداية الآية بمولّداتها الاقتضائية، مروراً بلواحقها، ووصولاً إلى آخر آية في هذا الخطاب المكّي؛ حيث راعت هذه السّورة أن تبدأ بالصّامت الانفجاريّ (الهزمة)، والذي ينتجه أوّل مخارج الجهاز النطقيّ الحنجرية. وها هي السّورة تراعي أن تنتهي بصوت (الميم) هذا الصّامت الذي يُنتجه آخر مخارج هذا الجهاز النطقيّ: الشفتان.⁷⁸

يقول الباحث مهدي عناد قبها، وقد أبدع في شرح التشكيل الصوتي وتحليله لـ (سورة التكاثر) كما أبدع قبله سيّد قطب حين فسّرها في ظلاله (ظلال القرآن): «فقد فُصرت السّورة بين أوّل المخارج وآخرها، لتوحى، باعتقادي، أنّ هذا الكلام -جلّ شأنه- بدأ وأنهى؛ فلا نقاش فيه، ولا جدال، وكأنّها تُقرّئنا بذلك قوله تعالى "إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ" ﴿٧٩﴾»⁸⁰.

فمن عجيب اقتضاءات البنية الصوتية الواردة في (سورة التكاثر) ذلك التدرّج المخرجي للأصوات، أين «تبدأ الآية الأولى بصوت الهزمة الحنجري، تتلوها الثانية بصوت الحاء الحلقي، فالثالثة بصوت الكاف الطبقي، فالرابعة بصوت الناء الأسناني.

ويتكرّر الأمر نفسه في الآيات الأربع الأخيرة؛ فتبدأ الآية الخامسة بصوت الكاف الطبقي، تتلوها السادسة بصوت اللّام اللّثوي، فالسابعة والأخيرة بصوت الناء الأسناني»⁸¹، فتولّد عن هذا المقتضى الصوتي، المتمثّل في التدرّج المخرجي للأصوات تصاعداً نغمياً بديعاً، تزداد تردّداته تدريجياً وفق نسق طبيعيّ عذب⁸²، خدم دلالة التنبيه أولاً، ثمّ تدرّج النّغم صاعداً نحو دلالة الرّدع والوعيد، ليصل أخيراً نحو دلالة التأكيد على الزّجر والتّهديد بالقسم.

ففي انتقال الفم من اتّساعه المطّرد بنطق الفتحات المتتابعة في همزة (أهاكم) أ ونا (التكاثر) وحاء (حتى) أ وميم (المقابر) إلى ضيق النطق بالضمة في (تعلمون) أ أو الكسرة في (اليقين) أ و (النعيم) آفجأة، هذا الضيق المفاجئ الذي يصرّ في ظلّ الرّدع والزّجر، والتّهديد والوعيد انتقال اللاهي المتفاخر والمتكاثر بأمواله وأولاده فجأة من الحياة الدنيا الواسعة الممتدة امتداد الفتحة إلى ضيق في الآخرة⁸³ كضيق القبر وعذاب واقع. ولعلّ من المولّدات الصوتية التي

الذي لا يصلح غيره ليحل محله، -سواء أكان صامتاً أم صائتاً- ، وهذا ممكن الإعجاز الصوتي.

* أصوات (سورة التكاثر) التي تشكلت منها كلماتها قد اختيرت بعناية إلهية فائقة، لتتوافق والجو العام للسورة، أو الجو الخاص الذي أريد للآية الشريفة أن تضع فيه المتلقي، جامعة بين جلال المعنى وجمال المبنى الصوتي تحقيقاً لعملية الإبلاغ والتأثير.

* اتسم التشكيل الصوتي لـ (سورة التكاثر) بوقع سمعي خاص، اقتضته الأصوات المفردة من صوامت وصوائت، وتأثير نفسي للأصوات المركبة على نفوس اللاهثين خلف الأموال والأولاد، ومدلول انفعالي جسده مقام التهديد والوعيد والزجر، حيث:

- صُدّرت (سورة التكاثر) بالصامت (الهزمة) اقتضاءً لدلالة تنبيه ذهن المخاطبين، وتهيئة نفوسهم لسماع خطاب الله عز وجل -لهم، ثم تدبر معاني هذا الخطاب الجلل.

- ثم أردفت بالصامت المكّرر (الراء)، المقتضي مقام الإنسان المتكاثر والمتفاخر، وفي تكرير صوت الراء دلالة على استمرار هذا التكاثر.

- وأخيراً ختمت بالصامتين (النون والميم) لما لهما من غنة ظاهرة، وتأثير صوتي بارز على الجو العام للسورة.

* ساعدت الأصوات الصائتة (الألف، والياء، والواو) - إلى جانب الأصوات الصامتة- في بناء فواصل (سورة التكاثر)، وكان لكل صائت من الصوائت الثلاثة دلالة ظاهرة، ووقع خاص به انطلاقاً من رتبته وموقعه.

* تنوعت فواصل (سورة التكاثر) اقتضاءً للسياق القرآني، وخدمة للنغم الموسيقي، ولا يتحقق الاقتضاء الصوتي للفواصل إلا حال الوقوف عليها بالسكون تحقيقاً لجمالها الصوتي، وخدمة للمعنى المضمر الذي تريد الآية تبليغه.

* اقتضى سياق الرد المؤثر العنيف على المشركين اللاهثين بتكاثرهم وأموالهم المولّد الاقتضائي الصوتي (كلاً) الخادم لدلالة الردع والتنبيه في الآية الأولى، ثم دلالة الوعد والوعيد وزيادة في الزجر في الآية الثانية، وتأتي الآية الأخيرة توكيداً للدالتين السابقتين.

* جاءت المقاطع الصوتية قصيرة؛ لكن كل مقطع يوحي بدلالات اقتضائية ومعانٍ مضمرة غاية في الروعة والدقة، تبين قوة الخطاب وشدته، هذا الخطاب الذي يهز هزاً أعماق اللاهثين وراء الأموال والأولاد متناسين الحياة الآخرة، أو غافلين عنها.

الهوامش

1. ينظر: إبراهيم صبر الرازي: البناء الصوتي في السور المكية، دار الحصاد، دمشق، سورية، ط 1، 2014م، ص 18.
2. ينظر: ريم الهمامي: الاقتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2013م، ص 7 (من تقديم عبد الله صولة).
3. المرجع نفسه، ص 29.
4. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1968م، مادة (ق، ض، ي)، ج 15، ص 186/187.
5. ينظر: الزأغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق وتعليق: مصطفى بن العدوي، مكتبة فائض للتجارة والتوزيع، المنصورة، ط 1، 2009م، (كتاب القاف)، ص 516.
6. فخر الدين قباوة: مشكلة العامل التحوي ونظرية الاقتضاء، المطبعة العلمية، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2003م، ص 121.
7. ينظر: المرجع نفسه، ص 125.
8. ينظر: بنعيسى عسو أزيبط: الخطاب اللساني العربي- هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد)، ج 2 (مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2012م، ص 51.
9. فتحي الدرديني: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 3، 2013م، ص 275.
10. عبد الجليل الغندوري: دلالات المنطوق غير الصريح وقواعده التفسيرية، 14 يناير 2014م، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/abdeljalil.elghandoury/posts/>
11. أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دط، ج 2، ص 187.
12. ينظر: البخاري: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1994م، ص 191-192.
13. ينظر: عبد العزيز العيادي: مناهج الاجتهاد المقاصدي، معالم وضوابط، منشورات مكتبة آقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 2009م، ص 207.
14. ينظر: الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، شرح وتخرير الأحاديث: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ج 3، ص 258/261، وينظر: عبد العزيز العيادي: مناهج الاجتهاد المقاصدي، ص 208.
15. ينظر: فرانك نوفو: قاموس علوم اللغة، ترجمة: صالح الهاجري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2012م، ص 77.
16. ينظر: ريم الهمامي: الاقتضاء وانسجام الخطاب، ص 9/8 (من تقديم عبد الله صولة).
17. ينظر: المرجع نفسه، ص 9 (من تقديم عبد الله صولة).
18. عبد السلام إسماعيلي علوي: ما التداوليات، ص 21، مقال منشور في كتاب جماعي: (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب العربية، إربد، الأردن، ط 1، 2011م.
19. ينظر: بنعيسى عسو أزيبط: الخطاب اللساني العربي- (مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية)، ج 2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2012م، ص 51.
20. ينظر: نجيب علي عبد الله السوداني: الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني، جامعة تعز، اليمن، 2013م، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://ust.edu/ojs/index.php/JSS/article/view/314>
21. تيمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993م، ص 43.
22. ينظر: نجيب علي عبد الله السوداني: الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني.
23. ينظر: محمد عبدالله دراز: النبا العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، ط 1، د ت، ص 56.
24. سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1949م، ص 25.
25. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، ط 7، 1998م، ج 1، ص 79.
26. محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م، ص 44.
27. ينظر: فخر الدين قباوة: مشكلة العامل التحوي ونظرية الاقتضاء، ص 24، وينظر: أشواق محمد إسماعيل النجار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، ط 1، 2008م، ص 61.
28. ينظر: سيد علي مير لوي وماجد النجار: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين)، مجلة أهل البيت - عليهم السلام، العدد 09، ص 32، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <file:///C:/Users/hp/Desktop>
29. بدأ سيد قطب تفسير هذه السورة مشيراً إلى تشكيلها الصوتي، وما يوحي به من دلالات إبلاغية بقوله: «هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق، وكأنها صوت نذير قائم على شرف عالٍ، يمدّ صوته، ويدوي بنبرته، صائحا بنوم غافلين مخمورين سادرين، أشرفوا على الهاوية، وعقولهم مغبضة، وحسهم مسحور، فهو يمدّ صوته إلى أبعد ما يبلغ....»، لمزيد من التفصيل ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1996م، ط 25، مج 6، ص 3962.
30. ينظر: إبراهيم صبر الرازي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 7-8 (من المقدمة).
31. ينظر: حسن ظاظا: كلام العرب (من قضايا اللغة العربية)، كتاب صوتي بقراءة: محمد أبو حسين الفتوح، المكتبة المركزية للكتب الناطقة، شبكة أنوار البصيرة، 9 ماي 2015م، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://archive.org/details/khaled_alridwany_9_201505/1.mp3
32. ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1999م، ج 1، ص 33.
33. مكّي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية، القاهرة، دط، دت، ص 117.

34. ينظر: محمد مبارك: استقبال التص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1996م، ص 99، وأشواق محمد إسماعيل النجار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص 67، 68.
35. ينظر: كمال بشر: علم اللغة العام-الأصوات، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1975م، ص 54.
36. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها-دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 1998م، ص 95.
37. - ينظر: مهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2013م، ص 87.
- صوت الراء من الأصوات التي ترتبط بعيوب النطق الاضطرابية، من ثأثة وتمتمة؛ فأما الاولى، فهي تكرار الراء عند الكلام، وأما الأخرى، فهي رد الكلام إلى الراء والميم. ينظر: فخري محمد صالح: اللغة العربية أداء ونطقا إملاء وكتابة، دار الوفاء، ط 2، دت، ص 97، و مهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، ص 90.
38. محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، ص 94.
39. الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1997م، ص 270.
40. ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، دط، دت، ص 54.
41. ينظر: رشاد محمد سالم: مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي- لطائف وأسرار، دار البشير، الإمارات، دار عباد الرحمن للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 4، 2017م، ص 135.
42. ينظر: إبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، دار الحصاد، دمشق، سورية، ط 1، 2014م، ص 190.
43. محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، دط، 2001م، ج 2، ص 259.
44. محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، ص 87.
45. أي أنكم تكاثرتُم بالأحياء حتى استوعبتُم عددهم، صرتم إلى المقابر فتكاثرتُم بالأموات، فعبرَ -عزَّ وجلَّ- عن بلوغكم ذكر الموتى بزيارة المقابر، تهكمًا بكم. ينظر: أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م، ج 8، ص 505.
46. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، دط، 1984م، ج 30، ص 521.
47. ينظر: مهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، ص 100.
48. الفحة صوت أغنَّ مرگ في جسم النون والميم؛ أي محلها النون والميم المشدَّتان، أو المدغمتان بفحة، أو المخفَّتان، والفحة صفة قائمة بذات الحرفين، ينظر: صبري المتولي: دراسات في علم الأصوات - الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط 1، 2006م، ص 40/39.
49. ينظر: إبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 193.
50. أشواق محمد إسماعيل: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص 109.
- المعروف صوتيًا، وانطلاقاً من حركة اللسان، أن اتجاهات هذه المدود الثلاثة تكون: الألف اللينة إلى الأمام، والواو إلى الأعلى، والياء إلى الأسفل، فلكي يتم نطق الصوت المتحرك (الضمة) - مثلاً- تتدور الشفتان ويرتفع اللسان نحو الأعلى، ولنطق صوت (الفتحة) المتحرك تكون الشفتان مفتوحتان، ويدفع اللسان نحو الأمام.
51. ينظر: الفارابي: الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة ومحمود احمد الحنفي، دار الكاتب العربي، القاهرة، دط، 1967م، ص 1073، وحسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 98، وإبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 154- 156.
52. ينظر: إبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 201.
53. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 68.
54. إبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 154.
55. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 520.
56. ينظر: مهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، ص 98/88.
57. ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 6، ص 3962، ومهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، ص 93.
58. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 97.
59. المرجع نفسه، ص 99.
60. - أشواق محمد إسماعيل النجار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص 134.
61. ينظر: المرجع نفسه: ص ن.
- « (كلّا) حرف ردع وإبطال لشيء يسبقه غالباً في الكلام يقتضي ردع المنسوب إليه وإبطال ما نسب إليه». الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 11.
62. ينظر: أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط 2، 1988م، ص 59-60.
63. ينظر: عبد الفتاح الفرجاوي: ظاهرة الإعادة والرد بين الدلالة والإحالة ("كلّا" و"بلى" في القرآن)، ص 542، مقال منشور في كتاب جماعي: (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي.
64. فخر الدين قباوة: مشكلة العامل التحوي ونظرية الاقتضاء، ص 183.
65. ينظر: الجزري: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 240.
66. ينظر: محمد خليل مراد الحربي: الوقف في العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م، ص 17.
67. ينظر: المرجع السابق، ص 18.

68. ينظر: أشواق محمّد إسماعيل النجّار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم ، ص156.
69. ينظر: المرجع نفسه ، ص157.
70. محمّد خليل مراد الحربي: الوقف في العربية ، ص140.
71. ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ، ص345، وينظر: مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ط1 ، 2013م ، ص91.
72. مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، ص91.
73. ينظر: المرجع نفسه ، ص95.
74. سمير شريف استيتية: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ، علم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط2 ، 2008م ، ص62-62.
75. ينظر: مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، ص102.
76. سورة الطارق ، الآية: 13.
77. مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، ص102.
78. المرجع نفسه ، ص105.
79. ينظر: المرجع نفسه ، ص ن ، وينظر: أحمد شفيق الخطيب ، ويوسف سليمان خير الله: الموسوعة العلمية الشاملة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، بيروت ، 1998م ، ص187.
80. ينظر: مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، ص96.
81. مفلّح بن عبد الله: آليات الحجاج في الخطاب القرآني-الاستفهام أمودجا ، المركز الجامعي غليزان ، الجزائر ، الأحد 14 أبريل 2013م ، ص3 ، 07:32 ، نقلا عن الموقع الإلكتروني:
- <https://www.ahlalheeth.com/vb/attachment.php?attachmentid...>

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. المصادر والمراجع
3. إبراهيم صبر الرازي: البناء الصوتي في السور المكية، دار الحصاد، دمشق، سورية، ط1، 2014م.
4. أحمد شفيق الخطيب، ويوسف سليمان خير الله: الموسوعة العلمية الشاملة. مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1998م.
5. أشواق محمد إسماعيل النجار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
6. أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط2، 1988م.
7. (الباقلائي) أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1997م.
8. (البخاري) علاء الدين عبد العزيز بن أحمد: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م.
9. بنعيسى عسو أزيبط: الخطاب اللساني العربي-هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد)، (مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية)، ج2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص51.
10. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993م.
11. (الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، ط7، 1998م.
12. (الجزري) محمد بن محمد بن علي بن يوسف: التشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
13. (ابن جني) أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1999م.
14. حسن ظاظا: كلام العرب (من قضايا اللغة العربية)، كتاب صوتي بقراءة: محمد أبو حسين الفتوح، المكتبة المركزية للكتب الناطقة، شبكة أنوار البصرة، 9ماي 2015م، نقلا عن الموقع الإلكتروني3mp3_201505/1: https://archive.org/details/khaled_alridwany_9_201505/1.mp3
15. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها-دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 1998م.
16. (الراغب الأصفهاني) أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق وتعليق: مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، المنصورة، ط1، 2009م.
17. رشاد محمد سالم: مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي-لطائف وأسرار، دار البشير، الإمارات، دار عباد الرحمن للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2017م.
18. ريم الهامي: الاقتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.
19. (الزرقاني) محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، دط، 2001م.
20. (الزركشي) بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، دط، دت.
21. سيد قطب:
22. التصوير الفني في القرآن، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1949م.
23. في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط25، 1996م.
24. (الشاطبي) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي: الموافقات في أصول الشريعة، شرح وتخرير الأحاديث: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
25. صبري المتولي: دراسات في علم الأصوات - الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.
26. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، دط، 1984م.
27. عبد السلام إسماعيلي علوي: ما التداوليات، مقال منشور في كتاب جماعي: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب العربية، إربد، الأردن، ط1، 2011م.
28. عبد العزيز العيادي: مناهج الاجتهاد المقاصدي، معالم وضوابط، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2009م.
29. عبد الفتاح الفرجاوي: ظاهرة الإعادة والرد بين الدلالة والإحالة ("كلا" و"بلى" في القرآن)، ص542، مقال منشور في كتاب جماعي: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي.
30. (الغزالي) محمد أبو حامد: المستصفى من علم الأصول، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دط، دت.
31. (الفارابي) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان: الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة ومحمود احمد الحنفي، دار الكاتب العربي، القاهرة، دط، 1967م، ص1073.
32. فتحي الدرديني: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 2013م، ص275.
33. فخر الدين قباوة: مشكلة العامل التحوي ونظرية الاقتضاء، المطبعة العلمية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003م.
34. فخري محمد صالح: اللغة العربية أداء ونطقاً إملاء وكتابة، دار الوفاء، ط2، دت.
35. فرانك نوفو: قاموس علوم اللغة، ترجمة: صالح الهاجري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012م.
36. كمال بشر: علم اللغة العام-الأصوات-، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1975م.
37. مجدي إبراهيم محمد: في أصوات العربية-دراسة تطبيقية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2011م.
38. محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
39. محمد خليل مراد الحربي: الوقف في العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
40. محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، ط1، دار القلم، الكويت، دت.

41. محمد مبارك: استقبال النص عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1996م .
42. مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية ، تحقيق: أحمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية ، القاهرة ، دط ، دت .
43. (ابن منظور) محمد جمال الدين أبو الفضل محمد مكرم: لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1968م .
44. مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنص ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2013م .
45. مقالات على مواقع شبكة الأنترنت:
46. سيد علي مير لوي وماجد النجار: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين) ، مجلة أهل البيت - عليهم السلام - ، العدد 09 ، ص 32 ، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <file:///C:/Users/hp/Desktop>
47. عبد الجليل الغندوري: دلالات المنطوق غير الصريح وقواعده التفسيرية ، 14 يناير 2014م ، نقلا عن الموقع الإلكتروني : <https://www.facebook.com/abdeljalil.elghandoury/posts/>
48. مفلح بن عبد الله: آليات الحجاج في الخطاب القرآني- الاستفهام أمودجا ، المركز الجامعي غليزان ، الجزائر ، الأحد 14 أبريل 2013م ، 07:32 ، ص 03 ، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://www.ahlalheeth.com/vb/attachment.php?attachmentid.>
49. نجيب علي عبد الله السوداني: الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني ، جامعة تعز ، اليمن ، 2013م ، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://ust.edu/ojs/index.php/JSS/article/view/314>

الجسد في الخطاب الروائي العربي قراءة في أنماط التمثيل

The body in the arab novelist discourse: a reading of the modes of representation

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-12-08

محمد مزملط، جامعة ابن خلدون تيارت
mezilmed1@gmail.com

المخلص

تَنطَوِي مَوْضُوعَةُ الْجَسَدِ فِي الْخُطَابِ الرَّوَائِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاَصِرِ عَلَى أَهَمِّيَّةٍ بِالْقَةِ، وَتَشَكِّلُ مَوْضُوعًا بَحْثِيًّا مُتَمَيِّزًا، وَلَعَلَّ مَرَدَّ ذَلِكَ إِلَى تَشَعُّبِ مَسَائِلِهَا، كَوْنُهَا تَتَخَطَّى حُدُودَ الْأَدَبِ، وَتَتَعَالَقُ مَعَ مَجَالَاتٍ أُخْرَى عَلَى غَرَارِ الْخُطَابِ الدِّينِيِّ، وَعِلْمِ الْاجْتِمَاعِ، وَالْأَنْثُرُوبُولُوجِيَا.

وَمِنْ هُنَا تَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ هَذِهِ الْوَرَقَةِ الْعِلْمِيَّةِ السَّاعِيَةِ إِلَى بَيَانِ طَرَائِقِ تَمَثِيلِ الْجَسَدِ فِي الرِّوَايَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَبْرَ مَسَارَاتِهَا التَّارِيخِيَّةِ مِنْ خِلَالِ مَحَوْرَيْنِ: الْكِتَابَةِ، وَالنَّقْدِ. وَقَدْ إِنَّصَحَ لَنَا مِنَ الْبَحْثِ الْأَوَّلِيِّ، أَنَّ عَدَدًا مِنْ نُصُوصِهَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ نَظِيرِهِ الْعَرَبِيِّ فِي الرِّهَانِ عَلَى التَّمَثِيلِ الْإِبْرُوسِيِّ لِلْجَسَدِ، وَهُوَ مَا يَنْبَغُ عَلَى التَّسَاوُلِ، لِمَ تُثِيرُ الْمَوْضُوعَةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا سَالِفًا جَدَلًا فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا؟ أَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُبْطِنَ بِحُمُولَاتٍ غَيْرِ الَّتِي ذُكِرَتْ؟

الكلمات المفتاحية: جسد، إيروس، ثاناتوس، طابو، ما بعد حداثة.

Résumé

Le thème du corps dans le discours romancier arabe contemporain jouit d'une grande importance, comme il constitue un sujet de recherche si particulier. Ceci pourrait être expliqué par son aspect multidimensionnel car il dépasse les frontières littéraires pour s'entrelacer avec d'autres domaines tels le discours religieux, la sociologie et l'anthropologie.

Ce qui précède est une justification pour cette contribution scientifique qui vise à démontrer les codes de représentation du corps dans le roman arabe à travers son parcours historique en focalisant sur deux axes : l'écriture et la critique. Il nous s'est avéré, grâce à une première lecture, qu'un nombre de textes ne s'est pas éloigné du roman occidental dans l'enjeu de l'assimilation érotique du corps, un constat qui motive cette problématique : pourquoi le thème du corps provoque-t-il un tel débat dans la culture arabe plus que dans d'autres? Ne pourrait-il pas receler d'autres charges que celles mentionnées ?

Mots clés : Corps, Eros, Thanatos, Tabou, Postmodernisme.

Abstract

The theme of the body in the contemporary Arabic novelist discourse is of great importance. It constitutes a particular research subject for its multidimensional aspect which goes beyond literary borders and intertwines with other domains such as religious discourse, sociology, and anthropology. This paper aims to demonstrate the modes of representing the body in Arabic novels throughout history by focusing on two axes: writing and criticism. Based on the statement that some Arabic texts did not move away from the Western novel in the issue of the erotic assimilation of the body, this paper seeks to answer the following research questions: why the theme of the body raises such a debate in Arab culture more than in others? And could it not conceal other charges than those mentioned?

Key words: Body, Eros, Thanatos, Taboo, Postmodernism.

مقدمة

يَحْمِلُ الجَسَدُ في الخطاب الروائي العربي طابعاً إشكالياً؛ لأنه يَنَارِجُ بين استبدادين: (ثقافة الاستبداد، واستبداد الثقافة) على حدِّ تعبِيرٍ "فصل الدراج"، فنقافة الاستبداد تدلُّ على سلوكٍ مُترسِّبٍ في سُلْطَةِ المرجع التي تَعْمَلُ على رسمِ خطوطٍ حمراءٍ للفعل الثقافي، تُصَنَّفُ في أطر الطابوهات الثلاثة: الدين، السياسة، إضافةً إلى الجنس، الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجسد. وفي المقابل هناك ثقافة مُستبدَّة، وهي خاصيةٌ مُميِّزةٌ للفعل الثقافي في أحدِ توجُّهاتِهِ، حيثُ تَعْمَلُ جَاهِدَةً إلى إلغاء كُلِّ حُدُودٍ، وتحطُّمُ كُلَّ طابو يعترض سبيلها، وتبتغي الوصولَ إلى المُطلَقِ الذي قال عنه "إدوارد الخراط": «لا وجود للحرية إلا إذا كانت مطلقة، في الأساس: منطلقاً، وطريقاً، وهدفاً على السواء»¹. فالراجح أنَّ حريةَ المنطوق لا تَنَاتِي للخرائط ولا يَغيِّرُهُ دونها مَهاكَاتٍ مع ثقافة الاستبداد، أمَّا حريةُ الطريق في هذا المقام عادةً ما تُوصَفُ بأنَّها نزعةٌ ميكافيليةٌ مقيتةٌ. ومن هذه الزاوية يتَّضحُ أنَّ البحثَ في ضوابط الكتابة الروائية يَحْمِلُ طابعاً سَجَالِيّاً جَدَلِيّاً، يكادُ يَكُونُ لا متناهياً، مادام الصِّراعُ لم يُحسَمَ فيه لأيِّ طرفٍ.

يُشَكِّلُ هذه البحثُ الباحثُ في أنماطِ تَمَثِيلِ الجَسَدِ في الخطاب الروائي العربي فصلاً من فصول الصِّراعِ المُشار إليه سالفاً، ولأجل ذلك بُني على أساسٍ جَدَلِيٍّ، تَتَّضِحُ معالمُهُ في ثنائِيَّة: (الكتابة والتلقي)، فقد تَنظُرُ عملية التلقي في بعض توجُّهاتها إلى تيمَّة الجسد على أنَّها شكلٌ من أشكال الثقافة المُستبدَّة بالمَقَدَّسات، وفي توجُّهٍ مُخْتَلِفٍ يُنظَرُ إلى التيمَّة ذاتها نظرةً أقلَّ ما يُقال فيها إنَّها مُخْتَلِفَةٌ عن الأولى، وما يَنَسَجِبُ على عملية التلقي يَنَسَجِبُ على فعلِ الكتابة أيضاً.

وبناءً على ما تقدَّم فإنَّ كُلَّ إشكاليَّة من الإشكاليات الثَّالِيَّة تجدُّ مشروعيَّتها في بداية هذه الورقة إلى حين تقديم أجوبة موضوعية عنها. فلماذا تَحْرُصُ بعضُ الكتابات الروائية العربية على اختزال الجسد في دائرة إيروسيَّة ضيقة؟ وهل الجسد عاجزٌ عن محمولاتٍ أخرى غير الشَّهوانِيَّة! ألا تغدو تلك المحاولات مُجَرَّدَ كَسْرٍِ للتجانُسِ الذي يُميِّزُ الذائقة الجماليَّة العربية؟ فضلاً عن كونها استِغَارَةٌ لمنظومة إبداعية غربية لها خُصوصياتها وسياقاتها، ألا يمكنُ أن تَنَدْرَجَ تلك

الكتاباتُ ضَمَنَ خطابٍ سوسْيولوجيٍّ أشمل يدعو صراحة إلى «لَبْرَلَة جنسية»²؟ وبالتالي لا يغدو الجسد وليدَ حاجة نصِّيَّة؛ بقدر ما هو توظيفٌ دُوعَمائيٌّ. إنَّ هذه الأسئلة وما شاكلها لا تمنعُ من طرحِ أخرى مُختلفة تتأسَّسُ على تصوُّراتٍ مُغايرةٍ تماماً. فلماذا الطَّرْحُ الإيروسيُّ للجسد في الثقافة العربية أكثرُ إثارةً للجدلِ بالقياس إلى ثقافات الأمم الأخرى؟ وهل ينبغي أصحابُ التيارِ المُتَصَيِّعِ -على حدِّ وصف "بيير شارتيه"- وجودَ أكثر من "إيما بوفاري"؟ ألا يَنطوي ذلك الطَّرْحُ على أبعادٍ رمزيَّة عميقة، يَتَعَيَّنُ كَشْفُ كُنْهَها، وأنساقٍ مُضَمَّرَةٍ يتوجَّبُ تعريبها؟ ومتى تحينُ اللَّحظة التي يُتعامَلُ فيها مع الجسد بوصفه نَسَقاً ثقافياً؟ ثم إنَّ الأدبَ تعبِيرٌ جماليٌّ في المقام الأول، فكيف يُحَكِّمُ على الجمالِ بمعاييرَ غريبةٍ عن طبيعته؟ خاصةً إذا عَلِمَ أنَّ فلسفة "كانط" الجماليَّة رَفَضَتْ كُلَّ مُقايَسةٍ للجمالِ بالحسَن، أو النَّافع، أو المُلَائم. هي أسئلةٌ كثيرةٌ إذن، تَتَناسَلُ، وتَسْتَعصي على الإجابة؛ ولذلك لم يُترك لها العَنان، ولذلك يسعى البحثُ للإجابة عن بعض ما طرَحَ منها.

1. قبليَّات

إنَّ الحديثَ عن تمثيلات الجسد في الخطاب الروائي العربي كِتَابَةٌ وتلقياً متشعباً، ومُعقِّداً، كما سَبَقَتْ الإيماءةُ إلى ذلك. ويبدو أنَّ كُلَّ تحليلٍ لتلك التَّمثيلات بمَعزِلِ الأطر الفلسفيَّة لن يُقْضِي إلى فهمٍ عميقٍ وشُموليٍّ لحقيقتها؛ ولهذا الغرض يتعيَّنُ البَحْثُ عن مداخلٍ فلسفيَّةٍ تُمَكِّنُ من بلوغ ذلك المُبتَغى. لقد شكَّلَ الجسدُ بؤرةً مهمَّةً من بُورِ الفكرِ اليُسويِّ وما بعد اليُسويِّ، وهو من أهمِّ التيمَّات التي تشكِّلُ نُصُوصَهُ الإبداعية، ومن المعروف أيضاً أنَّ ما بعد اليُسويَّة شَتَّتْ حملةً شَعَوَاءَ ضِدَّ ما يُوصَفُ لديها بالمركزيَّة البطريركيَّة الذُكُوريَّة، ولا تخرُجُ تلك الحملة عن أطر الصِّراعِ بين المركز والهامش الذي جَسَدَتْهُ اتجاهات "ما بعد الحداثة" ضِدَّ التنوير وما أفرَزَهُ من نُظُمٍ، وطَوَاهِرَ، وقيمٍ، وأنساقٍ.

والإي هنا، تمَّ الاهتداءُ إلى مدخلين مُهمَّين للتحليل. الأوَّل: خاصٌّ، ويتَّصِلُ أساساً باليُسويَّة وما بعدها. والثَّاني: عامٌّ، ويتعلَّقُ بالانعطافِ الفلسفيَّة الكُبرى من الحداثة إلى ما بعد الحداثة. لكن التَّحديدَ المُشار إليه لا يعني أنَّ فهمَ الجسد لا يكادُ يَتَمُّ إلا من طريق تلك المَدَاحِل، كما لا يُفْهَمُ من ربط

وجل: ﴿وَسَلُّوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ {سورة الإسراء / الآية 85}. والإضافة للاختصاص العلمي لا الإيجادي إذ ما من شيء إلا وهو مضاف إليه عز وجل بهذا المعنى وفيها من تشريف ما لا يخفى كما في الإضافة الثانية أي هي من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التي لا تكاد تذكرها عيون البشر⁶. وورد في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝﴾ {سورة الأعراف / الآية 172} تشير الآية الكريمة إلى اللحظة التي أخذ المولى عز وجل من بني آدم الميثاق. واستدل بها "الفخر الرازي" لدخول القول بالتناسخ. «لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه الأجساد في أجساد أخرى لوجب أن نتذكر الآن أننا كنا قبل هذا الجسد في جسد آخر وحيث لم نتذكر ذلك كان القول بالتناسخ باطلا»⁷. وكان أخذ الميثاق بهذا التصور في الأزل البعيد الذي كانت النفس فيه مفارقة للجسد.

والعائد إلى كتاب الروح "لابن قيم الجوزية" يجد عدة دلائل تُفيد بتشريف الروح على الجسد في المنزلة، ومن جملتها: المسألة الثامنة عشرة التي تقدم خلق الأرواح على الأجساد، فضلاً عن اعتماد الروح كمقياس للتمايز بين مراتب الناس، فهناك: المُقربين، فأصحاب اليمين، ثم المكذبين. وفي مسألة أخرى يقدم "ابن قيم الجوزية" «الإنسان بروحه ونفسه لا ببدنه»⁸. وفي الكتاب مسائل أخرى تؤكد ذلك التشريف، يعسر حصرها جميعاً بين طيات هذا البحث الموزع، كما يستعصي أيضاً تقديم بقية الدلائل المفيدة بتشريف الروح في المراجع الأخرى. كما لم يقدم البحث بعض الآراء المناقضة للطرح السابق التي ترى في الدين العدو للدود للجسد⁹، وقد يفتح لها مجالاً فيما بعد إن سنحت لنا الفرصة لذلك.

وفي الأخير نجد أن التصور الديني أكرم الجسد والروح معاً، ولم ينتقص من شأن الجسد، بدليل أن النعيم الذي خص الله به عباده إنما هو نعيم جسدي، يبدأ من طيب المأكول، والملبس، ويؤجج بالنظر إلى وجه الله الكريم، لكن الوصول إليه لا يتم إلا من طريق تركية النفس العاقلة لجراح الجسد، وهو ما زادها تشريقاً عليه، لكن هذا التشريف للروح لا يفيد للود قضية مادام لا ينتقص من قيمة الجسد. وتجدر

الجسد بالنسبة وما بعدها أن كل كتابة مُحْتَفِيَةٌ بالجسد هي نسوية بالضرورة.

بعدما حددت المداخل التي تيسر طريق البحث والتحليل، يتعين أيضاً تقديم قبلية أخرى تتعلق بالتصورات الدينية، والفلسفية، والاجتماعية للجسد. ويبدو أن كل تمثيل، يستند إلى إطار أو أكثر من الأطر الثلاثة المذكورة إيقافاً، أو اختلافاً وتعاضلاً.

2. المنظور الديني للجسد

سيفتصر الحديث عن المنظور الديني للجسد عن الإسلام فقط، وهذا نظراً لاعتبارات منهجية بحثية تملئها طبيعة البحث. فعادة ما يوضع الجسد كحدّ مقابل للروح، كما أنه غالباً ما يأتي دونها في المرتبة والأهمية، وهذا ما أكدته "حسن حنفي" لدلالات الجسد في القرآن الكريم، حيث افترن بالفوايه في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهٗ مُوسَى قَتَلَنِي ۝﴾ {سورة طه / الآية 88}. كما افترنت دلالة الجسد بالفتنة في قصة سيدنا سليمان في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهٖ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝﴾ {سورة ص / الآية 34}. وأستعملت في القرآن الكريم ألفاظاً أخرى تقترب دلالتها من الجسد منها: الجسم، والبدن، وقدم "حسن حنفي" مثلاً عن البدن في قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ ۝﴾ {سورة الأنبياء / الآية 36}. وقال في تفسيرها «فالبدن وسيلة لأداء الشعائر وتجليات الروح»³. وهو تفسير غريب جداً، لم نعتز على أصل له. كما أن سياق الآية لا يتفق مع ما ذهب إليه "حنفي". وذكر "ابن كثير" في تفسيره «إنما البدن من الإبل»⁴.

كما لا تتفق أيضاً وجهة نظر "محمد إقبال عروي" عما انتهى إليه "حسن حنفي"، فالخطاب القرآني حسب رأي "عروي" قد احتفى بالجسد، ورسم له طريق الطهارة والزينة والارتقاء. غير أن هذا الاحتفاء مترتب عن الاحتفاء بالنفس في المقام الأول. وهذا بشهادة "عروي" نفسه، فقد ذكر أن الشريعة حفظت مصالح الإنسان «وفي مقدمتها حفظ النفس، أي حفظ الجسد»⁵. يفهم من هذه العبارة أن الباحث وقع في تسوية بين كينونتين مختلفتين، أو أنه يقر بتبعية الجسد للروح، وهي أشرف مرتبة منه، والدليل على ذلك التشريف ما ذكره "الألوسي" في تفسير قوله عز

النفس وترغب وتجوع...الخ وهذه هي النفس الشهوانية أو الرابغة وتقابل هذا الجزء نفس أخرى ، النفس العاقلة المتحررة من قيد الحس والمرتبطة بالعقل إنها الجزء الإلهي في الإنسان¹¹ يُفهم من هذا التصور أن النفس كُلها تعلقَت بالجسد وملتذاته إلا وسقطت عنها الأنوار الإلهية ، وابتعدت عن الحقيقة ، وعالم المثل بأكثر من خطوة. كما لا تختلف نظرة "أرسطو" كثيراً عن سلفه ، إذ ربط الروح والعقل بالأحرار من الناس ، وفي المقابل ربط الجسد ، والمادة ، والشهوة بالعبيد منهم ، كما جعل الحق في الفيلسوف وفقاً على الأحرار ، دون النساء والعبيد.

كما يكرس "الكوجيتو" الديكارتي أيضاً النزعة الأفلاطونية القائلة بالوجود الماهوي المفارق للجسد ، ولعالم الحواس ، فمنهج الشك «لم يكشف إلا عن تزامن لحظة الوعي ولحظة الوجود ليكشف عن وعي مفارق متعال أدرك من خلاله أنه جوهر كل ماهيته أو طبيعته لا تقوم إلا على الفكر»¹². إن لحظة الشك الديكارتي التي تقود إلى اليقين هي لحظة إدراكية معزولة عن كل ما هو مادي ؛ فهي لحظة انعزال الجوهر المفكر عن الجوهر الممتد في الزمان والمكان ، وبالتالي فإنها لا تحتاج إلى جسد تحيّر فيه لكي تدرك كينونتها ، بل إن نفيه سبيل أولي لبيان وجودها.

إن ما قامت به فلسفة "أفلاطون" ، وديكارت ومن سلك سبيلهما إزاء الجسد يوصف بالتهميش ، والإقصاء ، والعنف من لدن "عبد الرحمن التليلي" «فكل نزوع جسدي مدان ، فالرغبة هي علامة بؤس الإنسان ، والجسد هو سر شقائه ، ولابد من إماتة الرغبة في التحرر والتخلص من الجسد»¹³. فاعتبار الجسد أيقونة للرغبة ، ينطوي تحت إشكالية الاختزال الخاطي التي سيفصل فيها لاحقاً.

يبدو أن تكريس مركزية الروح ، ومركزية أخرى من قبل الفلسفة الغربية في اتجاهها المثالي أوقد شرارة فلسفة جديدة ؛ أو إديولوجية جديدة عملت جاهدة على تفكيك تلك المركزية ، وإعادة الاعتبار للهوامش بكل تنويعاتها ، ولا سيما الجسد ، ويتمحض الشأن هنا لفلسفة "فريدريك نيتشه" ، وامتداداتها ، فقد وجد "نيتشه" الإيمان بمركزية الروح التي لم يكن وفقاً على الفلسفة الغربية فحسب ؛ بل يتعداه إلى المسيحية نفسها. ويرى "نيتشه" أن المسيحيين كانوا «يحتقرون الجسد: لم يكونوا يأخذونه بعين الاعتبار ؛ بل كانوا

الإشارة هنا إلى أن الديانات السماوية ميّزت بين الروح والنفس. فالروح عطاء إلهي ، متعال على الجسد ، وبذلك ، فهي أقرب إلى الملائكية ، في حين أن مفهوم النفس ، هو حلول الروح بالجسد ، وبالتالي قد تكون مطمئنة ، أو أماراً بالسوء كما وصفت في القرآن الكريم ، وبهذا ، يكون التصور الديني أكثر توازناً في الموقف من الجسد ، وهذا إذا ما قيس بالتصورات الوضعية التي بالغت في تدنيس الجسد كما سيأتي بيانه.

2.2 المنظور الفلسفي للجسد

يمكن الوقوف على التصورات الفلسفية القديمة للجسد مع فلاسفة الإغريق ، الذين احتد الجدل بينهم في عدة مسائل نظرية تتعلق بالمعرفة ، والوجود ، والأخلاق. فقد أنكر "أفلاطون" على "السفسطائيين" تعلقهم بالذات الحسية ، وبناءهم للمعرفة على أساس حسي. وقادته فلسفته المثالية إلى نكران كل ما يتصل بالجسد وعالم الحواس ، وصوّ ذلك على نحو ساخر من خلال قصة الكهف الرمزية ، الواردة في الكتاب السابع من "الجمهورية". كما قسم الوجود إلى عالمين: عالم المحسوسات ، وهو العالم الذي ينتمي إليه الجسد ، والعالم المعقول ، وهو عالم المثل المجرد ، وسبي معقولا ؛ لأنه لا يدرك إلا بالعقل ، وهو منتهى المعرفة ، يقول في ذلك: «فالسجن يقابل العالم المنظور...أما رحلة الصعود لرؤية الأشياء في العالم الأعلى فتمثل صعود النفس إلى العالم المعقول...فأحر ما يدرك في العالم المعقول بعد عناء شديد هو مثال الخير»¹⁰. من هنا يتضح أن الوجود في ذاته ، أو الوجود المثالي غير مُحقق في عالم الحس ، وللتمثيل على الطرح الأفلاطوني بالإنسان يقال: إن الإنسان لا يمثله زيد وحده ، ولا عمرو وحده ، فكلاهما يقدم لنا نسخة عن نفسه ، أما الإنسان كأنموذج ، أو المثالي ، لا يدرك كماهية إلا خارج النسخة ، أي في الأنموذج الكائن في عالم المثل المفارق للجسد.

يُتمس في هذا الطرح تحيّر واضح من لدن "أفلاطون" في تكريس دونية الحس ، وعلى نحو غير مُباشر: الجسد. ويتضح ذلك أكثر في تقسيمه لبنية النفس «فهناك جزء من هذه النفس يرتبط عضوياً بالجسد أي بنظام الحاجيات والغرائز ويوجد مركزه في أسفل الجسم حيث تشتهي

قامت المرأة بمهام ثانوية ترتبط أساسًا بتدبير شؤون البيت ، واكتفت بدور هامشي .

لعل هذه المركزية ، أو الأبوية الذكورية كما تُنعت لدى البعض ، هي التي تفسّر النظرة الدونية للمرأة في بعض المجتمعات ، والحضارات ومنها اليونانية التي «أفرطت في الانحطاط بوضعية المرأة إلى أدنى درجة وبجذور تعود إلى الأصل الأسطوري فوجد الرباب في الأساطير الإغريقية ولدن من ربة الأرض وهي من نسل الليل فارتبطت المرأة في اللاوعي الإغريقي بالظلام... هكذا ارتبطت المرأة بالشر وليس بالانحطاط فقط»¹⁶.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب ؛ بل ترتبت عنه مضاعفات أخطر. ويشير "بيير بورديو" إلى أن الهيمنة الذكورية جعلت «العالم الاجتماعي يبني الجسد واقعا مجنسا، ومؤتمنا على مبادئ رؤية مجنسة. وينطبق هذا البرنامج الاجتماعي المستند على الإدراك على كل الأشياء في العالم، وفي المقام الأول على الجسد نفسه في حقيقته البيولوجية»¹⁷. لقد عمقت هذه الممارسة الصّدغ ، وأدت إلى ميلاد منظمات وحركات جديدة ، ولعل من أبرزها "النسوية" بمختلف توجهاتها وامتداداتها ، كما تعمقت الهوة بين الجنسين (الرجل/المرأة). وأصبحت الاستعمالات اللغوية المألوفة في التواصل الاجتماعي مبطنة بحمولات استعارية جنسانية ، تكرر تلك الهيمنة ، تجلّت في شكل ثنائيات: (فاعل/مفعول به) ، (أعلى/أسفل) ، (مملوء/أجوف) ... والتطرف لا يتولد منه إلا تطرف من جنسه. فقد نجم عن ذلك الغضب اللغوي الاستعماري عنف مادي ، ولغوي من صנוه ، ولا يقل عنه حدّة ، وهو ما تعكسه بعض السلوكات الجنسية الشاذة سواء على مستوى الواقع المعاش ، أو عن طريق تصوّرها على المستوى الفني ، بكل أشكاله ، ولا سيما الرواية. ومن هنا فإن محاولة تحليلها تستلزم الوعي بهذا السياق الاجتماعي.

لقد أتاح هذا العرض الموجز الوقوف على بعض الحقائق المتصلة بالجسد في المنظومة الدينية ، والفلسفية ، والاجتماعية التي شكّلت مركزية الروح كمقابل لهامشية الجسد ، وتبيّن ممّا تقدّم أنّ الجسد لم يأخذ وضعا متزنا إلا في المنظور الديني ، أمّا في بقية المنظورين أدين ، وحول إلى أيقونة للخطيئة ، والدنس ، والأغرب في هذا كله أنه كلّما ذكر

ينظرون إليه كعدو. وغربتهم تكمن في اعتقادهم أنه بإمكان المرء أن يحمل روحا طيبة في جسد مسخ ، جسد يبدو كجثة... ولكي يقنعوا الآخرين بهذا كان لزاما عليهم أن يقدموا فكرة الروح الطيبة بشكل آخر ، تحويل القيمة الطبيعية إلى أن يصير ممكنا اعتبار شخص شاحب ، وسقيم ، ومتحمس إلى حد الحماسة ، هو موضوع الكمال اعتباره إنجيلا ، ومخلوقا مجدا»¹⁴. وأنكر "نيتشه" كلّ قيمة خلقية ، ودعا إلى شقّ الفلاسفة الأخلاقيين. ومن هذا فلا غرابة أن يرفض أيضا القيم الدينية. واعتقد أنّ المسيحية وقعت في تناقضات صريحة حينما جمعت بين الروح الطيبة والجسد المبدس.

وأكد "نيتشه" الموقف ذاته في بحث آخر أنّ الجسد هو العقل ، وأضاف «جسد وروح أنا-هكذا يتكلم الطفل. ولم لا ينبغي على الناس أن يتكلموا مثل الأطفال»¹⁵. فالفهم الطفولي يحمل بعدا رمزيا يحيل إلى الفطرة ، ويتضح من هذا الرأي مدى الحاجة إلى الاحتكام إلى القيم الفطرية القبلية ، التي لا ترتبط بأي فكر فلسفي ، ولا بأي نزوع إيديولوجي ، ومثل لها كله يفهم الطفل لكيثوثته التي لا يمكن أن تختزل في الروح دون الجسد.

وفي الأخير يمكن القول: إنّ الماهية ، والهوية من المنظور اليتشوي لا تتحقق إلا بالجسد. وقد وجد الفكر النسوي ضالته في فلسفة "نيتشه". ومن هذا المنظور يتشكل افتراض مفاده أنّ احتفاء بعض الكتابات الروائية بالجسد ، هو تعبير عن كيانات هامشية تبحث عن هويتها من خلال التعبير بجسدها.

2.3 المنظور الاجتماعي للجسد

لا يقل المنظور الاجتماعي للجسد تعقيدا وشغبا عن سابقه ، ولذلك سيّتوقف البحث عند بعض تجلياته. وسينطلق من لحظة تاريخية مبكرة جدا من تاريخ المجتمعات الإنسانية ، يبدو أنّها شكّلت علامة مفصلية في بناء تصوّرات أساسية حيال الجسد ، وبناء المجتمع بوجه عام. ويتعلق الأمر بلحظة ما يُعرف بتقسيم العمل بين الرجل والمرأة ، فبنية الرجل الجسدية القوية أهّلته للقيام بمهام صعبة ارتبطت بالصيد ، ومداقة كلّ أشكال الغدوان عن المأوى ؛ الأمر الذي مكّنه من احتلال المركز في الحياة الاجتماعية ، في حين

"عبد الرحمن بو علي" بين (1834-1902) وتعلّق بأعمال "رفاعة الطهطاوي" و"فرح أنطون"، و"سعيد البستاني"، و"فرنسيس مراث الحلي"؛ لأنّها لم تُفصّل في وضع المرأة العربية. ولعلّها ببعض ذلك فوّتت فرصةً للنفاذ لعالم الجسد وإشكاليّاته.

ولم يتأتّ للرواية العربيّة طرحَ موضوع المرأة على نحو جريءٍ؛ إلّا مع المرحلة الثّانية، التي مثلت رواية "زينب" قمتها؛ لأنّها استطاعت استيعاب التجارب السابقة، كما أنّها فتحت أفقاً واسعاً للروايات التي جاءت بعدها. «والموضوع الذي طرحته روايات هذه المرحلة وهو موقف المجتمع العالم من الحب والمحبين»¹⁹. لكن على الرغم من هذا كلّ بقيت الرواية العربيّة تمثلي على استحياءٍ بخصوص موضوع الجسد، ولعلّ مردّ ذلك عائدٌ إلى سلطنة الدين؛ لأنّ طابو الدين والجنس متلازمين، ومن شأن كلّ خرقٍ لأحدهما أن يفضي إلى الآخر. ومن فرط تلازمهما أيضاً أن حصل تداخلٌ عجيبٌ بينهما في مخيال الروائي العربي، إلى درجة أصبح فيها كلّ خرقٍ لطابو الدين والجنس معاً وجهاً من أوجه خرق طابو السياسة.

غير أنّ "نبيل سليمان" له رأي مخالف لما أُشير إليه سابقاً. ويعتقد أنّ السلطنة الاجتماعية أكثر تشدداً بخصوص الجسد من السلطنة الدينية، ويشير في هذا الصدد أنّ «السلطان الاجتماعي، مبارك من السلطان السياسي ولغرض في نفس يعقوب يحرم على الكتابة أن تخترق تخوم الجسد العربي... هكذا ترى هذا السلطان مثلاً يبدو أكثر غيرة وحماسة وأشد تطرق حين تتجرأ الكتابة على تعبير جنسي ما، أو مناوشة دينية ما، على الرغم من أن السلطان السياسي قد يكون ملحداً أو متحرراً بنسبة أو أخرى من القيود الجسدية السائدة»²⁰.

لا يمكن أن تختزل سلطنة المرجع في الاجتماعية والسياسية فحسب؛ بل هناك سلطنة دينية روحية تحرك السلطينتين السابقتين ضدّ كلّ مساسٍ بالأخلاق العامّة، وهنا تُطرح إشكاليّة خلق عالم الفن والجمال. وهو الإشكال الذي استطاعت المنظومة الإبداعية الروائية العربيّة طرحه لحظة وقوفها على عتبة "البوفاريّة". فهل يُعقل أن تُشرعن الرواية؟

إلّا وقد أضحضرت معه المرأة دون الرجل. ومن هنا جاءت التوجّهات ما بعد الحداثيّة لتُعيد له الاعتبار.

3. الجسد بين الفكتوريّة والبوفاريّة

سننتطرق في هذا المبحث إلى تمثيلات الجسد في الخطاب الروائي العربيّ من منظار فعل الكتابة. واختيارنا للفكتوريّة، والبوفاريّة إنّما هو على سبيل المجاز. فالفكتوريّة تُحيل إلى حقبة من حقب تطوّر المجتمع الانجليزيّ على عهد الملكة "فكتوريا"، وتميّز بطابعه المحافظ، وانعكس على الهندام المُحتشم السائد آنذاك. ولعلّه يتطابق تماماً مع الرواية العربيّة في طور تكوينها، فقد ابتعدت عن كلّ أنماط الوصف الإيروسيّ للجسد. كما ينطبق أيضاً على الإنتاج الروائيّ الأوروبيّ للقرنين السابع عشر والثامن عشر، لكنّ هذا الوضع لم يصمد أمام معاول البوفاريّة نسبة إلى "إيما بوفاري" بطلّة رواية "غوستاف فلوبر" الذي قضى بها على مقولة "الفن العفيف"؛ لأنّها بكلّ بساطة مقولةً يوثويّة، ولا وجود لتلك المجتمعات الموصوفة في أدب تلك الحقبة إلّا في المُنْذَن الفاضلة، فالواقع لا يُمكن أبداً أن يكون بتلك الصّفة الملائكيّة التي أُرسمت في تلك النصوص. واستطاع بذلك كشف تناقضات البرجوازيّة. ودفع مؤكّله أثناء جلسة المحاكمة قائلاً: «إن اللاأخلاقية موجودة في واقع العصر لا في الأعمال الفنية التي ما هي إلا تمثيل أمين للواقع الاجتماعي»¹⁸. ووضع "فلوبر" من خلال الرواية تلك لبنة مهمّة في التأسيس للواقعيّة الانتقاديّة، كما فتح أفقاً واسعاً للنصوص التي اصطبغت بصبغته.

تعبّس السيّورات التاريخيّة للرواية العربيّة من التأسيس إلى التأسيس صيرورةً موازيةً لتطوّراتها الموضوعيّة من فكتوريّة إلى بوفاريّة. إلّا أنّ تلك الصيرورة لم تمر دون مخاضات عسيرة، جراء اصطدامها بسلطنة المرجع، ودون إثارة إشكاليّات ستناقش لاحقاً.

ويصنّف الحديث عن حضور مميّز للجسد في الأشكال السردية المؤسسة للرواية العربيّة؛ لأنّ التناول الجنسانيّ للجسد ظلّ إلى حدّ تلك الحقبة من قبيل الطابوهات، على الرغم من كسره من قبل النصوص التراثيّة كقصص ألف ليلة وليلة، وأشعار "أبي نّواس"، إلى جانب الكتابات العربيّة الجنسانية التراثيّة مع "السيوطي"، و"النفزاوي"، و"التيّفاشي"، والحقبة التي نقصدها هنا حصرها

وبناءً على الاعتبارات السابقة يصعب الحديث عن قاعدة امتثال الجمال (الرضا الكلي) في النص الذي يبدو أنه يؤسس لشعريّة مُغايرة، فيبدو أن الكلّ يحسّ بالقبح فيه. ولا يمكن قُبُولُهُ إلا في إطار ما أصبح يُعرف بِشعريّة القبح. لكنّ القبح قد يَشُقُّ طريقه للجمال إذا لم يكن مقصوداً لذاته، وهذا ما عكسه "غوستاف فلوبر" تقريباً مع شخصية "إيما" المُستَهْتَرَة. وهذا ما أرادت أيضاً بعض الكتابات الترائيّة، وسيُفَصِّلُ في هذه المسألة لاحقاً، لكن في المقابل هناك كتابات ترائيّة أخرى لا تطرد مع المسلك المُشار إليه، مثلاً في ذلك كمثّل الكتابات الروائيّة العربيّة المعاصرة، بحيث لم تَسَلِّمْ من الإسفاف والابتذال. وقارب "عبد الله الغدامي" بعضها مقاربةً ثقافيّةً. وقَدِّمُ أنموذجاً للتحليل، تمثّل في مدونتين: (الروض العاطر في نزهة الخاطر) للنفزاوي، و(روضة المحبين ونزهة المشتاقين) لابن القيم الجوزيّة. وقد وجد في نصّ النفزاوي مثلاً لثقافة الوهم التي وسم بها "الغدامي" كتابه، نتيجة لفهمه القاصر للمتعة الجنسيّة.²⁴

4. الجسد من البُوفاريّة إلى التّسويّة الرّاديكاليّة

إن التّحقّيب الأدبيّ لينطوي على مزالق خطيرة خاصّة إذا ما اعتُمد فيه معيارٌ تاريخيّ، أو سياسيّ، أو أيّ معيار آخر غير أدبيّ، وتُصنّفُ حقبةٌ جديدة لسيروّات الجسد: (التّسويّة الرّاديكاليّة) لا يخلو من زلّاتٍ أيضاً. لكننا مع ذلك حاولنا قدّر الإمكان اعتماد معيار نصيّ، يتمثّل أساساً في وضع الجسد بين كل تلك التّصوّص. ونَحَسِبُ أنّه قد حَصَلَ تحوّل عميق في التّعامل مع الجسد في الحقبة البُوفاريّة التي يمثّلها جيل من التّسويّات بدأ مع "الطيفة الزيّات"، و"نوال السعداوي" و"يلي بلعكي"، ويمكن أن تُضافُ لهنّ: "غادة السّمان"، و"فاطمة المرنسي". فقد حاولن من خلال إبداعهنّ كغيرهنّ من التّسويّات الغربيّات مواجهة الهيمنة الذكوريّة، والنّضال من أجل حقوق المرأة، والمطالبة بالمساواة مع الرجل، ورُفُضِ الإكراهات المُمارَسة على المرأة العربيّة.

ولا يُفهم من الحديث عن الروايات التّسويّة أنّه استثناءٌ لصنوتها الرّجاليّة؛ لأنّ «التّسويّة ليست مقصورة على النساء حصرياً، فهناك دارسون ومفكرون كثر تحمسوا لقضاياها وأسهموا فيها إسهاماً وفيراً»²⁵. على غرار: "واسيني الأعرج" و"حيدر حيدر" وغيرهم من الرّوائيين، الذين لا تخلو

طُرحت في فاتحة هذا البحث إشكاليّة مُقايَسة الفنّ بالأخلاقي، التي تختزلها جيرة أدونيس، «كيف أحرر الشعري من الشرعي، والجمال من الأخلاقي؟»²¹. هو سؤال له مشروعيتُهُ، فعالم الفنّ والجمال يختلف عن عالمنا الواقعي الخاضع لقواعد ونظم خاصّة. إنّ مبدأ الفصل بين العلم، والأخلاقي، والفنّ، تَجَسَّدَ بوضوح في فلسفة "كانط" من خلال تقوده الثلاثة: تَقْدُّ العقل المحض، تَقْدُّ العقل العمليّ، تَقْدُّ ملكة الحُكم، وهذا بعد استحالة الجمع بين تلك المجالات في بوتقة واحدة، إثر تَصَدُّع التّسقيّ الدّينيّ الذي كان ينهض بهذا الأمر؛ وذلك، نتيجة لظُرُوفٍ تاريخيّة معروّفة تتمثّل في تراجع دور الكنيستية، والحُكم اللاهوتيّ، أمام التّنوير الأوروبيّ.

وقد عالج "كانط" مسألة المُقايَسة في (نقد ملكة الحكم) نظراً لخصوصيتها. وأكد أنّ «الجميل هو ما يُمتثل من دون مفاهيم بوصفه موضوع رضا كلي»²². لكن الطّرح الكانطيّ إذا كان ينفي قِيَّاسَ الجمال بمعيّار الأخلاق، فهذا لا يعني أنه يُكْرَسُ الشّدوذ الأخلاقيّ، وهنّك عرض أخلاق الجماعة باسم الجمال. بدليل أنّه أبقى في طرحه قاعدة الكليّة كمعيّار لمقياس الجمال. فما أراه جميلاً يَكُونُ عندي قناعة بأنّه هو كذلك عند غيري. ويمكن أن نَعَمّمَ هذه القاعدة على القبيح أيضاً.

بناءً على الاعتبار السّابق، هل يَسْتَطِيعُ القارئ لرواية "الخبز الحافي" لمحمد شكري، المُحتفية بالعهْر، والفُحش، والشّدوذ، أن يجزم بأنّها يمكن أن تكون موضوعَ رِضَى كَلِّي عند بقية القراء؟ وأكثر من هذا فقد شاع أنّ شكري كتبها متأثراً بسيرة "جان جينيه" "يوميات لص". وفضلاً على هذا فإنّ بنية النصّ تأبى تحقيق أفق التوقع لدى القراء بخصوص القواعد المتعارف عليها، فالتركيب السّرديّ -بشهادة "سعيد بنكراد"- «في مجمله ليس سوى لقطات عامة تشكو ممّا يؤثّر الفواصل ويسقط الروابط الممكنة والمستحيلة ويمنح البياضات معنى: بالإمكان التخلص من مقاطع كثيرة نقول الشيء نفسه إلا أن القيام بذلك سيكون مسا بخاصية من خاصيات النص التي ترى من خلال التحقق، فهي مبنوثة في الآثار التي تولدها هذه اللقطات في نفسية المتلقي، فالتكرار هنا ضروري، لأنه إصرار على القذارة وإدمان عليها. إن النص ذاته ليس نصاً إلا من خلال هذه الخاصية ذاتها»²³.

وليست فنيّة، ويمكن التّديّل على هذا الأمر برواية "سيدّة المقام" لـ"واسيني الأعرج" بحيث يُصوّر المُختلّف معهُ إديولوجيًّا على نحوٍ ساخرٍ، بالاعتماد على مشاهد جنسيّة شاذّة، يقول في وصف أحد الإسلامويين: «يشقشق قليلا بعادته التي لم تعد سرية ثم يأتي لينا قير العين»²⁹. ومن هذا المنطلق تنتفي حُجّة فنيّة الجنس في الخطاب الروائي. ويصبح توظيفهُ توظيفًا إديولوجيًا، يخضع لاعتبارات دُغمائيّة أكثر ممّا هي فنيّة.

تبيّنت الإجابة عن آخر سؤالٍ، ويتعلّق بالمحمولات الممكنة للجسد، ويبدو أنّها لا تنحصر في الجانب الإيروسيّ، وهذا اختزالٌ وقعت فيه الكثير من الروايات العربيّة، سواء لدى الأسماء التي أشرنا إليها سابقًا، أو أخرى لم نأت على ذكرها.

4.1 الاختزال المجلّ

إن الجسد لا يمكن أن نخترله في بعد إيروسيّ ضيقٍ ويمكن العودة إلى رواية: "برهان العسل" لسلي النعيمي، أو "اسمه الغرام" لعلوية صبح للوقوف على هذا النمط من التمثيل. بل إنّه قادرٌ على حمل أبعاد ثنائوتوسية³⁰. وقد استطاع "سعيد الوكيل" في كتابه "الجسد في الرواية المعاصرة" الاهتداء إلى جملة من التمثيلات الثنائوتوسية للجسد في الرواية العربيّة.

سنقتصر في هذا المقام على تقديم التمثيل العرفانيّ بالاعتماد على رواية "التّبر" لـ "إبراهيم الكوني"، التي يقدّم فيها علاقة حبّ بين رجلٍ من الطوّارق يسوّى: (أخيد) وجمالٍ يدعى: (الأبلق) أهداه له أحد زعماء القبائل، ويقدم لنا فيها أنموذج الجسد السّاعي إلى الفناء والعودة إلى الأصل من خلال حركة الجمال الرّمزيّة الذي أحبه "أوخيد" في سبيل الخلاص من عالم الحياة المستند في تكوينه حسب فلسفة "الأيويفدا" إلى نظريّة العناصر الخمس العظمى، ومنها ما ورد في الرواية: الثّراب، والنّار، والماء. وهو ما تعكسه حركة الجمال الأولى «الألم جعله لا يجد راحة في وضع ولا مكان على أرض، انتزع رأسه وانتفض، فتصفد الدم في خياشيمه حيث خرج اللجام»³¹. إنّها لحظة التخلّص من الأصل الثّراني، ثم تأتي اللّحظة الموالية «الليّ رجله في النار ما يسمع آه من النار»³². لحظة التخلّص من الأصل الثاني النّار، فالجمال

أعمالهم من توظيف الجسد. ومع هؤلاء، وظهور ما يُصطلح عليه بالموجة الثّانية من النّسويّة العربيّة، أو ما يُنعت في أدبيّات الفكر المعاصر بما بعد النّسويّة: المُمثلة في جيل "سلي النعيمي"، و"علوية صبح"، و"فضيلة الفاروق"، ومع هؤلاء وأولئك، أخذ الجسد منحى إيروسيًّا تصاعديًّا لم يسبق له مثيلٌ، ليطرَح أكثر من علامة استفهام: أولاً: عن تصنيف هذا النمط من الكتابة، والجيل من الرّوائيين. وثانياً: عن أسباب الحقيقة لهذا التّوجه، وأخيراً: عن التّمثيلات المتنوّعة للجسد ضمن الخطاب الروائيّ.

للإجابة عن السّؤال الأوّل، لابدّ من العودة دائماً إلى السّياق الفلسفيّ الذي ظهرت فيه تلك الكتابات. ويتعلّق الأمر هنا بالنّسويّة في موجتها الثّانية التي عاصرت "ما بعد الكولونياليّة" وتلتقي نصوص النظرية النّسويّة ونصوص ما بعد الكولونيالية في جوانب كثيرة من نظرية الهوية، والاختلاف، واستدماج الذات إديولوجيا بالخطاب السائد، وكذلك تقديم استجابات مقاومة متنوّعة لمثل هذه السيطرة لبعضها البعض يمكن أن نتبيّن تشابهات بين "كتابة الجسد" في النّسوية وكتابة "المكان" في الكولونيالية²⁶.

فإذا كانت الموجة الأولى استجابة لصوت تحرير المرأة لـ "قاسم أمين" مطلع القرن المنصرم، فإن الجيل الثّاني الذي ذكرناه، هو استجابة فيما يبدو لمن قال بالحرف الواحد: «إن الجنس في المغرب بوابة للانخراط في العولمة»²⁷. وكأن سبل الانخراط في العولمة ضاقت إلّا من طريق الجنس! وهو استجابة أيضاً للفكر النّسويّ المتطرف، الذي يُنادي بالقضاء على الأسيرة الكلاسيكيّة؛ لأنّها كانت المؤسسة المسؤولة عن قهر المرأة وتقليص دورها. وهنا نلمس استجابة للصوت القائل «والأسرة الناتجة عن ذلك الزواج هي أسرة بطريكية أبوية، فأدم هو السيد والمسؤول عن حواء والأطفال، حواء والأطفال هم فروع، منتجات من الرجل آدم، ليس هذه هي الأسطورة الوحيدة التي نستطيع استخلاص مفهوم الدين للجنس فيها»²⁸. فقصّة سيدنا آدم عليه السّلام أسطورة! وهي المسؤولة عن شقاء حواء وأبنائه! وأسرته بطريكية!

يبدو أنّ الروايات ذات التّوجّه ما بعد النّسوي لم تكن في منأى عن ذلك الخطاب المتطرف. ولعلّ ما يؤكّد هذا التّفارب أسبابٌ مختلفة، منها: هيمنة الإديولوجي على الأدبيّ، فالطرائق التي بواسطتها الجسد مبطنة بمحمولات إديولوجيّة،

الإغراق في التفاصيل الجنسية للجسد، وأستبدلت بلغة استعارية وصفت الجسد دون إسفاف وفي لغة شعرية. ويمكن إدراك التمثيل الإيديولوجي للجسد في الرواية بتأويل شخصية خالد الفاقد لذراعه الأيسر، ككناية عن سقوط اليسار في التجربة السياسية الجزائرية كمشروع كوزموبوليتي، خاصة بعد أكتوبر 1988، والذي يحمل على تأكيد هذا التأويل هو بنية الشخصية ذاتها، حيث تعكس الحقب المختلفة للتاريخ الجزائري المعاصر ابتداءً من الثورة التحريرية، إلى الاستقلال إلى متاحف العتمة. أما التمثيل الوجودي فلمس معالمه أيضاً لدى الشخصية ذاتها في مختلف تجلياته، بدءاً بالغبرة المكانية بتونس، ثم بباريس، الفضاء المفارقة الذي في حياة الشخصية، فخالد كان في الصوف الأولى المحاربة لهذه العاصمة الكولونيالية، ومن المفارقات أنه لا يجد مكاناً يأويه بعد التحرير سواها! ثم يعيش حالة من الاغتراب فيعجز عن المواجهة، بحيث يتردد كثيراً في العودة إلى الوطن ومواجهة السلطة التي كانت سبباً في معاناته. وهو ما يؤلّد فيه تجلٍ آخر من تجليات الاغتراب يتمثل في الإحساس بالانفصال عن الكيان الأصلي، ويسعى إلى تعويضه بعالم الفن.

يتضح مما تقدّم أنه يمكن الخروج بالجسد عن التمثيل الغريزي التي حصر فيها إلى محمولات أرحب، وأعمق، على غرار التمثيل العرفاني المميز لكتابات الكوني. فضلاً عن تمثيلات أخرى كالحضارية، والإيديولوجية، ناهيك عن الوجودية الحاملة لأسئلة الإنساني المطلق، ولعلها كانت سبباً مكن "نجيب محفوظ" من شق طريقه نحو العالمية. ويبقى التمثيل الإيروسي محلّ سخط؛ نظراً لكثرة المعارضين عليه، وضيقاً جداً، وقد وجدنا موقف "سعد البازعي" يؤكّد منطقيّة النتيجة المستخلصة من هذا المبحث، قائلاً «ليس من الضروري مصادمة المتلقي برقصة أيروتيكية أو بشعر متمرّد على قيم أخلاقية محددة لكي يحدث الإبداع، بل إن مصادمة كتلك توصف بالاختراق الأسهل والتبسيطي مقارنة بنخوم أكثر رفاة وصعوبة»³⁷، كتلك التنوعات التي أشير إليها سابقاً. ولعلّ هذا كافٍ لوصفه بالاختزال المخلّ، مادامت هناك إمكانية للتنوع. وإلا سيؤول ذلك التوقع على أنه عي، وحصر على مستوى الكتابة يتعيّن اجتنابه. لأنّه ينتقص من شعريّة النص.

يتخبط في ضحضاح من التار دون أن يسمع صوت سيده. لتأتي آخر لحظة «جف حلقه ويبس فمه، فشل في أن يستحلب اللعاب. العطش. العطش»³³. وهنا يتخلّص من آخر مكون مكونات الحياة الماء.

تمكّن "الكوني" في هذا المقتطف من تقديم مميّز للتمثيل العرفاني للجسد، ولم تخل بقية أعماله الروائية من مثل ما قدّم، خاصة في رباعية الحُصوف، وجمع فيها بين خصوصيّة المحليّة: فضاء الصحراء، والانخراط في الإنسانية عبر الأسئلة الوجودية الكبرى التي تُورق الإنسان. وهذا ما غاب عن التمثيلات الإيروسية التي أشرنا إليها؛ وهذا بسبب الاختزال الذي وقعت فيه.

كما استطاعت "أحلام مستغانمي" وانطلاقاً من داخل الكتابة النسوية أن تقدّم تنوعات مختلفة في تمثيلها للجسد: حضارية، إيديولوجية، وجودية. ويمكن أن نأخذ رواية "ذاكرة الجسد" كنموذج للتدليل على تلك التنوعات. فقد قدّمت الجسد من منظور حضاري، تحدّد معالمه من زاوية التّبيير الداخلي لشخصية كل من "أحلام" الشرقية وتجسّد رؤية الساردة، مقابل "كاترين" الغربية.

فحينما تقدّمت فناءً غارية أمام طلبة الفنون الجميلة كموضوع للرسم اضطرب الفنان "خالد" الشرقي الذي لم يرسم منها سوى الوجه، وبرّر موقفه قائلاً: «فاعذريني. إنّ فرشاتي تشبهني، إنّها تكره أيضاً أن تتقاسم مع الآخرين امرأة غارية... حتّى في جلسة رسم»³⁴. إنّ هذا التمثيل الجسدي يعكس رؤية "كاترين"، والرؤية الحضارية الغربية بحيث «لا يعود هنا كينونة معزولة عن الحياة مسيجة بالمحرمات التي تغرب عن الإنسان عن ذاته بقدر ما تستلب منه جسده الأكثر خصوصية وحمية»³⁵. وفي مقابل ذلك تمثّل شخصية أحلام التّصور الشرقي للجسد، ويمكن ذلك في حسرة خالد لأجل الزواج المستحيل «ولذا أقبل تلك الزغاريد التي انطلقت في ساعة متقدّمة من الفجر، لتبارك قميصك الملطّخ ببراءتك، كآخر طلفة نارية تطلقها في وجهي هذه المدينة»³⁶. تعكس هذه الصورة البيانية: (تلطخ البراءة) هذه الطقوس الاحتفالية في الأعراس ما مدى قدسية الجسد، والعذرية في الثقافة الشرقية، وفي الآن ذاته مدى الاختلاف العميق في المجتمعين الذين تنتمي إليهما كلّ من كاترين، وأحلام. فضلاً عن بُعد اللغة الروائية عن حرق الذائقة الجمالية بالتعفّف عن

2.4 وهم التمثيل والتمثيل

غالبًا ما تُلفي انحيازًا للتمثيل الجنسي للجسد في تجارب دُون غيرها. ففي حوار مع الروائي "أمين الزاوي" ردَّ عن سؤال بخصوص جُرَّاتِهِ في التَّعاطي مع الجسد. قائلاً: إنه أقلُّ جُرَّاءَ من النُّصوص التَّراثية. وتقريبًا، الرَّدُّ نفسه نُفِيهِ لَدَى الرُّوَّائِينَ الَّذِينَ يَاقُصُونَهُ الاتِّجَاه، إذ يَشْكُونُ سُلْطَةَ المَرَجَعِ عَلَيْهِم، على الرغم أنَّ نُصُوصَهُم -كما يقولون- لا تعدو مجرد تمثيل لنصوص تراثية أجزأ، وهذا تقريبًا ما وَرَدَ على لسان الروائي "نبيل سليمان" في كتابه "فتنة السرد" معلقاً على منع تداول روايته "مدارات الشرق".

يبدو أنَّ هذه الحجةَ واهيةً، خاصَّةً إذا نُظِرَ إلى الجنس في النُّصوص التَّراثية كغاية لا كوسيلة. فضلاً مطبَّات القراءة الاجتزائية لتلك النُّصوص؛ لأنَّ من شأن ذلك أن يُفْضِيَ إلى إسقاطات خاطئة. ويُمكن التَّدليل على ذلك بألف ليلة و ليلة، فقَصَصُها ليست مجرد حكايات مُتَنَاسِلَةٍ عن بعضها، تَعِجُّ بمظاهر الخلاعة، والمُجون، والفُحش؛ بل هي مثالٌ مُمَيِّزٌ من أمثلة النُّصوص الباحثة عن الاتِّزان الجنسي في المجتمع، خاصَّةً إذا ما تمَّ إدراك كُنْه العلاقة التي تربط القصة الإطار بالقصص التي تَتَصَمَّنُها.

فقد قدَّم "جيرهارد فيشر" مقالاً مُمَيِّزاً في هذا الخصوص، وحاول تقديم المواقف المُتَنَاقِضة من المرأة والجنس معاً، وذلك في قراءة حاول فيها تَوْخِي الشُّمولية في الطَّرْح والتَّحليل، إذ جَمَعَ فيها القصة الإطار وهي قصَّة شهرزاد مع الملك شهریار، مع القصص الجزئية التي ترويه شهرزاد.

ومثَّل لذلك التَّنَاقُضُ برؤية شخصيتين مختلفتين: امرأة الصُّندوق، وشهرزاد. فالأولى وَقَعَتْ أَسِيرَةً لِلجَنِّي يوم زفافها، وما يَمَيِّزُها أنَّها شَهْوانِيَّةٌ، فاللَّذَّة «والرضاء الجنسي وحدهما هما ما يدفعها للسعي إلى الرجال، هذه الفكرة المتطرفة، التي تنأى عن المثال الاجتماعي للأُمومة في مجتمع قائم على النظام الأبوي، إنما هي، بلا ريب، تحد واضح لسيطرة الرجال مما يتطلب تصحيحها على الفور»³⁸. فاللَّهْمُ الجنسي الأنثوي لَدَى امرأة الصُّندوق يَشْكُلُ خطراً حقيقياً على تماسك المُجْتَمَع، كما يَنَمُّ عن سُلُوكٍ مَرَضِيٍّ، يُصَاحِبُهُ سُلُوكٌ مَرَضِيٌّ آخر يتمثل في الهيمنة الذكورية، فتعمل على كَبْحِهِ نحو فضيع جداً ينتهي بالاغتصاب. وهنا تظهر الشَّخصية الثَّانية

"شهرزاد" لتخلق التَّوازن المفقود نتيجة العنف الذكوري «فعندما تروي شهرزاد قصصاً فاحشة عن نساء فاسقات وإفراطهن الجنسي، فإن المثال الخاص للرواية يعارض الحقيقة المحظورة والمغربة في آن، وذلك بتقديم نموذج عكسي، ممثلاً في شخصيتها... باعتبارها البطلة الذكية والورعة في الوقت نفسه، يقصد به ضمان التزام القراء بالطريق الصحيح، اجتماعياً وأخلاقياً. وتماثلاً مثلها تعارض فضيلة شهرزاد وتلغي السلوك الفاحش لامرأة الصندوق في القصة الإطارية نفسها»³⁹. والوصول إلى التَّحَصُّر حسب "جيرهارد فيشر" لا يتأتى إلا بالتَّطور من شخصية امرأة الصندوق إلى شخصية شهرزاد. ولا يمرُّ دُون تفكيك الأبوية، وخلق الاحترام المتبادل بين الجنسين.

أمَّا فيما يخص القول بتمثيل النُّصوص التَّراثية الأخرى، على غرار كتابات "السُّيوطي"، و"الليفاشي"، فإنه لا يخلو من مغالطة أيضاً، باعتبار طابعها التَّصنيفي، فهي مُصنَّفات أشبه بالمعاجم المتخصَّصة، وخاصَّة كتابات السُّيوطي، وليست نصوصاً إبداعية، ويُبَيِّن "وليد صالح الخليفة" علل تصنيف تلك المدونات، التي لم يَلْتَجِ إليها إلاَّ للحاجة «وقد أخذ المشرعون في كتابة رسائلهم لتنظيم العلاقات الجنسية اعتماداً على النص القرآني، وعلى السنة النبوية بالدرجة الأولى وإلى جانب ذلك شعر العرب بالحاجة إلى تنظيم تلك العلاقات بسبب اتِّصالهم المباشر بالثقافات الأخرى كاليونانية والفارسية التي كانت قد عرفت العديد من المؤلفات في هذا الموضوع»⁴⁰. فالأُمم التي دخلت في الإسلام قد تكون لها عادات خاصَّة في الجنس، وشاذة تتنافى مع التَّعاليم الإسلاميَّة، ولعلَّ هذا ما حَمَلَ "السُّيوطي" على التَّصنيف في ذلك. والعائدُ لنواظره يجد عَرَضَهُ للجنس جافاً، إذ لم يُصَبَّ في قالبٍ سرديٍّ مُثِيرٍ، فهو أشبه بالعرض الجاف الذي يقدِّمهُ اللَّفْظ في دلالاته المعجمية. والأمر نفسه تقريباً في "أوصاف النِّساء" للليفاشي، وبهذا نجد اختلافاً في سياق التَّأليف، وبالتالي فإنَّ حُجَّةَ تمثيل النُّصوص التَّراثية الجريئة من قِبَل الروائيين تبدو واهيةً من منظور ما قُدِّمَ. هذا باختصار شديد عن الوهم الحاصل في تمثيل النُّصوص التَّراثية.

أمَّا عن التَّمثيل، فيبدو أنَّ بعض التَّمثيلات الجنسيَّة للجسد قد وقعت في مطبٍّ من نوعٍ مختلفٍ عن الأوَّل، لكنَّه ينسحبُ على ما يُصطَلَحُ عليه بالسُّويِّين أكثر من نُظرائهم من

حين أنها تُعْرِضُ لذلك المهمَّش الذي لا يريد أن يُتَبَّهَ إليه ؛ لأنَّ من شأن ذلك أن يُعَمِّقَ من حدة العداء له ، كما سَبَقَتْ الإشارة.

5. التَّلَقِّي التَّقْدِي لِمُثْبَلَاتِ الْجَسَدِ

أمَّا بخصوص التَّلَقِّي التَّقْدِي لِمُؤْضُوعَةِ الجسد ، فلا يخلو من مفارقاتٍ أيضًا ، بفعل تناقض التَّلَقِّيَّاتِ بين تلقِّي نافعٍ لتلك الأعمال ، وآخر باحثٍ لها عن مُسَوِّغَاتٍ لانتهاك قُدْسِيَّةِ الجسد. كما يمكن التَّمييزُ بين التَّلَقِّي الاستهلاكي الذي يتوقف عند حُدُودِ النَّصِّ بانطباعات لا تخلو معظمها من قَدْحٍ في التَّصَوُّصِ الرَّوَّائِيَّةِ وأصحابها ، وقد يخرج عن حُدُودِ اللَّيَاقَةِ العلميَّةِ ، وهذا ما يميِّزُ المتلقِّي غير المتخصِّص ، وقد ينزلق إلى مطبَّاتِهِ أكاديميون ، ومتخصِّصون ، ومن شأن هذا اللَّمَطُ من التَّلَقِّي أن يدعِمَ حُجَّةَ أصحابِ الكتابات المحتفية بالطرح الإيروسي ، القاضي بجهل المتلقِّين ، وَرَجَعِيَّتِهِمْ ، وَبَعْدَهُمْ عن الرُّوحِ العلميَّةِ في النَّقَاشِ ، وعن رُوحِ العَصْرِ في الحياة. وفي المقابل يمكن الحديث أيضًا عن نهج آخر من التَّلَقِّي ، يبدو أنَّه أقرب إلى القراءة المُنتَجَةِ ، فأصحابه قُرَّاءٌ وليس مجرد متلقِّين ، وعملوا على تقديم قراءاتٍ نقديةٍ للتمثيل الأيروسي للجسد ، التي تنوعت بين التفسير الكولونيالي ، والنَّفْسِيَّ.

5.1 التفسير الكولونيالي

حاول "عبد الله إبراهيم" تقديم مسوغاتٍ للحضور الجنسي في الرواية العربية تحت غطاء الكولونياليَّة ، وقَدَّمَ رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لـ "الطيب صالح" كأنموذج ، فالجنس في الرواية مبطنٌ بحمولاتٍ رمزيَّة تعكسُ جدليَّة المُسْتَعْمِرِ والمُسْتَعْمَرِ «من خلال شخصيات ورؤى تنتمي إلى طرفي التناقض المذكور ، ومن أجل بلورة هذه الفكرة تلجأ الرواية إلى تقنياتٍ سرديةٍ كثيرةٍ لتجسيد هذا الموضوع الذي ظلَّ أحد شواغل الرواية العربية منذ نشأتها الأولى ، لكن "الطيب صالح" يُضفي على الموضوع طابعا تراجيديا ، حينما يُغلف العلاقة بين الرموز الحضارية بالعنف ، والشبق والموت ، فتتخطى الشخصيات مستواها النصي المباشر لتتصل بمجالات الصراع المتوتر بين الشرق والغرب»⁴⁴.

فالشرق مُمَثَّلٌ في الرواية بشخصية "مصطفى سعيد" يُجسِّدُ الفُحُولَةَ الجامحة إلى وطء الغرب ممثلاً ببنات لندن ،

النِّسَوِيَّاتِ ؛ لأنَّ النِّسَوِيَّين نَدَرُوا أنفسهم للدفاع عن حقوق المرأة المهضومة من قِبَلِ الرجل ، أو ما ينعتونه بالبطريكيَّة الذُّكُورِيَّةِ ، والتي تعني حُكْمَ الأب وممارسة الكبت على الأثني ، وتكريس دُونِيَّتِها على حد وصف "سعد البازعي" ، و"ميجان الرويلي".

لكنَّ النِّسَوِيَّةَ سارت في اتجاهين: اتجاهٌ يقوم على أساس (الجنس): النِّسَوِيَّ ، وآخر على أساس (الجنوسة) وهو ما بعد نسوي. فالقائل بالجنس يقوم على التمايز البيولوجي ، وبالتالي فهو أكثر أصوليةً (رادكالية) ، فظهرت بموجبه «حركات نسوية متطرفة تدعو إلى التخلص من جنس الذكر وحق ممارسة المرأة حريتها الجنسية (المثلية)»⁴¹. وبناءً على هذا الاعتبار يجدُّ النِّسَوِيُّون أنفسهم خارج إطار النِّسَوِيَّة التي يعتقدون أنَّهم يمثلونها من خلال كتاباتهم ، وبالتالي يُصِحُّ ذلك التَّمثيل أقرب إلى الوهم منه إلى الحقيقة. ولو أنَّ الاتجاه ما بعد النسوي يعيد لهم بعض الشرعية ؛ لأنَّه يقوم على أساس الجنوسة (الجندر) جاء لكي يحقق التَّوَازن ، ويحدُّ من تطرف الاتجاه السَّابِق ؛ لأنَّه يقوم على أساس «مجموعة من العلاقات التي تمنحها المنظومة الاجتماعية للرجل والمرأة من أجل تسيير حياتهما ، فما بعد النسوية لا علاقة لها بالجنس بقدر ما لها علاقة بالجندر»⁴². لكنَّ الحديث على عن سيادة الاتجاه الأوَّل الرادكالي المتطرف في مرحلة سابقة مع الموجة الأولى من النِّسَوِيَّة ، وتراجعها لاحقاً أمام الموجة الثانية لا يصدِّقُه الواقع على الأقل ، فخطابُ التَّطَرُّف هو السائد ، والخطاب ما بعد النِّسَوِيَّ يسيِّرُ نحو التَّطَرُّف أكثر فأكثر ؛ بدليل أنَّ بعض الحكومات الغربية ماضية في الاستجابة إلى مطالبه ، وتَقْنِينِهَا. لكنَّ وَهْمَ التَّمثيل لا ينسحب على النِّسَوِيَّين فحسب ؛ بل وعلى النِّسَوِيَّاتِ أيضًا ، وهذا ما يدعِمُ وَجْهَةً نظرنا السَّابِقَةَ. فتطرَّف بعض النِّسَوِيَّات جَعَلَهُنَّ يرفضنَّ أن يتحدَّثَ صَوْتُ غَيْرِهِنَّ باسمهنَّ حتَّى وإن كُنَّ ناقداتٍ نسوياتٍ مثلهنَّ ، وهذا ما نفهمُه من طرح "أليسون جاغرا" التي قالت «إنَّ جماعة النساء اللائي ينشدن استبعاد حيواتهن من دائرة فحص نقدي تقوم به نسويات من الخارج يتقدمن بعدة حيثيات لهذه الرغبة. تجادل جماعة المومسات بأنَّ النسويات من الطبقة الوسطى يجهلن الظروف الحقيقية لحياة البغاء»⁴³. والكتابة الروائيَّة هي شَكْلٌ من أشكال الفحص التَّقْدِي ، ويدَّعي أصحابها بأنَّها نوعٌ من الانتصار لذلك الصوت المهمَّش. في

أن يخلصه من الكبت دون أن يُكتشف أمره من قارئه. وكذا تصبح الأوديبيّة، والتداعي حاليتين مرضيتين لدى الروائيين، تُضاف إلى الحالات غير العادية التي ميّزت الكتابة الروائيّة. وفي الأخير نجد أنّ التفسيرات النفسيّة لم تدّخر أيضاً أيّ جهد في اختلاق مسوّغات إضافية لذلك التمثيل الجنسيّ.

6. تركيب: عنف بالجسد، وعنّف على الجسد

بعد متابعة مختلف التمثيلات للجسد في بعض الكتابات، فضلاً عن النُقود الموجّهة لتلك التمثيلات اتّضح أنّها جاءت في سياق ردّ فعل نزعة ما بعد حداثة ضدّ الحداثة؛ فراديكاليّة منظومة القيم الفلسفيّة والاجتماعيّة، والسياسيّة كبّلت الجسد الإنسانيّ، وبوجه خاصّ الأنثويّ بمجموعة من المحظورات، فاستحال الجسد بموجب ذلك إلى طابو من الطابوهات التي لا يمكن المساس بفُدسيّتها؛ وبالتالي فلا غرابة أن يُقابَل الفعلُ برّد فعلٍ أعنف منه، وأخذ العنف الجسديّ بذلك توجهين اثنين: عنّف بالجسد، وهنا يُتخذ كواسطة لممارسة العنف. وعنّف على الجسد، وهو أخطر من سابقه، لقيامه على مبدأ الغائبة؛ أي أنّ ذلك العنف الممارس غايةً في حدّ ذاته. وهذا ما يلاحظ في كتابات "رشيد بوجدره" فعنف الخطاب الجنسيّ عنده، يوازيه عنّف لغويّ قلماً يُعثر على نظيراً له حتّى في "الخبز الحافي"، ولا حتى في أيّ نصّ من النُصوص الروائيّة التي قرأناها على الأقل.

وفضلاً عن هذا كلّهُ فقد أبانت تمثيلات الكتابة والتلقّي التي قُدّمت على قلّتها عن كثير من الحالات المرضية التي اعتُرت بعض الكتابات الروائيّة العربيّة في تمثيلات الجسديّة للجسد. فبعضها يعاني من شعور بالترجسية، ضدّ الآخر الذي مارسَ عليه عنّفه في حقبة تاريخيّة. والبعض الآخر يُكابِد في عوالم اللّاشعور، فلا يكاد يجد مناصّاً من ذلك إلّا من طريق الكتابة الروائيّة. وآخر لا يلتبس طريقاً لكسر رُهاب طابو السّلطة السياسيّة إلّا من تحطيم طابو الجنس المقدّس من قبل تلك السّلطة. في حين فضّلت أخرى ضرب طابو الدّين بطابو الجنسي بتكريس الشّدوذ، والمثليات تحت غطاء التّسوية الرادكالية، وكانت بهذا الصنيع أعظم نيتشويّة من نيتشه نفسه؛ لأنّ هناك دراسات أشارت إلى وقوف نيتشه ضدّ المرأة والمثليات، وبالتالي لم يستطع الفكّك من المثالية والميتافيزيقا التي نذّر عمره لنقضها؛ لأنّه في هذه النقطة

يقول: «وأنا الجنوب يحن إلى الشمال والصقيع، آن همد قضت طفولتها في مدرسة الراهبات، عمّتها زوجة نائب في البرلمان حولتها في فراشي إلى عاهرة»⁴⁵. في هذا المقتطف يجسد عنفاً مضاعفاً من الشرق على الغرب، فقد حوّل "مصطفى سعيد" الفتاة الغربيّة من حياة الرهبة إلى الفُحش والعهر. كما اختزل "الطيب صالح" الغرب في جنس الأنثى، وما تحمله من مقوّمات معنويّة دالّة على الخضوع للهيمنة الذكوريّة. وهذا ما يتّبعه "جورج طرايشي" بتجنيس العلاقات الحضاريّة «فالرجل الأبيض يعتقد ويتصرف على أساس أن جميع نساء المستعمر مباحة له، ويرد الرجل المستعمر بتطرف ماثل: أن كل امرأة بيضاء مشتهة»⁴⁶. وقُدّم طرايشي إلى جانب رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، رواية "عصفور من الشرق" لـ "توفيق الحكيم" الذي عمّد فيها الحكيم إلى هجاء الغرب عن طريق تأنيثه. وهكذا تمكّن الثّقاد من الاهتداء إلى مُسوِّغ يبرّر التمثيل الجنسيّ للجسد.

5.2 التفسير النفسي

قُدّم "جورج طرايشي" مساهمةً مهمّة في بحث الموسوم بـ عقدة أوديب في الرواية العربيّة، واتّخذ مجموعة من النُصوص الروائيّة كمنهج للتحليل منها بعض روايات "سهيل إدريس"، ذات الطابعي السّيري، وعمل على البرهنة على فرضية قتل الأب. ولا يُنحصر التلقّي النفسيّ في الأوديبيّة فحسب؛ بل كذلك على (التداعي) بوصفه مفهوماً نفسيّاً، وآلية عملية تنهض بوظيفة علاجية. وهذه التّقنية تنكّفت في الرواية السّيرية أيضاً، ويؤكّد "جابر عصفور" أنّ هذا النمط يكشف بوضوح عن «ميل الفرد المعاصر إلى الإفضاء بمكنون نفسه، والاعتراف لنظيره القارئ بما يدني هذا الاعتراف إلى حال شعائري أقرب إلى التطهر بالبحر الذي يشبه إفصاح السيرة الذاتية عن كاتبها، أو شبه استرسال الذات المستقلية على أريكة التحليل النفسي في شكل مواز من أشكال الاعتراف التطهري»⁴⁷.

فرواية الاعتراف كما بصطلح عليها "جابر عصفور" أشبه باعترافات المذنبين في الكنيسة، تتيح لصاحبها تصريف الشّعور المؤرّق له بواسطة الكتابة الذي تُمثّل عُفراً، فيتماهى عالم الحقيقة المُعاشة من قبل الكاتب مع عالم الخيال، ويُوفّر لنفسه كشفاً وفي الآن ذاته حجاباً، ومن شأن ذلك كلّهُ

وقع بعض الروائيين العرب في نوع من الوهم في التمثيل، نتيجة اعتقادهم تمثيل الجسد النسوي المضموع، والدفاع عن حقوقه المشروعة المتمثلة في المساواة مع الرجل على كافة الأصعدة، وبذ كل أشكال الميز ضد الأنوثة، ولا يستحب الأمر على الروائيين النسويين فحسب؛ وإنما على النسويات أيضاً. ولعل ما يحمل على هذا الوصف هو رفض بعض الحركات النسوية أن يكون الجسد موضوع مساءلة نقدية، وسبقت الإشارة في متن هذا البحث إلى أن الكتابة عنه تعد شكلاً من أشكال تلك المساءلات. يضاف إلى هذا الوهم وهم ثانٍ يتعلق أساساً بالتمثيلات الخاطئة لبعض النصوص التراثية العربية الجنسانية ك: ألف ليلة وليلة التي أثبتت بعض الدراسات أنها لا تعكس ذلك الفهم التمثيلي، أي بوصفها أنموذجاً مثالياً لأدب المجون والرديلة. ويمكن أن يضاف إلى النتائج السابقة إشكالية التوظيف الدوغمائي للجسد، على نحو تحول فيه إلى أداة لتمير خطابات ونفي أخرى مناقضة لها. وبالتالي خرج عن أطر التوظيف الفني.

بالذات كان يفكر انطلاقاً من مقولاتها، بينما سقطت كتابات أخرى في مرض "الفيتيشية". ولا تكاد كل الحالات التي ذكرناها أن تخرج من الإطارين المذكورين سابقاً: عنف بالجسد، وآخر على الجسد. لقد أبان هذا التركيب عن مدى تأثير التصورات الفلسفية والاجتماعية المتطرفة حول الجسد في إنتاج خطاب أكثر تطرفاً، ولم تكن نابعاً من قنوات محضّة، بقدر ما هو نابع من رد فعل تجاه الخطابات السابقة، أقصى في نهاية المطاف إلى حالات يمكن أن توصف بأنها مرضية.

7. خاتمة

بالإضافة إلى ما تقدم، خلصت هذه الورقة البحثية إلى مطبات أخرى، وقعت فيها الكتابات الروائية التي تمثلت الجسد من منظور إيروسّي، أولها خطأ الاختزال، فقد حولت تلك الكتابات الجسد إلى أيقونية للجنس فالجسد كثيراً ما يستعمل كقريحة للجنس من قرط ذلك التمثيل الاختزالي. والحق، أن الجسد أقدر على حمل تمثيلات أخرى غير ذلك، إذ بالإمكان إحاطته بحمولات أيديولوجية، حضارية، وجودية، وبوجه عام، مختلف التجليات الإنسانية في تنوعها.

الهوامش

1. إدوارد الخراط: أنا والطابو، مقاطع من سيرة ذاتية للكتابة، مجلة فصول، مج 11، ع 03 الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1992، ص 41.
2. عبد الصمد الديالي: سوسولوجيا الجنسانية العربية، دار الطليعة، ط 1، بيروت، لبنان، 2009، ص 166.
3. حسن حنفي: الروح والجسد في القرآن الكريم، مجلة عالم الفكر، ع 04، مج 37، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، 2009، ص 10.
4. إسماعيل أبو الفداء بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 3، دار الفكر، ط 1، بيروت، لبنان، 2000، ص 1252.
5. محمد إقبال عروي: مستويات حضور الجسد في الخطاب القرآني، مجلة عالم الفكر، ع 04، مج 37، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، 2009، ص 29.
6. شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج 15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 153.
7. محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ج 15، دار الفكر، ط 1، بيروت، لبنان، 1981، ص 51.
8. شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية: الروح، في الكلام على أرواح الموتى والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء، دار القلم، ط 2، بيروت لبنان، 1983، ص 174.
9. ينظر، ياسين بوعلي: الثالث المحرم، دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، دار الطليعة، ط 2، بيروت لبنان، 1978، ص 23.
10. أفلاطون: الجمهورية، تر فؤاد زكريا، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2003، ص 406.
11. محمد هشام: في النظرية الفلسفية للمعرفة، أفلاطون ديكارت-كانط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2001، ص 21.
12. عبد الرحمن التليلي، عنف على الجسد، مجلة عالم الفكر، ع 04، مج 37، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، 2009، ص 155.
13. المرجع نفسه، ص 152.
14. فريدريك نيتشه: إرادة القوة، محاولة لقلب كل القيم، تر: محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص 91.
15. فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، كتاب للجميع ولغير أحد، تر: علي مصباح، منشورات الجبل، ط 1، كولونيا، ألمانيا، 2007، ص 75.
16. يميني طريف الخولي: التسوية وفلسفة العلم، مجلة عالم الفكر، ع 02، مج 34، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، 2005، ص 16.
17. بيير بورديو: الهيمنة الذكورية، تر: سلوان قعفراني، مرا: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت لبنان، 2009، ص 28.
18. بيير شارتييه: مدخل إلى نظريات الرواية، تر: عبد الكبير الشرفاوي، دار توبقال، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص 114.
19. عبد الرحمن بوعلي: المغامرة الروائية، بحث في تشكيل الرواية العربية وتطورها في الأدب العربي الحديث، ط 2، منشورات ضفاف، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، المغرب، ص 127.
20. نبيل سليمان: في الإبداع والتقد، دار الحوار للنشر، ط 2، اللاذقية، سوريا، 1996، ص 72.
21. أدونيس: الشرع والسياسة، مجلة فصول، ع 03، مج 11، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1992، ص 66.
22. إيمانويل كنت: نقد ملكة الحكم، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، لبنان، 2005، ص 111.
23. سعيد بنكراد: السرود الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2008، ص 144.
24. ينظر: عبد الله الغدامي: ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة الجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 1998.
25. أوما ناربان وسندرا هاردنغ: نقض مركزية المركز، تر: يميني طريف الخولي، ج 1، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2012، ص 16.
26. بيل أشكروفت وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الأساسية، تر: أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، مصر، 2010.
27. عبد الصمد الديالي: سوسولوجيا الجنسانية العربية، ص 166.
28. ياسين بوعلي: الثالث المحرم، دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، ص 25.
29. واسيني الأعرج: سيده المقام، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 115.
30. الثاناتوسية: تتمثل نزوة الموت في النزعة الأساسية عند كل كائن هي للعودة إلى الحالة اللاعضوية، فإن نزوة الموت تنزع إلى العودة إلى حالة سابقة.
31. إبراهيم الكوني: التبر، دار التنوير، ط 3، بيروت، لبنان، 1992، ص 36.
32. المصدر نفسه، ص 36.
33. المصدر نفسه، ص 40.
34. أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، ط 15، بيروت، لبنان، 2000، ص 95.
35. معجب الزهراني: مقاربات حوارية، مؤسسة الانتشار العربي، ط 2، بيروت لبنان، 2013، ص 41.
36. أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 364.
37. سعد البازعي: قلق المعرفة، إشكاليات فكرية وثقافية، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2010، ص 51.

38. جيرهارد فيشر: فوضى الجنس، التحرر، الخضوع: عملية التحضر وتأسيس نموذج لدور الأنثى في القصة الإطارية لألف ليلة وليلة، تر: سمير عطار، مجلة فصول، مج 11، ع 04 الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1994، ص 134.
39. المرجع نفسه، صص 141-142.
40. وليد صالح الخليفة: مرض الحب، إسطوغرافيا الجنس والآلهة، مجلة كتابات معاصرة، ع 34، مج 09، بيروت، لبنان، 1998، ص 81.
41. علي عبود المحمداوي وآخرون: خطابات الها بعد في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات ضفاف، الرياض، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2013، ص 267.
42. المرجع نفسه، ص 264.
43. أوما ناريان وسندرا هاردنغ: نقض مركزية المركز، ص 39.
44. عبد الله إبراهيم: الرواية العربية وتعدد المرجعيات والثقافات، سلاسل وثقافات، مداخلة ضمن ندوة: الرواية العربية ممكنات السرد، ج 02، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، 2009، ص ص 11-12.
45. الطيب صالح: موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة، ط 02، بيروت، لبنان، ص 34.
46. جورج طرابيشي: شرق وغرب رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، ط 04، بيروت، لبنان، 1997، ص 10.
47. جابر عصفور: زمن الرواية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1999، ص 247.

التصور التاريخي للمنظمات الدولية الخاصة بحماية اللاجئين

The historical development of international refugee protection organizations

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-12-16

محمد أنيس زياد كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة مولود معمري بتيزي وزو
med-anis89@hotmail.fr

الملخص

نجم عن الحرب العالمية الأولى آثار وخيمة على الإنسانية سواء الخسائر البشرية أو المادية وبحجم مأساوي ما زاد عدد اللاجئين في العالم، هذا ما دفع بالمجتمع الدولي لايلاء اهتمامه بمشكلة اللاجئين وذلك محاولة منهم خلق سياسة شاملة وموحدة للجوء.

ولهذا الغرض ظهرت عدة وكالات وأجهزة دولية وإقليمية تراعي مشاكل ومعانات اللاجئين سواء كان ذلك في عهد عصبة الأمم أو في عهد هيئة الأمم المتحدة حيث حاولت منح وتوفير حماية الدولية الضرورية والمساعدات الإنسانية اللازمة للاجئين. الكلمات المفتاحية: الحماية الدولية، اللاجئين، عصبة الأمم، هيئة الأمم المتحدة.

Résumé

La première guerre mondiale a eu des conséquences néfastes, aussi bien humaines que matérielles, sur l'humanité.

L'ampleur du désastre est telle que le nombre de réfugiés a augmenté dans le monde, ce qui a amené les Etats, au niveau mondial, à accorder l'importance requise à ce phénomène en mettant en place une politique globale et unifiée.

On assistera à la création de plusieurs agences et organisations, internationales et régionales, pour la prise en charge des problèmes et autres souffrances des réfugiés. Cela datait du temps de la Société des Nations (SDN) et se poursuit jusqu'à celui de l'Organisation des Nations Unies (ONU), lesquelles ont essayé d'offrir la protection internationale nécessaire ainsi que les aides humanitaires au profit des réfugiés.

Mots-clés : Protection internationale, Réfugiés, Société des nations, Nations unies.

Abstract

The First World War has had a devastating impact on humanity. The human and material losses have increased the number of refugees in the world. This has prompted the international community to pay attention to the refugee problem in an attempt to create a comprehensive and uniform asylum policy. For this purpose, several international and regional agencies and apparatuses have emerged to solve the refugees' problems, whether in the League of Nations or the United Nations era, through providing the refugees with the necessary international protection and humanitarian assistance.

Keywords: International protection, Refugees, League of Nations, United nations.

مقدمة

أثرت الحربان العالميتان الأولى والثانية والحرب الباردة كثيرا على الإنسانية وذلك بتسجيل خسائر هائلة سواء على المستوى البشري كحالات القتل، الجرحى والمرضى...، أو على المستوى المادي كالتهديم الجزئي أو الكلي لمختلف البنى التحتية لمختلف الدول، ما زاد من عدد اللاجئين في العالم الذين يجدون أنفسهم مجبرين على الهروب وترك أوطانهم وأراضيهم تاركين حياتهم وماضيهم وذكرياتهم وراء ظهورهم هروبا من الاضطهاد وبحثا على ظروف معيشية تصون كرامتهم.

لذا أصبحت مشكلة اللاجئين بؤرة الاهتمام الدولي سعيا لتوفير الحماية والمساعدات لهذه الفئة وذلك على مر التاريخ بداية من زمن العصبة الأمم التي أنشأت عدة وكالات وأجهزة وكان عملها مقتصر آنذاك على تقديم الإغاثة ومعالجة بعض القضايا القنصلية، ولكن بعد إنشاء هيئة الأمم المتحدة غير المجتمع الدولي من نظرتة في التعامل مع ظاهرة اللجوء بخلق سياسة متناسقة ومعتلة لمواجهة الكم الهائل لتدفق اللاجئين.

هذا ما يؤدي بنا إلى طرح إشكالية أساسية وتتمثل في:

ما مدى تمكن مختلف المنظمات الدولية المتخصصة في قضايا اللاجئين عبر التاريخ من تحقيق الأهداف التي أنشأت من أجلها؟

وتتفرع هذه الإشكالية الأساسية إلى بعض التساؤلات الفرعية وهي كالآتي:

- ما المقصود بظاهرة اللجوء؟

- كيف يمكن لنا أن نميز بين مصطلح اللجوء والمفاهيم المشابهة له؟

- ماهي أهم الوكالات والأجهزة التي أنشأت في عهد عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة لحماية اللاجئين؟

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات سنعتمد على بعض المناهج والمتمثلة في المنهج التاريخي باعتبار أن قضية اللجوء قديمة قدم الإنسان، والرجوع إلى مختلف مراحل تطورها عبر التاريخ سيمكننا من معرفة جذور الظاهرة وكيفية

التعامل معها، والاستفادة من جهود مختلف المنظمات الدولية التي أنشأت لمحاولة إيجاد حلول لمشكلة اللاجئين. كما سنعتمد على المنهج القانوني من خلال تحليل بعض النصوص القانونية خاصة الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان لتحديد الأسس والقواعد الأساسية للجوء. وسنعتمد كذلك على المنهج التحليلي الوصفي للوصف الدقيق لمختلف مهام ووظائف المنظمات الدولية المتخصصة لحماية اللاجئين سواء في زمن عصبة الأمم أو هيئة الأمم المتحدة.

فرضية الدراسة

- اللاجئين في مختلف أنحاء العالم يواجهون مجموعة من الصعوبات خاصة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، على الرغم من كل الجهود التي قامت أو التي تقوم بها مختلف المنظمات الدولية الخاصة بحماية اللاجئين.

- معاناة اللاجئين من خرق مبادئ الحياد والنزاهة عند قيام الأجهزة والوكالات المعنية بحماية اللاجئين بمهامها.

- صعوبة وصول المساعدات الإنسانية للاجئين وتقصصها في بعض الأحيان في بعض مناطق العالم.

وسنحاول الإجابة على الإشكالية الأساسية وبعض التساؤلات الفرعية وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: مفهوم اللجوء

المطلب الأول: تعريف اللجوء

الفرع الأول: التعريف اللغوي للجوء

الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي للجوء

المطلب الثاني: تمييز اللاجئ عن بعض المفاهيم المشابهة له

الفرع الأول: التمييز بين اللاجئ وطالب اللجوء

الفرع الثاني: التمييز بين اللاجئ والمهاجر

الفرع الثالث: التمييز بين اللاجئ والنازح

المبحث الثاني: التطور التاريخي لمختلف المنظمات

الدولية الخاصة بحماية اللاجئين

المطلب الأول: الوكالات الدولية لحماية اللاجئين في

عهد عصبة الأمم

الفرع الأول: المفوضية السامية لشؤون اللاجئين

الروس ووكالة نانسن

الفرع الثاني: المفوض السامي لشؤون اللاجئين

القادمين من ألمانيا

لتعريف اللجوء واللاجئ يجب علينا الرجوع إلى مختلف الموائيق والاتفاقيات الدولية التي تطرقت لهذا التعريف، ولعل أبرزها اتفاقية جنيف للأمم المتحدة الخاصة بوضع اللاجئين لعام 1951² والبروتوكول المكمل لها المنعقد بنيويورك لعام 1967³.

فقد عرفت اتفاقية جنيف لعام 1951 اللاجئ في المادة 01/أ/فقرة 02 اللاجئ بأنه " كل شخص يوجد نتيجة أحداث وقعت قبل 01 جانفي 1951، وبسبب الخوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية خارج بلد جنسيته ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة نتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع أو لا يرغب بسبب ذلك الخوف أن يعود إلى ذلك البلد"⁴.

برغم أن اتفاقية جنيف الخاصة بمركز اللاجئين لعام 1951 تمثل أول وثيقة دولية قدمت تعريفاً للاجئ إلا أنها جاءت مقيدة بقيد الزمان والمكان في تحديد صفة اللاجئ وذلك بورود عبارة "نتيجة أحداث الحرب العالمية الثانية وما ترتب عنها والتي وقعت قبل 01 جانفي 1951 في أوربا"، ولتجاوز هذين القيدتين قامت الأمم المتحدة بعقد بروتوكول يتعلق بمركز اللاجئين وذلك في عام 1967 وعرفت المادة الأولى منه اللاجئ أنه أي شخص يدخل ضمن تعريف المادة الأولى من اتفاقية الأمم المتحدة لوضع اللاجئين لعام 1951 وذلك بحذف عبارة -نتيجة الأحداث التي وقعت قبل أول يناير 1951 وعبارة نتيجة مثل هذه الأحداث- مما يعني إلغاء القيد الزماني والمكاني الوارد في اتفاقية جنيف لعام 1951⁵.

أما اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية التي تحكم المظاهر الخاصة للاجئين في إفريقيا لعام 1969⁶ فحسب المادة الأولى منها فتعرف اللاجئ تعريفاً أوسع بكثير فاللاجئ حسب هذه الاتفاقية هو كل شخص تنطبق عليه المعايير المذكورة في اتفاقية الأمم المتحدة للاجئين أو الشخص الذي يضطر لمغادرة المكان الذي يقيم فيه عادة، نظراً لعدوان خارجي أو احتلال أو سيطرة أجنبية أو أحداث تؤدي إلى اختلاف النظام العام بصورة خطيرة إما في جزء ما أو في كافة أرجاء وطنه الأصلي أو الدولة التي يحمل جنسيتها، ليسعى إلى ملاذ له في مكان آخر خارج وطنه الأصلي أو الدولة التي يحمل جنسيتها.

الفرع الثالث: المفوضية السامية الجديدة لعصبة الأمم والوكالات الحكومية للاجئين
الفرع الرابع: إدارة الأمم المتحدة للغوث والتعمير
"L/UNRRA" 1947-1493

المطلب الثاني: الوكالات الدولية لحماية اللاجئين في هيئة الأمم المتحدة

الفرع الأول: المنظمة الدولية لحماية اللاجئين
الفرع الثاني: وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم في الشرق الأدنى "UNRWA"
الفرع الثالث: المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين UNHCR
الخاتمة

المبحث الأول: مفهوم اللجوء

يعدّ مصطلح اللجوء من بين المصطلحات الأكثر تعقيداً، ولذلك كان لزاماً على المجتمع الدولي وضع تعريف دقيق وجامع للتمكن من تحديد من هم الفئات أو الأشخاص الذين يستفيدون من الحماية المخصصة للاجئين هذا من جهة (المطلب الأول)، ومن جهة أخرى لتجنب الخلط بين المصطلحات المشابهة لهذا المصطلح أي مصطلح اللجوء (المطلب الثاني).

المطلب الأول: تعريف اللجوء

تعدّ ظاهرة اللجوء من أقدم الظواهر البشرية، فإينما وجد الاضطهاد وجد التشرد والهروب، ما زاد من اهتمام المجتمع الدولي بقضايا اللجوء لتحديد من يمكن اعتبارهم من فئة اللاجئين. ويمكن تعريف اللجوء من الناحية اللغوية (الفرع الأول) والاصطلاحية (الفرع الثاني).

الفرع الأول: التعريف اللغوي للجوء

يمكن تعريف اللجوء من الناحية اللغوية على أنه اسم مصدر مشتق من الفعل لجأ، فيقال لجأ لجأ ويقال: لجأ لجوءاً، ويقال لجأ فلاناً بمعنى اضطره وأكرهه، ويقال: لجأ أمره إلى الله بمعنى أسند وأوكل لأمره إلى الله عزوجل، ويقال لجأ من القوم بمعنى انفرد عنهم وخرج عن زمريتهم، فالملجأ هو الملاذ والمعتل والحصن، وجمع اللاجئ: لاجئون وهو الذي هرب من بلاده ولجأ إلى بلاد سواها، وأما الملجأ فهو لفظ مفرد جمعه ملاجئ وهو مكان حريز محصن¹.

الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي للجوء

المادة الأولى فقرة 02 من اتفاقية جنيف لوضع اللاجئين لعام 1951⁹.

الفرع الثاني: التمييز بين اللاجئين والمهاجر

يمكن تعريف الهجرة بأنها انتقال الفرد أو مجموعة من الأفراد إلى خارج موطنهم الأصلي بهدف تحقيق مصلحة مباشرة للفرد أو للجماعة وغالبا ما يكون الدافع الاقتصادي أهم سبب في الهجرة. وفي المادة 02 فقرة 01 من اتفاقية العمال المهاجرين وأفراد أسرهم لعام 1990¹⁰ نجد أن لفظ المهاجر ينصرف على كل شخص سيزاول أو يزاول نشاطا مقابل أجر في دولة خارج الدولة التي يحمل جنسيتها. يختلف اللجوء عن الهجرة بحيث أن الملجأ يمنح بصفة مؤقتة وفي مواجهة ظروف خطيرة السائدة في دولته الأصلية في حين الهجرة قد تكون دائمة أو مؤقتة، كما أن المهاجر يبقى متمتعا بجنسية دولته الأصلية طالما لم يكتسب جنسية أخرى في الحدود التي يقرها القانون الدولي بعكس اللاجئين الذي غالبا ما تنقصة تلك الحماية من دولته الأصلية. ولكن يمكن أن يجد المهاجر صعوبات في بلد المهجر في حالة ما إذا كان في وضعية غير شرعية عكس اللاجئين الذي هو محمي من قبل مختلف المواثيق والاتفاقيات الدولية والإقليمية¹¹.

الفرع الثالث: التمييز بين اللاجئين والنازح

عرف السيد "فرانسيس دينغ"¹² النازحين من خلال وثيقة المبادئ التوجيهية بشأن النزوح الداخلي "بأنهم الأشخاص أو الجماعات الذين أكرهوا على ترك منازلهم أو أماكن إقامتهم المعتادة، أو اضطروا إلى تلك النتيجة أو سعيا لتفادي آثار نزاع مسلح أو حالات عنف عام أو انتهاكات حقوق الإنسان أو كوارث طبيعية أو كوارث من فعل البشر ولم يعبروا الحدود الدولية المعترف بها للدولة".

وعرفت المادة الأولى من اتفاقية كامبلا لحماية ومساعدة النازحين داخليا في إفريقيا التي عقدت بتاريخ 22 و23 أكتوبر 2009 الأشخاص النازحين داخليا "بالأشخاص أو المجموعات الذين اضطروا إلى الهروب أو مغادرة مساكنهم أو أماكن إقامتهم المعتادة بصفة خاصة نتيجة للآتي أو بغية تفادي آثار النزاعات المسلحة، وأعمال العنف المعممة وانتهاكات حقوق الإنسان والكوارث من صنع الإنسان والذين لم يعبروا الحدود الدولية.

كما أن لدول أمريكا اللاتينية بهذا الخصوص إعلان غير ملزم يعرف بإعلان قرطاجنة لعام 1984، ويعرف اللاجئين على نحو يشبه منظمة الوحدة الإفريقية التي تحكم المظاهر الخاصة باللاجئين في إفريقيا لعام 1969 فحسب هذه الاتفاقية فزيادة عن الأشخاص الذين تنطبق عليهم معايير الاتفاقية الأمم المتحدة للاجئين لعام 1951 يتضمن أيضا الأشخاص الذين فروا من بلادهم لأن حياتهم أو سلامتهم أو حريتهم تعرضت للخطر من جراء استثناء العنف، أو العدوان الأجنبي، أو الصراعات الداخلية، أو الانتهاكات الواسعة النطاق لحقوق الإنسان، أو غير ذلك من الظروف التي تخل إخلالا خطيرا بالنظام العام⁷.

المطلب الثاني: تمييز اللاجئين عن بعض المفاهيم

المشابهة له

يتداخل مصطلح اللاجئين مع عدة مصطلحات مشابهة له لذلك كان لزاما التمييز بين هذه المصطلحات كطالب اللجوء (الفرع الأول)، المهاجر (الفرع الثاني) والنازح (الفرع الثالث).

الفرع الأول: التمييز بين اللاجئين وطالب اللجوء

يعرف طالب اللجوء بأنه "كل شخص لم يتخذ بعد قرار نهائي في طلبه أو التماسه للحصول على اللجوء من جانب بلد اللجوء المتوقع"⁸.

انطلاقا من هذا التعريف يمكن لنا القول أن طالب اللجوء هو ذلك الشخص الذي يطلب الأمان من غير بلده سواء تقدم بطلب للاعتراف به كلاجئ وحتى ولو لم يتقدم بطلب مهما كان السبب، سواء لعدم وجود إجراءات خاصة لطلب اللجوء أو عدم إدراكه بضرورة تقديم طلب للحصول على صفة لاجئ أو لا يرغب بذلك. وفي كل هذه الحالات يكون تحت حماية المفوضية السامية لشؤون اللاجئين وفي حالة الفصل في وضعية طالب اللجوء أي بعد دراسة طلبه وذلك بعدم منحه صفة اللاجئين يسقط اختصاص المفوضية السامية لشؤون اللاجئين. والحالة تختلف إذا رفضت الدول طلب اللجوء من شخص في حين ارتأت المفوضية أنه يستحق صفة اللاجئين فيدخل ضمن اهتماماتها وتوفر له الحماية المقررة للاجئين.

أما اللاجئين فهو ذلك الشخص الذي تم الفصل في طلبه وأصبح يتمتع بصفة لاجئ وفق الشروط المقررة في

للسكان في أوروبا وآسيا بحثاً على الأمان والسلام وهرباً من ويلات تلك الحروب.

قام فريديتوف نانسن في خلال الفترة 1920-1922 بعدة عمليات إنسانية، أولها قيامه بنبابة عصبة الأمم بالتنظيم والإشراف على عودة حوالي نصف مليون من أسر الحرب أغلبهم من جنوب شرق أوروبا والاتحاد السوفياتي إلى بلدانهم، و العملية الثانية التي قام بها كانت اثر المجاعة التي أصابت الاتحاد السوفياتي في شتاء 1921 وذلك بإغاثة عدد هائل من الأشخاص الذين كانوا مهددين بالموت جوعاً.

ونظراً للآثار التي سببتها الحرب العالمية الأولى طالبت عدة دول من العصبة بتعيين مفوض سام يكون بمثابة المسؤول الأول عن اللاجئين الروس ووقع الاختيار على فريديتوف نانسن نظراً لتجربته الرائدة في المجال واحاطته وعلمه بكل التفاصيل التي كان يعانيها اللاجئين الروس¹⁵.

كانت مهمة المفوضية في البداية الاهتمام باللاجئين الروس ولكن سرعان ما اهتمت باللاجئين من جنسيات أخرى خاصة اللاجئين الأرمن واللاجئين الآشوريين، الآشوريين، اليونانيين والبلغار، السوريين، الأكراد والأترك سنة 1924¹⁶.

ومن بين المشكلات التي كان يعاني منها اللاجئون في تلك الفترة هي عدم حيازتهم على أوراق تثبت هويتهم والمعترف بها على الصعيد الدولي، هذا ما أدى بفريديتوف نانسن باستحداث وثيقة أطلق عليها اسم جواز "سفر نانسن" وكان ذلك بمثابة الخطوة الأولى لإنشاء وثيقة السفر المألوفة عند اللاجئين، مما سمح لعدد كبير من اللاجئين العودة إلى ديارهم وأوطانهم أو الإقامة في بلدان أخرى أكثر استقراراً، ومن بين المواقف المسجلة لنانسن في الحرب بين اليونان وتركيا سنة 1922 التي سببت هروب الآلاف اللاجئين من ديارهم في تركيا إلى آسيا الصغرى واليونان حيث قام بإيجاد حل لهذه القضية وذلك باقتراح تبادل سكاني والذي بموجبه انتقل نصف مليون تركي إلى الاتجاه الآخر (من اليونان إلى تركيا) تحت لواء المساعدات التي قدمتها عصبة الأمم.

واستمر نانسن على رأس المفوضية حتى وفته المنيعة سنة 1930 ثم قررت عصبة الأمم إنشاء وكالة دولية للاجئين والتي أطلق عليها مكتب نانسن تقديراً للجهود الجبارة التي قدمها لصالح اللاجئين واستمرت هذه المفوضية العمل إلى غاية إنشاء سنة 1938 المفوضية السامية الجديدة لعصبة الأمم لشؤون اللاجئين¹⁷.

انطلاقاً من هذه التعريف يمكن لنا القول إنه هناك نقاط تشابه بين اللاجئين والنازحين حيث كلاهما يضطر لمغادرة بلدانهم ومكان إقامتهم بناء على ظروف خارجة عن إرادتهم ويختلف في أن اللاجئين يعبرون الحدود الدولية عكس النازحين الذين لا يعبرون الحدود الدولية¹³.

المبحث الثاني: التطور التاريخي لمختلف المنظمات الدولية الخاصة بحماية اللاجئين

عرفت نهاية الحريين العالميتين الأولى والثانية آثاراً وخيمة على الإنسانية، ما أدى بفرار عدد هائل من اللاجئين من بلدانهم الأصلية عابرين الحدود الدولية للبحث عن السلام والأمن الذي فقدوه في بلدانهم جراء الحروب والمعارك المتكررة والطاحنة ما يهدد حياتهم وحيات أسرهم، هذا ما أدى بالمجتمع الدولي إلى التفكير بوضع آليات دولية للتكفل بهؤلاء اللاجئين وهو ما جسد على أرض الواقع بخلق عدة أجهزة ووكالات زمن عصبة الأمم (المطلب الأول) وأخرى زمن هيئة الأمم المتحدة (المطلب الثاني).

المطلب الأول: الوكالات الدولية لحماية اللاجئين في عهد عصبة الأمم

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى زاد عدد اللاجئين بشكل كبير هذا ما أدى بالمجتمع الدولي بالتفكير في إنشاء عدة أجهزة ووكالات متخصصة في مساعد اللاجئين وتوفير الحماية لهم تحت لواء عصبة الأمم آنذاك. مثل: المفوضية السامية لشؤون اللاجئين الروس ووكالة نانسن (الفرع الأول)، المفوض السامي لشؤون اللاجئين القادمين من ألمانيا (الفرع الثاني)، المفوضية السامية الجديدة لعصبة الأمم والوكالات الحكومية للاجئين (الفرع الثالث)، إدارة الأمم المتحدة للغوث والتعمير "L'UNRRA" 1947-1493 (الفرع الرابع).

الفرع الأول: المفوضية السامية لشؤون اللاجئين الروس ووكالة نانسن

يعود الفضل في إنشاء هذه المفوضية السامية لشؤون اللاجئين الروس إلى مستكشف القطب الشمالي النرويجي الشهير فريديتوف نانسن¹⁴ Fridtjof NANSEN، وذلك في ظل الأحداث التاريخية القاسية حيث كان العالم يعاني من عواقب الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية وانهايار الإمبراطورية العثمانية مما أدى إلى الانتشار والتدفق العالي

الفرع الثاني: المفوض السامي لشؤون اللاجئين

القادمين من ألمانيا

تفاقم عدد اللاجئين تحت حكم "هتلر" فارين من ألمانيا لذا قامت عصبة الأمم عام 1933 بتعيين جيمس ماك دونالد "James Macdonald"¹⁸ كمفوض سامي مكلف بشؤون اللاجئين القادمين من ألمانيا، وفي ظرف سنتين نجح في توطين أكثر من 80000 لاجئ وكان ذلك من فلسطين أساسا وفي عام 1935 استقال ماك دونالد من منصبه احتجاجا على رفض عصبة الأمم اتخاذ مواقف أكثر شدة لصالح اليهود في ألمانيا، حيث قوانين نيوربرغ في تلك الفترة حرمت اليهود من حق في الجنسية والحقوق الأساسية كان أهم التشريعات أنا ذاك " قانون مواطنة الرايخ " و" قانون حماية الدم الألماني والشرف الألماني" والذان حرما اليهود من حق المواطنة لكونهم من جنس آخر¹⁹.

الفرع الثالث: المفوضية السامية الجديدة لعصبة

الأمم والوكالات الحكومية للاجئين

أنشأت عصبة الأمم في 01 جانفي 1939 المفوضية السامية الجديدة لعصبة الأمم والوكالات الحكومية للاجئين والتي حلت محل مكتب نانسن الدولي للاجئين وكذلك مكتب المندوب السامي لشؤون اللاجئين القادمين من ألمانيا والنمسا، حيث تمحور مجال نشاط هذه المفوضية السامية الجديدة في تقديم المساعدات المادية لجميع اللاجئين دون تمييز.

وفي 14 جويلية 1938 قررت 35 دولة من بينها الولايات المتحدة الأمريكية إنشاء الوكالة الحكومية للاجئين خارج العصبة الأمم وذلك لمساعدة اللاجئين القادمين من ألمانيا والنمسا وبعد ذلك من اسبانيا وإعادة توظيفهم في بلدان أخرى وكان يترأسها آنذاك هربرت أمرسون Sir HERBERT Emerson حيث امتد نشاطها فيما بعد ليشمل كافة أصناف اللاجئين، واستمرت في عملها إلى غاية 30 جوان 1947 بعد نهاية الحرب العالمية الثانية²⁰.

ومن بين مهامها تقديم المساعدات للاجئين عن طريق توفير الحماية الدولية القانونية لهم والعمل على تسهيل تنسيق المنظمات الإنسانية فيما بينها لإعادة بعث المنظمات الخيرية المهتمة بقضايا اللجوء والهجرة²¹.

الفرع الرابع: إدارة الأمم المتحدة للغوث والتعمير

"L'UNRRA" 1947-1943

قبل نهاية الحرب العالمية الثانية وإنشاء هيئة الأمم المتحدة في نوفمبر 1943 قام الحلفاء بإنشاء إدارة الأمم المتحدة للغوث والتعمير واهتمت هذه المنظمة بتقديم العون والمساعدة لكل النازحين واللاجئين، و بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ظلت هذه الإدارة تعمل بالتنسيق مع القوات التحالف العسكرية SHAEF لتقديم المساعدات ورغم الفترة الصعبة لإنشاء هذه المنظمة إلا أنها وفقت إلى حد كبير في المهمة المنوطة بها خاصة في محاولة إعادة التوطين حيث عند قراءتنا للمهام التي كانت تقوم بها الإدارة يمكن أن نستخلص أنها كانت تهتم بالجوانب الصحية، التعليمية والاجتماعية أي الاهتمام بالجانب الإنساني للاجئين أكثر من الجانب القانوني حيث تركت هذه المهمة للجنة الحكومية للاجئين، وما يمكن الإشارة إليه أن تمويل المنظمة كان قسطه الأكبر من الولايات المتحدة الأمريكية ونظرا للنوايا السيئة لهذه الأخيرة في تقديم هذه المساعدات وذلك بحث اللاجئين العائدين لأوطانهم على معارضة حكومات دولهم ما أرغم مجلس الشيوخ الأمريكي بتجميد تلك التمويلات وتحويل المبالغ الضخمة التي كانت في حوزتها إلى المنظمة الدولية للاجئين التي كانت قد أنشأت حديثا سنة 1946²².

المطلب الثاني: الوكالات الدولية لحماية اللاجئين

في هيئة الأمم المتحدة

اهتمت هيئة الأمم المتحدة منذ إنشائها سنة 1945 بمسألة اللاجئين واعتبرتها من المسائل التي تحظى بالاهتمام الدولي. ويجب على المجتمع الدولي أن يتحمل مسؤولياته إزاء هذه الظاهرة التي أصبحت تتزايد بشكل رهيب لذلك قامت الأمم المتحدة بإنشاء عدة منظمات دولية تهتم بمشكلة اللاجئين عن طريق جمعيتها العامة، مثل المنظمة الدولية لحماية اللاجئين (الفرع الأول)، وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم في الشرق الأدنى UNRWA (الفرع الثاني)، المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين UNHCR (الفرع الثالث).

الفرع الأول: المنظمة الدولية لحماية اللاجئين

أنشأت المنظمة الدولية لحماية اللاجئين لتحل محل إدارة الأمم المتحدة للإغاثة والتعمير بعد مضي سنتين على

- التعاون مع الحكومات المحلية لتنفيذ برامج الإغاثة والأعمال الموكلة لها من قبل بعثة كلاب²⁵ ولاسيما فيما يخص دراسة الأحوال الاقتصادية.

- التشاور مع حكومات الشرق الأوسط من أجل أخذ التدابير في الوقت الذي لا تتوفر فيه المساعدات الدولية لمشاريع الإغاثة والعمل.

كما عرفت هذه المنظمة اللاجئين الفلسطينيين كما يلي "الشخص الذي كانت إقامته العادية في فلسطين، وذلك لفترة لا تقل عن سنتين قبل حرب 1948 والذي بسبب هذه الحرب فقد داره ومصدر رزقه ولجأ في عام 1948 إلى إحدى البلدان التي تتكفل فيها وكالة الإغاثة. ويستحق اللاجئين الذين ينطبق عليهم هذا التعريف أولادهم وأحفادهم مساعدة الوكالة إذا كانوا مسجلين لديها ومقيمين في منطقة عملياتها أي في الأردن، سوريا، لبنان، الضفة الغربية، قطاع غزة وفي حاجة للمساعدة"²⁶.

وتقدم الأورنوا خدمات لها يزيد عن 4.7 مليون لاجئ فلسطيني وذلك ضمن خمسة برامج:

1- التعليم

يعدّ التعليم من بين أكبر البرامج التابعة للأورنوا وهو الذي يستحوذ على أكثر من نصف الميزانية العادية للوكالة، و هي الممول الرئيسي للتعليم الأساسي للأطفال اللاجئين الفلسطينيين منذ ستين سنة.

2- الصحة

تهدف الأورنوا من خلال هذه الخدمات المحافظة على صحة وحياة اللاجئين من الأمراض وتعزيز صحة العائلات وضمان وصول الخدمات الصحية العالمية للفلسطينيين.

3- الإغاثة والخدمات الاجتماعية

تقدم الأورنوا خدمات الحماية الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة في نطاق وإقليم عملها أي مناطق ولايتها، حيث تقوم بتزويد اللاجئين الفلسطينيين الذين يعانون من الفقر وتعزيز التنمية والاعتماد على الذات للأفراد الأقل حظا في مجتمع اللاجئين والمحافظة على سجلات ووثائق اللاجئين الفلسطينيين المسجلين وتحديثها.

4- التمهيد الصغير

إنشاء منظمة الأمم المتحدة في سنة 1947 حيث اهتمت بانشغالات ومشاكل اللاجئين ونظرا للظروف التي كانت سائدة آنذاك في أوروبا كان عمل هذه الأخيرة يتمحور على عوض توطين اللاجئين إلى أوطانهم قامت بإعادة توطينهم في بلد آخر، حيث اهتمت بجميع الأشخاص الذين هم في وضعية اللاجئين بدون تمييز أما الدول الشرقية فقد اقترحووا التفرقة بين الأشخاص المنقولين بمحض إرادتهم واللاجئين الذين هربوا أثناء تقدم جيوش الحلفاء.

وحسب المواد 57 و63 من ميثاق الأمم المتحدة أوكلت مهام محددة لهذه المنظمة وهي إنشاء وكالات متخصصة مؤقتة تعمل على محاولة إيجاد الحلول للآلاف من المتشردين في مخيمات للاجئين وبعد مضي سنتين من إنشائها اقترعت المنظمة أن مشكلة اللاجئين في تزايد وعلى جميع الدول العمل من أجل إيجاد الحلول، ووفرت حماية قانونية وسياسية لهؤلاء الأشخاص من تعليم، تشغيل ومساعدات الاجتماعية وتمكنت من إعادة عدد كبير من اللاجئين إلى أوطانهم كما ساعدت النازية في استرجاع أموالهم وكذا اللاجئين الموجودين في فرنسا وأستراليا ومساعدتهم على الاندماج في مجتمعاتهم الجديدة.

وما يجب الإشارة إليه أن هذه المنظمة أعطت تعريفا واسعا للاجئ حيث ينطبق هذا الوصف على كل شخص غادر أو أجبر على ترك وطنه الأصلي لأي سبب كان سواء كانوا من الأطفال المشردين أو النساء أو عديمي الجنسية أو المضطهدين بسبب الدين أو العرق.... الذين وجدوا في غير دولتهم لأي سبب من الأسباب²³.

الفرع الثاني: وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين

الفلسطينيين وتشغيلهم في الشرق الأدنى UNRWA

أنشأت وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم في الشرق الأدنى المعروفة باسم "الأورنوا UNRWA" بموجب القرار رقم 302 (د4) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 08 ديسمبر 1949 لتقديم الخدمات الإنسانية للاجئين الفلسطينيين. مقرها كان في بادئ الأمر في بيروت ثم انتقل إلى فينا في النمسا وبعد اتفاقية أوسلو²⁴ 1995 نقل مقرها إلى غزة، تجدد ولايتها كل ثلاث سنوات وبدأت عملها رسميا في تاريخ 01 ماي 1950 ومن بين المهام الرئيسية المنوطة بهذه الوكالة بموجب المادة 07 من قرار إنشائها ما يلي:

العامة التابعة للأمم المتحدة بموجب لائحة رقم 319 (د-4) في جلستها التي عقدت في 03 ديسمبر 1949، على أن تبدأ عملها بحلول أول جانفي 1950 والتي اعتمد نظامها الأساسي الملحق باللائحة 428 (د-5) بتاريخ 14 ديسمبر 1950.³⁰

كانت ولاية المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في بادئ الأمر بثلاث سنوات اعتقاداً منها أنها مدة كفيلة لحل مشكلة اللاجئين ولكن مع تزايد عددهم في أنحاء العالم قررت في 23 أكتوبر 1953 تمديد مهلة عمل المفوضية إلى خمس سنوات ابتداء من الأول جانفي 1954 وتجديدها بصفة دورية، واستمر الوضع حتى 2004 حيث قررت الجمعية العامة تمديد ولاية المفوضية حتى التسوية النهائية لمشكلة اللاجئين في العالم.³¹

وبعد إنشائها أكدت هيئة الأمم المتحدة أنه يتعين على جميع الدول أن تمثل إلى ما جاء به ميثاق سان فرانسيسكو³²، وأن يتحمل المجتمع الدولي المسؤولية الجماعية فيما يخص حماية الأشخاص الذين يسعون للهروب من الاضطهاد. واعتمدت عدة قرارات في هذا الصدد من بينها عدم إخضاع اللاجئين أو المشردين الذين قدموا أسباب وجيهة للجوء لعدم العودة في أي حال من الأحوال إلى بلدهم الأصلي أو إقامتهم المعتادة أي التي تعرضوا فيها للاضطهاد.³³

يمتد الاختصاص الشخصي للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ليشمل أشخاص ومجموعات معينة وذلك وفق قرارات الجمعية العامة، المجلس الاقتصادي والاجتماعي واللجنة التنفيذية لمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. ومن بين هذه الفئات التي توفر لهم الحماية المفوضية نجد اللاجئين وطالبي اللجوء³⁴، عديمي الجنسية³⁵، العائدون³⁶، النازحون داخلياً³⁷، والأشخاص المهددون بالتهجير أو خلاف ذلك في خطر³⁸. ولا يمتد اختصاصها إلى اللاجئين الذين يتلقون الحماية والمساعدة من أحد أجهزة الأمم المتحدة المختصة أو وكالتها مثل اللاجئين الفلسطينيين التي تكفلهم وكالة غوث اللاجئين وتشغيلهم UNRWA³⁹ ووكالة الأمم المتحدة لإعادة أعمار كوريا (UNKRA) سابقاً⁴⁰.

يمكن تلخيص مهمة المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في ثلاث مهمات رئيسية:

1- مهمة الحماية القانونية وتقديم المساعدة الإنسانية

تقوم الأونروا بالتمويل الصغير لتعزيز التنمية الاقتصادية ومكافحة الفقر بين أوساط اللاجئين الفلسطينيين، وذلك لتمكينهم من إعالة أنفسهم وعائلاتهم والذين يعانون الأغلبية منهم من الفقر.

5- البنية التحتية وتطوير المخيمات

تقوم الأونروا بتقديم تحسينات على البيئة المادية والاجتماعية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وعلى الرغم من هذه الخدمات في هذا المجال فإن واقع الخدمات الصحية والبنية التحتية تبقى دون الحد الأدنى، حيث تعاني كثير المخيمات الفلسطينية من ظروف بيئية وصحية صعبة في ضوء التزاحم السكاني²⁷.

انطلاقاً من مهام الأونروا في مجال تقديم المساعدات الإنسانية للاجئين الفلسطينيين ما يمكن ملاحظته هو أنها تنحصر على المساعدات المادية فقط، وليس لها الأهلية لمدهم بالحماية القانونية أو بنظام خاص باللجوء مما يسبب لهم عدة مصاعب سواء بالتنقل أو الحصول على الوثائق الشخصية لإثبات الهوية.

ولقد أحدثت التصريحات الأخيرة للرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" بإعلانه عن تخفيض الإعانات لهذه الوكالة والتي تعد الولايات المتحدة الأمريكية من بين الممولين الرئيسيين لها سخط المجتمع الدولي خاصة لما ينجم عن ذلك من آثار وخيمة على عدد كبير من الفلسطينيين الذين يعولون كثيراً على إعانات هذه الوكالة، كما جاء هذا الإعلان بصورة غير منتظرة ومفاجئة ولم يتسن للأونروا التحضير أو التخطيط للعمل من أجل مواجهة هذا الوضع²⁸.

الفرع الثالث: المفوضية السامية للأمم المتحدة

لشؤون اللاجئين UNHCR

بتزايد عدد اللاجئين في أوروبا بسبب التحولات السياسية التي عرفتها دول أوروبا الشرقية والتي لم يكن بمقدورها أن تواجه التدفق الكبير والواسع للاجئين بسبب ضعف إمكانياتها المادية والبشرية. أصبح من الضروري أن تتحمل منظمة الأمم المتحدة مسؤولياتها إزاء هذا الوضع وذلك بالبحث عن الوسائل الأنجع لتوفير الحماية لجميع اللاجئين دون تمييز²⁹.

هذا ما جسّد على أرض الواقع بإنشاء المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وذلك من الجمعية

1993 و1995 بإعادة حوالي 1.7 لاجئ موزمبيقي إلى بلهم الأصلي⁴⁴.

ب- التوطين المحلي للاجئين في بلدان اللجوء

يعد التوطين المحلي بمثابة الحل الثاني في حالة فشل إعادة التوطين ويكون مفضلاً على اللجوء إلى بلد ثالث، ويكون ذلك بالتعاون والتنسيق بين المفوضية والحكومات المانحة للجوء والمنظمات والمؤسسات المعنية في هذا المجال خاصة عند استمرار النزاع لمدة طويلة وتحدد المفوضية أربعة شروط للتوطين المحلي:

- يتعين على الحكومة المضيفة أن تكون موافقة تاماً ومؤيدة من أجل تسهيل الاندماج المحلي للاجئين وهذا الشرط لا يتحقق دائماً خاصة عندما يكون هناك تدفق جماعي للاجئين مما يهدد النظام السياسي، الاقتصادي والاجتماعي للبلد الملاجئ.

- يجب أن يكون سكان المنطقة والبلد مؤيدين لهذا الوضع وإلا التوطين المحلي لا ينجح.

- يجب توفير القدرة والإمكانيات الاقتصادية لتطبيق هذا الإجراء كتوفير أماكن خاصة باللاجئين وتوفير فرص عمل لهم.

- يجب أن يكون التوطين المحلي طوعياً أي بإرادة اللاجئ بنفسه⁴⁵.

ج- إعادة توطين اللاجئين في بلد ثالث

تلجأ المفوضية لهذا الحل في حالة عجز اللاجئ في العودة إلى وطنه وكذا التوطين في بلد الملاجئ الأول وتقوم المفوضية بهذا الإجراء في حالة وجود تهديد بالطرده إلى بلده الأصلي أو إلى بلد آخر يتعرضون للخطر فيه أو في حالة الاعتقال التعسفي أو الاحتجاز أو السجن أو انتهاك لحقوق الإنسان⁴⁶.

وتتم عملية إعادة التوطين حسب شروط معينة وهي

- أن يكون الشخص لاجئاً في بلد اللجوء الأول وليس له مشاكل قانونية أو مادية في ذلك البلد

- وأن إعادة التوطين للبلد الثالث هو الحل الوحيد لحل مشاكله.

وتلعب المفوضية السامية دوراً رئيسياً في هذا المجال وذلك من خلال محاولة إقناع الدول بإعادة التوطين لديها من أجل منحهم فرصة بناء حياتهم من جديد، ويجب إعطاء الأولوية عند التوطين في بلد ثالث إلى فئات محددة منها:

تعتبر الحماية الدولية السبب الرئيسي وراء إنشاء المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ويقصد بها ضمان احترام حقوق الإنسان الأساسية والخاصة باللاجئين وضمان عدم إعادة أي شخص إلى الدولة التي تعرض فيها إلى الاضطهاد. وتقوم بهذه المهمة بالتنسيق مع دول اللجوء وغيرها من الشركاء وتوفر الحماية للفئات التي تستحق من عدة جوانب كالسماع بدخول طالبي اللجوء وعدم طردهم أو ردهم ومعاملتهم وفق معايير إنسانية والعمل من أجل إيجاد حلول دائمة والتركيز على الفئات أكثر احتياجاً للحماية كالنساء والأطفال وغيرهم⁴¹. كتوفير الزاد الغذائي الكافي للأطفال وتوفير المياه والصرف الصحي البيئي والمأوى والملبس، والخدمات الصحية اللازمة ومنع سوء معاملتهم واستغلالهم أو تجنيدهم عسكرياً⁴².

2- مهمة تقديم المساعدات لالتماس حلول دائمة

لمشكلات اللاجئين

تقترح المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ثلاثة حلول أساسية للوصول إلى حلول دائمة ومستدامة لمشاكل اللاجئين ومن بين الحلول ما يلي:

أ- عودة اللاجئين الاختيارية إلى بلده الأصلي

يعد هذا الحل من قبيل الحل المفضل والدائم للاجئين وهو المنصوص عليه وفق المادة 01 من النظام الأساسي المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بمساعدة الحكومات والمؤسسات الخاصة ومع موافقة الحكومات المعنية في هذا الخصوص، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كانت الظروف التي أدت باللاجئين للهروب من ذلك الوطن قد زالت أي تغيير في الأوضاع الداخلية لبلدانهم الأصلية، كما يجب أن تكون العودة طوعية بإحدى الطرق إما تحت إشراف المفوضية عن طريق تمويل دولي أو بواسطة وسائلهم أو إمكانياتهم الخاصة، وفي كلتا الحالتين يجب أن تقوم المفوضية بتأمين وتوفير الحماية طيلة طريق العودة وإبلاغ اللاجئين بالمعلومات السائدة في بلدانهم الأصلية والتحقق أن عودتهم هذه تكون وفق إرادتهم وأن تكون نية اللاجئ عند العودة الاستفادة من حماية دولية التي يملك جنسيتها والعودة إلى الاستفادة منها أي تتحمل دولة الأصل مسؤولية انتهاك هذه الحماية⁴³. وساهمت المفوضية السامية للأمم المتحدة في عودة حوالي 250 ألف لاجئ جزائري من تونس والمغرب بعد أن نالت استقلالها في 1962، كما قامت في

الخاتمة

توجت الجهود الدولية لمواجهة مشكلة اللاجئين بإنشاء عدة أجهزة ووكالات لحماية اللاجئين وتعد المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أهم جهاز عالمي ودولي يعمل في الوقت الراهن على توفير الحماية والرعاية للاجئين في جميع أنحاء العالم دون تمييز، عكس الآليات الدولية السابقة لها التي كانت ولايتها في زمن محدد ومكان معين.

لكن رغم كل هذه الجهود إلا أنها تبقى غير كافية خاصة مع زيادة عدد اللاجئين جراء الانتشار الواسع والمتسارع للحروب والنزاعات المسلحة سواء الدولية أو غير الدولية في كل زاوية في العالم، لذلك كان لابد من خلق نوع من التعاون الدولي الفعال والفعلي على أرض الواقع بين الدول لتقاسم أعباء استقبال هذه الأعداد الهائلة من تدفقات اللاجئين والعمل مع المنظمات غير الحكومية لتقديم يد المساعدة لهذه الفئة خاصة الأطفال، النساء والشيوخ منهم، وضرورة ترجيح العمل الإنساني الحيادي على العمل السياسي المصلحي في أداء مهامها.

التوصيات

- تسهيل مهمة الأجهزة والوكالات المعنية بحماية اللاجئين بتوفير التسهيلات اللازمة من الدول والحكومات.
- خلق برامج تعليمية وتنقيفية خاصة للأطفال والنساء من الأجهزة والوكالات المعنية بحماية اللاجئين.
- مراقبة الأجهزة والوكالات المعنية بحماية اللاجئين ومدى احترام الدول لمبادئ حقوق الإنسان عند عمليات الترحيل.
- العمل على مساعدة اللاجئين على التأقلم في بلد الملجأ وتسهيل عمليات تحويلهم إلى بلدان أخرى.
- ضرورة توفير حماية دولية فعالة وفعلية لموظفي هذه الوكالات والأجهزة المتخصصة في قضايا اللجوء.
- توزيع المساعدات الإنسانية على قدر من المساواة دون تمييز بين جميع فئات اللاجئين.

- فئات اللاجئين الذين يواجهون خطر الطرد أو الرد من بلد المضيف والذين يواجهون تهديداً ضد حياتهم أو حرياتهم لأسباب سياسية أو غيرها من الأسباب.

- الفئات الضعيفة من النساء والأطفال، حيث على الصعيد العالمي قدمت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في عام 2015 ما يقارب 4500 طفلاً ومراهقاً لإعادة توطينهم وهو ما يمثل 3.6% من طلبات إعادة التوطين العالمية⁴⁷، وكذا الأشخاص الذين سبق لهم التعرض للتعذيب، العنف والمرض والذين لا يتوفر له علاج في بلد اللجوء والمعاقون جسدياً⁴⁸.

على الرغم من الجهود المبذولة من قبل المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، إلا أنها لا تلي طموحات جميع اللاجئين في العالم بسبب نقص الميزانية أو الموظفين ما يعود بالسلب على اللاجئين بصفة خاصة. كما يمكن للمفوضية السامية أن تساهم في وضع قوانين وتشريعات داخلية لحماية اللاجئين على المستوى المحلي وذلك بتقديم توصيات للحكومات والعمل سويًا للوصول إلى إنشاء نظام قانوني خاص باللاجئين، حيث هناك من الدول التي صادقت على عدة اتفاقيات دولية خاصة باللجوء إلا أنها لم تطبق تلك المبادئ في قوانينها الداخلية مثل الجزائر التي تخل من قانون وطني خاص باللاجئين رغم استقبالها لعدد هائل من اللاجئين⁴⁹.

ومن الناحية الواقعية والعملية قد تمارس المفوضية مهامها دون حيادية حيث يقتصر عملها في مناطق معينة دون الأخرى فمثلاً في الجزائر مع زيادة موجات اللاجئين اقتصر عمل المفوضية في العاصمة للتكفل باللاجئين السوريين وولاية تندوف للتكفل باللاجئين الصحراويين، ما أدى باللاجئين القاطنين في الولايات الأخرى لتسول في مختلف شوارع الولايات من أجل تلبية حاجياتهم، ما يخلق نوعاً من التدمير عند المواطنين وما يهدد النظام والآداب العامة.

الهوامش

1. - عقبة خضراوي " حق اللجوء في القانون الدولي"، مكتبة الوفاء القانونية، الطبعة الأولى 2014 الإسكندرية - مصر -، ص ص 29، 30.
2. - إتفاقية مؤرخة في 28 جويلية 1951 ودخلت حيز التنفيذ في 22 أبريل 1954 وفق أحكام المادة 43 وانضمت إليها الجزائر في 07 فيفري 1963، وتم تحديد طرق تطبيقها بموجب المرسوم رقم 276/63 المؤرخ في 25 جويلية 1963، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد 52، صادرة بتاريخ 30 جويلية 1963.
3. - بروتوكول نيويورك الذي يتعلق بمركز اللاجئين تم التوقيع عليه في 31 جانفي 1967، دخل حيز التنفيذ في 14 أكتوبر 1967.
4. - المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، مجموعة من الوثائق الدولية والإقليمية الخاصة باللاجئين وغيرهم ممن يدخلون في نطاق اهتمام المفوضية، المكتب الإقليمي بمصر، القاهرة، مايو 2007، ص 10.
5. - د/برهان أمر الله "حق اللجوء السياسي دراسة مقارنة"، دار النهضة العربية، القاهرة 2008، ص 84.
6. - الاتفاقية المنظمة للوحدة الإفريقية التي تحكم المظاهر الخاصة للاجئين في إفريقيا 1969 اعتمدت الجمعية العامة لرؤساء الدول والحكومات الأعضاء المنظمة للوحدة الإفريقية في 10 سبتمبر 1969 ودخلت حيز التنفيذ في 20 جوان 1974، صادقت عليها الجزائر بموجب الأمر رقم 34-73 المؤرخ في 25 جويلية 1973 الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية العدد 67 ل 24 أوت 1973.
7. - أ/علي بوكريطة وأ/مساعدة إبراهيم "الحماية القانونية للاجئين في المواثيق الدولية (سوريا نموذجا)، Route Educational and Social Science Journal, Volume 4(1), February 2017، ص 447.
8. - المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، دليل القانون الدولي للاجئين رقم 02، الاتحاد البرلماني الدولي، ترجمة مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة، 2001، ص 125.
9. - عقبة خضراوي، حمزة شليحي، زينب سالم "اللاجئ الفلسطيني والحق في العودة في القانون الدولي"، مكتبة الوفاء القانونية الطبعة الأولى 2016، الإسكندرية - مصر -، ص ص 19، 18.
10. - الاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم اعتمدت بقرار الجمعية العامة 45 المؤرخ في 18 ديسمبر 1990.
11. - عدنان داود عبد الشعري "الحماية الدولية لحقوق العمال المهاجرين وأفراد أسرهم"، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2015، مصر، ص ص 46، 45.
12. - "فرانيسيس دينغ" هو سوداني الجنسية تولى منصب الأمين العام للأمم المتحدة المعني بشؤون النازحين داخليا من 1992 إلى 2004. انظر الموقع: www.internal-displacement.org تاريخ الاطلاع 2018/12/11 على الساعة 16:57.
13. - فاروق حمودة "الحماية الدولية للنازحين داخليا"، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2016 - مصر - ص 26.
14. - "فريدتوف نلسن" هو عالم وسياسي نرويجي ولد سنة 10 أكتوبر 1861 بقرب من أسلو، لعب دور كبير سنة 1905 في حركة استقلال النرويج ونقل عدة مناصب دبلوماسية وعند انتهاء الحرب العالمية الأولى أثارت روسيا مشكلة الأسرى الحرب وكلف من قبل العصبة لإعادة هؤلاء الأسرى إلى بلدانهم ونجح في ذلك، ثم عين 1921 مندوبا ساميا لشؤون اللاجئين الروس من قبل عصبة الأمم وتحصل في سنة 1922 على جائزة نوبل للسلام نظرا لجهوده الرائدة في مجال حماية اللاجئين. أنظر الموقع: https://fr.wikipedia.org/wiki/Fridtjof_Nansen تاريخ الاطلاع 2018/08/07 على الساعة 10:34.
15. - د/جمال فورار العيدي "اللجوء السياسي في القانون الدولي العام"، دار الجامعة الجديدة للنشر الإسكندرية مصر، سنة 2017، ص ص 293، 294.
16. - حافظ العلوي "مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين"، ندوة الحماية الدولية للاجئين، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، نوفمبر 1996، ص 116.
17. - أ/خضراوي عقبة وأ/ منير بسكري "المنظمات الدولية الخاصة بحماية اللاجئين"، مكتبة الوفاء القانونية الطبعة الأولى 2015، الإسكندرية - مصر -، ص ص 97، 96.
18. - جايمس ماك دونالد (1866 - 1937) زعيم الحزب العمالي في إنجلترا، عمل كرئيس وزراء في نفس البلد عدة مرات. للمزيد من المعلومات أنظر الموقع: https://fr.wikipedia.org/wiki/Ramsay_MacDonald تاريخ الاطلاع: 2018/12/12 على الساعة: 17:05.
19. - المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، مدخل إلى الحماية الدولية للاجئين حماية الأشخاص الذين هم موضع اهتمام المفوضية، برنامج التعليم الذاتي 2005، 1، ص 06.
20. - ماربث زهرة "الحماية الدولية للاجئين في النزاعات المسلحة"، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، السنة الجامعية 2011، ص ص 17، 16.
21. - GINESY Robert، « la seconde guerre mondiale et les déplacements de la population, les organismes de la protection », Paris, 1948, p129.
22. - د/جمال فورار العيدي، مرجع سابق، ص ص 497 إلى 500.
23. - ماربث زهرة، مرجع سابق، ص ص 21، 22، 24.
24. - اتفاقية أوسلو أو المعروفة باتفاقية أوسلو الثانية هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية عقدت اجتماعاتها في مدينة طابا المصرية، وتم التوقيع الرسمي للاتفاقية في العاصمة الأمريكية في تاريخ 28 سبتمبر 1995. للمزيد من المعلومات أنظر الموقع: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A9_%D8%A3%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%88 تاريخ الاطلاع : 2018/05/04 على الساعة 17:00.

25. - أرسلت الأمم المتحدة سنة 1949 بعثة للأبحاث لدراسة الحالة الاقتصادية لعدد من البلدان العربية وقدرتها على استيعاب اللاجئين الفلسطينيين. وقدمت اللجنة التي سميت باسم رئيسها غوردن كلاب، تقريرها للأمم المتحدة سنة 1949 حيث أوصت الجمعية العامة بإيجاد برنامج للأشغال العامة مثل الري وبناء السدود وشق الطرق وحفر أخرى للاجئين. وقد شرعت بتأسيس صندوق لدمجهم بكلفة وصلت 49 مليون دولار، تساهم فيها الولايات المتحدة بنسبة 70% لإقامة مشاريع تنمية. ويبدو من خلال بعثة كلاب تركيزها على المقاربة الاقتصادية. أنظر الموقع: <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/c34a88a7-750f-436d-8eae-18565b5a60b2> تاريخ الاطلاع 2018/08/01 على الساعة 19:35.
26. - وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، برامج العمل وتقييم الأداء، تقرير معلومات (15)، قسم الأرشيف والمعلومات مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت - لبنان، ص ص 08، 09.
27. - وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، برامج العمل وتقييم الأداء، مرجع نفسه، ص ص 10، 11.
28. - مقال ميا سوارت متوفر في الموقع: <https://www.brookings.edu/ar/opinions/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%86%D8%B1%D9%88%D8%A7-%D8%AE%D9%81%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D9%88%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A/> تاريخ الاطلاع: 2019/05/04 على الساعة: 19:30.
29. - آيت قاسي حورية "تطور الحماية الدولية للاجئين" رسالة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم تخصص: القانون، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، تاريخ المناقشة 2014/03/20، ص 173.
30. - رابط زهرة، مرجع سابق، ص ص 26، 27.
31. - أنظر الموقع: <https://www.unhcr.org/ar/4be7cc271fb.html> تاريخ الاطلاع: 2018/12/12، على الساعة: 17:07.
32. - وقع ميثاق الأمم المتحدة في 26 يونيو 1945 في سان فرانسيسكو في اختتام مؤتمر الأمم المتحدة الخاصة بنظام الهيئة الدولية وأصبح نافذا في 24 أكتوبر 1945، أنظر الموقع: <http://www.un.org/ar/charter-united-nations/> تاريخ الاطلاع 2018/07/30 على الساعة 09:37.
33. - BETTATI Mario, Le Haut-commissariat des Nations Unies pour les réfugiés (H.C.R.), pouvoirs, n°144, p 94, 95.
34. - يمتد اختصاص المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ليشمل جميع اللاجئين مهما كان سبب اللجوء سواء من النزاعات المسلحة وغيرها من الكوارث من صنع الإنسان كما أن الخبراء الحكوميين قاموا بتحديد تعريف للكوارث التي هي من صنع الإنسان وهي: الحروب والنزاعات المسلحة، أعمال العدوان والسيطرة الأجنبية والتدخل الأجنبي المسلح، الاحتلال والاستعمار وسياسات التفرقة العنصرية والأنظمة العنصرية القمعية المتفوقة في ممارسة التمييز أو الاضطهاد والفصل العنصري وانتهاكات حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وعمليات الطرد القسري الجماعي والعوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تهدد السلامة الجسدية والبقاء على قيد الحياة والمشاكل الهيكلية للتنمية، الاضطرابات البيئية التي من صنع الإنسان والاضرار البيئية القاسية، بتالي فان مصطلح اللاجئين وفق المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين يشمل جميع الأشخاص الذين هم خارج بلدانهم الأصلية لأسباب الاضطهاد أو لأي سبب من الأسباب المذكورة آنفا، حيث يمكن الملاحظة أن الأشخاص الذين يكونون بمثابة لاجئ هم أكثر مما ذكرتهم الاتفاقية جنيف للاجئين 1951 وبروتوكول نيويورك لعام 1967، إلا أن المادة 35 من اتفاقية جنيف تلزم الدول على التعاون مع المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لقيام بهماهما، ومفاد ذلك إمكانية أن تصبح تلك الفئات المنصوص عليها من قبل المفوضية كلاجئين وفق الجمعية العامة والاستنتاج رقم 22 من اللجنة التنفيذية. أنظر: د/خالد سعد أنصاري يوسف "القانون الدولي للجوء السياسي" نادر الجامعة الجديدة الإسكندرية مصر، سنة 2015، ص ص 322، 323، 324.
35. - نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948 (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948 اعتمد بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 217 ألف (د-3) المؤرخ في 10 ديسمبر 1948، انضمت إليها الجزائر وفق المادة 11 دستور 1963، جريدة الرسمية لجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية رقم 64 ليوم 1963/09/10) في المادة 15 منه بوضوح على أنه لكل إنسان الحق في أن تكون له جنسية ولا يحرم أي شخص بصورة تعسفية من جنسيته ولكن للأسف هناك عديد من سكان العالم بدون جنسية بتالي يفقدن حقهم في الأمان والحماية ويرجع انعدام الجنسية إلى عدة أسباب سواء من الناحية القانونية أو الواقعية فقد يفقد الفرد جنسيته ويفشل في اكتساب جنسية جديدة نتيجة للإقامة الممتدة في الخارج أو من خلال الزواج من شخص يتمتع بجنسية مختلفة ثم الطلاق فيما بعد، كما أن أطفال الآباء اللاجئين أو الذين لا يتمتعون بجنسية أو غير الشرعيين قد يحرموا من الجنسية وقد يجدون بعض الأفراد أنفسهم بدون جنسية نتيجة الممارسات الإدارية الخاطئة أو تضارب بين القوانين الجنسية لبلدان مختلفة، و من الأمثلة عن عديمي الجنسية أقلية الروهينجا المسلمة في دولة ميانمار ذات الغالبية البوذية تشكل أكبر أقلية بلا جنسية في العالم، مع هروب 600 ألف شخص من العنف والاضطهاد منذ شهر أغسطس ولجؤهم إلى بنغلادش. أنظر الموقع: <http://gate.ahram.org.eg/News/1636315.aspx> تاريخ الاطلاع 2018/07/30 على الساعة 16:18. أنظر كذلك: د/جمال فورار العبيدي، مرجع سابق، ص ص 547، 548.
36. - عبرت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين قلقها إزاء عواقب عودة اللاجئين إلى أوطانهم الأصلية عند انتهاء الظروف التي دفعتهم بالفرار وذلك وفق استنتاج اللجنة التنفيذية رقم 40 الفقرة 01. إلا أن مسؤولية المفوضية تنتهي عندما يعبروا العائدون الحدود الدولية التي تفصلهم مع دولتهم الأصلية حيث تقوم بتأمين عودتهم وتقديم المساعدات اللازمة للعودة إلى أوطانهم في ظروف إنسانية ملائمة. أنظر: د/خالد سعد أنصاري يوسف، المرجع السابق، ص 326.
37. - إذا كان مهام المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لا يدخل في نطاقها الأشخاص النازحين أو المشردين داخليا، إلا أن الواقع العملي للمفوضية أدى إلى توسيع حدود ولايتها لتمس هذه الفئة، ومساعدة النازحين بقلل من حالات اللجوء وذلك بإيجاد حلول فعالة لمشاكلهم والعكس إذا لم يتلقوا المساعدة هذا ما يزيد من عدد اللاجئين، حيث في عام 2016 قدمت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين الرعاية لنحو 13.9 مليون نازح داخليا في أكثر من 30 دولة حول العالم، من بينهم 5.5 مليون شخص كانوا قد نزحوا حديثا في ذلك العام. للمزيد من المعلومات أنظر: أنظر الموقع: <http://www.unhcr.org/ar/4be7cc273f7.html> تاريخ الاطلاع 2018/07/30 على الساعة 17:09.

38. - تم إشراك المفوضية السامية للأمم المتحدة لأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بهذه المهمة وذلك لطابعها الإنساني والوقائي وكذا وفق المساعي الحميدة التي كانت تنادي بها هيئة الأمم المتحدة ، بتالي اهتمت بهذه الفئة لتقديم لهم الحماية والمساعدة في جميع المجالات. أنظر د/خالد سعد أنصاري يوسف ، مرجع سابق ، ص ص 329، 330.
39. - د/اياد ياسين حسين " اللجوء في ضوء أحكام القانون الدولي والشرعية الإسلامية -دراسة مقارنة-» ، منشورات زين الحقوقية بيروت - لبنان - ، ص 239.
40. - كانت وكالة الأمم المتحدة لإعادة إعمار كوريا (UNKRA) برنامج إعادة إعمار اقتصادي أنشأته الأمم المتحدة لتعزيز حرب كوريا الجنوبية المدمرة. تم صياغة اقتراح البرنامج من قبل الولايات المتحدة. في 1 ديسمبر 1950 ، أصدرت الجمعية العامة البرنامج. ومع ذلك ، فإن دخول الصين إلى الحرب الكورية بحلول تشرين الأول / أكتوبر 1950 كان متاحاً على نطاق واسع للبدء ببرنامج إعادة البناء. بعد الاتفاق على الهدنة في عام 1953 ، وإعادة الإعمار ومساعدة اللاجئين. وقد ساهم في البرنامج ما يقرب من 150 مليون دولار من دولارات الولايات المتحدة ، ودفعت معظم الأموال من قبل المستفيد الرئيسي لكوريا الجنوبية ، وقدمت الولايات المتحدة ، والمكسيك مساهمات. أغلق البرنامج في عام 1958 بعد عدم توفر التمويل. رئيس البعثة من 1951 إلى 1953 كان عاملاً أستراليا سابقاً ، تشارلز لويد. أنظر الموقع: https://en.wikipedia.org/wiki/United_Nations_Korean_Reconstruction_Agency تاريخ الاطلاع 2019/02/03 على الساعة 19:44.
41. - بلال حميد بديوي حسين "دور المنظمات الدولية الحكومية في حماية اللاجئين -المفوضية السامية للأمم المتحدة نموذجاً-"، رسالة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة ماجستير في القانون العام ، كلية الحقوق ، جامعة الشرق الأوسط ، أيار 2016 ، ص 108.
42. - للمزيد من المعلومات راجع الأطفال اللاجئين المبادئ التوجيهية بشأن الحماية والرعاية ، مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ، جنيف ، 1994.
43. - د/اياد ياسين حسين ، مرجع سابق ، ص ص 246، 245.
44. -عقبة خضراوي " الحماية الدولية للاجئين " ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الحقوق تخصص: القانون الدولي العام ، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة محمد خيضر بسكرة-، 2014/2015 ، ص ص 96 ، 97.
45. -أ/عقبة خضراوي وأ/منير بسكري ، مرجع سابق ، ص ص 129 ، 128.
46. - د/اياد ياسين حسين ، مرجع سابق ، ص ص 250.
47. - سوزانا دافيس وكارول بات باتشيلور "إعادة التوطين كأداة لحماية الأطفال اللاجئين" مجلة الهجرة القسرية العدد 54، 2017.
48. - بلال حميد بديوي حسين ، مرجع سابق ، ص ص 116 ، 115، 114.
49. - د/ هقاني أيوب " المفوضية العليا لشؤون اللاجئين وأوضاع اللاجئين السوريين في الجزائر: الواقع والتحديات " ، مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة — جامعة مستغانم-ن العدد 06 جوان 2018 ، ص 165.

المراجع المراجع باللغة العربية الكتب

1. عقبة خضراوي "حق اللجوء في القانون الدولي"، مكتبة الوفاء القانونية، الطبعة الأولى 2014 الإسكندرية — مصر.
2. عقبة خضراوي، حمزة شليحي، زينب سالم "اللاجئ الفلسطيني والحق في العودة في القانون الدولي"، مكتبة الوفاء القانونية الطبعة الأولى 2016، الإسكندرية — مصر.
3. أ/خضراوي عقبة وأ/ منير بسكري "المنظمات الدولية الخاصة بحماية اللاجئين"، مكتبة الوفاء القانونية الطبعة الأولى 2015، الإسكندرية — مصر.
4. عدنان داود عبد الشعري "الحماية الدولية لحقوق العمال المهاجرين وأفراد أسرهم"، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2015، مصر.
5. فاروق حمودة "الحماية الدولية للنازحين داخليا"، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2016 — مصر.
6. د/برهان أمر الله "حق اللجوء السياسي دراسة مقارنة"، دار النهضة العربية، القاهرة 2008.
7. د/جمال فورار العيدي "اللجوء السياسي في القانون الدولي العام"، دار الجامعة الجديدة للنشر الإسكندرية مصر، سنة 2017.
8. د/اياد ياسين حسين "اللجوء في ضوء أحكام القانون الدولي والشريعة الإسلامية — دراسة مقارنة"، منشورات زين الحقوقية بيروت — لبنان.
9. د/خالد سعد أنصاري يوسف "القانون الدولي للجوء السياسي"، دار الجامعة الجديدة الإسكندرية مصر، سنة 2015.

الرسائل والمذكرات

1. أيت قاسي حورية "تطور الحماية الدولية للاجئين" رسالة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم تخصص: القانون، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، تاريخ المناقشة 2014/03/20.
2. قاسه عبد الرحمان "العمل الإنساني — بين النص والممارسة —"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه طور الثالث (ل.م.د) في القانون تخصص القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2018/05/15.
3. بلال حميد بديوي حسين "دور المنظمات الدولية الحكومية في حماية اللاجئين — المفوضية السامية للأمم المتحدة نموذجاً —"، رسالة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة ماجستير في القانون العام، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، أيار 2016.
4. جمال فورار العيدي "مشكلة حماية الأقليات في ضوء القانون الدولي"، رسالة ماجستير، كلية الحقوق الجزائر، 2002/2001.
5. عقبة خضراوي "الحماية الدولية للاجئين"، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الحقوق تخصص: القانون الدولي العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة محمد خيضر بسكرة - 2015/2014.

6. مرابط زهرة "الحماية الدولية للاجئين في النزاعات المسلحة"، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، السنة الجامعية 2011.

الصكوك الدولية والتقارير

1. إتفاقية مؤرخة في 28 جويلية 1951 ودخلت حيز التنفيذ في 22 أبريل 1954 وفق أحكام المادة 43 وانضمت إليها الجزائر في 07 فيفري 1963، وتم تحديد طرق تطبيقها بموجب المرسوم رقم 276/63 المؤرخ في 25 جويلية 1963، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد 52، صادرة بتاريخ 30 جويلية 1963.
2. بروتوكول نيويورك المكمل لاتفاقية جنيف لعام 1951 تم التوقيع عليه في 31 جانفي 1967، دخل حيز التنفيذ في 14 أكتوبر 1967.
3. المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، دليل القانون الدولي للاجئين رقم 02، الاتحاد البرلماني الدولي، ترجمة مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة، 2001.
4. المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، مدخل إلى الحماية الدولية للاجئين حماية الأشخاص الذين هم موضع اهتمام المفوضية، برنامج التعليم الذاتي، 2005.
5. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، مجموعة من الوثائق الدولية والإقليمية الخاصة باللاجئين وغيرهم ممن يدخلون في نطاق اهتمام المفوضية، المكتب الإقليمي بمصر، القاهرة، مايو 2007.
6. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948 اعتمد بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 217 ألف (د-3) المؤرخ في 10 ديسمبر 1948، انضمت إليها الجزائر وفق المادة 11 دستور 1963، جريدة الرسمية لجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية رقم 64 ليوم 1963/09/10.
7. وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، برامج العمل وتقييم الأداء، تقرير معلومات (15)، قسم الأرشفة والمعلومات مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات — بيروت-لبنان.
8. القرار رقم (1995) A/50/12/ADD.1 الصادر عن اللجنة التنفيذية للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين.
9. الأطفال اللاجئين المبادئ التوجيهية بشأن الحماية والرعاية، مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، جنيف، 1994.

المداخلات والمقالات

1. أ/علي بوكريطة وأ/مساعدية إبراهيم "الحماية القانونية للاجئين في المواثيق الدولية (سوريا نموذجا)"، Route Educational and Social، Science Journal, Volume 4(1), February 2017.
2. سوزانا دافيس وكارول بات باتشيلور "إعادة التوطين كأداة لحماية الأطفال اللاجئين" مجلة الهجرة القسرية العدد 54، 2017.

3. حافظ العلوي "مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين"، ندوة الحماية الدولية للاجئين، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، نوفمبر 1996.
4. د/ هقاني أيوب " المفوضية العليا لشؤون اللاجئين وأوضاع اللاجئين السوريين في الجزائر: الواقع والتحديات"، مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة — جامعة مستغانم-ن العدد 06 جوان 2018.

المواقع الالكترونية

1. تاريخ الاطلاع 2018/12/11 على الساعة 16:57 www.internal-desplacement.org.
2. تاريخ الاطلاع 2018/08/07 على الساعة 34:10 https://fr.wikipedia.org/wiki/Fridtjof_Nansen.
3. تاريخ الاطلاع 2018/08/01 على الساعة <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/c34a88a7-750f-436d-8eae-18565b5a60b2> 35:19.
4. تاريخ الاطلاع 2018/07/30 على الساعة 09:37 <http://www.un.org/ar/charter-united-nations>.
5. تاريخ الاطلاع 2018/07/30 على الساعة 18:16 <http://gate.ahram.org.eg/News/1636315.aspx>.
6. تاريخ الاطلاع 2018/07/30 على الساعة 09:17 <http://www.unhcr.org/ar/4be7cc273f7.html>.
7. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A9_%D8%A3%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%88_2. تاريخ الاطلاع : 2018/05/042 على الساعة 17:00.
8. تاريخ الاطلاع 2019/02/03 على https://en.wikipedia.org/wiki/United_Nations_Korean_Reconstruction_Agency الساعة 44:19.
9. <https://www.brookings.edu/ar/opinions/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%86%D8%B1%D9%88%D8%A7-%D8%AE%D9%81%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D9%88%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A/>. تاريخ الاطلاع: 2019/05/04: على الساعة 19:30.

Ouvrages en français

1. Livre
2. GINESY Robert, « la seconde guerre mondiale et les déplacements de la population, les organismes de la protection », Paris, 1948.
3. Publications
4. BETTATI Mario, Le Haut-commissariat des Nations Unies pour les réfugiés (H.C.R), pouvoirs, n° 144.

الجملة الرباطية في النحو الوظيفي... مفهومها وخصائصها

Coordination sentence in functional grammar ...concept and characteristics

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-02-07

خديجة مرات، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

محرر معجم المصطلحات اللغوية والبلاغية في التراث العربي

khadidjamerat@gmail.com

الملخص

يعالج هذا المقال أحد أبرز موضوعات النحو الوظيفي، وهو الجملة الرباطية، حيث يسلط الضوء على التصنيف الجديد الذي جاء به اللغوي المغربي أحمد المتوكل للجملة، حيث حاول فيه أن يخالف منهج النحاة القدماء؛ إذ قسّموا الجملة إلى اسمية وفعلية فقط، في حين جعل أحمد المتوكل الجملة الرباطية قسما مستقلا قائما بذاته بالإضافة إلى القسمين السابقين، وفي هذا المقال سيتم وصف طريقة تقسيم الجملة في النحو الوظيفي مقارنة بما جاء في النحو العربي القديم.

الكلمات المفتاحية: الجملة الرباطية، النحو الوظيفي، النواسخ، النحو العربي القديم، الأفعال المساعدة، الأفعال الروابط.

Résumé

Cet article traite l'un des sujets les plus importants dans la Grammaire fonctionnelle, qui est la phrase d'association, où il met en évidence la nouvelle classification qui a été introduite par le linguiste marocain Ahmed AL-Mutawakil à la phrase, dans laquelle il a tenté de contredire l'approche des anciens grammairiens, ils ont divisé la phrase en deux termes seulement : nominal et verbal. Alors qu'Ahmad al-Mutawakil a créé la phrase d'association comme une classe distincte et indépendante en plus des deux classes citées précédemment. Dans cet article, la méthode de classification de la phrase dans la Grammaire fonctionnelle sera décrite par rapport à l'ancienne grammaire arabe.

Mots Clés: Phrase d'association, La grammaire Fonctionnelle, Verbes d'association, Ancienne grammaire, Auxilière.

Abstract

This article deals with one of the most prominent themes of the functional grammar, which is the association sentence, where it highlights the new classification which came from the Moroccan linguist Ahmed al-Mutawakil to the sentence, in which he tried to contradict the old grammarians' approach; who divided the sentence into nominal and verbal, While Ahmed Al-Mutawakil made the association sentence as an independent class in addition to the two previous classes. This article describes how the division of the sentence in the functional grammar compared to the old Arabic grammar.

Keywords: The association sentence, Functional grammar, the transcripts, the old Arabic grammar, Auxiliary verbs, Association verbs.

مقدمة

لقد ظهرت محاولات النحاة العرب القدماء في دراسة الجملة مع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت786م)، حيث بدت من خلال كتابه "الجمال" بؤادر الاهتمام بهذا النوع، أو ما يسمّى "الباب" من الأبواب النحوية لكن دون تحديد للمعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح، حيث قام بتقديمه على أنّه القواعد الجزئية المنظمة للأحكام النحوية، وبالتالي الفراهيدي لم يوضّح هذا الباب النحوي بمفرده، إنّما حاول التهيئة له وجعله يحمل معنى التنظيم للأحكام النحوية، ثم أخذ الدرس النحوي بعده يتطور بمصطلحاته ودلالاته، إلى أن جاء سيبويه (ت796م) ووضع لمسته النحوية، المتمثلة في المفهوم الاصطلاحي الذي حدده في كتابه "الكتاب"، لكنه لم يتعرض لمصطلح "الجملة" أو "الكلام" بل تطرق إلى عنصرين في الجملة، هما أهم مكوناتها ألا وهما: "المسند" و"المسند إليه" حيث يقول "هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منهما بدّا، فمن ذلك، الاسم المبتدأ أو المبني عليه وهو قولك "عبد الله أخوك" ومثل ذلك "يذهب عبد، الله"، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لا بدّ للاسم الأول من الآخر في الابتداء"¹.

يرتكز سيبويه في تعريفه على عنصرين أساسيين في تكوين العملية الكلامية هما: المسند والمسند إليه، فبالرغم من أنّ سيبويه لم يذكر مصطلح الجملة، كما أنّه لم يذكر عبارة جملة مفيدة، بل استعمل مصطلح "علم" للدلالة على الفائدة، أو العلم المستفاد من الكلام وهذا لا يعني أنّ سيبويه لم يشير نهائياً إلى مصطلح جملة بل كان يسميها "كلاماً"، وإذا دقق كما يقول عبد الرحمن الحاج صالح سهاها "الكلام المستغنى" حيث يقول "ما يستغنى عنه السكوت وما لا يستغنى ألا ترى أنّ "كان" تعمل عمل "ضرب" ولو قلت "كان عبد الله"، لم يكن كلاماً، ولو قلت: ضرب عبد الله" كان كلاماً"، ويريد سيبويه حسب عبد الرحمن الحاج صالح من الكلام المستغنى الذي يحسن أن يسكت المتكلم عند انتهائه لأنه قد استقل لفظاً ومعنى، وبذلك يشكل وحدة تبليغية تتم بها الفائدة للمخاطب، أي يستفيد بها، وبالتالي لفظة "الكلام" كافية للدلالة على مفهوم الجملة المفيدة عند سيبويه²، كما أنّه

أشار إلى نواتها كما وضع أقسامها من خلال المثالين السابقين، حيث يرى: أنّ المبتدأ والخبر يشكّلان المسند والمسند إليه، ففي قولنا عبد الله أخوك، فالمبتدأ أو "المسند إليه" عبد الله يحتاج إلى "المسند" أو الخبر وهو "أخوك" وكذلك الفعل وهو مسند يحتاج إليه المسند إليه "عبد الله"، وقد عدّ أن كلا من المسند والمسند إليه ضروريان لإنتاج الكلام.

ثمّ جاءت مرحلة المبرد (ت899م) الذي حاول في كتابه "المقتضب" وضع واستخدام الجملة كمصطلح وبالتالي يكون أول من أقدم على هذا، حيث يعرف الجملة قائلاً: "وإنما كان الفاعل رفعاً، لأنّه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها وتجب به الفائدة للمخاطب"³

وبدأ مصطلح الجملة ينال حظوة واهتماماً عند النحاة الذين جاؤوا بعد المبرد، فقاموا بتأليف كتب وتسميتها بهذا المصطلح مثل: "الجمال" للزجاجي (ت949م)، "الجمال" لابن خالويه (ت980م)، "الجمال" لعبد القاهر الجرجاني، وقد امتازت معظم تعريفاتهم بالمساواة بين مصطلح الكلام ومصطلح الجملة، حيث يعرفها الزجاجي بقوله: "اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمّى كلمة فإذا اتلف منها اثنان فأفاداً نحو خرج زيد، سميّ كلاماً وسميّ جملة"⁴، وبمجيء الرضي الأستراباذي (ت1287م) وابن هشام الأنصاري (ت1360م)، ظهرت محاولات الفصل بين المفهومين "الكلام والجملة" مع الحرص على إعطاء كل مصطلح مفهومه وخصائصه، حيث يعرفها الرضي الأستراباذي بقوله: "الفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً، فكل كلام جملة ولا ينعكس"⁵.

أمّا ابن هشام الأنصاري فيعرفها كما يلي: "الجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضرب اللص، وأقائم الزيدان؟ وكان زيد قائماً، وطننته قائماً"⁶

أمّا اللغويون المحدثون فقد حاولوا الجمع بين ما هو موجود في التراث النحوي العربي وبين ما هو لساني حديث، فهناك من فرق بين الجملة والكلام وهناك من يراها شيئاً واحداً، فإبراهيم أنيس يرى أنّ الكلام ينقسم إلى جمل قصيرة

هذا ما أدى إلى التنوع في أقسام الجملة مثلما حدث في تحديد المفهوم.

ويعدّ النحو الوظيفي من النظريات الحديثة المتأثرة بالفكر الغربي، حيث جاء بمفاهيمه و مصطلحاته ودلالاته الخاصة وحاول صبّها على النحو العربي، ومن الأبواب النحوية التي قام بدراستها أحمد المتوكل — رائد هذه النظرية في الوطن العربي — "الجملة" حيث أولاه عناية وخصها بالتمحيص والتدقيق في مكوناتها وعناصرها وكذلك أقسامها، إذ وضع لها تقسيما خاصا مستفيدا من مزاجته بين الثقافتين العربية الأصيلة المتمثلة في النحو العربي القديم بأبوابه و مصطلحاته ونحوه، واستيعابه للدرس اللغوي الغربي والمدارس اللسانية التي سبقت هذه النظرية بكل مناهجها وآلياتها؛ فالجملة عند المتوكل ثلاثة أقسام هي: الجملة الاسمية والجملة الفعلية والجملة الرباطية، هذه الأخيرة التي حاولت الباحثة تحديد مفهومها وخصائصها انطلاقا من رؤية أحمد المتوكل في أعماله.

1.1. مفهوم الجملة من منظور النحو الوظيفي

يقصد بالجملة في النحو الوظيفي كلّ عبارة لغوية تتضمن حملا (موسعا أو نوويا) ومكونا خارجيا، وبالتالي الجملة من منظور النحو الوظيفي عبارة عن إسناد (predication)، والذي يتكون من مجموعة من المسميات ومجموعة من التعبيرات تقوم كلتاها على خاصية الإشارة، كما يعدّ كلّ من المحمول والحجة عنصريين أساسيين في عملية الإسناد، فالمحمول يقوم بتوضيح العلاقة بين الموجودات وخصائصها في حين تعدّ الحجة هي المسميات التي تستبدل بها المتغيرات، ويأتي الدور بعدها لما يسمى بالمكمّلات أو الفضلة كالحال مثلا⁹.

تتكون كل جملة من إطار إسنادي هدفه توضيح وتبيين وظيفتها، بمسميات تتفق في خصائصها الاختيارية مع المحمول، وبالتالي يرى أحمد يحي أن الإطار الإسنادي الثاني لا يصلح لتحليل جملة مثل (اغتيال الظلم فكري) لأنّ العامل والهدف أسماء مجردة، ولهذا يتمّ استبدال قيم هذه المتغيرات في الكتابات المعاصرة برموز منطقية على مستوى التمثيل الشكلي.¹⁰

مكوّنة من مسند ومسند إليه، حيث يعرف الجملة بقوله: "إنّ الجملة في أقصر صورها، هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر..."¹⁷ أمّا تهم حسان فيرى أن الجملة هي وحدة اللغة والكلام، حيث يقول: "فالكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة، والكلام يحس بالسمع نظقا والبصر كتابة، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام، فالذي نقوله أو نكتبه كلام، والذي نقول بحسبه ونكتب بحسبه هو اللغة، فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب، واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها والكلام قد يحدث أن يكون عملا فرديا ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية"⁸.

من خلال ما سبق من تقديم وعرض لمفهوم الجملة، نجد طائفتين للنحاة سواء القدماء أم المحدثون، طائفة جعلت الجملة بابا مستقلا من الأبواب النحوية كما جعلوا الكلام بابا منفصلا قائما بذاته؛ إذ يتميز كلّ منهما بخصائصه وعناصره وسياقاته، أمّا الطائفة الثانية من النحاة فقد أدمجت كلا من الجملة والكلام في عملة واحدة، والرابط المشترك بينهما هما العنصران الأساسيان المسند والمسند إليه.

واصل النحاة واللغويون بحوثهم وجهودهم بعد وضع المفهوم الاصطلاحي للجملة، فبعد ضبطها أن يكون للجملة أقسام وأركان وعناصر لا تقوم قائمتها إلا بها؛ إذ اتفق النحاة على القسمين الأساسيين للجملة وهما: الجملة الفعلية والجملة الاسمية، فكل جملة في أي لغة من لغات العالم تحتوي على هذين القسمين الفضايفين؛ فكل جملة تتكون إما من اسم أو فعل لذا يعدّ هذين القسمين رئيسيين في باب الجملة، ثم استمرت الدراسات في هذا الباب فأضاف بعض النحاة قسمين آخرين من أقسام الجملة هما: "الجملة الشرطية والجملة الظرفية"، وظهرت بعض الأصوات النحوية التي تنادي بأقسام أخرى منها "الجملة الكبرى والجملة الصغرى" وغيرها من التقسيمات، كلّ حسب توجهاته اللغوية والفكرية، خاصة عند اللغويين المحدثين الذين تأثروا بالمدارس اللغوية الغربية فحاولوا تطبيقها على النحو العربي،

المبتدأ والذيل وهي: البؤرة والمحور ، ويضيف المتوكل وظيفة تداولية أخرى خارج الحمل وهي المنادى.¹⁵

ج- البنية المكونية

يكون بناء البنية المكونية بتطبيق قواعد التعبير وهي تضم قواعد إسناد الحالات الإعرابية وقواعد إدماج مخصصات الحدود ، والقواعد المتعلقة بصيغة المحمول وقواعد الموقعة وقواعد إسناد النبر والتنغيم.

وتحدد الحالات الإعرابية وفق السلمية الآتية:

الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية > الوظائف التداولية

إن الجملة حسب التنميط الذي اقترحه أحمد المتوكل ، مقولة تعلو الحمل إذ تتضمنه بالإضافة إلى مكون خارجي مثل ما هو موضح فيما يلي:¹⁶

الجدول رقم 1: يمثل الجملة عند أحمد المتوكل وفق نظرية النحو الوظيفي¹⁷.

العبارة اللغوية	
↓ الجملة	↓ الحمل
↓ المكونات الخارجية + الحمل	مخصص الحمل + المحمول + الموضوعات + اللواحق ↓
مبتدأ + ذيل + منادى	النووي ← الموسع

***الحمل:** وهو الجملة البسيطة التي تتكون من المحمول (الفعل في الجملة الفعلية أو الخبر غير الجملة في الجملة الاسمية أو الرابطة) ، ويمثل في النحو الوظيفي للعالم ، موضوع الحديث (سواء كان عالم الواقع أم عالما من العوالم الممكنة) في شكل حمل يتألف من محمول وعدد معين من الحدود.¹⁸

ويتكون الحمل في حد ذاته من ثلاثة عناصر أو حمول فرعية ، هي:

الحمل "النووي" والحمل "المركزي" والحمل "الموسع" ، وتقوم عناصر الجملة هذه علاقات سلمية إذ أن كل عنصر يعد إطارا يدمج فيه العنصر الذي سيلفه ، فالحمل النووي يدمج في إطار الحمل المركزي ، والحمل المركزي يدمج

وبما أن الجملة-وكما يرى أحمد المتوكل- جزء من الخطاب فهي إنتاج لغوي ، ترتبط فيه كل من البنية الداخلية للجملة مع الظروف المقامية ، فكل إنتاج لغوي-سواء كان جملة أو خطابا-في التصور الوظيفي تُراعى فيه العلاقة بين البنية والسياق الذي قيلت فيه أو الظروف المقامية المحيطة به.

وتتكون الجملة وفق نظرية النحو الوظيفي من خلال المراحل الآتية:¹¹

بنية حملية (دخل) ← بنية وظيفية

قواعد التعبير

بنية وظيفية (دخل) ← بنية مكونية

قواعد صوتية

بنية مكونية (دخل) ← الجملة

ويتم بناء هذه البنيات عن طريق ثلاث مجموعات للقواعد وهي:¹²

1-الأساس

2-قواعد إسناد الوظائف

3-قواعد التعبير

وفيما يلي عرض موجز للبنيات التي تتكون من خلالها الجملة:¹³

أ_ البنية الحملية

يقوم بناء البنية الحملية للجملة على أساسين هما:

أولاً: تطبيق قواعد توسيع الأطر الحملية والتي تكون في المعجم أو في قواعد تكوين المحمولات.
ثانياً: تطبيق قواعد إدماج الحدود في المحلات طبقا لقيود الانتقاء بالنسبة للحدود والموضوعات.

ب_ البنية الوظيفية

يقوم بناء البنية الوظيفية على تطبيق قواعد إسناد الوظائف التركيبية (الفاعل /المفعول) أولاً ثم التداولية ثانياً ذلك أن الوظيفة التداولية تسند إلى مكون حامل للوظيفة التركيبية.¹⁴

ويُفرّق في النحو الوظيفي بين بنية وظيفية جزئية بإسناد قواعد الوظائف التركيبية وبنية وظيفية كاملة بإسناد الوظائف التداولية داخل الحمل وخارجه وهي أربعة: وهي:

• يشمل حيّز القوة الإنجازية الحمل (محموله وحدوده) ولا يشمل المكون المبتدأ ويترتب عن هذا:

1- أن هذا المكون بإمكانه أن يختص بقوة إنجازية مباينة للقوة الإنجازية المنصبة على الحمل.

2- وأنه يتقدم على مخصص الحمل (المصدري) الذي يحتل الموقع الصدر في الحمل.

3- وأنه يظل خارج حيّز قوة الحمل الإنجازية ولم تقدم عليه مؤشراها.

*يضيف أحمد المتوكل أنّ خارجية المبتدأ بالنسبة للحمل لا تعني استقلاله التام عنه ، إذ يصل بين مكوني الجملة رابطان أحدهما تداولي والآخر بنيوي ، حيث يشترط في سلامة الجملة دلاليًا أن يكون الحمل وارداً بالنسبة لمجال الخطاب الدال عليه المبتدأ ، كما يشترط أن يكون المكون المبتدأ رابطاً إحصائياً لمكونات الحمل متحقق في شكل ضمير ، ويرى أحمد المتوكل أن الجمل المبتدئية التي لا رابط إحصائي فيها بين المبتدأ وأحد مكونات الحمل هي من الندرة وعدم الإنتاجية بحيث لا يمكن عدّها إلا تراكيب هامشية.

2- الجمل الذيلية: فهي التي تسند فيها وظيفة الذيل إلى المكون الحامل لمعلومة من شأنها توضيح أو تعديل أو تصحيح معلومة يتضمنها الحمل ، وهو مكون خارجي بالنسبة للحمل مثل المبتدأ ، إذ لا يعدّ حداً من حدود المحمول.²⁵

بحيث يقوم المكون الذيل على مستوى البنية الإخبارية للجملة بأدوار ثلاثة ، فهو يوضح معلومة مبهمّة وارداً في الحمل أو يعدّل معلومة ليست بالضبط المعلومة المقصود إعطاؤها أو يصحح معلومة أعطيت خطأً.

يعدّ المكون الذيل كالمكون المبتدأ ، عنصراً خارجياً بالنسبة للحمل إذ لا يعدّ حداً من حدود المحمول ومن أهم مظاهره الخارجية:²⁶

أ_ أنّ التلفظ به في عملية إنتاج الجملة ، يأتي بعد تمام التلفظ بالحمل

ب_ أنّه يُفصل بينه وبين الحمل بصمت.

ج_ أنّ القوة الإنجازية المواقبة للحمل لا تنصب عليه. هذا ويوضح أحمد المتوكل مطابقة موقع كلّ من المبتدأ أو الذيل الدور الإخباري الذي يقوم به بالنسبة

في إطار الحمل الموسع والحمل الموسع ككل يدمج في إطار القضية التي تدمج في إطار القوة الإنجازية¹⁹.

✓ **الحمل النووي:** هو المحمول وموضوعاته بالإضافة إلى مخصص المحمول (بعض السمات الجهة) ولواحق المحمول.

✓ **الحمل الموسع:** يُبنى على أساس الحمل المركزي بإضافة مخصص الحمل (بعض السمات الجهة والسمات الزمنية) ولواحق الحمل.

✓ **المحمول:** وهو الفعل في الجملة الفعلية أو الخبر غير الجملة في الجملة الاسمية ، يمكن أن ينتهي تركيباً إلى مقولة الفعل أو مقولة الاسم أو مقولة الصفة ، ويدل على واقعة ، وتكون هذه الواقعة إما عملاً أو حدثاً أو وضعاً أو حالة ، أما الحدود فتدل على المشاركين في الواقعة.²⁰

*يتكون الحمل النووي من المحمول وموضوعاته ، ومخصص المحمول (بعض السمات الجهة) ولواحق المحمول ، أما الحمل الموسع فيبنى على أساس الحمل المركزي بإضافة مخصص الحمل (بعض السمات الجهة والسمات الزمنية) ولواحق الحمل.²¹

وتصنف نظرية النحو الوظيفي المحمولات إلى ثلاثة أنماط:

*محمولات "أحادية" (ذات موضوع واحد).

*محمولات "ثنائية" (ذات موضوعين).

*محمولات "ثلاثية" (ذات ثلاث موضوعات).

***المكونات الخارجية:** يرى أحمد المتوكل أنّ الجمل تنقسم بالنظر إلى طبيعة المكون الخارجي إلى جمل مبتدئية وجمل ذيلية وجمل ندائية.²²

1- **الجمل المبتدئية:** هي جمل تتضمن حملاً يتقدمه مكون مبتدأ والذي يحدد مجال الخطاب ، والذي يعدّ الحمل بالنسبة إليه وارداً ، مثل: بكر ، نجح.²³

*وتكمن خارجية المبتدأ فيما يلي:²⁴

• محمول الحمل الذي يليه لا يعمل فيه بحيث لا يسند إليه وظيفة دلالية ولا وظيفة تركيبية بدليل أن الحالة الإعرابية "الرفع" التي يأخذها تُسند إليه بمقتضى الوظيفة التداولية "المبتدأ" ذاتها.

*زمرة أفعال -محمولات- تدل على واقعة "عمل / حدث / وضع / حالة" وزمرة أفعال مساعدة يتوسط بها للدلالة على معان نحوية "الجهة والزمان".

*وتدخل ضمن طائفة الأفعال الناقصة كما سبق الذكر الأفعال الروابط وال؟ أفعال المساعدة فما هو الفعل الرابط في النحو الوظيفي وما هو الفرق بينه وبين الفعل المساعد؟

1. مفهوم الجملة الرابطة في النحو الوظيفي

1.1. مفهوم الفعل الرابط

يُعرف الفعل الرابط في النحو الوظيفي بأنه فعل ناقص يضطلع بالدلالة على المعاني "النحوية" في الجمل التي لا يتسنى لمحمولها أن يدل على هذه المعاني، الجمل ذات المحمول غير الفعلي³⁰

فالمحمول الفعلي يمكن أن يعبر عن بعض مقولات الجهة والزمان بصيغته ذاتها، هذه الخاصية ليست متوافرة في المحمول غير الفعلي (الاسم أو الصفة) الذي يحتاج في سائر الأحوال إلى فعل ناقص للدلالة على هاتين المقولتين، هذا الفعل الناقص هو ما يصطلح على تسميته "بالفعل الرابط"³¹ ففي اللغة العربية يدخل الرابط على المحمول غير الفعلي للتعبير عن المقولات الجهمية والزمانية الآتية:³²

1- يضاف الرابط "كان" إلى المحمول غير الفعلي للتعبير عن واقعة "غير تامة" متحيزة إما في الزمان الماضي أو الزمان المستقبل.

2- تضاف زمرة الروابط الدالة على الشروع المسترسل إلى المحمول غير الفعلي الدال على واقعة غير تامة "مشروع" في تحقيقها شروعا مسترسلا إذا كانت الواقعة متحيزة في الزمان الماضي أو الزمان المستقبل.

3- وتضاف زمرة الروابط الدالة على الاستمرار إلى المحمول غير الفعلي الدال على واقعة غير تامة مستمرة إذا كانت هذه الواقعة متحيزة في الزمان الماضي أو الزمان الحاضر أو الزمان المستقبل.

*كما نجد في مقابل الفعل الرابط "الفعل المساعد"، والذي حدّد أحمد المتوكل الفرق بينه وبين الفعل الرابط فيها يلي:

للحمل، حيث يقول: "فالمبتدأ يتقدم على الحمل لأن عملية التخاطب تقتضي أن يحدد مجال الخطاب قبل التلطف بالخطاب ذاته، والذيل يتأخر عن الحمل لأن دوره التوضيحي أو التعديلي أو التصحيحي يستلزم أن يكون قد تُلَفَّظَ بها يُقصد توضيحه أو تعديله أو تصحيحه"²⁷

3- الجمل الندائية: هي الجمل المتضمنة لمكون

منادى، مثل: يا عمرو، قف.

إذ تسند في هذه الجملة إلى المكون المتصدر الوظيفة التداولية "المنادى"، والفرق بين النداء والمنادى وضّحه المتوكل بأن النداء كفعل لغوي هو القوة الإنجازية التي تواكب الحمل أمّا المنادى فهو العلاقة القائمة بين مكون معين والحمل، فالمنادى مكون خارجي عند المتوكل مثله مثل المبتدأ والذيل لا يعمل فيه المحمول ولا يدخل في حيز القوة الإنجازية المنصبة على الحمل بل إنه يأخذ دوما قوة إنجازية مباينة.²⁸

*وبما أنّ موضوع المقال هو الجملة الرابطة فسنحاول تحديد مفهومها وفق نظرية النحو الوظيفي:

تنقسم الأفعال في النحو الوظيفي قسمين: أفعال تامة وأفعال ناقصة ويفرق المتوكل بينهما من خلال الخصائص الآتية:²⁹

تدل الأفعال "التامة" على "وقائع" بخلاف الأفعال "الناقصة"، وتدل الأفعال التامة على وقائع "أوضاع" أو وقائع "حالات" كما هو شأن الأفعال "لطم" و"حطّم" و"أفغى" و"فرح"، أمّا الأفعال "الناقصة" فإنها لا تدل على أعمال، ولا أحداث، ولا أوضاع، ولا حالات وإنّما يتوسط بها للدلالة على مقولات "نحوية" كالمقولتين "الجهة" و"الزمان".

أ- ترشح خاصية الدلالة على أحد ضروب الوقائع الأربعة الأفعال "التامة" لأن تشكل محمول الجملة بخلاف الأفعال "الناقصة".

ج- يسوغ توارد فعل "ناقص" مع "فعل لازم" ولا يسوغ توارد فعلين تامين في نفس الحمل.

د- من خصائص الأفعال التامة إمكان تعديتها للدلالة على التعليل، أما الأفعال الناقصة فيمتنع تعديتها.

ومنه، تنقسم الأفعال في النحو الوظيفي وفقا لهذه الخصائص إلى طائفتين أو زمرتين:

2.1- الفرق بين الفعل المساعد والفعل الرابط

*يفرق المتوكل بين الأفعال المساعدة والأفعال الروابط من حيث المحمول الذي توارده، فالأفعال المساعدة توارد محمولا فعليا في حين أن الأفعال الروابط توارد محمولا غير فعلي، أي محمولا اسميا أو محمولا صفيا³³، فهناك مجموعة من الأفعال لا ترد إلا أفعالا مساعدة ومجموعة أفعال ترد أفعالا مساعدة وأفعالا روابط، فالأفعال المنتهية إلى زمرة "طفق" و"كاد" ترد أفعالا مساعدة فقط وذلك لكونها تمتنع أن تواكب محمولا غير فعلي³⁴

قال تعالى: "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سُوءٌ تُهْمًا وَظَفِيًّا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٥١﴾ طه: 121."

وقال أيضا: "يَكَاذُ الْبَرُّ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلًّا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾ البقرة: 20."

*وتأتي زمرة "أصبح" وغيرها أفعالا مساعدة وأفعالا روابط، ففي حالة ورودها مع محمولات فعلية فإنها تكون أفعالا مساعدة، وفي حال ورودها مع المحمولات الاسمية أو صفية فإنها تكون أفعالا روابط نحو:

*أصبح الوطن يتنفس حربة

*أصبح الوطن متحررا

ففي الجملة الأولى ورد الفعل "أصبح" مقترنا بمحمول فعلي "يتنفس" فكانت فعلا مساعدا، أما في الجملة الثانية اقترنت أصبح بمحمول اسمي "متحررا" فجاءت هاهنا فعلا رابطا.

سبق وأن ذكرنا أن الجملة في النحو الوظيفي ثلاثة أنماط وهي: الجملة الاسمية والجملة الفعلية والجملة الرباطية، ويعتمد المتوكل في تقسيمه هذا للجملة على تقسيم المفردات إلى حدود ومحمولات، فالحدود مفردات تدل على ذوات في حين أن المحمولات مفردات تدل على خصائص تحمل على الحدود أو علاقات تربط بينها³⁵، أي أن المحمولات مفردات تدل على وقائع (أعمال، أحداث، أوضاع، حالات)، تشارك فيها الذوات الدالة عليها الحدود.

من خلال التعريف السابق هناك نوعان من الأفعال: أفعال محمولات تدل على وقائع وأفعال غير محمولات، تنتمي إلى الفئة الأولى أغلبية الأفعال، أما الفئة الثانية فتنتهي إليها مجموعة محصورة من الأفعال التي تقوم بدور تكميلي - صرفي³⁶، وتمتاز الأفعال غير المحمولات بالخصائص التالية³⁷:

1- عدم دلالتها على واقعة بالمعنى المحدد في إطار النحو الوظيفي، بحيث إنها لا تدل على عمل ولا على حدث ولا على وضع ولا على حالة بخلاف الأفعال المحمولات.

2- دخولها على محمول لتخصيصه.

3- قيامها بدور التعبير عن مخصص المحمول، الجهي ومخصص الزماني.

*مما سبق إن المحمول الذي تخصصه الأفعال في نظرية النحو الوظيفي هو الذي يحدد وضع الأفعال إما "أفعال مساعدة" أو "أفعال روابط" فهي أفعال مساعدة حين تخصص محمولا فعليا وأفعال روابط حين تخصص محمولا غير فعلي، بمعنى آخر الأفعال المساعدة هي التي تدخل على الجمل الفعلية أما الأفعال الروابط فتدخل على الاسمية.

وتوضيحا لذلك يضع المتوكل تصنيفا للأفعال في الرسم التالي³⁸:



* قال تعالى: " إِنْ كُنَّا لَنَرِيكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِمُحَلِّاتِهِمْ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا " النساء 17.

لفظ الجلالة "الله" هاهنا في الآية الكريمة فاعل مرفوع بالصفة التي بعده وهي "عليها" وهي تخالف مجاء في النحو العربي القديم حيث ، لفظ الجلالة "الله" اسم لكان مرفوع في حين عليها خبرها منصوب ، فيكون بذلك الوصف هو العامل بالرفع في الاسم الذي يأتي بعد كان أما في النحو العربي القديم فكان هي العامل في المبتدأ والخبر حيث ترفع الاسم يسمّى اسمها وتنصب الخبر ويسمّى خبرها ، وبالتالي يكون الخبر المفرد المنصوب ليست "كان" هي العاملة فيه أو من تأثير الوظائف التركيبية أو الدلالية ، لكنه منصوب بتأثيرين⁴¹ هما المخصص الزمني والجهي ، على أنّ هذا المحمول المنصوب يأخذ حالة النصب إذا جاء في حيّز ما يأتي⁴²:

- ✓ حيّزاً مخصصي الإثبات ، والزمن الماضي.
- ✓ حيّزاً مخصصي الإثبات ، والزمن المستقبل.
- ✓ حيّزاً مخصصي الإثبات مصحوباً بالزمن الصفر (الزمن)

✓ حيّزاً مخصصي النفي ، والزمن الحاضر
كما أورد المتوكل أنّ هذا المحمول ولا يأخذ حالة النصب إذا كان واقعا في حيّز الإثبات ، والحاضر.

2- خصائص الجملة الرباطية

تميز الجملة الرباطية في اللغة العربية في النحو الوظيفي بمجموعة من الخصائص ، مثل الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، يمكن تقسيمها إلى خصائص حمليّة وخصائص وظيفية وخصائص مكونية⁴³

2.1- الخصائص الحمليّة

تشكّل المقولات التركيبية "الصفة" ، "الاسم" ، "المركب الحرفي" ، "المركب الظرفي" ... في الجملة محمولات غير فعلية ، ونجد هذا التصنيف واردا في اللغة العربية ، فالجملة غير الفعلية يكون محمولها أحد هذه المقولات التركيبية⁴⁴ نحو:

أ. محمد رسول.

- 1 ب. الطفل حزين.
- ج. الطالب في الجامعة.
- د. الامتحان غدا.

* ويذهب أحمد المتوكل إلى أن استعمال الصفة في شكل محمول لا إشكال فيه⁴⁵ فمثلا في المثال السابق كلمة "حزين" هي صفة ، يُمثل لها في المعجم كما يلي: حزين ص (س1: حي (س1) حا.)
ويعدمج الحد "الطفل" في محل الموضوع (س1) فيحصل على البنية الحمليّة التي تتحقق فيما بعد في شكل الجملة الآتية:

[غ تا [حض حزين ص (س1: الطفل (س1)) حا].
أما عن استعمال المقولات الأخرى (غير الصفة) محمولات فإنّ المتوكل يُلزم وجود أوليات تسوغ ذلك لأنها تستعمل في الأصل حدودا لا محمولات ، في حين أورد سيمون ديك (ديك 1980) بعض القواعد الاشتقاقية أو ما اصطلح عليه بـ "قواعد تكوين المحمولات-الحدود" لاستعمال المقولات "غير الصفة" على شكل محمولات ، أي أنّ هذه القواعد التي اقترحها تقوم بنقل الحدود إلى محمولات.

22- الخصائص الوظيفية

إنّ تطبيق "قواعد إسناد الوظائف" ينقل البنية الحمليّة إلى بنية وظيفية ، ويحدث تطبيق هذه القواعد على مستويين هما : المستوى الأول: إسناد الوظائف التركيبية والمستوى الثاني: إسناد الوظائف التداولية ، وسبق أن أشرنا إلى أنّ الوظائف التركيبية حسب نظرية النحو الوظيفي تتمثل في وظيفتين اثنتين هما "الفاعل والمفعول" وتستند هاتان الوظيفتان إلى الحد الذي يشكل "المنظور الرئيسي" للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة والحد الذي يشكل "المنظور الثانوي" لهذه الوجهة⁴⁶ ، أما الوظائف التداولية فتقسّم إلى خمس وظائف بين ما هو داخلي و ما هو خارجي وفقا لوضعها و توقعها بالنسبة للحمل وهي كما يلي:

- ❖ الوظائف الداخلية: تنقسم الوظائف الداخلية إلى وظيفتين اثنتين هما: "المحور" و "البؤرة".
- ❖ الوظائف الخارجية: وتنقسم الوظائف الخارجية إلى وظائف ثلاث هي: "المبتدأ" و "الذيل" و "المنادى".



1- الوظائف الداخلية:

أ- الوظيفة المحور: تسند إلى المكون الدال على الذات التي تشكل محط الحديث داخل الحمل⁴⁷، مثل: ماذا كتب الطالب؟ كتب الطالب مقالا، فالفاعل الطالب هنا يأخذ الوظيفة المحور، حيث صُفّ النحو الوظيفي الفاعل والمحور كليهما يدل على معلومة معطاة متقاسمة معرفتها بين المتكلم والمخاطب؛ إذ يشتركان في المنطلق الإخباري بالنسبة للمحور والمنطلق الوجهي بالنسبة للفاعل.

ب- الوظيفة البؤرة: تنقسم الوظيفة البؤرة إلى قسمين هما: بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة، حيث تسند وظيفة بؤرة الجديد إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب⁴⁸ مثل: بعد غد في قولنا: سأناقش أطروحة الدكتوراه بعد غد. أما بؤرة المقابلة فتسند إلى المكون الذي يحمل المعلومة التي يتردد المخاطب في ورودها أو يُنكر ورودها مثل:

أ عصيرا شرب محمد؟ / شايبا شرب محمد، وقد تسند هاتين الوظيفتين "بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة" إلى أحد مكونات الحمل أو إلى الحمل بكامله.

2- الوظائف الخارجية

سبق تحديد الوظائف الخارجية حسب تصنيف نظرية النحو الوظيفي وهي كمايلي:⁴⁹

المبتدأ: وهو المكون الذي يدل على مجال الخطاب، الذي يعد الحمل الموالي واردا بالنسبة إليه.

الذيل: وهو المكون الذي يوضّح أو يعدّل أو يصحح معلومة واردة في الحمل.

المنادى: وتسند وظيفة المنادى إلى العنصر الذي يشكل محط النداء في الجملة، والمنادى هو العلاقة بين مكون معين والحمل.

32- الخصائص المكونية

تعدّ الأنساق المكونية من "قواعد إسناد الحالات الإعرابية" و"قواعد صياغة المحمول" و"قواعد الموقعة" و"قواعد إسناد النبر والتنغيم" حسب نظرية النحو الوظيفي، القواعد الأساس التي تضطلع ببناء البنية المكونية، إذ تشكل

البنية الوظيفية دخلا لها⁵⁰، ويمثّل المتوكل لهذه البنية بالرسم الآتي⁵¹:

رسم بياني يوضّح تشكّل البنية المكونية في نظرية النحو الوظيفي

بنية وظيفية
↓
قواعد التعبير

قواعد إسناد الحالات الإعرابية

قواعد صياغة المحمول

قواعد الموقعة

قواعد إسناد النبر والتنغيم

بنية مكونية

3. الفعل الرابط في اللغات من منظور النحو

الوظيفي:

تقوم نظرية النحو الوظيفي بتقسيم اللغات بالنظر إلى الفعل الرابط إلى ثلاثة أقسام وهي:⁵²

- اللغات التي تستعمل فعلا رابطا في التراكيب ذات المحمول غير الفعلي.

- اللغات التي تستعمل دائما فعلا رابطا في التراكيب ذات المحمول غير الفعلي.

- اللغات التي لا تستعمل الفعل الرابط إلا إذا توافرت شروط معينة.

أ- الفعل الرابط في اللغتين الفرنسية والإنجليزية

صُفّ المتوكل كلاً من اللغتين الفرنسية والإنجليزية في القسم الثاني من اللغات؛ أي في خانة اللغات التي تستعمل فعلا رابطا في التراكيب ذات المحمول غير الفعلي، إذ تقوم في جميع الحالات بالربط بين فاعل الجملة ومحمولها غير الفعلي، برابط دوره الدلالة على مختلف مقولات الجهة والزمان، ويوضّح ذلك بالأمثلة الآتية في اللغتين المذكورتين سابقا:⁵³

مشروع في تحقيقها شروعا مسترسلا إذا كانت هذه الواقعة متحيزة في الزمان الماضي أو الزمان المستقبل مثل:

✓ سيصبح البليغ شاعرا.

3-تضاف زمرة الروابط الدالة على الاستمرار إلى المحمول غير الفعلي الدال على واقعة غير تامة مستمرة إذا كانت هذه الواقعة متحيزة في الزمان الماضي أو الزمان الحاضر، ويذهب المتوكل إلى أن ظاهرة عدم ظهور الرابط حين يتعلق الأمر بالزمان "الحاضر" لا تنطبق إلا على الرابط "كان" والروابط المنتمية إلى زمرة "أصبح" أو الزمان المستقبل على خلاف ما اعتقد أن الرابط في اللغة العربية لا يظهر إلا إذا كانت الواقعة الدال عليها محمولا لجملة متحيزة في الزمان الحاضر مثل:

- ✓ مازال الجو باردا.
- ✓ لا يزال الجو باردا.
- ✓ لن يزال الجو باردا.

4-الرابط "كان والروابط التي تحاقل أصبح لا تضاف إلى المحمول إلا إذا كانت الواقعة متميزة في الزمانين الماضي والمستقبل.

هذا وقد جعل المتوكل لرصد استعمال الرابط في القسم الثالث من اللغات وجود إمكانييتين هما⁵⁶:

❖ افتراض وجود الفعل الرابط في البنية مصدر اشتقاق الجملة ووضع قاعدة تحذفه في الحالات التي يظهر فيها سطحا.

❖ افتراض أن الفعل الرابط غير موجود في مستوى البنية مصدر اشتقاق الجملة ووضع قاعدة تضطلع بإدماجه في الحالات التي يظهر فيها في مستوى سطح الجملة وقد اصطلح على هذين الافتراضين بفرضيتي "الحذف والإدماج"، فما هي فرضية الحذف والإدماج في النحو الوظيفي؟

4-فرضية حذف وإدماج الفعل الرابط في نظرية النحو الوظيفي

4.1 مفهوم فرضية الحذف

يعدّ الفعل الرابط الموجود في مستوى البنية مصدر اشتقاق الجملة بالنسبة لجميع الحالات، وهو الأساس الذي تقوم عليه فرضية الحذف في نظرية النحو الوظيفي؛ إذ يحذف

Mary isill Marie est heureuse Marie était heureuse
Mary wasillMary has been illMarie a été heureuse
Mary willbeill Marie sera heureuse

ب-الفعل الرابط في اللغة العربية

جعل المتوكل اللغة العربية وكل الدوائر المتفرعة عنها في القسم الثالث من أقسام اللغة أي اللغات التي لا تستعمل الفعل الرابط إلا إذا توافرت شروط معينة؛ حيث يستعمل الفعل الرابط في حالات دون أخرى، حسب المقولات الجهمية والزمانية التي تخصص محمول الجملة غير الفعلي كما يتبين من زمر الجمل الثلاث الآتية: ويمثل المتوكل لهذا بهذه الأمثلة⁵⁴:

- أ-أحمد فرح أ-أحمد فرحان
- ب-كان أحمد فرحا ب-كان أحمد فرحان
- ج-يكون أحمد فرحان حين ينجح في الامتحان
- ج-غادي يكون أحمد فرحان منين ينجح في الامتحان
- أ-الجو رايق وصافي

ب-كان الجو رايق وصافي امبارح
ج-راح يكون الجو رايق وصافي بكرة.

إذ إنّ من خصائص اللغة العربية-حسب المتوكل-أنّ الجمل ذات المحمول غير الفعلي (المحمول الاسمي أو الوصفّي أو الحرفي أو الظرفي) ترد فيها متضمنة لفعل رابط كما ترد دون فعل رابط؛ إذ يرى أن ما يجعل منها محمولات فعلية أنّها لا تعبّر في ذاتها عن مقولات الجهة والزمان، احتياجها إلى عناصر نحوية تعبّر عن هذه المقولات، ويطلق على هذه العناصر النحوية مصطلح "الروابط"، هذه الروابط تدخل في اللغة العربية على المحمول غير الفعلي كما سبق وأن ذكرنا للتعبير عن مقولات الجهة والزمان الآتي ذكرها⁵⁵.

1-يضاف الرابط "كان" إلى لمحمول غير الفعلي للتعبير عن واقعة "غير تامة" متميّزة إمّا في الزمان "الماضي" أو الزمان "المستقبل" مثل:

- ✓ كان الطفل فرحا البارحة.
- ✓ سيكون الطفل فرحا غدا.

2-تضاف زمرة الروابط الدالة على الشروع المسترسل، إلى المحمول غير الفعلي الدال على واقعة "غير تامة"،

قاعدة إدماج الفعل الرابط إل في الحالة التي يظهر فيها هذا الفعل.

خاتمة

*تعدّ الجملة الرباطية نمطا بنيويا قائما بذاته ، إذ هي ليست بالجمال الاسمية ولا بالجمال الفعلية ، وإنما يمكن اعتبارها جملا وسطى ، فهي تشارك الجمال الاسمية بعض مميزاتها الحملية والوظيفية من جهة ، وتقاسم الجمال الفعلية خصائصها المكونية من جهة ثانية ، ويرى المتوكل أنّ الجملة في اللغة العربية تنقسم إلى ثلاثة أنماط:

1-الجملة الفعلية: وهي التي يكون محمولها فعلا ، ويكون تركيب البنى الموقعية داخل هذا النمط من الجمل طبقا لوظائفها التركيبية وأدوارها الدلالية ووظائفها التداولية ، هو كالآتي:

م4 ، م2 ، م1 ، مΣ ، ف ، فا (مف) ، (ص) ، م3

2-الجملة الاسمية: وهي التي يكون محمولها مركبا وصفيا (م ص) أو مركبا اسميا (م س) أو مركبا حرفيا (م ح) أو مركبا ظرفيا (م ظ) ويأتي ترتيب بنائها الموقعية طبقا للمستويات الثلاثة السابقة ، كما يلي :

م4 ، م2 ، م1 ، مΣ ، ف (م ص ، م س ، م ح ، م ظ) ، (مف) (ص) م3

3-الجمال الرباطية: ومحمول هذا النمط من الجمل كمحمول الجمل الاسمية إلا أنها تشتمل على رابط من قبيل "كان" ويتكون تركيب البنى الموقعية داخل هذا النمط من الجمل ، مما يلي:

م4 ، م2 ، م1 ، مΣ ، م س ، ط ، فا (مص ، مس ، م ح ، م ظ) (مف) (ص) م3

*تحتوي الأنماط الثلاثة من الجمل على المواقع نفسها ، ماعدا بعض الاختلافات من مثل:

- محمول الجملة الفعلية فعل ويأتي متقدما على فاعله ، في حين أن محمول الجملة الاسمية مركب وصفي أو اسمي أو حرفي أو ظرفي ويأتي متأخرا عن فاعله (الفاعل هنا هو ما اصطلح على تسميته في النحو العربي المبتدأ).
- تتقاطع الجمل الرباطية مع الجمل الاسمية في خصائصها الحملية والوظيفية ، إلا أنها تزيد عنها باشتغالها على

في الحالات التي يمتنع فيها ظهوره في مستوى سطح الجملة وقد تبني هذا الموقف أيضا النظرية التوليدية التحويلية بصفة عامة ؛ فحسب الأنحاء التوليدية التحويلية كل بنية عميقة تحتوي على محمول فعلي ، وقد يُحذف هذا المحمول الفعلي في بعض الحالات ، وجاء المتوكل بالأمثلة التالية لتوضيح الفكرة السابقة أي ؛ الأنحاء التوليدية التحويلية ذات الطابع التحويلي⁵⁷:

I saw the girl who is beautiful.

I saw the beautiful girl.

تبدو الجملة الثانية مشتقة من الجملة الأولى عن طريق تطبيق قاعدة "حذف الموصول والرابط "who" ، وفي إطار هذه الأنحاء تعد الجملة مشتقة عن طريق تطبيق قاعدة حذف الرابط⁵⁸.

2.4- مفهوم فرضية الإدماج

تبني هذه الفرضية على فكرة لا وجود للفعل الرابط في البنية مصدر اشتقاق الجملة وإنما يدمج في الحالات التي يظهر فيها في سطح الجملة ، ودمج الفعل الرابط إذا توافرت فيه شروط معينة ، تتعلق هذه الشروط بمخصص المحمول ومقولته التركيبية وبخصائص أخرى.⁵⁹

ويفاضل المتوكل بين الفرضيتين "الحذف والإدماج" ، حيث يرى أنّ فرضية الحذف أفضل من فرضية الإدماج في المزايا الآتية:⁶⁰

1-تستلزم فرضية الحذف وجود فعل رابط في لغات لا يظهر فيها الفعل الرابط ، ومن شأن هذا أن يجعل النحو الذي يعتمد هذه الفرضية قاصرا عن تحقيق الكفاية النمطية في حين أن للنحو الذي يعتمد فرضية الإدماج حظوظا أكثر لتحقيق الكفاية النمطية من حيث أنّه لا يفترض وجود الفعل الرابط إلا في اللغات التي تستعمل فعلا رابطا.

2-تُسهم فرضية الإدماج في التوحيد بين البنيات التحتية للغات الطبيعية إذ إنها تضع الفروق بين اللغات في مستوى قواعد تسطيح البنيات التحتية "قواعد التعبير" بالنسبة للنحو الوظيفي.

3-إنّ تبني فرضية الإدماج أقل كلفة من تبني فرضية الحذف ، فالنحو الذي يعتمد فرضية الإدماج لا يحتاج إلى

*تمتاز الأفعال الناقصة الأخرى _حسب نظرية النحو الوظيفي_ بإمكان ورودها مع محمولات فعلية فتكون أفعالاً مساعدة ومع محمولات اسمية أو صفية فتكون أفعالاً روابط.

*لا تعبّر المحمولات غير الفعلية في ذاتها عن مقولات الجهة والزمان وبالتالي تحتاج إلى عناصر نحوية تضطلع بالتعبير عن هذه المقولات وتسمى هذه العناصر النحوية بـ "الروابط" وهو ما يميّزها عن المحمولات الفعلية.

*تندرج الأفعال الرباطية الموجودة في اللغة العربية في أربع زمر هي: زمرة "كان" وزمرة "أصبح" وزمرة "ظل" وزمرة "مازال"، وتتوزع هذه الأفعال من حيث استعمالها حسب دلالتها على مقولات الجهة والمقولات الزمانية التي تخص المحمول في الجمل غير الفعلية.

*تستعمل كلاً من "كان" والأفعال المنتمية إلى زمري "أصبح" و"مازال" أفعالاً روابط.

*لا يمكن أن يعكس النحو وظيفة الفعل الرابط إلا إذا تبنى بالنسبة لهذا الفعل فرضية تنبأ بظهوره، بالضبط في الحالات التي تستلزم ظهوره.

رابط من قبيل (كان)، ويدمج هذا الرابط بمقتضى قاعدة إدماج الرابط، وتعني هذا القاعدة أن "الرابط يدمج بالنسبة للغة العربية في الجملة الاسمية.

• يقوم الفعل في الجملة الفعلية بتحديد مقولة الجهة والزمن، في حين يقوم الرابط (كان، أصبح، ظل، مازال....) بتحديد هذه المقولة في الجمل غير الفعلية، حيث يُدمج الفعل الرابط عن طريق إجراء قواعد صياغة المحمول في مرحلة متأخرة من مراحل اشتقاق الجملة.

*يفرق المتوكل بين الجمل الاسمية والجمل الرباطية من خلال:

• تتميز الجمل الاسمية عن الجمل الرباطية في خاصية الحمل "الإثبات" ومخصصي المحمول "غير التام" والحاضر بينما تتضمن البنات الحملية للجمل الرباطية مخصص المحمول الزماني الماضي أو المستقبل أو الزمان الصفر كما هو الشأن في البنية الحملية.

• تسند إلى محمول الجملة الاسمية الحالة الإعرابية "الرفع" في حين تسند إلى محمول الجملة المدمج فيها أحد الأفعال الرباطية الحالة الإعرابية "النصب".

• تختلف الجمل الاسمية عن الجمل الرباطية من حيث إنها لا تتضمن موقعاً للرابط، ولا موقعاً يتوسط بين موقعي الرابط والمحمول.

* يرى أحمد المتوكل أن قضية الرابط قد أثير حولها نقاش فلسفي قديم، خاصة الأبعاد الفلسفية للفعل الرابط ووفق هذا النقاش صنف اللغات صنفين: لغات تعبر عن الوجود (اللغات المتوافر فيها الرابط المقابل للفعل "كان" ولغات لا تعبر عن الوجود وهي اللغات التي يوجد فيها ما يقابل الفعل الرابط "كان".

*ويؤكد في موضع آخر أن تصنيفه للأفعال الرباطية يخالف التصنيف المقترح في النحو العربي القديم حيث تدرج هذه الأفعال جميعها في باب يصطلح على تسميته باب "كان وأخواتها"، ويقوم هذا التصنيف على فكرة أن هذه الأفعال جميعها تتقاسم خاصية كونها أفعالاً نواسخ تدخل على جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر فترفع الأول على أساس أنه اسمها وتنصب الثاني على أساس أنه خبرها في حين جعلها هو قسمين: زمرة الأفعال الروابط وزمرة الأفعال المساعدة.

الهوامش

- 1-سيبويه: الكتاب ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط 3 ج 1 ، ص 23.
- 2-عبد الرحمن الحاج صالح: الجملة في كتاب سيبويه ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ج 1 ، ص 291.
- 3-المبرد: المقتضب ، تح حسن حمد ، إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، ج 1 ، ص 108 ، ج 2 ، ص 68-70.
- 4-الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ، الجمل ، نشر وتحقيق محمد بن أبي شنب ، ط 2 ، باريس ، 1957 ، ص 49.
- 5-رضي الدين الأستراباذي: شرح الكافية في النحو ، ج 1 ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1979 ، ص 8.
- 6-ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح هازن المبارك ، ج 2 ، ط 3 ، دار الفكر ، بيروت ، دت 431.
- 7-إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ، ط 3 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1966 ، ص 277.
- 8-تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979 ، ص 32.
- 9-أحمد يحيى: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ص 96.
- 10-المرجع نفسه ص 97
- 11-سعيد بحيري: عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط 1 ، 1989 ، ص 125.
- 12-أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1985 ، ص 11_12.
- 13-سعيد بحيري: عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1989 ، ص 126.
- 14-المرجع نفسه ، ص 126.
- 15-المرجع نفسه ، ص 127.
- 16-أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية ، منشورات عكاظ ، الرباط ، المغرب ، 1988 ، ص 28.
- 17المرجع نفسه ، 28.
- 18-أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية ، مطابع منشورات عكاظ ، الرباط ، المغرب ، ص 31.
- 19_ أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2013 ، ط 1 ، ص 93.
- 20-أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية ، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية ، ص 32.
- 21-أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية ، ص 28.
- 22-المرجع نفسه ، ص 28.
- 23-المرجع نفسه ، ص 28.
- 24-المرجع نفسه ، ص 28_29.
- 25-المرجع نفسه ، ص 30.
- 26-المرجع نفسه ، ص 30_31.
- 27-المرجع نفسه ص 31.
- 28-المرجع نفسه ص 32.
- 29-أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية ، منشورات عكاظ ، الرباط ، المغرب ، 1986 ، (د-ط) ، ص 31-32.
- 30-المرجع نفسه ، ص 34.
- 31-المرجع نفسه ص 34.
- 32-المرجع نفسه ص 47.
- 33-المرجع نفسه ص: 34.
- 34-المرجع نفسه ، ص 34.
- 35-أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1987 ، ص 210.
- 36-المرجع نفسه ، ص 210.
- 37-المرجع نفسه ، ص 210.
- 38-المرجع نفسه ، ص 211.
- 39_ عبد الفتاح الحموز: نحو اللغة العربية الوظيفي ، في مقاربة أحمد المتوكل ، ط 1 ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2012 ، ص 46.
- 40-المرجع نفسه ، ص 47.
- 41-المرجع نفسه ، ص 48.
- 42-المرجع نفسه ، ص 48.
- 43-أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية ، ص 85.
- 44-المرجع نفسه ، ص 85.
- 45-المرجع نفسه ، ص 86.
- 46-المرجع نفسه ، ص 99.

- 47-المرجع نفسه ، ص101.
 48-المرجع نفسه ، ص 102.
 49-أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية ، صص31،30،28.
 50-أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية ، ص 105.
 51-المرجع نفسه ، ص106.
 52-المرجع نفسه ، ص 68.
 53-المرجع نفسه ، ص 68.
 54-المرجع نفسه ، ص 68-69.
 55-المرجع نفسه ، ص ص:64-67.
 56-المرجع نفسه ، ص 69.
 57-المرجع نفسه ، ص 69-70.
 58-المرجع نفسه ، ص 70.
 59-المرجع نفسه ص71.
 60-المرجع نفسه ص 72.

براغماتيات الحقيقة عند ريتشارد رورتى

"الأفكار الصحيحة هي تلك التي نستطيع تمثيلها وفهمها وتبينها وتعزيزها، أما الأفكار غير الصحيحة فهي تلك التي لا نستطيع ذلك بها" وليام جيمس، البرغماتية ص 97

The pragmatics of truth according at Richard Rorty

"True ideas are those We Can assimilate ,validate,corroborate,ans verify,false ideas are those WE Can not"

William James , Pragmatisme ,p97

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2017-06-06

هاجر طالب ، جامعة محمد لين دباغين سطيف 2

hadjorataleb@gmail.com

الملخص

يسعى هذا المقال الى تسليط الضوء على إشكالية الحقيقة باعتبارها مطلباً إنسانياً ، وهذا من خلال استخداماتها براغماتياً عبر تاريخ الفلسفة وفقاً لنماذج فلسفية مختارة بدءاً من أفلاطون و تصوره الماهوي وصولاً إلى الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتى فى البرغماتية الجديدة لبيان الدور الذي لعبته هذه المقاربات عبر الفلسفات بدءاً من التصور المثالي إلى المدرسة الماركسية مع ماركس لتغدو تطبيقاً ثم مدرسة التحليل النفسي مع سيغموند فرويد إلى الهرمينوطيقا مع غادامار ، مروراً بالتصور العدمي مع نيتشه وصولاً إلى رورتى فى تشكيل التصور البرغماتى للحقيقة وفق سياقها الفلسفى والتاريخى.كلها تشكل مقاربات لمقولة الحقيقة براغماتياً سواء كان هذا بطريقة واعية أو غير واعية بما يخدم الفرد عملياً للاعتبارات النسبية لمقولة الحقيقة أو اليقين .

الكلمات المفتاحية: البرغماتية ، البرغماتية الجديدة ، الحقيقة ، الماهية ، التطبيق ، اليقين .

Résumé

Cet article traite la problématique de la réalité en tant qu'un but humanitaire et ceci à travers ses usages pragmatiques dans l'histoire de la philosophie selon quelques exemples sélectionnés et les différentes philosophies depuis l'époque de Platon et son idéalisme à l'école marxiste pour devenir une application ainsi l'école psychanalytique avec Sigmund Freud à l'herméneutique avec Gadamar en passant par la perception nihiliste de Nietzsche arrivant jusqu'à Rorty dans le neopragmatisme , ce dernier a orchestré entre la réalité et les avantages de l'utilisation de la vérité pragmatiquement dans le but de servir l'individu ,ces approches représentent des usages de la vérité ou la certitude inconsciemment .

Mots clés: Pragmatism, Néopragmatisme, La vérité, L'essentialisme, L'application, la Certitude.

Abstract

This article tackles the Ritchard Rorty issue about modern pragmatic, and the role of truth used over all philosophical studies from Plato and his essentialism to Marxism for becoming an application till Freud without forgetting Nietzsche, since these hypotheses are a source of understanding truth, because according to Rorty Combining truth and benefit led to have an appropriate use of pragmatism in the sense that human will be benefited since its relative meaning is to move from truth and certainty to imagination

Keywords: Pragmatism, Newpragmatism, the truth, The essentialism, Application, certainty.

مقدمة

تعد الحقيقة مطلباً بشرياً ينشده الإنسان وهو ما ميز الفكر الفلسفي عبر محطاته التاريخية الذي ظلّ يحاول البحث عن الحقيقة مراجعاً لأسسها ومنطلقاتها سواء ما تعلق بالجانب الميتافيزيقي أو الجانب العملي الواقعي؛ غير أن مقاربات الحقيقة اختلفت بين ما هو علمي وما هو ديني وما هو فني .

وتعددت التصورات والآراء بتعدد رؤى العالم، حسب كل فيلسوف أو مفكر لهذا فالتحولات المفاهيمية في الفلسفة لم تكن نتاج اكتشاف نظريات جديدة بقدر ما كانت اكتشافاً لمناهج وحفريات جديدة بلغة الفيلسوف الفرنسي المعاصر ميشال فوكو (Michel Foucault)، فلا يمكن أن نقر بإمكانية تحديد الدلالة الفلسفية لمجموعة من المفاهيم، إلا في خضم فهم السياق الابستيمي والمنهجي الواردة فيه. وقد اخترنا أحد أهمها ألا وهو الحقيقة. هذه الأخيرة التي لطالما استندت على معايير وأسس أبرزها المعيار الواقعي الذي نقيس به ما هو خاطئ وما هو صحيح، وهذا ما يستدعي منا طلب مفهوم الحقيقة خاصة في الفلسفات العملية الجديدة وقد ساد قبله إعتقاد يولي أهمية بالغة لما هو متعالٍ عقلي بعيداً عن المعيش؛ بالنسبة للتصور الأول نجد البراغماتية ذائعة الصيت في المقاربة والطرح العملي الواقعي سواء منها الكلاسيكية أو الجديدة مع الفيلسوف الأمريكي المعاصر ريتشارد رورتي فلم تتراجع مكانة الحقيقة بعد ارتباطها بنظرية المعرفة حسب المحطات الفلسفية الكبرى وهنا نجد انفسنا امام مفهومين فلسبيين اثنين هنا : الحقيقة والبرغماتية . ولكي نتضح لنا طبيعة العلاقة بين كل منهما إرتائنا عرض أهم الرؤى الفلسفية التي استعملت مفهوم الحقيقة براغماتياً إنطلاقاً من الفلسفة اليونانية خاصة مع أشهر وأبرز فلاسفتها صاحب مذهب المثل، ألا وهو أفلاطون، مروراً بالفلسفة الحديثة مع رائد الجدلية المادية العالم والفيلسوف الألماني كارل ماركس، كذلك عالم النفس التحليلي النمساوي سيغموند فرويد، إضافة إلى الفيلسوف العدمي الألماني فريدريك نيتشه، ولدى مواطنه صاحب التأويلية الفلسفية هانز جورج غادامير، وصولاً في الأخير إلى أحد

أقطاب البراغماتية المعاصرة الأمريكي ريتشارد رورتي، ونشير هنا إلى العودة القوية لهذه المقولة في الساحة الفلسفية المعاصرة، لأن هناك استدعاء لها لما تقتضيه الظروف الفكرية الحالية للإنسان. فلا بد من العودة إلى المحاكمة والمراجعة لما هو حقيقي صادق؛ لعله يساهم بشكل من الأشكال في علاج الأزمات الواقعية اليوم، والإشكال الذي نطرحه في هذا المقام، يمكن صياغته كالتالي: هل يمكن القول بأن طبيعة هذا الطرح أي خدمة الحقيقي للواقع الإنساني سمة للفلسفة الأمريكية فحسب؟ ولأي مدى يمكن الإقرار بصحة التطابق في الصحة والخطأ؟ ما معيار التفاضل بين الحقيقي واللاحقيقي؟ كيف تحين مفهوم الحقيقة من المثالية إلى الواقعية؟

ألا يمكن الحديث عن حقائق متعددة بلا من حقيقة واحدة من خلال مجموع الدلالات العديدة- سواء كانت؛ فكرية، فلسفية، أو نفسية، أو مادية، عبر التاريخ الفلسفي- المقدمة لمفهوم الحقيقة حيث جعلت منها ركناً متعالياً في سقف الوعي؟ ما القيمة التي أسس عليها الفلاسفة السابق ذكرهم خطابهم الفلسفي حول الحقيقة؟ ألا يمكن الإقرار أن البراغماتية كطريقة تفكير وجدت في المتون الفلسفية في علاج مختلف الإشكالات؟ وكيف يمكن الاستفادة من هذا الإجراء في واقع اليوم على مختلف مجالات الحياة؟ وما الخطر الذي يشكله هذا الهاجس الدائم بحثاً عن الحقيقي في معانيه وغاياته؟

أولاً: التأسيس المفاهيمي يكون من الصعب التماس الصورة السياقية والمفاهيمية لمُدلول فلسفي معين دون استدعاء مطلب التحليل الفلسفي للمفاهيم بالقضية ليست مجرد اختزال وشرح للكلمات بل هو أخذ المفاهيم وخصوصيتها بعين الاعتبار وفق المحطات الواردة فيها وهذا لا يعني التسليم الكلي والنهائي بها وإنما التأكيد بنسبيتها، وتجدها وفق الطروحات الفلسفية باعتبار التفكير الإنساني تفكير متجدد تحكمه رؤى معرفية فالأساس هو الضبط الاجرائي المراد تحقيقه في ضبط المصطلحات، فما هي البرغماتية؟ وما هو مفهوم الحقيقة؟

1.1: مفهوم البراغمية: لغة واصطلاحا

عُرِّفت البراغمية بأسماء عديدة وكثيرة منها: الأدائية، والوظيفية، والذرائعية أو الوسيلية... الخ.¹ ونقول ذريعي أو مذهب الذرائعية وذريعي أو ذرائعي عملي أو براغماتي وبراغما فعل وخصوصا شيء ولها عدة معان:

- ما يختص بالعمل أو بالنجاح بالحياة سواء في مقابل المعرفة النظرية والعقلية أم مقابل الواجب الأخلاقي²، ويطلق كانط اسم إيمان أو اعتقاد وذريعي على التبنّي الحازم، ولو عشوائيا لقضية أو لمقترح بحكم ضرورة التصرف مثلا: التشخيص الذي يتعين على الطبيب أن يجربه للمرض والذي لا يمكنه من دون أن يعالجه.

- بالمعنى المدحي الحقيقي فَعَال، قابل لاستعمالات نافعة مقابل ما هو فارغ وعليه فإن أصل الكلمة يوناني براغما (Pragma) ومعناها: العمل وهي مذهب فلسفي يُقر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي؛ الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية ومعنى ذلك كله أنه يوجد في العقل معرفة أولية، تُستنبط منها نتائج صحيحة بصرف النظر عن جانبها التطبيقي، فليس المهم أن يقودنا العقل إلى معرفة الأشياء وإنما المهم أن يقودنا إلى التأثير الناجح فيها، وقد استخدم هذه الكلمة شارل سندرس بيرس في كتابه كيف نجعل أفكارنا واضحة؟³

كما توصف هذه الفلسفة، بفلسفة النجاح والأثر المتولدين عن العقل والتجربة، مما يحملانه من مبادئ خاصة بالنسبة للحرية والعمل وللمبادرة وللعقيدة، من هنا كان شعار هذه الفلسفة الفاعلية والأثر كمعيارين لكل حقيقة ولكل عمل. لذلك جاءت البراغمية البيرونية معبرة عن الواقع الاجتماعي الخاص بأمريكا، المتعددة الأجناس والعقائد، والثقافات والحضارات، التي شكلت الأساس الأول لها يسمى بالعالم الجديد.⁴

ولا بد للإشارة أن هناك من نسب المنفعة إلى البراغمية فكثيرا ما يفسر المذهب البراغمي أنه مذهب نفعي وفي هذا الصدد كتب جون ستورنر مل كتابه النفعية موضحا ماهية المنفعة أو النفعية بقوله: "إنّ كل ما يمكن تقديمه لجاهل يعتقد أن الذين يدافعون عن المنفعة كمقياس

للخير والشر هو استخدامهم للفظ في معنى ضيق وشائع، يجعل فيه المنفعة مقابلة للذة ربما هو مزج ناجم عن سوء فهم خال من المعنى وهو اتهامهم بإرجاع كل شيء إلى اللذة في أبشع مظاهرها، إنّ الذين لهم أدنى معرفة بهذا الموضوع يدركون أن كل كاتب من عهد أبيقور إلى بنتام ممن تبني نظرية المنفعة لم يقصد منها شيئا ما مقابلا للذة، بل قصد اللذة عينها في غياب الألم، وبدلا من المقابلة بين ما هونافع وما هو ممتع، أو مجمل كانوا دائما يقرّون بأن النافع هو وسيلة لكل ذلك، من جملة أشياء أخرى⁵. وهنا نجد الفيلسوف الإنجليزي جون ستورنر مل (John Stuart Mill) (1806-1873) قام بالإشارة إلى المفاهيم الخاطئة التي تعتري العقول، فيما يخص لفظ المنفعة، موضحا أنها لا تقابل اللذة، ولابد أن النفعية كذلك تهتم بالنتائج فإذا كانت نتيجة عمل ما تزيد في المتعة وتقلل من الألم فسيكون هذا الفعل صالحا، والفلسفة النفعية فلسفة تلذذية في جوهرها، وقد ربطت بالجانب الأخلاقي للأفعال. وهذا يحيلنا إلى التشارك بينها وبين البراغمية في ضرورة تقدير معيار الفعل والنتائج المترتبة عنه.

غير أن السياقات الفكرية والتاريخية بينهما تختلف⁶ بالإطلاع على التاريخ الاستيميني والتاريخي للفلسفة الأميركية -أقصد البراغمية- نلمس التقاطع بين النفعية و/ البراغمية نتيجة تأثر الفلسفة الأميركية بالفلسفات السائدة آنذاك والنصوص الفلسفية خير دليل على إستعارة النفعي أو الصالح بربط الفلسفة مع الواقع.

ترتبط البراغمية كذلك بالفيلسوف الأمريكي ذو الاتجاه النفعي وليام جيمس (James William) (1842-1910)، حيث تعد المرحلة الثانية من فكره، وحسب اعتقاده فإن فكرة الحقيقة ليست بمثابة صورة مطابقة للشيء، بل هي بالأحرى؛ عبارة عن فكرة من شأنها أن تقودنا إلى إدراك ذلك الشيء⁷. وقد يحيل هذا إلى ومفهوم المطابقة في عملية الوصول إلى ما هو حقيقي وهذا ما سيتم عرضه لاحقا.

وقد أورد جيمس في إحدى محاضراته أن الكلمة ذات اشتقاق يوناني والتي تعني -كما أشرنا سابقا- العمل ((Pragma ومنها (Practice) أي يمارس عملاً. حيث سبقه مواطنه تشارلز ساندرس (Charles Sanders Peirce) (1839-1883) إليها وقد أشار بيرس أنه بعدما نوضح بأن

أمريكا، وعن أبعاده الانسانية منها، الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية، والعقائدية، والثقافية المتميزة بذلك لهذا كانت البراغماتية أقرب فلسفة إلى المواطن الأمريكي المسكون بهاجس التفوق والنجاح والقوة المادية خاصة. إن هذه المكانة التي تحتلها البراغماتية في الفكر وفي الحياة الأمريكية لا تزال فاعلة، بالرغم من انصراف الشباب الأمريكي اليوم عنها.¹⁵ وعليه كان مفهوم الحقيقة يتأرجح وفق رؤية كل من الأعلام الثلاثة للبرغماتية بيرس وجيمس وجون ديوي، ورغم اختلاف تعاريف الفلاسفة للبراغماتية إلا أن مفهوم الحقيقة عندهم تلون بلون مفهوم البرغماتية مما يدفعنا للاستنتاج أنها تيار فلسفي عرف في أمريكا، ونميز منه البراغماتية الكلاسيكية والبرغماتية الجديدة سنعرضها لاحقا-

1.2: مفهوم الحقيقة لغة واصطلاحا

لفظ الحقيقة هو سمة ما هو حقيقي، وهي عبارة صحيحة عندما يكون حقيقة واجبة يمكننا أن نجد علتها بالتحليل، فنحللها إلى أفكار وحقائق أبسط منها، حتى نصل إلى الحقائق القديمة. كذلك لها معنى آخر، فهي: ما جرى التحقق منه علميا/ ما جرى وقوعه أو لحظه من قبل شاهد يرويه.¹⁶ ويطلق الفلاسفة الحقيقي على عدة معان:

- الحقيقي هو الواقعي أي الشيء الموجود بالفعل.
- الحقيقي و هو الصفة الثابتة للشيء مع قطع النظر على غيره.

• الحقيقي ضد الممكن والخيالي، ويطلق على الشيء الموجود كما هو مع قطع النظر عن وجود وجوب وجوده.

- الحقيقي هو الأمر المتعلق بالأسماء لا بالأشياء.
- كما أن الحقيقي مرادف للحق باعتباره صفة.¹⁷

وقد ورد في معاجم أجنبية أن الحقيقة تطبيق الأحكام والاقتراحات الصحيحة سواء كانت أشخاص أو أشياء أو أعمالا أو أحداثا، كما يمكن أن تعني المثالي.¹⁸ أما فيم يخص المعنى الحقيقي الذي سنقوم ببناءه من خلال هذا التحليل هو الصحيح أو المثالي كما كان رائجا في الفلسفة الغربية، حيث عدت الحقيقة مقولة فلسفية شغلت اهتمام

معتقداتنا هي في حقيقة الأمر قواعد للعمل، ولكي نظور معنى فكرة ما، علينا أن نحدد السلوك المناسب الذي انتجته.⁸ كما أن جيمس أضاف أن الطريقة البراغماتية هي شكل رئيسي وطريقة لتسوية نزاعات ميتافيزيقية قد تكون بخلاف ذلك نزاعا طويلا لا نهاية له.⁹ وهذا يشير إلى أن البراغماتية ليست كلمة بل هي منهجية يعتمد عليها الفلاسفة في عرض طروحاتهم وهذا ما سنتوصل إليه في نهاية البحث.

والبراغماتية كما يتصورها بيرس ليست رؤية للعالم، بل هي منهج للتفكير من أهدافها أن تجعل الأفكار واضحة، ولذلك فإنها تنتمي إلى علم المناهج؛ إلى ما يسميه بيرس بالمنهج Méthode ولأنه يشدد على الأسس المنطقية وعلاقات البراغماتية.¹⁰ وقد عدها جيمس كذلك حالة تجريبية أو منهجية من خلال قوله: "[...] البراغماتية في الوقت عينه لا ترمز إلى أي نتائج خاصة، هي منهجية فقط، لكن انتصار هذه المنهجية العام سوف يعني تغيرا هائلا".¹¹

أما بالنسبة لجون ديوي J.Dewey فقد أشار: "أن أصل كلمة براغماتية يرجع إلى بيرس، لقد عرف كلمة براغماتية من دراسته لكانط (Immanuel Kant)(1724-1804)، وهذا يخالف الرأي السائد الذي يذهب إلى اعتبار البراغماتية نظرية أمريكية خالصة، ففي كتاب ميتافيزيقا الأخلاق ميز كانط بين ما هو "براغماتي" و بين ما هو "عملي".¹² وفي سياق آخر ذكر أن البراغماتية كاتجاه تمثل ما وفق بيرس أعظم توفيق في تسميته (العادة العملية للعقل)، وقد امتدت لشمول كل ميدان في وسع البحث أن يجري فيه بثمرة وفلاح.¹³

فالانتقال من الفلسفة التقليدية إلى الفلسفة البراغماتية هو انتقال من أمس إلى الغد، فبعد أن كان أساس الحكم على قول ما بالصدق أو البطلان هو الرجوع إلى الأصل الذي بعث على تقرير ما يقرره القول، أصبح الأساس هو النتائج التي تترتب عليه، فالكلام: صواب أو خطأ، والنظرية من نظريات العلوم: حق أو باطل بمقدار ما يعين ذلك الكلام أو هذه النظرية على رسم طريقنا في الحياة العملية، لا بمقدار تطابقها مع الواقعة التي تصورها واتساقها مع غيرها من الأفكار.¹⁴

والبراغماتية فلسفة معبرة وإلى حد كبير عن الواقع الاجتماعي والثقافي والديني، الذي بناه أولئك المهاجرون إلى

الخطاب الغربي رشح نفسه أنه الحقيقة والمطلق والمناسب واليقيني. كذلك تعد الاستمولوجيا كحقل فلسفي بحث في أحد الأسئلة المهمة ألا وهي غاية المعرفة أو هدف الإشكال الفلسفي الذي تترتب عنه مقولة الحقيقة باختلاف أصنافها أو مجالاتها سواء كانت كقيمة أو غاية. كما أنها تجد من التعالق ما يربطها مع البراغماتية وهو استعمالها مفهوما بما يخدم رؤية الفيلسوف، وتصوراته، وهذا الذي سنفصل فيه في العنصر الموالي، وحتى لا نضيع في التأسيس المفهومي سننتقل إلى تأسيس الفلاسفة لهذا التعالق بين المفهومين ضمن أنساقهم الفلسفية.

ثانيا: الحقيقة من أفلاطون إلى غادامار

تنوعت المفاهيم في سياقات فلسفية دلت بشكل أو بآخر على التراكم الواعي أو اللاواعي لبعض المفاهيم أو الاستعمالات الفلسفية، وهذا ما يدفعنا إلى التقصي الكرونولوجي لبعض النماذج الفلسفية كنقطة تأسيسية لغايتنا المنهجية من خلال هذا التحليل بتتبع مسارات الحقيقة ومقارباتها لأدراك التأثير والتأثر بين كل مرحلة وأخرى تليها. بدء بأفلاطون بحقيقته المتعالية مروا بهاريس إلى مؤسس اللاشعور فرويد ثم فيلسوف العدمية نيتشه للانتقال إلى غادامار نهاية إلى رورتي، فمأهي القواعد والأسس التي اعتمدها كل من هؤلاء في التأسيس الابستيمي أو المنهجي لمفهوم الحقيقة؟

2. 1: الحقيقة عند أفلاطون

هناك اعتبارات منهجية دفعتنا إلى اختيار أفلاطون، وذلك باعتباره ضمن المؤسسين الأوائل لمقولة الحقيقة مثاليا أوميتافيزيقيا. كما أن الفلاسفة البراغماتيين المعاصرين، خاصة منهم جيمس رورتي قاموا بدراسة الفلسفة اليونانية وتجاوزوها بالنقد. صف لذلك أن تصور أفلاطون للحقيقي المطلق يشكل تصورا فلسفيا محفزا للنقد من طرف الواقعيين والتجريبيين كما أنه أسفر عن كثير من الاجتهادات التي حاكت التقسيم الأفلاطوني. فما مفهوم الحقيقة باعتبارها آليثيا؟

يلاحظ أن أفلاطون كثيرا ما يستعمل عبارة آليثون، والتي تعد هذا الشيء الخارج عن كل انسحاب والذي يكون تقريبا من جهة أخرى المكون من غير انسحاب

كثيرين عبر تاريخ الفلسفة، ولطالما ارتبطت الفلسفة بمقولة الحقيقة باعتبارها ضالة البحث الفلسفي وغايته المنشودة. فكيف يمكن حصر التحولات المفهومية لتصور الحقيقة عبر تاريخ الخطاب الغربي وصولا إلى البراغماتية الجديدة مع رورتي؟

قبل هذا لا بد من معرفة العلاقة بين الحقيقة والاستمولوجيا باعتبار الفلسفة البراغماتية قوضت الخطاب الاستمولوجي الغربي بالانتقال من الحقيقة إلى اللاحقيقة. فالفلسفة الغربية أخذت الاستمولوجيا أو نظرية المعرفة، باعتبارها بحثا عن الحقيقة فما مفهوم الاستمولوجيا لمعرفة أسباب إتخاذها نظرية في المعرفة في فترة ما.

وتتأني هذه الاشكالية استنادا إلى بعض الأفكار والمحطات الموجودة في مشروع رورتي الذي حاول أن يؤسس مقولة فلسفية جديدة، وهي الحقيقة على أنقاض بعض النماذج الموجودة عبر تاريخ الفلسفة. فما مفهوم الاستمولوجيا في علاقتها بالحقيقة؟

الاستمولوجيا¹⁹ نجد في المعاجم الفلسفية أن ما يقابله فلسفة العلوم وهو لفظ يتكون من جذرين يونانيين هما دراسة العلم أو نظرية المعرفة في الانجليزية تعني Theory Of Knowledge وتعني في الفرنسية معنى أهم وهو فلسفة العلوم (Philosophie des sciences) التي تشمل نظرية المعرفة.²⁰ وفلسفة العلوم أو الاستمولوجيا تعالج مبادئ العلوم وموضوعاتها وطرقها وقوانينها ويدرسها دراسة نقدية؛ أي تبرر أصولها المنطقية والعلمية ومدى شغوفها عن الحقيقة ودرجة اليقين فيها، بحيث تدرس نظرية المعرفة منشأ المعرفة عامة وطبيعتها وقيمتها وحدودها.²¹

وتكمن العلاقة بين الاستمولوجيا والحقيقة ضمن نظرية المعرفة، من خلال ترادفها معها اصطلاحا في اللغة الانجليزية التي تبحث سؤال المعرفة، الذي بدوره ينشد الحقيقة هذا من جهة، ومن جهة أخرى من المعروف أن مسألة الحقيقة أخذت حيزا كبيرا من انشغالات الفلاسفة ولما لا نقول أنها كانت أهم مسألة لديهم؛ إذ أصبحت عنوانا لأبحاثهم وتأملاتهم، وصارت الفلسفة في التعريفات الجارية على الألسن أن الفلسفة بحث عن الحقيقة.

وعليه نخلص أن العلاقة بين الحقيقة وبين الاستمولوجيا باعتبار أن كل ما هو إبستيمي معرفي في

التشابه³ موقف ديكارت وأفلاطون بربط مفهوم الحقيقي بملكة العقل - سنقوم برصد نموذج فلسفي تناول الحقيقة من ناحية أخرى ليست ميتافيزيقية فربطها بالواقع، ألا وهو الفيلسوف الألماني كارل ماركس، هذا الأخير الذي مثل وجهها جديدا من وجوه الاتجاه الجديد في علم اجتماع المعرفة، لتغدوا الحقيقة أو المعرفة في الخط الاجتماعي الواقعي أي إنزال المعرفة والحقيقة من سماء الميتافيزيقا إلى الواقع.

نظر ماركس إلى الوعي الإنساني باعتباره انعكاسا للوجود الاجتماعي، إذ ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي الذي يحدد وعيهم، لأن أساس الابداع التاريخي لا يمكن في وعي الفرد المنعزل أو الوعي بصفة عامة وإنما هو تعبير عن النشاط الإنساني الاجتماعي الذي يؤكد الإنسان وعيه من خلاله.

وذهب ماركس أن التكنولوجيا التي صنعها الإنسان هي التي تحدد أفكاره وتشكل حياته لا بالعكس، فالحاجات هي المحددة للأفكار وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.⁴ ويرى ماركس أن حياة الناس العقلية التي تتخذ أشكالا ملموسة في الأعمال، والنظم الأخلاقية، والفلسفية والسياسية، والقانونية، والدينية، والفنية لا يمكن أن تفهم إلا باعتبارها جزءا من حياة المجتمع كلها.⁵

ولا يمكن فهم المعرفة أو ميزة الحقيقة إلا بفهم النظرية الديالكتيكية Dialectique، وهذا ما يحيل إلى أذهاننا مصطلح المادية الديالكتيكية⁶ عنده حيث نجده يقول: "إن طريقتي الديالكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيجلية من حيث الأساس، بل هي ضدها تماما فحركة الفكر، هذا الفكر الذي يشخصه هيجل ويطلق عليه اسم الفكرة هي وفي نظره خالق الواقع و صانعه، فما الواقع إلا الشكل الحادتي للفكرة، أما في نظري فعلى العكس ليست حركة الفكر سوى انعكاس للحركة الواقعية منقولة إلى دماغ الإنسان ومستقرة فيه".⁷

والقضية الأساسية التي يقدمها ماركس هي أن كل ما يفكر فيه الإنسان ويريده ويرغب فيه، ما هو إلا في النهاية نتيجة حاجاته الاقتصادية التي تحددها طرق الإنتاج، والعلاقات الاجتماعية التي يخلقها هذا الإنتاج، ويتطور بطريقة جدلية تعبر عن نفسها في قانون الصراع الاجتماعي بين الطبقات، والفكرة الجوهرية عند ماركس هي أن كل

أي ماهو خارج عن كل انسحاب الخاص بالكائن، من المثل أو الكينونة تسمح بالمرور إلى الكائن، تفتح المثل الطريق. ويجعل النور ما كان من قبل خفيا قابلا للرؤية²². فالحقيقة تنسحب من فوق إلى تحت-من عالم. المثل إلى العالم الواقعي- فدور الإنسان يكشف المثل ويدركها.

يرى أفلاطون أن طريق بلوغ الحقيقة هو التأمل العقلي الذي يمكن الفيلسوف من تجاوز الآراء والمعتقدات السائدة، والارتقاء إلى عالم المثل من أجل إدراك الحقائق اليقينية والمطلقة وهكذا فالحواس لا تمدنا سوى بالظلال والأوهام التي هي مجرد أشباه حقائق، أو آراء ظنية صادرة عن عامة الشعب، بينما تُعد الفلسفة هي العلم الموضوعي بالحقيقة، وهي تعتمد على الجدل الصاعد كمنهج تأملي يتعارض تماما مع الآراء الظنية السائدة: فلا إدراك الحقيقة من طرف الفيلسوف يقتضي منه بالضرورة تجاوز الآراء السائدة لدى الناس، عن طريق التأمل العقلي وهذا ببلوغ الحقيقة الموجودة في عالم المثل والتي تشكل قطيعة مع الآراء السائدة والتي تظل مجرد أوهام أو أشباه حقائق². وهذا يوحي إلى صلة المثل بصله الحقيقة فبالتمييز الأنطولوجي لأفلاطون بين عالمين فالأول عالم المحسوسات و/عالم المثل فالأول زائف ومحسوس، متغير، موجوداته ظلال وأشباح لما هو موجود في عالم المثل، وهذا الأخير معقول ثابت وكامل، يحوي النماذج العليا لكل الموجودات، وتتلخص العلاقة بينهما علاقة خيال أوشبح بالحقيقة، وهذه الأخيرة تتميز بالمطلقية يجسدها عالم المثل من خلال الجدل الصاعد أي الانتقال من المحسوس إلى المجرد، وهذا الترتاب بين الحقيقي و/الزائف يوضح ضرورة المفاضلة بين التصورات العامة والتصورات الفلسفية - الحقيقية- كونها مؤسسة على منهج عقلي يوصلنا إلى التمييز والكشف عن الزيف أو اللا حقيقة. ونفهم من تصور أفلاطون أن الحقيقة مرتبطة بالعقل لا بالواقع يرصدها الإنسان بالنظر خارج الكهف والابتعاد عن الظلال أي بالسمو والتعالي.

2.2: الحقيقة عند كارل ماركس

إن الانتقال إلى الفلسفة الحديثة دون ذكر الأب الروحي روني ديكارت ضرورة منهجية-غير أن هناك بعض

بشكل نهائي فلا تحمل الشخصية هنا إلا ما هو مثالي ، بعيد كل البعد عن اللذة ¹²

وهذه العملية التحليلية للقوى النفسية توضح التكوين المتداخل للنفس البشرية كما أنه يكشف خفايا وأسرار حقيقة السلوكات والأخلاق التي يمارسها الفرد وبالتالي تتحكم في حقيقة وجوده مما لا شك فيه. فحقيقة الإنسان هي كونه ميدان المعركة التي تتلاقى فيها قوتان تتساويان في القدرات ، الدافع إلى الحياة والدافع إلى الموت.¹³ ومن هنا نجد أن فرويد شك في قيمة الحقيقة وقام بتقويض مقولة الحقيقة في الخطاب الغربي ، ونقلها إلى اللاوعي وهناك مفاهيم زائفة للحقيقة لا مطلقة حيث يرى أن الناس عامة لا يعرفون عطش الحقيقة وإنما كلهم يطلبون الأوهام.

كان هذا تصور فرويد الذي نقل الحقيقة من عالم المثل عند افلاطون ورفض التصور الهادي عند ماركس ونسبها إلى اللاوعي والنفس البشرية .

2.4: الحقيقة عند فريديك نيتشه

كان القرن الثامن عشر العقد الزمني للتفاؤل والتقدم والتطور ، ومنذ تلك الحقبة ذاتها تمكن نيتشه من اكتشاف مروع وهو أعظم حدث في الأزمنة الحديثة وهو أن الله قد مات ، وأن ذلك الإيمان بالله المسيحي صار لا قيمة له ، بدأ يلقي بطلاله في أوروبا.¹⁴ وعاد فيلسوف العدمية الى هذه المطرقة لوصوله إلى نتيجة العدمية في أوروبا التي تغذت على أخلاق العبيد لصالح السادة ففضى على التصور العدمي الذي يقضي على فاعلية الإنسان . ولعل هذا أول تمويه بعدم الميتافيزيقا في الخطاب الفلسفي الغربي ، وارتجاج المقولات التقليدية وتموقع العدمية في الحياة الأوربية ، وبالتالي الثورة ضد المفهوم الكلاسيكي للحقيقة باعتبارها مفهوما مطلقا ، وصعوبة موضوع الحقيقة تزداد بصفة خاصة مع نيتشه الذي أنجز فلسفة المختصرات وعرضها في صيغة جديدة في التفكير والنقد.¹⁵

ووظف نيتشه فكرة موت الإله من أجل البعث الجديد للإنسان فالميتافيزيقا أفرغت هذا الأخير من محتواه فتخلي عن إنسانيته وأصبح مستغلا تحت غطاء الخطابات الميتافيزيقية.

مضمون الوعي الإنساني يحدد المجتمع ، وهذا الوعي يتعدل ، ويتغير ، ويتنوع ، بحسب التطور الاقتصادي.⁸ وهنا يتجلى مفهوم الحقيقة في المادية الماركسية باعتبار أن المادة هي كل الوجود ، وأن كل ما هو عقلي يتطور بحسب ما هو مادي ولا بد أن يفسر العكس على أساس طبيعي. وهنا نجد النقلة النوعية لمعنى الحقيقة من النموذج الأفلاطوني إلى النموذج الماركسي.

2.3 الحقيقة عند سيغموند فرويد: (Sigmund

(Freud)

يمثل البحث في البنية النفسية للإنسان الموضوع الأكثر أهمية في التحليل النفسي والذي قام فرويد باعتباره مصدر الحقيقة الإنسانية.⁹

حيث سعى جاهدا من أجل الكشف عن الجانب الخفي اللاشعوري في الفرد لما له من تأثير على سلوكاته وحياته السوية ، أو المرضية لهذا فقد بحث فرويد في الدوافع الداخلية والقوة المحركة في الإنسان الكامنة خلف أفعال الفرد ، كما بحث عن سبب ظهور النزاعات والصراعات الداخلية في النفس البشرية ، فكانت القضايا التي أثارت اهتمامه هي تتعلق بتأثير الوجود البشري ، وضمن تحليلاته النفسية توصل إلى أن هناك ثلاث أنظمة للبنية النفسية للإنسان ، وهي: الهو (Le Ça) والأنا (Le Moi) والأنا الأعلى (Le Surmoi). والتي تمثل المنطلق لفهم كيفية تكون الشخصية. وتقع هذه الأنظمة موقع ترابط وتتابع فالهو هو الجانب اللاشعوري ومضمون كل ما هو موروث ، كل أنا يظهر عند الميلاد ، فهو يتألف أو وقبل كل شيء من الميول الغريزية التي تصدر عن التنظيم الجسدي.¹⁰

أما الأنا فهو شخصية المرء المعتدلة ، فلا يميل فيها الفرد إلى الهو ، أو إلى الأنا الأعلى ميلا كاملا ، وإنما يقف وسط بينهما ، حيث تخضع الشخصية لضوابط أخرى خاصة الاجتماعية... فالفرد هنا ليس منفصلا انفصالا تاما عن الهو بل هناك جزء سفلي.¹¹

أما الأنا الأعلى يتجاوز ذلك كله ليمثل صورة الشخصية الأكثر تحفظا وانضباطا بالقيم الأخلاقية والقوانين الخاصة بالمجتمع ، وإقصاء الجانب الشهواني الغرائزي

الصدفة.²² ومنه نجد أن موجه الحياة هو الصدفة فلا غاية تحكم هذا العالم ولا يمكننا أن نعيش في هذه الحياة ولا الإطمئنان لها.

ونلمس هنا اعتقاد نيتشه الذي ربط بين المعرفة والمصلحة، ففي لحظة إنكارنا للإيمان المقدس فإن مسألة جديدة تنشأ إذا ستوضع قيمة الحقيقة بشكل مؤقت موضع الشك، فبعض التأويلات تخدم الحياة، فهي نافعة للحياة ولتأكيد الحياة. فقد شَخَّصَ الحقيقة هنا باعتبارها نافعة، وهنا يُعرِّفها نيتشه باعتبارها نوعاً من الخطأ، لا يمكن لنوع معين من أنواع الحياة أن يعيش دونها، فقيمة الحياة هي القول الفصل في نهاية المطاف.²³

وتتأكد الصفة النسبية للنافع الحقيقي باعتباره مفهوماً رجراجاً يختلف من فرد لآخر عند نيتشه، فهو لا يريد الحقيقة لذاتها بقدر الطمع في عواقبها الممتعة والنافعة.

5.2: الحقيقة عند غادامار

نحن مدينون لجورج هانز غادامار بهذا التكامل العظيم الذي أنجزه في فن التأويل، ذلك الفن الذي أشاع الحياة في الجدل الفلسفي في الوقت الحاضر، والذي ترك أثراً ملموساً في كثير من الميادين خارج ميدان الفلسفة، كالأدب والفن والتاريخ، فكتابه العمدة الحقيقة والمنهج (Vérité et Méthode) يقيم بناءً أساساً على استبصارات أستاذه هيدغر الأخيرة.²⁴

ومشكلة التأويل في نظر غادامار ومن ثم مشكلة الفهم بصفة عامة لا تكفي باستقصاء علاقات الإنسان بالعالم والأشياء على أهمية هذه العلاقات، وإنما يعمل على بلوغ الخصوصية والاستقلالية داخل المنهج العلمي الذي يجعله تجلياً من تجلياته المتعددة، ومن هنا إذا كان التأويل من جهة دعوة إلى الحوار والتفاعل مع العلوم الانسانية والعلوم العامة، فإنه من جهة أخرى دعوة إلى مقاومة الانحلال والدوبان في هذه العلوم كما هو الشأن عند بعض المغالين في التشبث بالنزعة المنهجية للعلم، والعمل على جعلها مقياس المعرفة الأوحد، وما كتاب الحقيقة والمنهج إلا دعوة ملحة لهذه المقاومة من الداخل، ذلك بتجديد معنى الحقيقة ومعنى المنهج في آن واحد.²⁵ ونفهم من هذا أن مفهوم الحقيقة عنده لا يرتبط بالضرورة بمفهوم المنهج باعتباره

ويمكن الاطلاع على موقف نيتشه العام في واحد من أكثر كتبه "هذا الإنسان" حديثاً عن الحقيقة فقد قال: "قلمي كان كل شيء مقلوب رأساً على عقب... تعني كلمة أصنام على الغلاف. ما كان سمي حقيقة وتدل عبارة توراى الأصنام في ترجمتها على أنه قريب ستزول حقائق الماضي... أنا أول من يمتلك مقياس الحقائق. وأول من يقدر على الاقرار أنها كذلك".¹⁶ وهنا تظهر لنا ثورة نيتشه ورفضه لمقولات المثالية التي صورت لنا الحقيقة، فاعتبرتها وهماً وأصناماً لا بد لنا من تحطيمها والثورة عليها.

وهو نفسه يعترف أن فلسفته لا تؤلف نسفاً أو نظاماً أو منهجاً، ويشرح السبب ويغبط له ويصرح في كتابه "أقول الأصنام" بأنه "محاط من صانعي الأنظمة واتخاذ شكلهم، لأن إرادة النسق افتقار للأمانة".¹⁷

أخيراً فموقف نيتشه ليس نسقي كسابقه، وإنما كتابة شذرية (Aphorisme) (أو شذرات متفرقة، تعكس لنا عدم اقتناعه بالأسس الأكثر بروزاً للخطاب الميتافيزيقي حول الحقيقة، وهدمه لمركزات هذا الخطاب، وبتجلى هذا في قوله: "إن الحقيقة طرحت دائماً بوصفها كنها وإلها، ونصاً ربيعاً".¹⁸ فالعدمية نظرة تحرر العالم من الوهم، ففكرة موت الإله توقف فيها جديداً للعالم لا بداية له، ولا هدف، لذا إذا مات الله فإن أساس الأخلاق والحقيقة يتداعى، فلا شيء حقيقي ولا شيء جائز.¹⁹

فالإدراك الغربي ناف للحياة ويظهر هذا في المسيحية و الميتافيزيقا الغربية، ففهم ما هو حسي وأرضي في ضوء أفكاراً في ضوء الله. وفي ضوء عالم سماوي أصلي وحقيقي. فما هو أرضي جرد قيمته بوصفه غير حقيقي أو مزيف وتركيز نيتشه كان موجهاً بقلب هذه النظرة رأساً على عقب.²⁰

يتجاهل نيتشه المطلق، ويرجع بالحقيقة إلى مجراها الطبيعي أي الصيرورة وذلك لارتباطها بالحياة، فالحقيقة كـ "ماهية أو جوهر" تنسب إلى شروط الحياة؛ أي تبدو براغماتية فماهيتها في تصورها، وبالتالي فممارستها مستغلة ومستمرة، انطلاقاً من الحياة التي تقودها وتوجهها.²¹ وهذا يفسر علاقة الحقيقة بالحياة، من حيث إنها تعبر عن الصيرورة أو النهر الذي ينقطع، فكل شيء ينزلق ويمضي ويغيب باستمرار، والقانون الذي يحكمها هو قانون

لقد وضع رورتي نفسه في وعي تام ضمن مجموعة معينة من الأفكار الأمريكية التي يعود تاريخها إلى المفردات الشعرية لـ رالف والدو إمرسون (Ralph Waldo Emerson) ووالث وبيتمان (Walt Whitman) وكذلك البراغماتية الفلسفية لكل من ويليام جيمس (William James) وجون ديوي (John Dewey). هذا النسب العملي الواقعي الذي تبناه رورتي محاولاً بذلك مواصلة السير في هذا النهج (رورتي هو أيضاً وريث كانط وهيغل ونيشيه). ويندرج عمل رورتي ضد المفاهيم المطلقة للحقيقة، حيث عبّر عن موقفه المعادي للابستيمولوجيا والمضاد للميتافيزيقا وهو ما يشار إليه بشكل عام باسم معاداة الأفلاطونية القوية. قد يمثل هذا الجانب الأقل إثارة للاهتمام في مشروعه الفلسفي العام، على الرغم من أنه عنصر ضروري وهام في عمله، فهو يمثل النقد السلبي الذي يحتاج لطرحة من أجل تهديد الأرضية لآفاقه الطوباوية الأكثر تفاؤلاً، والشعرية أيضاً حول الحقيقة، في الوقت نفسه، من وجهة نظر براغماتية تهاماً، أصبح هذا النقد السلبي عنصراً ضرورياً وحتى أساسياً في كثير من أعماله. وعندما يقرأ المرء رورتي على الرغم من انتماءاته الأدبية المعلنة، هناك دائماً شعور (على الأقل) بأن الفيلسوف يقرأ الفلسفة، باعتبارها مؤسسة كبيرة قائمة على الانضباط، لا يتم التحايل عليها بسهولة إذا كان لديك ما تقوله حول الأمور الفلسفية التقليدية، سواء أكانت جيدة أم سيئة. لهذا لا يجب أن نقلل من مقدار الدقة (واللعب) حول الطريقة التي يستخدم بها رورتي المفاهيم والمصطلحات، للتعبير عن مواقفه والردّ على خصومه، فرورتي يكافح لاستبدال رؤية الحقيقة السابقة برؤية جديدة، يجدها أكثر إثارة للاهتمام والتي تُفضي في الأخير إلى التغيير الاجتماعي.

إنّ إستراتيجية رورتي في مهاجمته للرؤى التقليدية القديمة التي عفا عليها الزمن للحقيقة كانت أساساً بغية تفكيك الثنائيات المرتبطة بهذه الفكرة. لهذا فنحن بحاجة إلى أن نضع في اعتبارنا أن رورتي يستخدم نموذجاً خاصاً جداً من التفكيك (مأخوذ من أفضل جزء من تفكير دريدا) ليس كطريقة منهجية معينة ولكن فقط بشكل مؤقت. فرورتي ينتقد هذه الثنائيات (الواقع / المظهر الذات / الموضوع، العالم / اللغة، الوجود / العدم، الحرفي / المجازي، المنطقي / الخطابي)، التي غذت بشكل فعال التقليد

وسيلة للتنقيب والكشف على ما هو حقيقي وصحيح، فهو قد سعى إلى فك الارتباط التعسفي الحاصل بينهما. وفي الحقيقة فالعلوم الإنسانية تعتمد أكثر على الذوق المكتسب ضمن إطار التراث أكثر من اعتمادها على مراقبة وملاحظات المنهج، ومن " المؤكد أن العلوم الإنسانية تتقدم بطريقة مختلفة جداً. بل هي شيء مثل الذوق والبراعة أو الحساسية النفسانية التي تسمح لها بتحقيق معارفها." ²⁶ وبهذا يكون نمط المعرفة في العلوم الإنسانية يتوقف على الحس المشترك الذي يغذي ارتباطاً وثيقاً بالحقائق الأخلاقية والسياسية والتاريخية. لهذا يجب علينا —حسب غادامار أن نؤسس العلوم الإنسانية على هذا النوع من المعرفة التاريخية، والتأويلية، وذلك ففيها " يتصل بموضوعها، يحدد الحس المشترك قطعاً الوجود الأخلاقي والتاريخي للبشرية كما يتجلى [هذا الوجود] في كلماتنا وأعمالنا." ²⁷

فبرجعنا إلى كتاب الحقيقة والمنهج لغادامار نجد أنه خصص باباً بعنوان سؤال الحقيقة في تجربة الفن، وهذا ما يحيل إلى ارتباط الحقيقة بالعلوم الإنسانية على غرار العلوم الطبيعية، التي أوهمتنا سابقاً بقبضها على الحقيقة والصدق، ولا يتم هذا إلا من خلال المهمة الجديدة، وهي التأويل.

وأهمية التأويل الفلسفي في قراءة التراث الإنساني في كل جوانبه الأدبية، والفنية، والفلسفية والروحية، أي فهم محتويات النظرية ومضامين الرمزية. وينفتح التأويل على الفهم، فهو يستعمل إذن آليات ومفاتيح لغوية ورمزية و ابستيمولوجية في ادراك حقائق هذه الأجزاء والمكونات في سبيل فهم التراث برمته ²⁸. ومفتاح التأويل إذن هو اللغة وعليه يمكن أن نلخص مفهوم الحقيقة عند غادامار في ثلاث مراتب، وكل هذه الحقائق يتم كشفها عن طريق التأويل:

• اللغة Langue

• الفن Art

• التاريخ Histoire

ثالثاً: الحقيقة براغماتياً عند ريتشارد رورتي.

3. 1: نقد ريتشارد رورتي: Ritchad Rorty (1931-2007) للنظرة الحديثة حول الحقيقة:

أم لاهوتياً أم غير هذه، يجسّد معايير تمت الموافقة عليها بغية الوصول إلى اتفاق. أما الخطاب غير العادي، فهو أي خطاب يفتر لمثل هذه المعايير.²⁹

يقدم ريتشارد رورتي في كتابه العمدة "الفلسفة ومرآة الطبيعة" (Philosophy and the Mirror of Nature) (1979)، انتقادات حادة للفلسفة الحديثة التي اهتمت بمحاولة اكتشاف الحقيقة حول الأشياء "الفلسفة التقليدية هي اعتبار العقل كمرآة كبيرة تشتمل على أشكال تمثيل مختلفة، بعضها دقيق وبعضها ليس دقيقاً، يمكن درسها بمنهج غير تجريبية حسيّة (nonempirical).³⁰ وفي القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث أصبحت الفلسفة أكثر صرامة وعلمية، فقد فقدت مكانتها كمدرس أخلاقي، وأصبحت علاقتها جدٌ محدودة مع فروع الثقافة المختلفة: "وقد استهجنّت محاولة الفلاسفة التحليليين والفنومينولوجيين لتأسيس هذا ونقد ذلك من قِبَل أولئك الذين تمّ تأسيس نشاطاتهم أو نقدها، فالفلسفة ككل صارت موضع استهجان ولا مبالاة ممّن أراد أيديولوجيا أو صورة عن الذات".³¹

على ضوء هذه الخلفية، حاول مجموعة من المفكرين المختلفين على ما يبدو التحرر من السعي الفلسفي التقليدي المتمثل في البحث عن أسس تستند إلى نظرية تمثيلية للعقل. وبدلاً من ذلك، حذر هؤلاء المفكرون - وعلى رأسهم فيتجنشتاين وهايدجر ودوي - من إغراءات تصور الفلسفة بطريقة تقليدية. إن الأعمال اللاحقة لكل من هؤلاء المفكرين هي "شفائية ولم تكن إنشائية، وتهذيبية لا منسّقة، ومصمّمة لجعل القارئ يسائل دوافعه الخاصة للتفلسف وليس لتزويده ببرنامج فلسفي جديد".³² لقد تخلى هؤلاء المفكرون عن المحاولات التقليدية لتأسيس المعرفة، ووضعوا جانباً نظرية المعرفة والميتافيزيقا باعتبارهما كتخصصات ممكنة. لقد انتهى الأمر بمفكرين إنشائيين ومنهجين مثل كانط، الذي "لم يتخذ هذا التحول البراغماتي، فقد تحدّث عن أشكال التمثيل الداخلية وليس عن الجمل. وفي الوقت نفسه قدّم لنا تاريخ الموضوع، وثبت إشكاليته، وجعله مهنيّاً" قدم لنا في وقت واحد تاريخاً من موضوعنا، وحدد إشكالاته وأضفى عليه طابعاً احترافياً.³³

الفلسفي الغربي من خلال بنيته المعرفية المُسيجة بالميتافيزيقيا. ويشكل تفكيك هذه الثنائيات والتي تُعدّ قديمة في كل مرة تجاوزاً لها، وذلك لصالح مفهوم جديد، أو ثنائية جديدة، أو كليهما معاً. حيث استبدل رورتي ثنائية الموضوعية /الذاتية بمفهوم البينذاتية أو التذوات وثنائية النسبية /المطلقة بالعرقية المفترضة؛ إضافة إلى ثنائية الطبيعة /الاتفاق، بثنائية بين الكلام العادي / والكلام غير الطبيعي، ومفاهيم إعادة الوصف المجازي، وثنائية المظهر- الواقعية بواسطة ثنائية بين الكلام الأكثر فائدة والكلام الأقل فائدة ومفهوم البراغماتية بالنسبة لكل علاقة ثنائية مذكورة أعلاه، يريدها رورتي أن نكون على دراية بأن التقليد قد ميز التسلسل الهرمي للمفاهيم السابقة في كل مجموعة، وأنه في هذه الفترة التي تسمى ما بعد الحداثة، لا توجد أسباب وجيهة للقيام بذلك. فرورتي يهرب من التورط المنهجي للتفكيك الذي يؤكد أنه حتى دريدا كان عرضة له، من خلال إضفاء الطابع التاريخي على كامل اللعبة الفلسفية التي تمنح الماضي الهرمي للمشاريع الإبيستمولوجية والميتافيزيقية السردية، بدلاً من الوضع الموضوعي.

إنّ العملية التي تعرّف بها الإنسان على الكون هي من وجهة نظر واحدة معقدة للغاية. يمكننا أن نلاحظ تقدماً أحادي الاتجاه. في البداية يبدو الكون مليئاً بالإرادة والذكاء والحياة والصفات الإيجابية؛ كل شجرة حورية وكل كوكب إله. الرجل نفسه يشبه الآلهة. لكن تقدم المعرفة أفرغ تدريجياً هذا الكون الغني والناعم: أولاً من آلهة، ثم من ألوانه، ورائحته، وأصواته، وأخيراً صلابته نفسه كما كان يتخيل الصلابة في الأصل. نظراً لأن هذه العناصر مأخوذة من العالم، تمّ نقلها إلى جانب الاعتقاد الشخصي: يتم تصنيفها على أنها أحاسيس أو فكر أو صور أو عواطف. يصبح الموضوع متضحاً، على حساب الذات. لكن المسألة لا تتوقف هنا فقط، فبنفس الطريقة التي أفرغ العالم من دلالاته، الآن نشعر في تفريغ أنفسنا. وفقاً لرورتي، فإن فكرة الطبيعة تلحق أضراراً مثل مفهوم الموضوعية وفكرة المطلق، فهو يعطي انطباعاً بأنه من أجل الحكم على رؤية جديدة للأشياء، يجب على المرء محاولة معرفة ما إذا كان يدمر الاتفاقيات المشوهة "الخطاب العادي (وهو تعميم كَوْن للعلم العادي) وهو أي خطاب، سواء أكام علمياً أم سياسياً

والدين ، ساعياً بذلك إلى تهديم العرش الذي يجلس عليه الفلاسفة المضللون بينما يتظاهرون بتوزيع المراسيم والأحكام حول ما هو "حقيقي" ، "ما هو صحيح" ، مع التظاهر بالتفكير في ما هو "حقيقي" ، وأداة تفكيكه الرئيسية هي التاريخية: فهو يسعى إلى سرد التاريخ حول كيف أتت الفلاسفة بطريق الخطأ إلى الاعتقاد بأنهم خبراء في "المعرفة" "إنها الصور ، وليس القضايا المنطقية (propositions) ، والاستعارات وليس الجمل الخبرية (statements) ، التي تحدّد معظم معتقداتنا الفلسفية. والصورة التي سجت الفلسفة التقليدية هي اعتبار العقل كمرآة كبيرة تشتمل على أشكال تمثيل مختلفة ، بعضها دقيق وبعضها ليس دقيقاً ، يمكن درسها بمناهج غير تجريبية حسية وبغير مفهوم العقل الذي يعتبره مرآة ، لم يكن ممكنًا أن يقدم مفهوم المعرفة المفيد بأنها دقة التمثيل نفسه.³⁷

نظراً إلى الفلسفة على أنها محادثة من خلال طرق الحوار المثمرة ، يبدو أن رورتي عالق في حالة من عدم اليقين ، غير راغب في متابعة أو الالتزام بأي خط لحوار معين خوفاً من إغلاق نفسه في خطابات بديلة. لقد التزم بعدم الالتزام ، أو "قرر عدم اتخاذ قرار". ومثل هذا الالتزام أو هذا القرار ليس محايداً بأي حال من الأحوال ، لأنه يحاول تطبيق بمقتضى أخلاقي مفردات جديدة تنظر إلى الفلسفة على أنها محادثة بين المتكلمين ، مع مجموعه كاملة من الالتزامات والتبعات المتضمنة. وهكذا ، فإن البديل الرورتي ، مثل البدائل التي ينتقدها ، يلعب دور "المشرف الثقافي الذي يعرف الأرضية لكل إنسان ، مثل الملك الفيلسوف الأفلاطوني الذي يعرف ما يفعله البشر الآخرون كلهم ، سواء أعرّفوا "هم" بذلك أم لم يعرفوا ، لأنه يعرف السياق الأخير ... الذي فيه يعلمون.³⁸

مع تزايد اهتمام الفلاسفة بالحكم على قيم الحقيقة والمنطق وتماسك العلاقة مع العلماء ، أصبحت نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) بالنسبة إليهم ملكة العلوم الحاكمة ، خلفاً لللاهوت. وتم ترجمة البحث التقليدي عن الحقيقة الأبدية التي تركز على الإنسان الفائق إلى البحث عن "تمثيلات دقيقة" و "الانعكاس العقلي" للعالم كما يدرسه العلماء ، مستندين في ذلك على أساس التجربة "وبغير هذا المفهوم الأخير ، لا يكون معنى لإستراتيجية ديكارت وكنت

لا يهتم فلاسفة التنوير بمثل هذه الأمور: إن مشروع الفلسفة التنويرية ليس البحث "عن البنية الثابتة التي يجب أن تحتوي في داخلها المعرفة ، والحياة ، والثقافة".³⁴ لا يوجد افتراض مسبق لـ "مصفوفة نسقية تربط بين المتكلمين ، ... [لا] أمل في اكتشاف أرضية مشتركة قائمة سابقاً ... [لا] مجموعة خاصة من المفردات يجب صياغة كل الاسهامات في المحادثة بها".³⁵ تندرج مطالب الفلسفة التقليدية هذه في "فكرة أن النشاط الإنساني ، أي البحث عن المعرفة ، يحصل ضمن إطار يمكن عزله قبل الوصول إلى نتيجة البحث".³⁶

إن رورتي يريد منا إعادة النظر في التوقعات النظرية لدينا ، الأمر الذي يُفضي إلى ضرورة التخلي عن سراب المطلق ، والتخلي عن المثل الأعلى للاتفاق الشامل ، ولكن دون بقدر ما خلص إلى أن جميع وجهات النظر يجب النظر فيها على قدم المساواة. بدلا من ذلك ، يمكن للمرء أن يستنتج أن الفرد كعضو في المجتمع لديه تفضيلات مشروعة ، والتي لا تأخذ مشروعيّتها إلا من خلال الاعتماد (بشكل دائري) على السياق الاجتماعي.

وقد إنصب تركيز نقد رورتي على الجانب التحليلي للنزعة العلمية ، في محاولتها لتحويل الفلسفة إلى بيانات محكمة الصياغة حول الواقع الخارجي. ومن وجهة نظر رورتي ، ما يمكن للفلاسفة فعله حقاً هو الوصف ؛ أين تخضع جميع الأوصاف للتأويل ، ويتم هذا التأويل داخل المجتمعات اللغوية. ومن ثم تكون الأحكام حول ما هو حقيقي وصحيح مشروطة من قبل المتحدثين ، وليس عن طريق مرجع موضوعي خارجي للمحادثة. فالحقيقة و/الواقع وكل هذه المساهمات لها معنى ، بحكم الإجماع الحالي لمستخدمي تلك المصطلحات. في الواقع ، فإن ما يشكل "الشيء" الذي قد يكون شيء ما أو موضوعاً محدداً ، على وجه الخصوص - هو نتاج عمليات تاريخية وذاتية ، أي هو نظرية محملة بالتقاليد التاريخية. بالنسبة لرورتي ، لا مفر من الدائرة التاريخية التأويلية ، وهذه الدائرة لا يمكننا أن نخلص أنفسنا منها ، وفقاً له ، فإن معظم الفلاسفة توصلوا إلى الفلسفة كمناقشة للمشاكل الأبدية الدائمة. على هذا النحو ، فإن سعيه يكمن في اكتشاف أسس المعرفة والتي سوف تسمح للفلسفة بالفصل في مزاعم العلم والأخلاق والفن

الاجتماعية والعملية المختلفة، وتنفي إمكان قيام تصور كلي وشامل عن الحقيقة أو الواقع، وتغير رد فعل نقدي للفلسفة التقليدية والفلسفة التحليلية، ولما كانت هذه الفلسفة تعتمد أساساً على آراء جون ديوي وفيتجنشتين (L. Wittgenstein) (وكواين (W. V. O. Quine)، فإن رورتي في كتابه "الفلسفة و المرأة الطبيعة" قد بدأ طريق العودة إلى الفلسفة البراغمية.⁴³

ولهذا يمكن اعتبار رورتي حلقة وصل بين الفلسفة الأوروبية والفلسفة الأمريكية، وبهذا التطعيم لفلسفته يحاول أن يطرح مسائل ضمن واقعه الفكري الأمريكي⁴⁴، فلم يكتف بنقد التصورات السابقة حول الحقيقة والواقع ومفاهيم الصدق والخطأ في المعرفة العلمية، وإنما طال نقده أيضاً للفلسفة في حد ذاتها.⁴⁵

إضافة إلى رورتي نفسه نجد كل من كواين وغودمان (Goodman) (J. Bentham) وديفيدسون (Davidson)، والتمييز الذي يدعونا إليه رورتي بين البراغمية والبراغماتية الجديدة هو المنعطف اللغوي الذي اتجه إليه الفلاسفة، في الوقت الذي هجروا فيه موضوعاً أساسياً، و عليه يعد الوجه الأبرز والمحرك القوي في العودة إلى البراغمية في وجهها الجديد في اكتساح الفضاء الثقافي والأكاديمي الأمريكي ليصبح معلماً فكرياً جلياً في الثقافة الأمريكية المعاصرة ولا تزال اليوم كذلك.⁴⁶ وقد وجد رورتي أن البراغمية هي الفلسفة التي تعبر فيها الثقافة الأمريكية عن صورتها الحقيقة.

خطاب ريتشارد رورتي حول الحقيقة بالكاد يتجنب الجدل. علاوة على ذلك، إنه مدرك تمام الإدراك هذا الأمر، كما يتضح من حقيقة أنه يفتح مقدمة "الحقيقة والتقدم" (Truth and Progress) (1998) مع اقتباس "لا توجد حقائق"⁴⁷. ومع ذلك، وكما يحدد باقي هذا النص، فإنه ليس هو من يدعي أن مثل هذا الاقتباس صحيحاً، بل إنه يحدث غالباً أن ينسب كثيرون هذا النوع من الطرح إلى فلاسفة مثله⁴⁸. لهذا فليس من اليسير البتة حصر موقف ريتشارد رورتي من الحقيقة والتعرف على مضامينه، والسبب لا يرجع فقط إلى الدارس لطروحات الفيلسوف الذي يجد نفسه في ميدان فلسفي مغاير لها ألفه، ويجد أن أساليب الحجاج

المشتركة، وهي الحصول على أشكال تمثيل أكثر دقة، بفحص المرأة وترميمها وصلها. وبغير هذه الإستراتيجية في العقل، لا يكون معنى للآراء الحديثة عن أن الفلسفة يمكن أن تتألف من تحليل للتصورات أو تحليل للظواهر أو شرح للمعاني أو فحص لمنطق لغتنا أو لبنية النشاط التكويني للوعي.³⁹

إنّ الفلاسفة المعاصرين، حسب رورتي اعتقدوا بأنهم يخلصون أنفسهم من الهراء الميتافيزيقي للفلسفة الكلاسيكية والعصور الوسطى، لكن هم في الواقع يتمسكون بالمضمون، بينما يرفضون أشكال الميتافيزيقا التقليدية. وحسبه فالبرنامج التجريبي - الوضعي، وكذلك نقاده التحليليين، لا يزالون غير بعيدين عن الميتافيزيقية، ولا يزالون يؤمنون بالعقل كمرآة، "الجوهر الزجاجي" الذي يمكن أن يعكس الواقع الموضوعي: "وما همّ الفلسفة إلا أن تكون نظرية تمثيلية عامة، أي نظرية تقسيم الثقافة إلى مناطق تمثّل الواقع خير تمثيل، وأخرى تمثل الواقع تمثيلاً دون الجودة القصوى، وأخرى لا تمثل الواقع إطلاقاً، بالرغم من تظاهرها بخلاف ذلك".⁴⁰

3. 2: مفهوم الحقيقة عند رورتي

نقول البراغمية الجديدة أو النيوبراغمية، ويرتبط اسمها دائماً بالفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي، الذي رغم أنه جاء بتصور جديد لثقافة ما بعد الفلسفة، حيث اهتم بمشكلات العقل وماهية الإنسان ونقد مبادئ نظرية المعرفة التقليدية.⁴¹

فالبراغماتية الجديدة أو المحدثّة (New Pragmatisme) أو (Neo Pragmatism) هي التسمية التي تطلق على تيار فلسفي، بدأ في الظهور مع بدايات الستينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك تزامناً مع أفول نجم الفلسفات التي عرفت رواجاً واسعاً في الأوساط الفكرية الأمريكية قرابة عشرين سنة وبالأخص الفلسفات التحليلية (Philosophie Analytique) كذلك البنوية (Structuralisme)، التي حملتها معها العقول المهاجرة إلى أمريكا، فازدهرت هناك وشكلت حركة واسعة داخل المجال الأكاديمي وخارجه.⁴² وهي حركة فلسفية حديثة تعتنق بشكل جذري أشكال التداخل والتفاعل بين السياقات

ويشدد البراغماتي على الوظيفة النقدية للحقيقة واتخاذها شكل شكل فقرة أونحو يتجدد على الدوام من هنا الى هناك.⁵²

و لهذا يرى رورتي أن النظر إلى مفهوم الحقيقة كشيء موضوعي إنما هو خلط بين الفرضيات التالية:

✓ معظم العالم هو ما نفكر فيه.

✓ يوجد هناك شيء في الها وراء ، بالإضافة إلى

العالم يدعى حقيقة العالم.

أن حقيقة العالم تتمثل في علاقة التطابق بين بعض العبارات والعالم ذاته. فالحقيقة تصنع ولا تكتشف وهي خاصية الكيانات اللغوية والعبارات. وعليه فمن الواجب العودة إلى القراءات التي حاولت تقديم التفسيرات وإثبات التطابق واعتبارها فاشلة، لأن الاعتماد على هذا المنطلق يؤدي بنا إلى عدم الخروج من دائرة التفكير التقليدي لأن البراغماتي يصنع الحقيقة ولا يكتشفها وهنا نرجع إلى اللغة باعتبارها اختراعاً بشرياً.

وهكذا يرى رورتي أن الحقيقة لا يمكن أن تكون ماورائية ، ولا يمكن أن توجد باستقلال عن العقل البشري. ذلك أن العبارات لا يمكن أن توجد في الما وراء ، ولذلك فاعتبار الحقيقة مثل العالم توجد في الما وراء ترجع إلى عصر كان ينظر فيه إلى العالم كمخلوق كل كائن له لغة خاصة به.⁵³ يثبت رورتي من أنه لا وجود لاختلاف براغماتي بين طبيعة الحقيقة واختبار الحقيقة ؛ أي أن ما تثبتته العبارة ليس عبارة مقارنة بالواقع. إذ لا فرق بين عبارتي: صالح لأنه صحيح و صحيح لأنه صالح.⁵⁴ فمفهوم الصحة والصالح واحد حسب توظيفه.

ولهذا فالحقيقة مهمة ليس لأنها قيّمة أو مفيدة على وجه الحصر ، رغم أنها قد تكون كذلك في بعض المناسبات ، بل لأن بطون فكرة الحقيقة ، لن نكون كائنات مفكرة كما لن نفهم ما معنى أن يكون شخصاً آخر مفكراً. فالنظريات البراغماتية أو الاستيمية من جهة أخرى ، لها فضل ربط مفهوم الحقيقة بالاهتمامات الانسانية مثل اللغة ، الاعتقاد والفكر والافعال القصدية ، وأن هذه الاقتراعات هي التي تجعل من الحقيقة مفتاحاً لكيفية فهم العقل للعالم.⁵⁵

ويتلافى رورتي مفهوم الحقيقة باعتبارها مقوله مطلقة بمعنى أن الحقيقي بالنسبة لي لا بالنسبة لك ، وحقيقي في

والتفكير الفلسفي متباينة تماماً ، وإنما كذلك لأن موقفه بالأساس شائك ومتربط ومعقد. فهو وإن استند إلى خلفية براغماتية إلا أن تأويلاته لطروحات الفلاسفة البراغماتيين أنفسهم ، أو حتى بعض الفلاسفة القاريين ، ومحاولته في التقريب بين هؤلاء وأولئك. كما أن مقارنته للتواصل بانفتاح أكثر مع الفلاسفة التحليليين والمنعرج اللغوي وكذا تحليلاته مع زملائه الأمريكيين ، أمثال كواين وآخرون. كل هذه المعالم تبين بوضوح مدى تشعب موقف رورتي فهو يقول تارة بنظرية براغماتية في الحقيقة وأخرى ينكر إمكانية وجودها ، وحيناً يربط الحقيقة بالتحقيق وحيناً آخر يرفض ارتباطها بالإثبات ، وهذا أمر قد لا يتقاسمه معه جمهور الفلاسفة الذين تعودوا على النظر إلى القول الفلسفي باعتباره قولاً برهانياً.⁴⁹

لهذا تصبح الحقيقة في براغماتية رورتي نوعاً من الإسمية ؛ أي الاسم الذي يعبر عن مسميات هي مجرد علاقات أو موافقات أو تعاققات تتقاسم كلها ما يمكن اعتباره أو إثباته كحقائق. وكما رأينا لم يكن في التراث الفلسفي الغربي سوى تعاققات أو لغات لصيقة بموطنها الجغرافي فليس هناك أي داع حسب البراغماتي الجديد أن يخلد الفيلسوف الاشكالات الفلسفية والمسائل الميتافيزيقية ، وإنما من واجبه أن يغير الأسئلة ويحول الاشكالات ويحيى عصره بلغة مغايرة وبممارسة فكرية مختلفة.⁵⁰

ونجد رورتي هنا قد سار على خط أستاذه جون ديوي ووليام جيمس حيث أسقط رورتي من حسابه مفهوم الحقيقة كتطابق مع الواقع جملة وتفصيلاً ، وحجته يقيمها ضد مفهوم التطابق سواء بين الأفكار و/الأشياء أو بين الكلمات و/الأشياء. كما أن البراغماتي ينظر إلى أن مقولة العبارات الصادقة تقيّد لأنها تتطابق مع الكيفية التي توجد عليها الأشياء و أنها صائبة لأنها تستجيب للقانون الأخلاقي باعتبارها أطراء ميتافيزيقي أجوف. ويرى رورتي أن الحديث عن بعض كلماتنا وأفكارنا باعتبارها صادقة ، أو باعتبارها تتلاءم مع الوقائع ، لا يعدو كونه مجرد إطراء نضيفه على بدعنا الفكرية التي تساعدنا على التعااطي مع العالم.⁵¹ لأن ثنائية الفكر و/ اللغة لها دور أساسي في حياة البشر لأن همّ البراغماتي هو التخلي عن الأشياء النظرية باعتبارها تمثيلات لفهوم الماصدق واقعياً.

يستعملون لغة أو خطابا معيناً ، فلا بد أن لا نعطي الأهمية للواقع على حساب الكلمات ، لأنها تحمل دلالة معينة .
على أنقاض التصور الماهوي للحقيقة وللعالم يعود رورتي إلى تجربة الذات وابداعات المجتمع بحثاً عن حقائق كامنة في الذات ، على سبيل الخلق والتوليد وليس إلتماسا لحقائق خارج الانسان وللتعبير عن لعبة الحقيقة في الجسد الفردي والاجتماعي ، يعرض رورتي مفهوم التورية والتضامن أو التهكم والتضامن والبنیان المرصوص... فكل فرد يحمل تاريخه في ذاكرته وجسده ، وتكمن أهميته وصلاحيته في المجتمع بإعادة استثمار ذاكرته والاشتغال على ذاته وجسده ، بابتكار رؤى جديدة ومتميزة و نسج علاقات متغيرة ومثمرة.⁶⁰

هكذا تبدأ فكرة رورتي في رفض مطلق الحقيقة ، لتنتهي إلى التقليل من أهمية موضوع الحقيقة أو بالأحرى الانتقال إلى اللاحقيقة ، لأنها لم تعد المسألة المهمة في الفلسفة ، وبالتالي إنكار فكرة الجوهر والماهية. لأن موقف رورتي هذا نابع من الواقع الذي وجد فيه الانسان نفسه بمحض الصدفة يمر بتجارب عبر التاريخ ، بعضها يثمر وينجح فيه بعدة حقيقة ، ومن ثم يثمنه وبعضها الآخر يفشل فيه ويتعلم منه أن الحقيقة في المعرفة خاصة تبنى وليست معطاة أي شكل من الأشكال ولهذا تشكل وفقاً لإراداته وأوضاعه ومن هنا تكون نسبية.⁶¹ فلا إتفاق بين الحقائق ولا مبرر له لأنها نتيجة توحى بالممارسات اليومية التي يقوم بها البشر لا ترتق أن نصفها وصفاً جوهرياً لأنها تؤكد سياقها الإجرائي فلو تمادينا في تأكيد تبرير الحقيقة فإننا نساب إلى المعنى التقليدي ونجر في طروحات تقليدية فقط في سياق مختلف لنخرج من باب الميتافيزيقا وندخلها مجدداً من باب آخر وهذا كان التصور البرغماتي مبرراً لوجود فصل وتمييز بين ماهو حقيقي وغير حقيقي لينقل الحقيقي إلى البنية اللغوية (structure langagière) تدخلنا إلى عالم المنطوقات لتغدو صناعة بشرية لا إختلاف بينها وبين الواقع تميز من فرد إلى آخر حسب فكرة المنفعة عنده فتتخلص من خاصية المطلقة والمثالية انتقالاً إلى الواقعية وهذا نتيجة تأثر البرغماتية مع الفلسفات التجريبية وبإمكان هذا ان يكون موضوع بحث مستقل .

ثقافتنا لا في ثقافتك ثقافتك وهذا يبرر أن شروط الحقيقة نسبية مما يحيلنا إلى فلسفة الرورتي اللا تأسيسية مهما سلمنا بمطلقة الحقيقة تظل نسبية المعيار.⁵⁶ وعليه فإن الحقيقي مصطلح مطلق لكن شروط تطبيقه نسبانية مختلفة متغيرة من تصور لآخر ومن ضوابط تصنعها لأخرى ويوحى كل هذا أن الغاية المنشودة لبناء تصور الحقيقة مهما اختلفت إلا أنها تظل منسوبة إلى واقع ميتافيزيقي وبالتالي يحيلنا كل هذا أنها ترد في سياقات متبانية وإستعمالات متعددة . وضمن تصور خاص لمسار الفكر السياسي ، وللفن الغربي عموماً يطلعنا رورتي على موقف بأن الحقيقة تصنع ، وهي فكرة براغماتية بالأساس سبق لرواد البراغماتية تبنيها فالحقيقة تصنع أكثر منها شيئاً نعثر عليه أو نكتشفه.⁵⁷ فشرط الحقيقة يبدو كامناً في استعمالنا للغة ، ومن خلال وعينا بعارضية لغتنا ، ففكرة صنع الحقيقة تتجسد من خلال عباراتنا وجملنا التي وحدها توصف أنها حقيقية أو خاطئة ، أو نحن من يتكلم وليس العالم. الحقيقة توجد هنا بعبارة رورتي وليس هناك من يفرضها على الانسان⁵⁸ فرغم ما نعتقد حول الحقيقة وشروطها إلا أننا نساهو عنها أثناء إستعمالنا اليومية للغة في المحادثات وعليه فإنه لا يمكن الحكم على مصداقيتها أو تطابقها مع العالم الخارجي بقدر ماهي وسيلة تحقق التواصل بين الناس وتضمن تحقيق المحادثة بلغة هابرماس .

وهنا نجد ربط رورتي للحقيقة مع اللغة مما يرجعنا إلى غادامار ، الذي أشار لها باعتبارها أحد المستويات التي لا بد للتأويل أن يلج إليها للكشف عنها و يقول رورتي في هذا الصدد: "لأن ليس هناك حقيقة ؛ أي بكل بساطة القول أنه من دون الجمل فلا وجود للحقيقة ، وبأن الجمل هي عناصر للغات الانسان ، وبأن ما نسميه اللغات هو ابداعات إنسانية."⁵⁹ ونفهم من هذا أن الحقيقة لصيقة بالسياق الواردة فيه بعيداً عن الموضوعية لتكون أكثر حرية فتحين مجموعة من القيم الإنسانية تخلق لنا تنوعاً وإختلافاً بين أفراد المجتمع الواحد.

فمعرفة الحقيقة مرتبطة بالرغبة كما هي في الحياة اليومية ، وليس شيئاً خفياً وعميقاً ومعرفتك للحقيقة هو معرفتك ما هو الشيء الذي يجعل اعتقادك صادقا ، فمطلب اليقين هو الاتجاه إلى الواقع و إلى الخارج بوصفنا أشخاصاً

3.3: الفلسفة والحقيقة حسب رورتي

يرى رورتي في كتابه العمدة "الفلسفة ومرآة الطبيعة" أن الفلسفة التقليدية هيمن عليها نوع من الصور التي تصور العقل كمرآة تعكس الواقع. وقد كانت إحدى نتائج هذه الفلسفة هو بناء أنظمة فلسفية مختلفة من المفترض أن تعمل كموجه لمجالات الثقافة الأخرى. وحسبه مازلنا نفترض أن هناك شيء مثل "المهمة الخاصة" للفلسفة؛ أن الفلسفة تحدد المشكلات الفلسفية التي يجب حلها مرة واحدة وإلى الأبد؛ وأن هناك "نظم منهجية" للقيام بذلك. وفقاً له، إذا كنا نريد حقاً التغلب على الفضيحة الناجمة عن "غياب منهجية نسقية في الفلسفة"، فالمطلوب هو شكل من أشكال العلاج الفلسفي، الذي سيخلصنا من الوهم والخداع الذاتي بأن الفلسفة هي: أو يمكنها أن تكون الانضباط أو النظام التأسيسي للثقافة. نحتاج إلى التخلي عن الفكرة القائلة: إن الفلسفة هي شكل من أشكال التحقق الذي يعرف شيئاً ما عن المعرفة أو اللغة أو الفكر غير المعروف لدينا، ويعترف بصراحة أن الفلسفة في أفضل حالاتها مجرد صوت آخر في المحادثة البشرية، بعد الفحص الدقيق والنقد، يجادل رورتي بأنه يجب التخلي عن الفلسفة التي تركز على نظرية التمثيل، داعياً إلى تفكيك هذه الفلسفات المنهجية، مع تقديم بديلاً من ذلك على أن الفلسفة يجب أن تهدف إلى استمرار "محادثة النوع البشري".⁶²

من خلال هذه النظرة الجديدة للحقيقة، التي تؤسس لمجتمع لم يعد المواطنون فيه يعتبرون أن تطور الفكر يتشكل من خلال استبدال مفاهيم أكثر زيفاً بمفاهيم أكثر واقعية، ولكن يتشكل بدلاً من ذلك، من خلال تطور العالم، الذي لا يتكيف فقط مع معطيات الماضي ولكن بالأحرى يتطلع إلى صناعة المستقبل ويتكيف معه.⁶³ باختصار، سيتم استبدال الهوس بالحقيقة الموضوعية برؤية أكثر تاريخية للحياة الفكرية والسياسية، وأكثر تأويلاً أيضاً⁶⁴ (بمعنى تأويل الأشياء التي لا تدعي أن هناك وجهة نظر محايدة تماماً والتي تريد أن تبقى في الخفاء وعدم اليقين). ولن ينظر بعد ذلك إلى التطور على أنه تقدم نحو تحقيق هدف ما، ولكن ببساطة كتغييرات طارئة تجري دون أي ذريعة ميتافيزيقية، مُعرباً رورتي بذلك عن أمله في أن

"ثقافتنا يجب أن تصبح ثقافةً يختفي فيها الشعور الذي يطلب التقيد والمجابهة، ولا يعود موجوداً".⁶⁵ ومن ثمّ فالتأويلية هي طريقة للتفكير التي تناسب المراحل الانتقالية لتاريخ الفكر، وهذه اللحظات من التحول النموذجي، دائماً ما تُعاد صياغة رؤى العالم وتصوراته من جديد. ومن خلال انتقاد رورتي لنظرية المعرفة، وتفضيله للتأويل، يعطي انطباًغاً واضحاً عن رغبته في مجتمع يتحول باستمرار، حيث لا تعلق البشرية مصيرها حول تأويل واحد، أين يكون أسلوب المواجهة هو الطريقة المثلى، وبالتالي نشر حرية الإنسان بشكل كامل. إن هذه الرغبة في تعميق الاحتمالات إلى ما لا نهاية واضحة للعيان في حقيقة أنه، وفقاً لها قاله أ. مالاوشوفسكي، يهدف رورتي من خلال كتاباته إلى "حثنا، عن طريق "التنوير" (مصطلح رورتي لـ "مشروع إيجاد جديد وأفضل، طرق أكثر فائدة للحدث")، وإثارة طرق استكشاف الأشياء".⁶⁶ والديمقراطية، كتجربة، تتوافق تماماً مع هذا المشروع الفكري والسياسي، والذي يمكن وصفه أيضاً، وفقاً لمعادلة السيد وليامز، بأنه برنامج "استبدال فكرة اكتشاف ما نحن أساساً ماذا نصنع من أنفسنا".⁶⁷ وفقاً لرورتي، فإن ازدواجية الموضوعية والذاتية كان لها يومها ولكنها الآن ليست إلا عقبة أمام أهدافنا الحالية، والتي تتمثل في متابعة التجربة الديمقراطية بحرية. بالتأكيد في المشهد المعاصر يحاول بعض المفكرين مثل: ت. ناجيل إعادة تحريك هذه الازدواجية بحجة عدم وجود وجهة نظر موضوعية بحتة، ووجهة نظر ذاتية بحتة؛ على العكس من ذلك، يمكن القول: بأن كل وجهة نظر أكثر موضوعية من جهة ولكنها أيضاً أكثر ذاتية من جهة أخرى. لذلك اختار رورتي أن يسلك طريق المفكرين الأكثر راديكالية الذين يعتبرون فكرة الموضوعية المكتلمة هي سراب يضر أكثر مما ينفع، وذلك راجع لسببين: أولاً: فكرة الموضوعية، مثل فكرة الحقيقة، هي فكرة مطلقة، وليس من المؤكد أو حتى من المعقول أن الإنسان قادر على الانفصال عن موضوعه وتحقيق الحيادية المثالية. ثانياً: البحث عن الموضوعية يضر بتحقيق هدف آخر أكثر أهمية لرورتي، كما يتضح من عنوان مقالته "تضامن أم موضوعية 173؟". في هذا النص، يوضح رورتي أن البحث عن الموضوعية يجعلنا ننأى بأنفسنا عن مجتمعنا الخاص، لصالح مجتمع وهمي يتجاوز مجتمعنا.⁶⁸

التهدبي أن يكون غير عادي، وأن يخرجنا من نفوسنا القديمة بقوة الغربة، ويساعدنا لنصير كائنات جديدة.⁷⁰ ولا يتمثل دور الفلسفة في تذكيرنا بالحقائق الدائمة للماضي، ولا في إنشاء منبر دائم لتقييم المطالبات المعرفية. لا يستطيع البشر أن يعرفوا بهذه الطريقة. إن الذي يعلنه النبي الفلسفي، إذن، هو التقييد الهيكلي لقدرتنا على وصف خبراتنا، بشكل موضوعي أو كلي، والحرية العميقة التي تتجم عن هذا القيد. إن توليف رورتي للنزعة البراغماتية والوجودية يقلل بشكل جذري من أدوار الفيلسوف وإمكاناته. وحسب رأيه بعد العصور الوسطى، فإن ما يسمى بالفلسفة "الحديثة" حولت مجال ما كان معروفاً من الميتافيزيقي إلى المادي - أو أي شيء آخر يمكن معرفته بطرق ماثلة للطرق التي يمكن أن يعرف بها المادي. يعتقد رورتي أنه يخترق هذا التقييد العلمي الحديث من خلال التخلص من المعايير التي تحد من المشاركة في محادثات الوصف: "إن فائدة وجهة النظر "الوجودية" تتمثل في أنها بفضل إعلانها أن لا ماهية لنا، سمحت لنا أن نرى في أوصاف نفوسنا التي تقع عليها في أحد علوم "الطبيعة" (أو في وحدتها) على مستوى الأوصاف البديلة المختلفة التي قدمها الشعراء، وكتاب القصة، والبسيكولوجيون المتعمقون، والنحاتون، والأنثربولوجيون، والصوفيون."⁷¹

خاتمة

في الأخير لا بد من الاقرار أن موضوع الحقيقة يلعب دوراً مهماً في البحث الفلسفي، ولا زال ليومنا هذا كذلك، فظل غاية البحث الفلسفي عبر التاريخ، واختلفت الآراء في صيغة ماهية الحقيقة، وأشروطها، وأغاية الوصول إليها وامتلاكها، أو الطريقة والمنهج الواجب اتباعه للوصول للحقيقي والقبض عليه، خاصة في بعده البراغماتي. لهذا فعندما نتحدث عن مفهوم البراغماتية ومفهوم الحقيقة فقد وجدنا أنفسنا أمام مفاهيم مرتحلة من فضاء تداولي إلى آخر، ومن فيلسوف إلى آخر، يطوعها الفيلسوف كيفما شاء وكيفما وافق رؤيته للوجود والحياة والكون. لهذا فقد استعمل أفلاطون الحقيقة لارضاء قوته العاقلة فكانت ذات طبيعة مثالية، وماركس وضع لها مفهوماً وفق رؤيته الاقتصادية، وأنزلها للواقع، كما أن فرويد كَتَبَها مع تصوره للتحليل النفسي و ربطها باللاشعور، كونه المحدد

إذا كنا لا نريد أن نفهم أن وظيفة الفيلسوف تكمن في تنظيف وتصحيح العدسات التي نرى من خلالها الموضوعات، فماذا يجب أن تكون وظيفته إذن؟ يقول رورتي إن الفلسفة ليست أكثر من طريقة معينة للحديث - ليس عن الواقع، ولكن عن المعتقدات حول الخبرة: "إذا فكرنا بأن المعرفة ليست امتلاكاً لماهية، وعلى العلماء أو الفلاسفة أن يصفوها، وإنما كحق من الاعتقاد، بواسطة المعايير الجارية، فإننا نكون على الطريق الصحيح لأن نرى "المحادثة" سياقاً أخيراً فيه يجب فهم المعرفة."⁶⁹ هذه الصورة الشعبية للمحادثة كأفضل ما يمكن أن تفعله الفلسفة، وهذا يكمن وراء رؤية رورتي للثقافة ما بعد الفلسفية. لا تحدث المحادثة أبداً خارج نطاق إجماع معين الذي يحظى بتوافق آراء معينة، وهي تتغير دائماً. إن موضوعات الأمل ليست اليوم، ولا ينبغي أن تكون كذلك، لأن اليوم هو ما نحتاج إلى مواجهته، ليس بالأمل أو غداً. المهمة الرئيسية التي يتحملها رورتي هي تأريخ تاريخ تغيير المواضيع والارتباك التي تنتج عندما يفشل الفلاسفة في إدراك التغييرات في المحادثة ومصطلحات المحادثة بعد وقوعها. وظيفة الفلسفة، إذن، ينبغي إعادة النظر فيها. لم يعد يجب أن يتم دفعها للبحث عن الحقائق الأبدية، أو حتى الحقائق المؤقتة.

في ثقافة ما بعد الفلسفة، قد يدفعنا بعض الأمل الآخر إلى قراءة الكتب، وإضافة مجلدات جديدة إلى تلك التي وجدناها. من المفترض أنه سيكون الأمل في تقديم أحفادنا طريقة لوصف طرق وصف واجهنا - وصف للطرق التي خرج بها السباق حتى الآن. أصبح الوصف وإعادة الوصف وسيلة للفيلسوف - وهدفاً. لكن الفيلسوف ما زال يعلم. الدور ليس حيداً كما يبدو. لا يزال هناك دور حاسم للفلسفة - لتعديل: "سأوظف تعبير "التهديب" لتمثل هذا المشروع المختص بإيجاد طرق للكلام جديدة، وأفضل، وأكثر إثارة، وأخصب. فالمسعى الهادف إلى تهذيب "أنفسنا أو الآخرين" قد يتمثل في النشاط الهيرمينوطيقي الرامي إلى صنع روابط بين ثقافتنا الخاصة وثقافة غريبة أو حقبة تاريخية، أو بين نسقنا الخاص ونسق آخر... في نشاط "شعري" الأهداف جديدة، الكلمات جديدة، أو الأنظمة المعرفية الجديدة... لأنه يُفترض في الخطاب الكلامي

هذه الأخيرة لا حقيقة. فكل هذا عبارة عن ترف فكري يناقش ويحلل مفاهيم الحقيقة وما حولها، ويقدم الجديد حيث نجد أن البراغماتية أقرت وأسست للقول الفلسفي للإختلاف في مفهوم الحقيقة، مما ينفي التعصب الذي نعاني منه اليوم نحن كمجتمعات عربية، لأننا ما زلنا نتخبط في أزمة المفهوم، والسباحة الفكرية نظريا دون الانتقال إلى مرحلة نؤسس فيها لفهم الإختلاف بلغة جاك دريدا كرحمة لا كصراع والذي يعد ثابتة من ثوابت الأمة، فالتناقض إيجابية وليس سلبية ينقلنا إلى بناء حضارة جديدة، نختلف فيها حول ماهية الحقيقي وحدوده، لبحينا إلى منافع الحقيقة والإستفادة من تعدد المشارب في بلورة فكر فلسفي يرتقي بدوره إلى الساحة العالمية اليوم، ويمهد لنقلة نوعية في الحوار الكوني من خلال التذاوت مع الآخر، وخلق طبيعة تواصل، لا صراع وتنافر معه للسعي في ما هو إنساني كوني مشترك بعيدا عن التفاوتات الإيدولوجية، التي جعلت إنسان اليوم يتخبط في الحروب والصراعات دون أي أسس قيمة حضارية. ومن أهم المشاريع الفلسفية في الساحة الفكرية العربية مشروع طه عبد الرحمن القول الفلسفي للإختلاف، وغيرها من المحاولات التي تسعى إلى: غاية أرقى تنتظر منا مجهودات جبارة في القراءة والإبداع للخروج من الأزمة. لتتخطى أزمة المفاهيم، ونؤسس لرؤى فلسفية جديدة تعالج مشاكل الإنسان المعاصر؛ نحيا فيها التصور البرغماتي للحقيقة وفق ما هو ممكن ومتاح ومنطقي، تشغل فيه الفلسفة كناظم منهجي ومعرفي يعالج داء الواقع، و تسترد فيه هذه الأخيرة مكانتها فكريا وإجتماعيا لتسترجع حضورها في المنظومات التربوية منها أو السياسية.

للقيم والوجود الإنساني، أما نيتشه نفى وجود شيء حقيقي و أعلن موتها، تماشيا مع تصوره العدمي ومزج بين المعرفة والمصلحة ولخصها في قيمة الحياة، أما غادامار فقد حاول أن يعطيها بعدا تأويلا، أي يكون المجال رحب لإنكشافها بعيدا عن صرامة المنهج العلمية، خاصة إذا تعلق الأمر بميدان العلوم الإنسانية، أين تنكشف الحقيقة كتعبير عن تناهي الوجود الإنساني. ويظهر هذا نسبية المفهوم وتغيره عبر التصورات الواردة في السابق، كما يحمل في طياته فهما لوجود ما هو براغماتي، كطريقة تماشى ورؤية كل فيلسوف بشكل غير صريح، غير أن رورتي يقدم وجهة نظر مخالفة تماما لما كان سائدا في الاعتقادات الفلسفية الكلاسيكية، فيستفيد من مقولة الحقيقة في التكيف مع الواقع، فجدد النماذج السابقة تبرر وتؤكد صيغة البراغماتية في تصور الحقيقة، رغم اختلاف المقاربات المستعملة، إضافة إلى أن أهم ما يميز رورتي نقله للحقيقة إلى ميدان اللغة وجعلها جزء لا يتجزأ منها، فأعطاه صبغة الصناعة، وبالتالي لا بد للفرد أن يصنع حقائق تلائم حاجاته الوجودية والحياتية، ويسدل الستار على التصور بماهوية الحقيقة، أو تطابقها أو مطلقيتها، من أجل التأقلم مع الوسط الاجتماعي ضمن علاقات انسانية راقية.

وهذا ما يُظهر تجلي ووضوح البعد البراغماتي للحقيقي بشكل أكثر، بإمكانها أن تنزل مكانة البحث الهائل دون جدوى عن الحقيقي أو الحقيقة أو الصحيح، ويمكن لهذا كله أن يطرح إشكال ضرورة بلورة مفهوم هذه الحقيقة في مجالات الحياة في العالم العربي اليوم، للإستفادة من هذه المفاهيم الميتافيزيقية على أرض الواقع ضف لذلك تحقيق الرواج للفكر الفلسفي، وإنزاله من برج العاجي إلى الواقع ليحمل هم إصلاح وعلاج الأزمات التي يحياها العالم العربي اليوم.

ومن الناحية النقدية فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا إذا سلمنا باعتقاد الحقيقة واقتسامها على حد قول ريتشارد رورتي في كل من التورية والتضامن، وهذا ما هو مطروح كروية علاجية في الساحة الفكرية من أجل إيجاد السبيل لذلك في مستويات عديدة سياسية، اجتماعية، أو تربوية أو فكرية، والقول بنسبية الحقيقة واختلافها من فرد لآخر يؤدي الى ضياع الحقيقة و تمييعها. فنجد أنفسنا جردنا الحقيقة من سلطتها وضعنا في غياهب ومتاهات اللاحقيقة، غير أن الإيجاب أو الشيء الإيجابي في موقف رورتي هو تطور مدلول الحقيقة عبر مراحل زمنية في العلوم، حيث أصبحت

الهوامش

1. أحمد الميناوي ، جمهورية افلاطون ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، دمشق سوريا ، 2010 ، ص 120.
2. نعيمة حاج عبد الرحمن ، رسالة دكتوراه ، مفهوم الحقيقة عند مارتين هيدغر الأليثويين هيدغر ومفهوم الحقيقة، جامعة وهران ، 2010/2009 ، ص 186.
3. عادل السكري ، نظرية المعرفة في سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، د.س.ن. ، ص 88.
4. المرجع السابق ، ص 80.
5. الديالكتيك أو الجدل Dialectique: الجدل عند الماركسيين هو التوفيق بين مثالية هيجل ، ومادية زميلهم ماركس ، لا التطور الجدلي عند هيجل هو التطور الفكرة انا عن ماركس وانجلز فهو تطور الهادة ، و يأخذ في أيامنا هذه عدة معاني: طريقة الفكر الذي يعرفه ذاته. طريقة الفكر الذي يوجد حركته إلى جهات متعارضة تؤثر فيه تأثيرا متقابلا. هو موقف الفكر الذي يقرر حكمه على الأشياء.
6. اتصاف الفكر بالحركة وميله لمجاوزة ذاته. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 394.
7. كارل ماركس ، رأس المال ، المجلد 01 ، مكتب المطبوعات ، باريس ، 1941 ، ص 29.
8. المرجع السابق ، ص 90.
9. سيفغوند فرويد ، مستقبل الوهم ، ترجمة جورج طراييشي ، ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، 1973 ، ص 50.
10. سيفغوند فرويد ، الموجز في التحليل النفسي ، ترجمة سامي محمود عبي عبد السلام القفاش ، مكتبة الاسرة ، مصر ، 2000 ، ص 26.
11. سغفوند فرويد ، الأنا والهو ، ترجمة محمد عثمان النجاتي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار الشروق ، بيروت القاهرة ، 1982 ، ص 42.
12. المرجع السابق ، ص 61.
13. إريك فروم ، الانسان من أجل ذاته ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، الطبعة الأولى ، د.د.ن. ، د.ب.ن. ، 2007 ، ص 244.
14. Friedrich Nietzsche, "Die Frochlich Wissenhaf", werk II (schlecht) P. 205, tram from german, by r.w and GS.
15. Friedrich Nietzsche, "Essai D'autocritique Et Autes Preface", Tirad par marce de lannay, Ed de seuil, 1999.NT.
- 5, P39..
16. EH. Friedrich Nietzsche" Ecce homm", Trad par Jea Claude Henry, gall.mard, imp, brodartet taupin, sar the 1990, cre puscul des idoles, II, P. 177.
17. Friedrich Nietzsche, Le Crépuscule Des Idoles, Tard Henri Albert, coll, GF, flammariion, paris, mascines et pointes, P. 34.
18. فريديك نيتشه ، أصل الاخلاق وفصلها ، ترجمة حسن قبسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات الجامعية ، بيروت ، 1981 ، البحث 03 ، الفقرة 24.
19. غنار سكيريك ونلز غيلجي ، تاريخ الفكر الفلسفي الغربي من اليونان حتى القرن العشرين ، تر حيدر حاج اسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ص 734.735.
20. المرجع السابق ، ص 736.
21. Martin Heiddgger, Nietzsche, Tome Trad P.Klosso Wski, GALLimard, Paris, 1971, P. 386-387.
22. فريديك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة فليكس فارس ، درا القلم ، بيروت ، ب.س.ن. ، قبل بزوغ الشمس.ص 200 .
23. غنار سكيريك ونلز غيلجي ، تاريخ الفكر الفلسفي الغربي من اليونان إلى القرن العشرين ، ص 749.
24. روديجر بوبنر ، الفلسفة الألمانية الحديثة ، ترجمة فؤاد كامل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998 ، ص 64.
25. عمر مهيبل: غادامار خطاب التأويل ، خطاب الحقيقة ، مجلة أوراق فلسفية ، العدد 10 ، سنة 2003 ، ص 166.
26. Jean Gronndin, L'universalité De l'Herméneutique, Presses Universitaires de France, France, 1993, P. 161.
27. هانز جورج غادامير ، الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية ، ترجمة ، حسن ناظم وعلي حاكم صالح ، ط1 ، دار أوبا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية ، طرابلس ليبيا ، 2007 ، ص 73.
28. هذا ما أشار إليه هنري كوربان في إحدى حواراته مع فيليب. محمد شوقي الزين ، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 31.
29. ريتشارد رورتي ، الفلسفة ومراة الطبيعة ، ترجمة حيدر حاج اسماعيل ، ط1 ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت لبنان ، 2009 ص 60.
30. المصدر السابق ، ص 61.
31. المصدر السابق ، ص 53.
32. المصدر السابق ، ص 54.
33. المصدر السابق ، ص 238.
34. المصدر السابق ، ص 222.
35. المصدر السابق ، ص 422 ، 423.
36. المصدر السابق ، ص 57.
37. المصدر السابق ، ص 61.
38. المصدر السابق ، ص 422.

39. المصدر السابق ، ص 61.
40. المصدر السابق ، ص 52.
41. المصدر السابق ، ص 19 بتصرف.
42. محمد جديدي ، *مطارحات رورتية* ، الطبعة الأولى ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 ، ص 22.
43. عطيات أبو السعود، *الحصاد الفلسفي للقرن العشرين* ، منشأة المعارف ، الاسكندرية مصر ، 2002 ، ص 127.
44. مديحة باجي ، *مابعد الحداثة من خطابات المابعد في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية* ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2013 ، ص 157.
45. محمد شوقي الزين ، *تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر* ، الطبعة الأولى ، منشورات ضفاف ، بيروت لبنان ، 2015 ، ص 169.
46. محمد جديدي ، *مطارحات رورتية* ، مرجع سابق ، ص 24 ، 23.
47. Rorty Richard, **Truth and Progress** , Philosophical papres III, combridge University press, 1998. P. 1.
48. Ibidem.
49. محمد جديدي ، *البرغماتية من الحقيقة إلى اللاحقية* ، أعمال الملتقى الوطني الأول في الفلسفة ، الفلسفة بين تعدد المناهج ووحدة الحقيقة ، قسنطينة ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، ص 272.
50. محمد شوقي الزين ، *تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر* ، مرجع سابق ، ص 179.
51. Puntam , **Words.and L Life**, Harvard University press cambridge, Massachussetts and London, England, 1994, P. 279.
52. VATTIMO, **Beyond interpretation:the meaning of hermeneutics for philosophy**, trans by David Webb, polity press (1997), P. 94.
53. Rorty Richard , **Cotingency.Irony and Solidarity**, ombridge University press , 1989, p4.5.
54. Habermas , **La pensee postmetaphysique** , trad.Rainer Rochlitz , Armand Collin, paris, 1993, p. 82.81
55. Davidson, "R and C " , P. 72-74.
56. Rorty Richard, **Truth and Progress** , Op. cit., P. 3.
57. محمد جديدي ، *الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي* ، منشورات الاختلاف ، بيروت لبنان ، 2008 ، ص 297.
58. المرجع السابق ، ص 299.
59. Ritchard Rory, **C and I and S**, Op. cit., P. 23.
60. محمد شوقي الزين ، *تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر* ، مرجع سابق ، ص 184.
61. محمد جديدي ، *البرغماتية من الحقيقة إلى اللاحقية* ، مرجع سابق ، ص 278.
62. ريتشارد رورتي ، *الفلسفة ومراة الطبيعة ، الفلسفة ومراة الطبيعة* ، مصدر سابق ، ص 507.
63. Richard Rorty, **Philosophy and Social Hope**, Londres, Penguin Books, 1999. P. 31-32.
64. ريتشارد رورتي ، *الفلسفة ومراة الطبيعة ، الفلسفة ومراة الطبيعة* ، مصدر سابق ، ص 419.
65. المصدر نفسه ، ص 420.
66. Alan R. Malachowski, **Richard Rorty**, Princeton, Princeton University Press, 2002., P. 19.
67. Michael Williams, **Richard Rorty, Philosophy and the Mirror of Nature : Thirtieth-Anniversary Edition**, Princeton, Princeton University Press, 2009, P. xxix.
68. Richard Rorty, « **Solidarity or Objectivity?** », dans John Rajchman et Cornel West (éds), *Post- Analytic Philosophy*, New York, Columbia University Press, 1985, P. 3.
69. ريتشارد رورتي ، *الفلسفة ومراة الطبيعة ، الفلسفة ومراة الطبيعة* ، مصدر سابق ، ص 508.
70. المصدر السابق ، ص 473.
71. المصدر السابق ، ص 475.

تجليات الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-04-10

أحمد العياضي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

ahmedlahyadi@yahoo.com

الملخص

لقد تعددت مفاهيم الإغتراب، وتضاربت حوله الآراء، لكن يمكننا الإجماع، على أنه؛ شعور وإحساس إنساني يعيشه الفرد، فيعاني عذابا وألما، وتبرما من الحياة، نتيجة تمزقه بين واقع غليظ مأساوي وذات تتطلع إلى المثالية. وهذه الظاهرة (الاغتراب)، لا يمكن تحديدها، إلا من خلال رؤى الشعراء واتجاهاتهم ومذاهبهم، ويعود إلى عوامل ذاتية موضوعية، وعوامل روحية ومادية، متداخلة تداخلا معقدا، إلى حد تصبح عملية فرز الأسباب الرئيسية عن الثانوية، في تحديد المؤثرات من أشق العمليات التحليلية.

الكلمات المفتاحية: الظاهرة، المؤثرات، اللغة، الأسلوب، العوالم

Résumé

Le concept d'aliénation a varié à bien des égards, mais le consensus peut être défini comme un sentiment et un sentiment humain dans lequel l'individu vit, souffrant de douleur et de souffrance de la vie, parce qu'il est déchiré entre une réalité tragique et une vision idéaliste. Les visions, les attitudes et les croyances des poètes, en raison de facteurs subjectifs et objectifs, de facteurs spirituels et matériels, de chevaucEst si chevauchement si complexe que le processus de tri des principales causes de la secondaireisation détermine les effets des processus analytiques les plus rigoureux

Mots-clés : phénomène, influences, langage, style, mondes

Abstract

The concepts of alienation have multiplied, and opinions have been mixed around, but consensus can be understood as a human feeling and feeling experienced by agony and pain, and torn apart by a torn, tragic and idealistic reality. This phenomenon can be determined only through the visions of the poets and their attitudes and doctrines, and due to subjective, objective factors, spiritual factors and material, which are so intricately overlapping that the process of sorting out the main causes of secondaryization determines the effects of the most rigorous analytical processes.

Keywords: phenomenon, influences, language, style, worlds

مقدمة

إن الاغتراب شعور إنساني يتعلق بالنفس البشرية ، فهو ضارب الجذور منذ أن وجد الإنسان ، لكن الشعور يختلف من عصر إلى آخر ، ويبرز أكثر كلما زادت الحياة الإنسانية تعقيدا . وهو ظاهرة فردية يعيشها الشاعر نتيجة ؛ ظروف ومعطيات اجتماعية عبر عنها الشعراء بمفاهيم مختلفة ، حسب ؛ الرؤية الإيديولوجية لكل شاعر ، ومرجعياته الثقافية ، وتكوينه الشخصي ، ومنطلقه في تفسير الظواهر وتقويمها . إن الاغتراب لا يحدد إلا من خلال رؤى الشعراء واتجاهاتهم ومذاهبهم ، ويعود إلى عوامل ذاتية وموضوعية ، وعوامل مادية وروحية متداخلة تداخلا معقدا ، إلى حد تصبح فيه عملية فرز الأسباب الرئيسية عن الثانوية في تحديد المؤثرات من أشق العمليات التحليلية .

ونجد هذه الظاهرة عند الشعراء الجزائريين المعاصرين ، الذين حاولوا تمثيل الواقع واستيعابه ، فحدث تحول في الخطاب الشعري ، الذي أخذ شكل الرقص والتصدي والانفصال عن الواقع في زمن الحرية ، وهذا نتيجة عيشهم في دوامة الصراعات والمخاضات العسيرة ، فيتعمق الإحساس ، ويزداد الانفعال والقلق والتأزم ، تعزفها الألحان على وتر الاغتراب .

إنّ المفاهيم المتشعبة للاغتراب متنوعة ومختلفة ، ولكننا لن نعني إلا بما له صلة بالنصوص الشعرية ، لذلك نجد أنفسنا مسوقين إلى شمولية المصطلح ، وانسحابه على الغربة والضياع ، والاستلاب لأن النصوص الشعرية التي نساثلها تحتوي على هذا الاتساع في المفهوم .

فنقرأ للشاعر مصطفى الغماري :

تتناقل الأيام في أعماقنا
كسلى... ويطوينا الفراغ المطبق
ونلوك من سأم الحديث قشوره
ونظل نوغل في الحديث...ننمق
صور كما يهوى الفراغ ثقيلة
أيامنا... ليلا ينز... فنزهق⁽¹⁾

إن المقطوعة الشعرية ، في جملتها فعلية الكلمات والتراكيب ، وهذا يدل على مدى التوتر والانفعال الداخلي الذي يعاني منهما الشاعر ، مما جعل النص الشعري يتسم

بالتابع الدرامي ، وتوالي الأفعال بهذا الكم ، وهيمنت (فعل المضارع) المعادل للزمن الحاضر ، تؤكد خضوع الحدث والرؤية لسياقه ، والذي يلفت نظرنا أساسا ، ليس التوالي الكمي للأفعال ، وإنما التوالي الكيفي ، فالفعل في هذا المستوى الدرامي ، هو الذي يقود الحركة ، وهي حركة متطورة ، ومتجددة ، إذ لا تعبر الأفعال عن الانتقال من حركة إلى حركة منقطعة ، وإنما تعبر عن علاقة طردية بين الحركات ، حيث تكون اللاحقة نتيجة للحركة السابقة .

وتتجه أغلب الألفاظ والتراكيب ، باتجاه أسطورة الفراغ ، فتتجلى الذات المبدعة ، وهي في حالة جمود وركود ، وضعف وعجز ، وعدم القدرة على المقاومة...إنه التحول الحاد ، وأكثر ما يؤرق الشاعر ، ويعمق مأساته ، هو خضوعه لهذا التحول ، واحساسه بأن الزمن قد طلبه ، فأدركه ، فقد انصرم الزمن الذي كان فيه الشاعر ، يملك إرادة الفعل ، فاستسلم لزمن اليأس والعجز والفراغ... وهذه الحالة النفسية المتوترة والمنفعلة ، دفعت بالشاعر إلى الانكفاء على ذاته ، منفصلا ، مغتربا عن واقعه ووجوده .

إن الأفعال والألفاظ والتراكيب ، هي تقريبا من الكلم القريب ، يعرفها القارئ البسيط ، لكنها في التجربة الشعرية خرجت عن المألوف إلى ؛ الإيحاء والهمس ، ويبلغ هذا الإيحاء ذروته في توتر شعوري حاد ، ولقد قيل >> "إن التوتر الداخلي ، من العوامل الفعالة في نشوء التجربة والرغبة في التعبير عن التوتر الذي ينشأ من الألم ، والذي ينبثق بدوره من عدم الانسجام بين الإنسان والعالم ، وهذا التوتر قدم لنا شخصيات على درجة كبيرة من الإبداع"⁽²⁾ .

إن المقطوعة الشعرية ، تصب في (أسطورة الفراغ) ، نتيجة جبروت الزمن ، الذي جعل الشاعر ينظر إليه ، وكأنه قد تسمر ، حيث "الأيام والليالي" سيان في الدلالة (الثقل ، البطء ، الطول ، التعب ، الإرهاق....) ، إنها ترسم ظلالا مختلفة ، ولكنها متكاملة ، وقد أحدثت هذه الظلال نوعا من التماسك الشعوري في النص الشعري ، فالدلالات كلها تقريبا ، توحى وتهمس وتصب في "أسطورة الفراغ" حيث اليأس والعجز ، وعدم القدرة على المقاومة ، والاستسلام....

إن الإحساس بالتناهي في مواجهة الزمان اللا متناهي ، مترابك مع الإحساس ، بأن الحياة تتمثل في الفعل

الذي يريد أن يحققه في حياته ، وألا يموت قبل أن يحققه >> فكل شيء يتحول بفعل الزمن ، ولكن الإنسان أكثر الموجودات قابلة للتحويل ، وخضوعه لقوانين الزمن الصارمة ، فوجوده مرهون بميقات ، ومرهون كذلك بفنائه وتلاشيهِ ، ويبدو الزمن دائماً ، مهيمناً وقوياً. <<(3)

إن الواقع الاجتماعي ، وقيمه الوضعية كما - يراها الشاعر- هي مبعث فراره واغترابه في دائرة أسطورة الفراغ باعتبارها طريق النجاة ، حيث يرى "هيجل" >> من يقصر مفهومه عن ذاته على ذاته الخاصة ، يبتعد بدوره عن البنية الاجتماعية ، وإن كان ذلك يتم في اتجاه آخر ، إنه يسعى إلى تطوير طبيعته الخاصة وشخصيته ، إلى تأكيد استقلاله بأقصى صور الكمال الممكنة في هذا العالم ، على حساب وحدته مع البنية ، ويغفل كليته الجوهرية <<(4).

إن الزمان مع الإنسان يتصف بالذاتية والموضوعية ، كما يتصف بأنه بان من ناحية ، وهادم من ناحية أخرى من خلاله تنمو حياة الإنسان وترتقي ، ومن خلاله أيضا تنحدر وتندهور ، وما حدث للشاعر نتيجة تسمر الزمن - حسب رؤيته - إنها صورة تعكس مدى الشعور بالألم ، والمرارة ، ومدى قسوة الواقع ، وسيطرته وتحكمه في مصير الأحياء والحياة. وهذا الشعور الحاد والتوتر والتأزم والإنفعال المتأجج ، أملتة إيديولوجيته وفكره وثقافته التي لا تتوافق بقدر ما تتعارض وتتناقض مع مجريات الواقع ، مما جعله يعيش في براثن أسطورة الفراغ من (عجز ، وضعف ، ركود ، وجمود ، عدم القدرة على المقاومة ، فاستسلام) فاغتراب في البنية الاجتماعية.

ويقف الشاعر عبد العالي رزافي ، موقف الوطني الراض لأوضاع وطنه ومأساة شعبه ، فيتألم ويتعذب ، إنه ضائع في عالم الشقاء ، غارق في بحر الأحلام ، وحيد يواجه كيد الزمان ، فيقول:

أدور... أدور

في خلجات أيامي الشقية... والزمان

وحيدا...

أرتمي في لجة الأحزان

في دوامة التخمين

وحيدا...

في عقارب ساعة عمياء

أغتال الدقائق والثواني

ألم الصمت

أمضغه

وأبحر في عباب الصفر(5).

فالرؤية المحورية عند الشاعر ، وجدانية مأساوية ، يعبر من خلالها عن شيء أبعد منها ، هي رؤيته الخاصة لمأساة وطنه وشعبه. والبدء بالحديث عن الحاضر بفعل المضارع (أدور) ، دلالة على ؛ أهميته بالنسبة للشاعر وبالتالي لجمهوره المتلقي ، الذي يريد أن يصدر له موقفه ، ثم تتوالى الأفعال المضارعة في النص ، وجاءت كلها بصيغة المتكلم: (أدور ، أرتمي ، أغتال ، أشرب ، أَلَمْ ، أمضغ ، أبحر) إذ أنها توظف الحدث في زمن الحاضر ، كما تدل على أن هناك حوارا داخليا محتتما ، وإن كانت تداعياته لم تقض على الذات المبدعة ، إلا أنها أسلمتها إلى حالة من الشعور: بالتيه والتشرد ، واليأس والعجز ، والضياع والاستسلام ، وهذا يوحي أن الحالة النفسية للذات الشاعرة جد متأزمة وفي قمة الإنفعال الحاد ، مما جعلها تفضل الإبحار في أسطورة الفراغ ، والإنكفاء على الذات ، عائمة في دوامة الانفصال والاغتراب عن البنية الاجتماعية.

فالنص الشعري ، عبارة عن صور جزئية ، وهذه الصور مجتمعة فيما بينها تتفاعل وتتكامل ، لتصوير مأساة الشاعر. ومن هنا تتأكد أهمية المخيلة في إبداع الصورة الشعرية ، فيشكل الشاعر >> نمطا غريبا من الكلمات غير قابل للإعادة ، وتكون كل كلمة موضوعا ، بقدر ما هي إشارة ، وتستعمل بصورة لا يمكن لأية منظومة أن تنبأ بها. <<(6)

إن الذات المبدعة ، لم تهتد إلى الطريق الصحيح ، بل إنسان بلا هدف ، ضيع الطريق ، وفقد الدليل في دروب تبدو مسالكها وعرة ، ومزروعة بالحوازج ، حيث يُكرر فعل(أدور) ، فهو دوران وليس انطلاقا ، وهذا الدوران ملحف بالحنن والأسى والتهب والضياع... فلم تفتح له نافذة الضوء لينطلق ، وهي تمثل محورا أساسيا في النص ، لأنها تحتوي الحاضر كله في ذاكرة الشاعر ، ولها دلالة العجز والاستسلام... وبذلك فإن التكرار ، سيؤدي حتما إلى دلالات وإيحاءات جديدة >> ويقوم بوظيفة أساسية في إنتاج خط المعنى والإيحاء به ، كما يقوم بتوفير مفتاح الفكرة أو الشعور المتسلط على

صورتني

ديني

كياني⁽¹⁰⁾

توحي صور النص الشعري، وتدل دلالة واضحة، أن الذات في قمة الهيجان والبهيجان، جراء الواقع الذي لا يطاق (جسيم)، وقد يكون الشاعر مبالغاً في رسم هذه الصورة القائمة التي تختصر مأساة الواقع، إلا أن قدراً من الصحة لا ريب فيه، وقد يشعر الشعراء أن المشاركة في الجماعة >> تعني فقدان قوة وجودهم الفردية، ومن هنا فإنهم ينسحبون، وفي أغلب الأحيان بصورة داخلية، وفي بعض الأحيان بصورة خارجية، إنهم يرغبون في زيادة قوة وجودهم التي يشعرون بأنها تنخفض في داخل الجماعة، ولكن قد يحدث أنهم بعد وقت معين يعودون إلى العائلة، لأنهم يشعرون بأنهم دون قوة وجود الجماعة، فإن قوة وجودهم الخاصة، تتعرض للخطر على نحو ضار.⁽¹¹⁾

وهل يمكن للشاعر، أن ينفصل بمثل هذه السهولة عن الارتباطات والوشائج الاجتماعية، وأن يتنصل من التزاماته الفكرية والاجتماعية والدينية.... وغيرها بمثل هذا اليسر، وهذه السهولة؟

إن الذات المبدعة، اشتبكت مع واقعها، وصارت العلاقة بينهما وبين ما يحيط بها؛ علاقة تخاصم، وتشاحن، وتطاحن... وعندما عجزت، استسلمت، وانفصلت عن الواقع، وتغربت في البنية الاجتماعية. فرفض الشاعر للواقع وبنيته الاجتماعية (روحياً ومادياً)، يدل دلالة واضحة أن الذات المبدعة في قمة التوتر والتأزم والانفعال الحاد، إن لم نقل أن الذات تعاني ضرباً من الجنون والبهيجان، وكأنها فقدت عقلها، جراء رؤيتها للواقع برؤية خاصة بها ومتفردة، ومبالغ فيها.

إن اغتراب الشاعر، هو اغتراب الذات في المجتمع، لأن الذات الشاعرة اقتنعت برؤية صاحبها، فلم تعد هناك ثنائية بين الشاعر والذات، وإنما تمثلت الثنائية فيما هو بين الشاعر والمجتمع، يبقى >> الإنسان المفكر عاجزاً عن تحقيق أي تواصل حقيقي بينه وبين البشر، لأنه لا يكف مطلقاً عن تحليل أفكار هذا، وتعليل عبارات ذاك، ولعل هذا هو السبب في أن حياة كثير من البسطاء حياة اجتماعية سوية،

الشاعر، ويضعه في يد الدارس اللغوي، ويعد هذا المفتاح أحد الأضواء اللاشعورية التي تكشف عن أعماق الشاعر.⁽⁷⁾

وهذا الدوران يجري في ظل لفظتين في النص، أرى أن لهما دلالة على الانكفاء على الذات، والإغتراب وهما (وحيدا، الصمت)، والأولى تدل على أن الشاعر يعيش حالة عزلة وانطوائية، والثانية وهي لفظة (الصمت) تدل على >> التحرر من تأثير الخارج على الذات، وترك النفس الشاعرة وحدها في لحظة زمنية، تختلف أبعادها ومقاييسها عن اللحظة الزمنية الخارجية، التي تشترك مع الآخرين في حياتهم وتخضع لمقاييسهم.⁽⁸⁾

ويبدو من خلال النص الشعري، أن الذات الشاعرة، في صراع ومواجهة مع الزمن وجبروته، فالصور تشع إحساساً قاتلاً. وتصب تقريباً في دلالة واحدة، وهي التعبير عن الإحساس بالضيق والتهيب والبأس... المفضي - في الغالب الأعم - إلى الانفصال والإغتراب في البنية. فإغتراب الشاعر هو؛ اغتراب أمام الوجود وإغتراب في المجتمع، حيث يرى "هيجل" أن >> الكلية يمكن الوصول إليها على مستوى العلاقات بين الأشخاص فقط، من خلال الوحدة مع البنية الاجتماعية، وبالتالي فإن الفرد يتوقف عن أن يكون في وحدة مع تلك البنية بفقد كليته، وحينما يحدث ذلك فإن الفرد لا يعود يمتلكاً لنوعية جوهره، وهكذا فإنه يغرب ذاته عن طبيعته الجوهرية أو يصبح باختصار مغترباً عن ذاته.⁽⁹⁾

إن الهموم الإنسانية التي يعانها الشاعر المعاصر، هي مسألة انقلاب الموازين، وضيق العدل وسقوط الفضائل تحت أقدام البشر، وشيوع ظاهرة الظلم والاستبداد والاستلاب... واهتزاز القيم الإنسانية، وتعملق القوى المتجبرة والمتسلطة، وهذا ما يجعل الشعراء في لحظة الخلق والإبداع، تسكنهم الهواجس الروحية التي تسرح بهم بعيداً داخل الذات، وداخل الأنفاق العميقة التي تمتد إلى أبعاد لا تخطر على البال، ولكنها في امتدادها تظل مشدودة بخيوط تتخذ من الواقع منطلقاً لها.

إذ يقول الشاعر سليمان جوادي:

لم يعد يعجبني شكل زماني

لم يعد يعجبني لون مكاني

فاسمحوا لي إن رفضت الآن لوني

تقوم على روابط طبيعية من المودة والصفاء، بينما تبدو حياة غيرهم من أهل التأمل والتفكير حياة انعزالية شقية.⁽¹²⁾

يبدو في - الغالب الأعم - أن التزام الشاعر المفرط بالمثل والمطلق، والمبالغ فيهما، يجعله مغتربا، لأن الشعور الحاد بالوحدة والتفرد لدى الشاعر، لا يقتصر على مجرد الرفض للمتواضعات الاجتماعية، وإنما يتجاوز ذلك إلى الهروب والانفصال، لعجزه وعدم قدرته على المقاومة والتفاعل مع البنية الاجتماعية، فمآله الاغتراب سواء كان فكريا أو نفسا أو....

حيث يقول الشاعر نور الدين درويش:

في القرن الواحد والواحد والعشرين

أرى بلدي في السوق يباع

وأراني بين الناس أدور، أفتش عن وجه

لم تخذشه الأيام

ولم يصدأ

وأدور، أدور بلا جدوى

وأنا وحدي

كالقارب أسبح في بحر من غير شراع⁽¹³⁾

يعمد الشاعر في خطابه إلى تعرية وكشف الواقع وما يشينه من ظواهر سلبية، فيصوغ تجربته بلغة حادة، تجسد مناخ الحاضر المأساوي الأليم، فتنتقل من اللحظة الراهنة، ومن ثم فإنها تعتمد على الفعل المضارع، الذي هيمن على مساحة النص، وكانت السيطرة للفعل (أدور) الذي تكرر عدة مرات، إنه يشي على مستوى الدلالة، بأن الشاعر يريد أن يؤكد على بعض المعاني بذاتها، وهي الضياع والته والعبء... وغيرها، وأحيانا دلالة على التذكير بما لا ينبغي نسيانه من مقتضيات التجربة، ولذلك لم يتغير فيها ضمير المخاطب المفرد المتكلم (الشاعر).

وهذا الدوران بدون جدوى، عمق مأساة الشاعر، فكشف النص أن الرؤية المحورية، تتمثل في تعرض الذات الشاعرة لأزمة حادة في علاقتها بالواقع، حيث وضح لنا أن علاقة الواقع بها علاقة فوقية، وأن تعاملها معه لا يقوم على التكافؤ والمواساة، بل على الأذى والإظهاد والقهر والاستلاب وغيرها.

ولعل دلالات وإيحاءات النص الشعري، تجسد معاناة الشاعر، واغتيال آدميته على يد القوى الفوقية المتسلطة... مما يشير إلى أن هناك خللا اجتماعيا في طبيعة العلاقة بينهما، فتتجلى الذات المبدعة من حيث كونها مفردة؛ (أنا وحدي) لتؤكد حضورها باعتبارها طرفا من أطراف الصراع، معلنة مأساتها المتمثلة في الوحدة التي تعني الإنكفاء على الذات. كما شبه نفسه (بالقارب في البحر من غير شراع)، فمآله الضياع والتشرد والتبعثر والإندثار، والتشبيه من حيث أهميته >> يوسع المعارف ويسهل على الذاكرة عملها، فيغنيها عن اختزان جميع الخصائص المتعلقة بكل شيء على حدة، بما يقوم عليه من اختيار الوجوه الدالة التي تستطيع بفضل القليل منها استحضار الكثير.⁽¹⁴⁾

إن إعلان الذات المبدعة عن نفسها بمثل هذه الصورة، لدلالة واضحة على أنها غير قادرة على مواجهة ومقاومة أهوال وانزلاقات الواقع وتناقضاته، مما دفع بها إلى الإبحار في دوامة أسطورة الفراغ، والتي تمثل بدورها الإنكفاء على الذات، والانفصال عن الواقع، والاعتراب في البنية الاجتماعية.

ذلك أن تجربة "الأنا" لا تأتي من فراغ أو خيال أو رؤى، وإنما هي مستقاة من شروط فكرية واجتماعية وأخلاقية وأخرى ثقافية، تشكل القواعد الأساسية في بناء صرح "الأنا"، لذلك فإن أي تعبير عن محتوى "الأنا" هو ناتج عن مفهوم دلالي له معانيه، وأحاسيسه، ورؤاه، ولغته المستمدة من الواقع الإنساني.⁽¹⁵⁾

إن الشاعر المبدع يرى في الواقع ما لا يراه غيره، ولذا فاعترابه، يأتي نتيجة إحساسه الملتمزم بالمثل العليا والقيم الإنسانية، والتزامه بالذات يفوق التزامه بالمجتمع الذي لا تتحقق فيه تلك المثل العليا والقيم الإنسانية كما تراها الذات الشاعرة. وحين يواجه الشاعر الجماعة يكون قد واجه نفسه، وحين يغترب عن جماعته، يكون قد اغترب عن ذاته، فالعالم - عموما - عالم تصدع وتمزق وتناقض، تحفه الأخطار من كل حذب وصوب.

إن الانسان مدني بطبعه، فالوطن يعد من أسباب الاجتماع والعمران، إن لم يتحقق فيصبح الفرد - خاصة الشاعر - يدركه الإحساس بالضياع وعدم امتلاك المكان، إذ

إن هذا المظهر من مظاهر الاغتراب، يشمل الانسان بعامه، حيث لا يتحقق التوافق بين الوجود الخالص والوجود العام، ويتمخض هذا عن شعور الانسان باليأس والعجز الذي يسلب الانسان إمكانية تحقيق الذات >> فالماضي والمستقبل لا يكفان عن انتزاعنا من الحاضر، فهما يحيلان كل حياتنا إلى تهرب جشع يائس، نعتزف فيه بعجزنا عن امتلاك شيء.⁽¹⁷⁾

إن محاولة التنقيب عن الأشياء المبعثرة هنا وهناك، هي محاولة للتمسك بالحياة، ورغبة في اللاموت، فقد تبلغ درجة الاغتراب ذروتها داخل الوطن، لكن حب هذا الوطن، لا يغادر قلوب محبيه وعشاقه، فيتحول الإحساس بالحب إلى سم - ربما - يتمنى الشاعر ارتشافه ليموت مع اغترابه المفروض عليه، حسب رؤيته الفكرية والفلسفية... للواقع.

فنقرأ للشاعر يوسف وغليسي قوله:

غربتني الديار التي لا أحب ديارا سواها
ولكنني متعب متعب من هواها
فيا أيها الحب، اسحب خلاياك من دمي
- إلتو - اسحب. ودعني أموت⁽¹⁸⁾

يعترف الشاعر من الوهلة الأولى بغربته المفروضة عليه، وهذا جراء الإحساس العميق بالتمزق والانكسار، واليأس والعجز... أمام ما يجري في واقعه من دمار، وخراب لكل معاني القيم الإنسانية الرفيعة، التي أخذت تتبدل وتفقدها معناها وجوهرها وأصالتها، فدلالات النص الشعري وجدانية وفكرية، فالشاعر شأنه شأن المفكرين لا يقنع بالتفكير السطحي في قضية الوجود والعدم، النجاح والفشل، بل نراه ذا نفس قلقة ومتوترة أشد التوتر ومتأزمة، ومنفعلة انفعالا حادا، وساخطة على سلبات المجتمع ونواقصه، وهذه الحالة النفسية مستوحاة من ظروف الشاعر الخاصة وشخصيته المتوترة، مما جعلته يناشد الانفصال، مفضلا الموت عن الحياة، وهذه الحالة تعدّ مظهرا من مظاهر الاغتراب النفسي، حين يقول:

فيا أيها الحب اسحب خلاياك من دمي
- التو - اسحب ... ودعني أموت...!

يجعله يعاني مأساة طابعها الانفعالي في - الأغلب الأعم - الإنعزال والإنطواء داخل الذات، إذ يقول الشاعر يوسف وغليسي:

كان لي وطن ضارب في دمي
راسخ في امتداد الزمان
سامق في السماء
شامخ كالنخيل
فارع كالصنوبر والزان والسنديان
كان لي وطن يوم كان...⁽¹⁶⁾

يستهل الشاعر النص بجملة فعلية، لافتة بدلالاتها (كان...) فالفعل في زمنه الماضي، يحيل إلى الذكرى أو التذكر، أي استدعاء صورة أو معنى مخزن في الذاكرة، فتشرع الذات الشاعرة، تستحضر ذلك الماضي المضيء المشرق، هروبا من حاضرها المسكون بالقتامة، وتؤكد الصورة التي يخلعها الشاعر على وطنه - في الماضي - حرصه الشديد على التشبث بالحياة في مقابل صور الدمار والخراب والاستبداد والاستلاب التي يضج بها حاضره.

إن استدعاء الشاعر صورة الوطن على هذا النحو المكثف (راسخ، سامق، شامخ، فاع...) والتي فارقت دلالاتها المألوفة إلى دلالات جديدة تتمثل في: العراقة، التجذر، التحدي، العلو، الرفعة، الظهور... وهي صورة الوطن في الماضي؛ غير الماثلة في حاضره، والتي جعلته يرحل من اللحظة الحاضرة إلى الماضي الفتي، واضعا الحاضر العاجز إزاء الماضي المشرق، فبلامحه وتصوراته موجودة في نفس الشاعر، ربما تنتظر فرصة التحقيق، وفرصة التجلي، وبذلك يتكشف النص الشعري عن مغزاه الحقيقي المتمثل في: إحساس الذات الشاعرة بعجزها، وعدم قدرتها على مواجهة الواقع بتحولاته الجديدة، ففرت إلى الماضي منفصلة عن حاضرها، فكل ما فات لا يعود، وما فات هو نحن في صورة مثلى، إنها صورة تكشف عن مكانة الماضي وانحياز الشاعر له، وقسوة الحاضر وزيفه وعدم جدوى المستقبل، لأنها اقترنت بعدم القدرة على المواجهة والمقارنة، مما جعلها استغراق في الماضي والانفصال عن الحاضر، والإغراق في حلم اليقظة والتشبث بالوهم، الذي يباعد بين الشاعر وبين حاضره، وبين بنيته الاجتماعية.

فالإحساس بعدم القدرة على تحقيق وجود مكثف ، يخضع لمطوح الإنسان وإمكاناته ، يجعله دائما يشعر بالاغتراب ، فالواقع يسير بنظام غريب عنه ، والمرء لا يشعر إزاء هذا كله إلا بالضيق والاستلاب ، والقهر والإظهاد... وعدم قدرته على المواجهة والمقاومة ، وهذا الإحساس والانفعال الحاد ، بهذه الكيفية ، يدفع بالذات المبدعة إلى اليأس والاستسلام ، والإمعان في الهروب والانفصال عن الواقع .

وهذه السلوكيات والتناقضات ، تجعل الشاعر يبحث عن عوالم فنية ، تعويضا عما افتقده في واقعه المعاش ، وهي وسيلة الشاعر لتخطي الواقع ، وتحسين النفس من مغبة الوقوع والإنزلاق في برائن الواقع ، فكان (عالم الطفولة) الذي يمثل جانبا روحيا بعيدا عن الغايات والمآرب... كما أن إحساس الطفولة إحساس غامر ، وعاطفة جياشة ، تلامس الواقع ، وتتجاوز ، بل تجعله يتلاشى ، بما لها من قدرة فائقة ، كما أنها تمثل البراءة والطهارة والصدق والنقاء الإنساني ، ولا تعرف الإثم ولا الخطيئة ، مقابل الحاضر الذي اندثرت منه القيم الإنسانية وتلاشت . وهذا الهروب إلى عالم الطفولة تأكيد من الذات المبدعة ، على أن الشر وليد المجتمع .

حيث يقول الشاعر محمد التوامي :

فيا طائرا للحنين القديم

ارتحل

إلى باب الأقواس

إلى غابة الطفولة

المفتحة باهتزاز الخزامي

على ضفة الربيع البعيد⁽²¹⁾

إن عودة الشاعر إلى الماضي (عالم الطفولة) ، يمثل ضربا من الهروب والانفصال ، ليتخلص من واقعية الواقع ، فيجعل من الطائر رمزا لذاته ، ويطلب منه ويأمره بالارتحال إلى ذلك العالم ، نتيجة عدم تحقيق الشاعر لمطوحاته ، ورغباته في تجسيد تلك المثل من طهارة ، وصدق ونقاء وبراءة... وعدم الوقوع في الإثم والخطيئة يملكه الإحساس والشعور باليأس والعجز والاستسلام ، جعلته يمعن في الهروب والانفصال من ظلامية الواقع إلى الماضي ، ليقية

فالنداء هنا (فيا) خرج عن معناه الأصلي إلى معان أخرى ، تتجاوز معناه الأصلي ، وهو تعبير عن الضعف الإنساني ، وعن معاني الألم والتوتر ، ودواعي التشكي ، وبث الحزن ، فضلا عن إبراز العلاقة المخصوصة بين أطراف النداء ، علاقة الذات في تعلقها بالحب ، وهو في الوقت نفسه هجرة لداخل الشعور ، فهو نزوع داخلي يعجز الشاعر عن تحقيقه في الحاضر ، كما يجسد هموم الشاعر ، وانكفاءه عن ذاته .

ففي النداء (فيا أيها الحب) ، خرق دلالي ، نلاحظ أن المنادى فيه مما لا يصح نداؤه (الحب) ، وهذا الخرق هو الذي >يلجأ إليه كثير من الأدباء والشعراء لتتم عملية الإبداع بشكل يكسر القاعدة المألوفة في التعبير>.⁽¹⁹⁾ وهذا الكسر يجعل الأعمال الأدبية تتميز عن غيرها بدلالات وإيحاءات ، كما تفاجئ المتلقي بطاقت النص الانفعالية والفكرية من جهة أخرى ، فنداء الشاعر يوحي أن المنادى قريب وبعيد في آن ، هو قريب من حيث روحه ، وفكره ، وقلبه ، وعقله ، وجسده ، وبعيد من حيث وجوده في الواقع ؛ الذي يناقض ما يدعو إليه ، ويؤمن به ، الواقع الذي ينبذ كل أنواع المحبة والخير والجمال .

إن استخدام المبدع لفعلي الأمر (أسحب ، دعني) ، توحى بالحسم والإصرار ، فهي دعوة واضحة إلى انفصال عرى علاقته بالحب ، فانسحاب الحب-الذي هو دال من دوال تلك العلاقة باعتبارها وسيلة الاتصال والتواصل ، تنقطع الوشائج والروابط بين الشاعر والبنية الاجتماعية ، فيتولد الإحساس الحاد بالاغتراب .

إن عبارة (دعني أموت) في النص الشعري ، توحى وتهمس على أن الشاعر في قمة اليأس والانكسار ، والعجز ، واستحالة مقاومة الواقع وتناقضاته ، إن الإنسان حين ينتهي أن الموت أفضل من الحياة ، يكون قد وصل إلى قمة الاغتراب عن ذاته ووجوده ، فيشير "هيجل" إلى أن >للإنسان اتجاهها إلى الاستغراق في أحداث الحاضر ومشاغله ، وحينها يستغرق على هذا النحو ، فإن وجوده لا يعود بعد أمرا يقره إدراكه لحتمية الموت والمشروعات التي يضطلع بها ، والتي تعد أساسية لحقيقته>⁽²⁰⁾ .

يحاول الشاعر أن يجد في السفر والسكر خلاصا من همومه ، فأحس في صراعه أن الخلاص الحقيقي يكمن في التخلص من هذا العالم المادي المضطرب ، فهو يريد أن يظهر ذاته في عالم المثل العليا التي هجرها الناس ، وانغمسوا في حمأة الحياة المادية.

فالسفر >> بديل مطروح وتعويض مطلوب ، السفر انعتاق من العبودية وانطلاقة في المجهول ، خروج عن القيد ، ودخول في فضاء الحرية ، وهكذا السفر يحقق لذة الاكتشاف والتحرر من القيود الخائفة.⁽²⁵⁾ وبذلك يكون سفر الشاعر سفرا نفسيا ، بمعنى العروج الصوفي ، وهذا تعويض للخواء الذي يعانيه الشاعر ، وتعدّ الصوفية هي >> أول من أشار إلى أن التجربة الروحية ، شبيهة بالرحلة ، وهم الذين جعلوا من سعيهم وراء الحقيقة سفرا مضنيا ، مليئا بالمفاجآت والمخاوف في طريق موحش وطويل ، قد ينتهي سالكه إلى النهاية السعيدة إن وفق الله وأراد⁽²⁶⁾ . كما نلاحظ أنه افتتح النص بضمير المتكلم (أنا) الذي يدل على الذات الشاعرة ، وهو ضمير بارز منفصل ، وهي ظاهرة شائعة وبارزة عند شعراء الصوفية ، ويستخدم عادة >> عندما يقدم الإنسان ذاته لمن يجهلها ، أو عندما يؤكد الإنسان ذاته لمن يتجاهله.⁽²⁷⁾

يهدف الشاعر من وراء ذلك إلى الكشف عن وجوه معاناته ، ويركز الاهتمام على ذاته ، فيأتي ضمير المتكلم ، ليزر الذات المهمة التي تعاني التجاهل ، ولا تصل إلى طموحاتها أو مرادها ، ثم تزوج ضمير المتكلم مع النداء (يا) ، يكشف عن إحساس الذات بالوحدة والفراغ ، ومعاناتها من حالة الفقد ، وحاجتها إلى من يشاركها أحزانها ويخرجها من أزمته.

والتجربة الصوفية هي ليست تجربة جماعية ، أو متاحة للجماعة ، وإنما هي تجربة فرد منفصل عن الجموع في سبيل تحقيق ذاته ، من خلال الارتباط بالذات العليا ، ومحاولة التودد إليها ، والتعلق بها إلى أبعد حد . ولذا عرج الشاعر العروج الصوفي عن طريق (السفر) ، ليتخلص من جحيم الواقع ، الذي حد من طموحاته ورغباته ، والسفر بهذه الصورة ، جعل الشاعر مغتربا في واقعه وبنيته الاجتماعية .

كما أن السكر ، هو وسيلة من وسائل التغلب على الهموم النفسية التي يعانيها المرء ، ويعدّ المبدد الأول للهموم

ويعصمه من الشرور والمبيقات ، وبذلك تكون الذات المبدعة قد تغربت عن واقعها وبنيتها.

فاللغة المستخدمة منفتحة على عالم الخيال واللاشعور ، ويمكن بتعبير آخر ، وباللغة الصوفية >> إن السريالية ترى في الوجود الظاهر المباشر الثقافي والاجتماعي ، سجنا كبيرا ، وأن مهمة الإنسان الأولى ، هي أن يخرج من هذا السجن ، نحو عالم يفسح له الوجود الباطن.⁽²²⁾

وتبدوا أفاظ وتراكيب النص الشعري ، مرشحة إلى الإيحاء والهمس ، تحمل دلالة التحرر من كل نظام والهروب من الحاضر لمعانقة المطلق ، وهذا الموقف يشبه إلى حد كبير موقف >> الإنسان المذعور الذي يخاف أن يدنسه الواقع ، إن هو لمسه ، والذي يرى فيه عدوا خطيرا ، فيهرب ما وسعه إلى الخيال الطفولي ، إلى عالم الأحلام والوهم ، محاولا ما استطاع أن يتجنب الخوض في المجتمع الحديث.⁽²³⁾

وهكذا يغدو (عالم الطفولة) ، عالما رحبا ، ونبعا غزيرا ، يغرف منه الشاعر باستمرار ، والعودة إليه كلما زاد انفعاله وتوتره ، فهي محاولة للانفلات والتحرر من أسر الواقع ، والتحليق في عوالم المثل العليا ، وهذا التحليق بهذه الكيفية ، يوحي أن الشاعر مغترب في واقعه ، منفصل عن بنيته ، جراء يأسه ، وعجزه ، وعدم قدرته على المقاومة والمواجهة ، ففر إلى الماضي الطفولي . كما يعدّ التصوف في - الغالب الأعم - مظهرها من مظاهر الاغتراب الناتج أصلا من رفض الشاعر للواقع وصراعه ، من منطلق المسؤولية التي يشعر بها داخل الذات الراضية للحدود والموانع ، وأحداث الواقع ، وهذا التعارض بين الواقع ، وتطلع الذات المبدعة يجعلها تعاني الغربة النفسية والضياع في الوجود ، فتفر إلى عوالم المطلق ، عليها تجد الخلاص لهمومها وعذاباتها وتأزمها وقلقها...

ويعدّ الشاعر مصطفى الغماري أكثر الشعراء هروبا إلى عوالم الصوفية:

أنا المسافر... يا شوقي يا أملي
وإن تدجي الأسى هيهات يثنييني
زادي شريعتي الخضراء ... تطعمني
ومن كرومك يا رباه تسقيني⁽²⁴⁾

الخضوع التام والتلقي، ويتم البحث عنه باعتباره مركزا للوجود، وهو ما يعكس إحساسا بتوتر الذات وانفعالها في البحث عن المفقود، فوجدت في التصوف - من حيث هو سلوك - الخلاص من ألمها واغترابها النفسي.

وقد عمد الشاعر إلى تطوير دلالات الألفاظ (العذراء - قلبك - وجهك - حبك - صوتك)، لينقلها إلى أطوار جديدة توائم التجربة، وتتناسب مع طبيعتها المختلفة، فوضعها في سياقات جديدة غير ما وضعت له في اللغة والاستخدام، وهو ما جعل النص الشعري يتميز بكثافة الإيحاء والهمس:

الدلالة المألوفة // الدلالة الجديدة

العذراء	المرأة
قلبك	الروح والحق
وجهك	الصفاء والنقاء
حبك	الصدق والطهر
صوتك	الحق والعدل

إن هذه الدلالات الجديدة، تشف عن طبيعة الرؤية الصوفية، التي كثيرا ما تنفي المادي أو تبطل وظيفته، لتحولها في الختام إلى دلالات معنوية، تظل متسقة مع التجربة الوجدانية للشاعر، ومنسجمة مع الطبيعة المعنوية عند المتصوفة، وتعلقهم بالروحاني دون المادي. إن تفجع الشاعر، وحيرته بأسلوب الإستفهام (أين)، يشي بأن الذات المبدعة في قمة الإنفعال والتوتر والاضطراب، وتكراره عدة مرات، ربما يمثل صيغة احتجاجية، كما قد يكون صورة عجز وانهازم أمام تناقضات وانزلاقات الواقع، ويرجع أسباب بعض شيوعها إلى >> اضطراب الرؤى، واختلال المفاهيم، والإحساس بالغربة والدأب في البحث عن المثال >> (30) وهي تساؤلات تبحث في أصل الأشياء، لتسرب الشك إما لضرورتها أو جدواها، وهي في الوقت نفسه تحمل قلق وتوتر الشاعر في ظل هذه الظروف التي تحرف كل شيء عن مقصده. وهذه التساؤلات تؤكد أن الذات المبدعة قد تعرضت لأزمة في علاقاتها بالواقع، حيث وضح لها أن علاقة الواقع بها علاقة فوقية، يشير إلى خلل اجتماعي في طبيعة هذه العلاقة، ففرت في اتجاه عالم تتحقق فيه القيم المفقودة في عالم الإنسان، بعد عجزها وعدم قدرتها على المقاومة، فطارت في اتجاه عالم المثل الروحاني. وهذه الرؤية عميقة وشاملة لحالة

والأحزان، وفيه تخفيف ونسيان لجراحات الواقع، ومن ثم تنفصل الذات عن واقعها الخارجي، وتتعلق بالمطلق، وهذا نتيجة شعور الشاعر، بأن الواقع يسحقه، وأن شيئا يحول دون نموه، فيفر مسرعا إلى عالم المثل العليا، ليتخلص من جحيم الواقع، ليحس ويشعر بالطمأنينة والسكينة.

وهكذا قطع دلالات (السكر) وألفاظه من أصولها الأولى المادية إلى الروحية، مما يجعله يحمل دلالات جديدة لا تدل على السكر المادي الواقعي، وإنما تدل على >> معان خاصة تدور حول المحبة الإلهية والعرفان الصوفي ووصف أحوال الوجد. << (28)

إذن، فالسفر والسكر بالرؤية الصوفية، تنفصل فيها الذات عن واقعها الخارجي، فيصبح السفر والسكر دال من دوال الإنعزال والإغتراب عن عالم الوجود. وبهذا يكون الشاعر حاول - كما هي الحال عند الصوفية - تجاوز عالم المحسوسات والإبحار في عالم الروح بكل تجلياتها، وهذه لم تكن وليدة لحظة آنية، بل وليدة أزمة روحية وفكرية، أحدثت صدمة الشاعر وحركت فيه بواعث الرغبة في التغيير وتنقية الذات، مما أصابها من شوائب، فكان عالم المثل المطلق هو الحصن الحصين، وبهذا يكون الشاعر قد اغترب عن وجوده وبنيته.

إنّ التعارض بين الواقع والتطلع، هو الذي يجعل الشعراء يعانون الإغتراب النفسي، والضياع في الوجود ويزداد توترهم وانفعالهم، كلما زاد التعارض بين الواقع، وطموحات ورغبات وغايات الذات الشاعرة.

ف نجد الشاعر الأزهر عطية يبحث عن حصن، يكون

له ملاذا:

أين يا أيتها العذراء قلبك؟

أين وجهك؟

أين يا أيتها الحسناء حبك؟

أين صوتك؟ (29)

تكشف المقطوعة عبر مستوياتها اللغوية، عن أزمة حادة، يعيشها الشاعر، لأن الذات تعاني الفقد في الحاضر، فتستعيز عن ذلك باستدعاء صورة (العذراء) المرأة، وتجد اللذة في التغني بمفاتنها (القلب - الوجه - الحب - الصوت)، فتأخذ العلاقة مع الغائب الذي هو كلي الحضور، شكل

ومن ثم يعيش الشاعر اغترابا واقعيا إلى جانب اغترابه الوجودي، فهو دائما يبحث عن البديل وينتظره، ولهذا يظل مغتربا، ينتظر أن تحين له الفرصة، ليعيش حالة نفسية هادئة، تتوافق مع تصوره وحاجته، إنه يريد الصورة المثلى للواقع أو النموذج الذي تكون في وجدانه ووعيه، لأنه يؤمن بصواب ما يعتقد، وبطلان ما يعتقده الآخرون.

وكلما تزداد الحياة تطورا، بقدر ما تزداد تعقيدا نتيجة الفلسفات والإيدولوجيات المختلفة وتضاربها وتناقضها فيزداد الإنسان قلقا واضطرابا، وتوترا وانفعالا من هذا التطور، وهذا سبب كاف لبروز ظاهرة الاغتراب التي تمثل أزمة الإنسان في عصرنا، حيث اتسعت الهوة بين الفرد والمجتمع. والحقيقة أن أهم سمة من سمات المغتربيين هو التصادم الإيديولوجي والرفض الفكري لكثير من قيم الجماعة وسلوكها، ومحاولة تقديم قيم جديدة أو الدعوة لسلوك جديد، يتميز بالفردية، ويتخذ من الإقناع وسيلة لإثبات صحة ما يدعو إليه، والشعور بالذاتية المتفردة، تبرز عند كثير من الشعراء، بل إنه ليسير مع الذاتية الاجتماعية جنبا إلى جنب.

من العشق والتوق والحزن والفقد في آن واحد، بجانب ما فيها من استغراق وجداني ومناجاة تصل بالمحبة إلى مرتبة القداسة وهي قناة للعبور والسمو والتنصل من واقعية الواقع وظلاميته، نزوعا إلى عالم المثل العليا الروحية. وبهذا يكون الشاعر قد انفصل عن واقعه وتغرب عن بنيته الاجتماعية. وما زاد في شدة انفعال الذات الشاعرة هو تزواج الاستفهام مع النداء (أين يا...) دلالة على ما يختلج في النفس، ومحاولة اشباع الحواس جميعا، فهو يعبر عما يختلج بين جوانحه من مشاعر الحب والعدل، والحق، والنقاء، والصفاء، والصدق، والطهر، وغيرها، والتي غارت واندثرت من الواقع الاجتماعي. وهذا النداء (يا) تعداد لأوجه مختلفات القيمة واحدة يجسدها الشاعر في العذراء، وهذه القيمة تعني ربما؛ بالأمس المزدهر الذي ولى والذي هو بالنسبة للشاعر نزوع داخلي، يعجز عن تحقيقه في الحاضر، فهي تجسد هموم الشاعر وانكفاءه على ذاته، واغترابه، وترتبط بالصراخ والعيويل...ولعل الشاعر يحاول أن يستشعر نخوة الملتقي وإلهاب مشاعره، اتجاه الرؤية المطروحة باستخدام (الاستفهام والنداء)، فالشاعر يغيب كل حواسه، ولا يحضر منه، سوى الجانب الأكثر غورا، يتساءل وينادي، بتلاشي ويضيع....

إن الذات المبدعة >> وحضورها في أبنية الخطابات النصية المتشاكلة، تنصب نفسها سلطة واعية، بوصفها فائدة معرفية للمجتمع، وتخضع سائر الأشكال والأنماط السلطوية لمشبيئتها العليا وحيازتها مقاليد وجدانية وأخلاقية توجه آليات الواقع المعقلن.⁽³¹⁾

الهوامش

1. مصطفى الغماري: أغنيات الورد والنار. د. ط. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 72-73.
2. عماد الدين خليل: في النقد الإسلامي المعاصر، ط 2، مؤسسة الرسالة 1981، ص 26.
3. فوزي عيسى: النص الشعري وآليات القراءة. د. ط، منشأ المعارف، الإسكندرية. د. ط. ص 47.
4. ريتشارد شاخ: الإغتراب، ترجمة، كامل يوسف حسنين، د. ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980، ص 101.
5. عبد العالي رزاق: الحب في درجة الصفر، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977، ص 27.
6. رينيه ويليك، أوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة، محي الدين صبحي، ط 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985، ص 92.
7. أبو مراد فتحي: شعر أمل دنقل، دراسة أسلوية، رسالة دكتوراه، إربد، جامعة اليرموك 2004، ص 96.
8. أحمد درويش: في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة. ط 1، مكتبة الشروق القاهرة 1996 ص 129.
9. ريتشارد شاخ: الإغتراب: ترجمة، كامل يوسف حسنين، ص 111.
10. سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981، ص 11.
11. بول تيليش: الحب والقوة والعدالة، ص 67.
12. زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، د. ط، مكتبة مصر، ص 50.
13. نور الدين درويش: البذرة واللب، مطبعة NIR، حمروش حمادي، سكيكة، 2004، ص 9-13.
14. محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات د. ط، المطبعة الرسمية تونس 1981، ص 142.
15. منير الحافظ: الوعي اللغوي الجمالي في فلسفة الكلام، ط 1، دار الفرق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005، ص 136.
16. يوسف وعليسي: تغريبه جعفر الطيار، ط 2، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2003 ص 36.
17. زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، ص 91-92.
18. يوسف وعليسي: تغريبه جعفر الطيار، ص 38.
19. موسى ربابعة: جمالية الأسلوب والتلقي. د. ط، إربد، دار الكتاني 2003، ص 126.
20. ريتشارد شاخ: الإغتراب، ترجمة، كامل يوسف حسنين، ص 264-265.
21. محمد توامي: غيم إلى شمس الشمال، ط 1، منشورات إبداع، الجزائر 1966، ص 45.
22. أدونيس: الصوفية والسريالية: ط 2، دار السلفي، بيروت 1992، ص 59.
23. محمد زكي العشماوي: الأدب وقيم الحياة المعاصرة، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1974، ص 176.
24. مصطفى الغماري: أسرار الغربة، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 55.
25. وافي خنسة: دراسات في الشعر العربي الحديث. د. ط. دار الحقائق 1980، ص 77.
26. صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر، د. ط، بيروت 1992، ص 20.
27. أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د. ط، دارغريب، القاهرة، ص 158-159.
28. عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، د. ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 1998، ص 378.
29. الأزهر عطية: السفر إلى القلب، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984. ص 34.
30. رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، ط 1، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1998، ص 132.
31. منير الحافظ: الوعي اللغوي الجمالي في فلسفة الكلام، ص 131.

اللسانيات العربية: الواقع والآفاق قراءة في تصور "مصطفى غلفان"

The reality and perspective of the arabe linguistic, in the investigation of Mustapha Ghalfen

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-09-15

غنية طيبي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

ghanitaibi@yahoo.com

الملخص

تحاول هذه الدراسة استقراء واقع اللسانيات في الثقافة العربية من خلال ممارسات عملية شكّلت ما يُسمّى باتجاهات البحث اللساني العربي حديثاً وفق منظور الباحث اللساني: "مصطفى غلفان" الذي شخّص من خلال مقارباته العديدة هذا الواقع على مستوى المنهج والموضوع والغاية.

وانطلاقاً من هذه المستويات والاهتمامات نحاول رسم صورة لمستقبل اللسانيات العربية وآفاقها.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، اللسانيات، المنهج، الواقع، الآفاق.

Résumé

Cette étude essaye de faire apparaître la réalité de la linguistique dans la culture arabe à travers des pratiques qui ont formé ce qu'on appelle « les directions de la recherche linguistique arabe récente » selon le chercheur linguiste « Mustapha Ghalfen ». Ce dernier a diagnostiqué à travers plusieurs de ses approches cette réalité au niveau de la méthode, du sujet et de l'objectif. C'est à partir de ces niveaux et ses intérêts que nous essayons de dessiner l'image de l'avenir de la linguistique arabe et ses horizons.

Mots clés : La langue arabe, La linguistique, La méthode, La réalité, L'horizon.

Abstract

This study highlights the linguistic state in the Arabian culture through practices that form the recent approaches of research of the Arabian linguistic; the linguist researcher « Mustapha Ghalfen » has diagnosed via different approaches that reality in terms of method, topic, and purpose.

Throughout these levels and interests, the researcher tries to draw the future of the Arabian linguistics and its perspectives.

Key words: The Arabian language, Linguistic, Method, State, Perspective.

تمهيد

تشكّل اللّغة مركز اهتمام مختلف العلوم التي تسعى إلى مقارنة الواقع واكتشاف حقائقه من أجل إنتاج معرفة علمية تفسّر طبيعته ، ولا يكون لها ذلك إلا بنظرة واعية لواقع اللّغة واستعمالاتها ومُصطلحاتها ومُوزها ، كونها الوعاء المادي والفكري الذي يُعطي حُدوداً ملموسة لهذا العلم ، وتسمح له القيام بمقارباته وتحليلاته ودراساته لمختلف الظواهر الطبيعية ، كما تضمن له اشتغال آلياته بصفة علمية ثابتة إذ تقيّد له قوانينه ونتائج اختباراته وتجاربته.

مقام جعل من هذه الظاهرة كنزاً معرفياً في ذاته وفي وظيفته أهلاً لأن تستحقّ النّظر إليها بإحدى تلك العلوم ، نظراً ثاقبة تكشف عن خبايا هذا الكنز لِتُعرف حقائقها وأبعادها ومكوّناتها وغاياتها ، نظراً كان عنوانها التأمّل اللّغوي قديماً ومضمونها البحث اللّساني حديثاً ، ونتيجة كلّ ذلك علم اللّسان أو اللّسانيات والتي أضحت تضاهي مختلف العلوم الطبيعية منها والإنسانية ، منهجا وموضوعا ، خاصة منذ انتشار فكر "دوسوسير" عن اللغة خلال القرن العشرين.

ولا تزال حركية التفكير اللساني مستمرة وهي تسعى نحو تصوّرات جديدة واكتشافات راهنة موازية لخط تطوّر اللغة في المجتمعات خاصة المتقدّمة منها ، أين تشهد اللغة والدراسات عنها على السواء تطورا ملحوظا في سبيل إيجاد أدقّ التفاصيل عن أسرار اللغات على مستوى اشتغالها العصبي /الدماغي من جهة ، وعلى مستوى اشتغالها الوظيفي الآلي/التكنولوجي من جهة ثانية.

فإذا كان هذا واقع اللسانيات عند الغرب ، فما هو حالها عند العرب ؟

- وما هو واقع الممارسة اللسانية في الثقافة العربية ؟
- فيم تتمثل اهتمامات اللسانيين العرب حديثا ؟
- وفي ظل ضرورة المسيرة والمواكبة: ماهي آفاق الدرس اللساني عند العرب ؟
- وكيف قارب "مصطفى غلفان" هذه الإشكالات كلّها ؟

وقبل أن نعالج هذه الموضوعات نودّ الحديث عن موضوع العلاقة بين اللغة العربية وعلم اللسان بمفهومه الحديث —خاصة—وهذا من منطلق تأييد البعض لهذه العلاقة بين اللغة العربية -موضوعا-واللسانيات — منهجا علميا-ومن

منطلق رفض ونكران البعض الآخر لها بحجة أنّنا لدينا من الدّرس اللغوي القديم ما يُغنينا عن هذا الفكر الحديث وكذلك بحجة تميّز اللغة العربية بخصائص فريدة لا يمكن النّظر فيها بالآليات اللسانية العامة الحديثة.

1- اللغة العربية واللسانيات

تمثل ظاهرة اللغة على اختلاف أشكالها ومستوياتها المادة الخام للمقاربة اللسانية التي تعمل من أجل وضع الشروط العلمية والموضوعية لتحويل هذه المادة إلى موضوع علمي قابل للوصف والتفسير والتقنين ، وذلك كلّه بغية كشف طبيعتها الداخلية أولا ، وأبعادها المعرفية الخارجية ثانيا ، من خلال تفسير وجه العلاقة الخفية التي تربط بين أنماط المكوّن اللغوي ، وبين أشكال المكوّن العقلي والفكري لدى الإنسان المتكلم/ المستمع والمفكر فيما يشكّل صور علاقاته بينه وبين لغته من ناحية ، وبين لغته وواقعه الخارجي من ناحية أخرى ف «عندما نرى كم هو طبيعي ومفيد للإنسان أن يحدّد بين لغته والواقع ، نكتشف مدى الجهد العقلي الذي وجب بذله للفصل بينهما ، وجعل كلّ واحد منهما موضوع دراسة»¹.

وإذا وجّهنا النّظر إلى اللغة العربية وحددناها موضوعا للدراسة بمعزل عن ناطقيها وواقعها ، يستقر اليقين عند مادتها اللغوية وأدلتها اللسانية ووعائها الفكري ، وعلامتها الوظيفية ، وقيمتها التواصلية ، كلغة ، طبيعية مثلها مثل بقية اللغات ، تتضمن في بنيتها الداخلية نموذجا صوريا قابلا لأن يكون موضوعا علميا يوصف ويحلّل ويفسّر لسانيا لتحديد طبيعتها وكشف حقائقها باستقراء عناصرها واستنباط علاقاتها والاستدلال على قوانينها العامة والخاصة في إطار البحث أو الممارسة اللسانية.

وهذا يعني أنّها ظاهرة كلّية تحتاج باستمرار لوصف خارجي عبر تحديد فكري أداته المنهج اللساني ، وأمام هذا الوضع لا يمكن مطلقا نكران العلاقة بين اللغة العربية والبحث اللساني العام الذي يرمي في مداه الأقصى وصف الألسن البشرية بهدف كشف طبيعتها وبحث علاقتها بالفكر ، وبالتالي بالإنسان عبر استقصاء كلّيات النماذج اللسانية المختلفة.

في هذا الشأن يذكر "مصطفى غلفان" نفي البعض للعلاقة القائمة بين اللسانيات كعلم عام يبحث في المبادئ العامة والمشاركة بين الألسن الطبيعية وبين اللغة العربية ، وحجتهم في ذلك أنّ لكل لغة نمطها الخاص ، وعدم مُلاءمة

وهذا ما يؤكد "مصطفى غلفان" حينما يرد على الناكرين لللسانيات كفكر غربي متعارض مع خصوصية العربية حيث يقول: «لا تختلف اللغة العربية في شيء عن اللغات الإنسانية الأخرى، فاللغة العربية لغة طبيعية مثل باقي اللغات البشرية قد يختلف التاريخ والمجتمع والحضارة لكن اللغة العربية من حيث هي أنساق تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشارك معها في عدد من الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات»⁵.

ف "مصطفى غلفان" من أنصار اللسانيات والمدافعين عنها، وفي مواقف عدّة من كتبه المشهورة عن اللسانيات العربية نجده لا يتوانى عن تمجيد الفكر اللساني العلمي مُعدداً مبادئ وشروطه وغاياته ومناهجه، كما لا يتوانى عن ذكر شموليتها وعمومية نتائجها على كافة اللغات بما فيها العربية وهو إذ يستنكر الموقف القائل بأن اللسانيات الغربية لا تُنتج إلاّ تحليلًا «أنجلو عربية»، الحديث يبتعد عن روح النظام اللغوي العربي، ولا يشير إلاّ إلى ماله مرادف في الإنجليزية»⁶ نجده يدافع عن تلك الكتابات التي حاولت تطبيق النظريات العامة على العربية والتي يذكر منها أعمال "عبد القادر الفاسي الفهري" في محاولته الجادة تطبيق نحو التوليدية التحويلية على قواعد اللغة العربية، وكذا تجربة "أحمد المتوكل" في دراسته الوظيفية التداولية للغة العربية، وهو يؤكد أنّ مثل هذه المحاولات تثبت جدوى التطبيقات اللسانية على اللغة العربية والتي من شأنها «إغناء لسانيات العربية في وصفها الجديد للغة العربية وبالتالي تزويد الثقافة العربية بمعين نظري ومنهجي جديد بعيدا عن أي إسقاط أو تقليد أعمى»⁷، يشير هذا الموقف من "مصطفى غلفان" إلى عدم التناقض بين المعرفة اللسانية العامة واللغة العربية كنموذج تطبيقي يُوصف ويُدرس لسانيا بل بالعكس قد يفيدها (اللغة العربية) هذا الوصف نظريا ومنهجيا حين يمدّها بتصورات نظرية عن طبيعتها وحقائقها و بآليات منهجية لتحليلها ورصد عناصرها وعلاقاتها النسقية ممّا يعين — كما يقول — على إغناء الدراسات اللسانية للغة العربية بالمنهج العلمي والذي يسمح لاحقا بتطويرها بعد تكون معرفة لسانية خالصة عنها، ولم لا يكون في العربية النموذج اللساني الذي تبحث عنه اللسانيات من أجل دراسته وتحليله وتعميم النتائج بعد ذلك؟ فاللسانيات — كما يقول "عبد السلام المسدي": علم «يقف اليوم في منعطف حاسم إذ يمرّ بلحظة

النماذج اللسانية الفرنسية والانجليزية مثلا-للبنية اللغوية للعربية فهم يرون أنّ «تطبيق النظريات اللسانية المعاصرة على اللغة العربية ليس أكثر من إسقاط نحو الانجليزية على نحو اللغة العربية»².

وبالنظر إلى كنه هذه الحجة وطبيعة المعرفة اللسانية التي تتميز بالشمولية والمشاركة ندرك الطابع الذاتي في هذا الموقف طالما أنّ اللسانيات تدرس القوانين العامة المستنبطة من خلال دراسة أسنة مختلفة، واللسانيات المكتوبة باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو العربية لا يعني بالضرورة أنّها تقنين لتلك اللغات، فقد تختلف لغة الوصف عن لغة المادة المدروسة، فلا يوجد مُسوَّغ علمي لثبوت هذه الحجة وتأكيدها النكران، ذلك أنّ اللسانيات كما يقول "مازن الوعر": «عبارة عن مبادئ وقوانين ومعايير مستنبطة من دراسة اللغات البشرية المتساوية، وهذه المبادئ والقوانين إنّما هي أكثر دقة وشمولية وعلمية من تلك القوانين التي تخص كلّ لغة من لغات العالم، ولا يمكن للعربية أن تكون طفرة خارجة عن هذا القانون العلمي للفهم إلاّ إذا أراد المرء تقديسها وعزلها عن حركة الحضارة الإنسانية»³.

وفي حقيقة الأمر يطرح هذا الوضع إشكالا جوهريًا ثقافيًا وعلميًا على السواء في الثقافة العربية ونظرتها للعلوم ككلّ، فإنّ ينظر العقل العربي نظرة ريبٍ ورفضٍ للفكر اللساني من منطلق أسباب غير علمية فهذا بحدّ ذاته يُعدّ مأزقًا فكريًا يُعيق قيام الصّرح اللساني العام والموضوعي؛ فكيف يُعقل وضع فجوة بين لغة بشرية وبين دراستها دراسة علمية تسعى لمقاربتها وفق مبادئ تشترك فيها مع عدد من اللغات؟ واللغة العربية «بصفتها عربية لا يعني أنّها تنفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى، بل لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلاّ ووجدنا مثيلا لها في لغة أو لغات أخرى»⁴.

فهي (اللغة العربية) لغة طبيعية نسقية تواصلية تُوظف صوتيا ودلاليا وفق نظامٍ قواعديّ تضمن شرط تبادل الأفكار في إطار ما يسمّى بدارة التخاطب /الكلام، أي أنّها تستعمل علاماتٍ للتدليل على المخزون الفكري للناطقين بها ولا يمكن أن تتنافى مع مقولة اللسانيات التي تؤكد على أنّ اللغة نظام من العلامات تستعمل لنقل الأفكار يشترك في استعمالها مجموع الأفراد الذين تواضعوا سابقا —اعتباطيا — على رموزها ونظامها في إطار البيئة اللسانية المشتركة.

العربية وخاصة فيما يتعلّق باللسان العربي الفصحى المقدّس «فالألسنية مثلاً هي دراسة اللهجات ومقارنتها بالفصحى، والقرآن نزل بالفصحى وبالتالي فلا فائدة للألسنية»¹⁰.

وهذه النظرة للسانيات والموقف السلبي منها تصنيف في دائرة القومية والتعصّب للذات ورفض الآخر طالما أن اللسانيات حسب هذا الرأي تعادي القوميات وثوابت الذات ومبادئها؟ وطالما أن اللسانيات فكر مستورد يجب النظر إليه بحذر لأنها خطر ثقافيّ فرض نفسه بقوة حسب البعض، وهنا نتساءل مرة أخرى: ما مدى شرعية هذه الآراء؟ ومن أي زاوية يمكن أن ينظر العقل العلمي في الثقافة العربية لمثل هذه المواقف والسلوكات الفكرية؟ وكيف يمكن تفسيرها موضوعياً؟ يقول "نعمان بوقرة": «إنّ مشكلة اللسانيات الحقيقية في البلاد العربية تكمن في عدم شرعيتها من زاوية إيديولوجية بحته...إنّها عند البعض نتاج الفكر الغربي المرتبط بالاستعمار، فالذات العربية ترفض بشدّة التعلّق الفكري بالآخر في ضوء رفضها الاستعمار بشتّى صورته»¹¹.

إنّ هذه المشكلة -إنّ جاز لنا تسميتها بهذا المصطلح- لا ترتبط باللسانيات ومعرفتها وبالموقف منها -حسب تصورتنا- بقدر ما ترتبط بالموقف الإيديولوجي من اللّغة نفسها، فالذهنية العربية ترفض أن تنفصل عن هذا الموضوع وتجعل منه مادة محايدة قابلة للدراسة بعيداً عن كلّ ما يحيط بها ممّا قد يؤثر أو يوجّه منهج الدراسة ونتائجها.

فالفرّد العربي لا يؤمن بضرورة وضع حدّ فاصل بين لغته وذاته وقيمه ومعتقداته ومبادئه كإنسان قبل كلّ شيء، وكلّ محاولة تستهدف هذه الخطوة تُقابل بالرفض والنفور بحجج لا أساس لها من الصحة المنطقية والعلمية.

وعليه ومن أجل ثبت العلاقة بين العربية وعلم اللسان ومن أجل مدّ جسر الدراسة العلمية بين البحث اللساني واللسان العربي أصبح من الضروري تبني رؤية علمية موضوعية تجاه العربية وذلك بإبعاد «تدخل الذات أي الأفراد في ذاتها، (Sujet) المفكرة الفاعلة، الناطقة...الخ ومن هنا فالخطر الذي يهدّد المعرفة الصحيحة ناتج عن نشاط الذات إذ ربّما لا تميّز بين ما هو راجع إليها، أي إلى نشاطها الخاص بها، وبين ما هو راجع إلى موضوع نشاطها في نفسه أي الأعيان في أنفسها»¹² والمفترض هو السعي نحو جعل اللّغة العربية نموذجاً علمياً من أجل إثبات خصائصها اللسانية العلمية العامة بغية الدفع بها إلى مصاف اللّغات العالمية دراسة واستعمالاً، وهذا يتطلب

معرفية حرجة ذلك أنّه يبحث عن أنموذج من الألسنة الطبيعية يمدّه بما لا تستطيع اللغات العالمية السائدة الآن أن تمدّه به على الوجه الأكمل، وإنّا لعلّ يقين جازم بأنّ اللّغة العربية مؤهلة تمام التأهيل للاضطلاع بهذه المهمة العلمية الدقيقة»⁸. لكن هذه المهمة العلمية الدقيقة لن تتأتّى إلّا بنظرة موضوعية للّغة العربية تتجاوز كلّ ما هو ذاتي من شأنه التحيز لهذه اللّغة أو التعصّب لها من منطلق أنّها تميّز بخصائص فريدة تجعل منها لغة غير عادية ممّا يعني النظر إليها ودراستها بأسلوب خاص ومنهج خاص وهو ما يتنافى تماماً مع متطلبات اللسانيات التي تمتنع عن أيّ تقديس غير موضوعي وغير علمي لأيّ شكل من أشكال اللّغات الطبيعية كما أنّها تترفع عن أيّ حكم ذاتي مسبق حول اللغات وفي المقابل تدعو باستمرار إلى ضرورة تحديد الموضوع بدقّة ودراسته علمياً في ذاته ومن أجل ذاته، وهو ما يعدّ من أبجديات البحث اللساني وشروطه.

لكن رغم إرساء هذه الثقافة اللسانية حديثاً عند الباحثين اللسانيين العرب إلّا أنّنا نجد البعض يتغافل عنها ويصرّ على النظرة الذاتية التقليدية للعربية، فهي كما ينقل لنا (مصطفى غلفان) على لسان الباحث "مازن المبارك" في كتابه (نحو وعي لغوي): «...ليست اللّغة العربية نسقا من الرموز والقواعد فحسب بل هي أكثر من ذلك... إنّها لغة عاشت حياة أمّتنا... إنّ في كلّ حرف من حروف لغتنا العربية، وفي كلّ لفظ من ألفاظها مَعِيناً من الذكريات، لقد امتلأت بتاريخنا واستوعبت تراثنا وارتسمت بألفاظ حضارتنا، ونطق بها فكّرنا حتى شفت عنه فلم يعد التفريق ممكناً بين الرمز ودلالته أو بين اللفظ ومضمونه»⁹، والسؤال المطروح هنا:

هل هذه الخصائص الوظيفية التداولية الهامشية تمنع من مقاربتها لسانياً؟

- أم أنّها تؤثر في طبيعتها الداخلية كنظام علاماتيّ تحكمه جملة من القوانين والقواعد؟

ألا توجد هذه السمّات في اللّغات الأخرى؟ أم أنّ العربية وحدها لغة إنسانية حضارية بشرية وسائر اللغات راهنة وزائلة لا تحمل حمولة دلالية خاصة بشعبها وتاريخه؟

مثل هذه المواقف الذاتية والانفرادية للّغة العربية هي التي جعلت من البعض ينفر من اللسانيات ويجعل منها تباراً مهدداً لثوابت الثقافة العربية بداية باللّغة العربية الفصيحة خاصة؛ لغة القرآن الكريم: وهو ما جعل أحد المفكرين يذهب إلى أنّ اللسانيات تهدد للهوية الفكرية

2- اللسانيات العربية: المصطلح والمفهوم

يشير هذا المصطلح من خلال مكوناته : اللسانيات / العربية إلى الدراسة العلمية الموضوعية للغة العربية ، واللسانيات بمفهومها الحديث - كما نعلم - من العلوم الغربية التي تمّ نقلها إلى الثقافة العربية عن طريق نشاط الرواد الأوائل الذين تلقوا الدرس اللساني في مختلف الجامعات الغربية (كمال بشر، محمود السّعران، تمام حسان ... وغيرهم) فبفضل هؤلاء انتشر الفكر اللساني بالترجمة أو الممارسة العملية من خلال دراسة اللغة العربية بتطبيق المناهج الغربية ، وهذا النشاط اللساني يطلق عليه عموماً مصطلح اللسانيات العربية.

لكن هذا المصطلح عرف توتراً ووضعاً غير مستقرّ ، ولم يلق الإجماع عند الباحثين اللسانيين العرب ممّا انجرّ عنه واقع مضطرب انعكس سلباً على البحث اللساني ككلّ وهو ما جعل اللسانيات عندنا «تعاين مبدئياً ما تعانیه العلوم المقترضة من مشكلات متعدّدة»¹⁷ وأبرز هذه المشكلات مشكلة التسمية أو ما يطلق عليه أزمة المصطلح ، وفي المجال اللساني تظهر هذه الإشكالية بحدّة طالها أنّ التعامل باللغة وعن اللغة من جهة بالإضافة إلى صراع المفاهيم بين هذا الدرس الوافد الجديد والدرس التراثي القديم من جهة ثانية ومن مظاهر كل ذلك « اختلاف الدارسين عندنا حول المصطلح الرئيس الدالّ على هذا العلم أي اللسانيات فلقد بلغت المصطلحات المعربة أو المترجمة لمصطلح Linguistique ثلاثة وعشرين مصطلحاً وفق ما أورده عبد السلام المسدي»¹⁸.

وفي هذا الصّدّد ، وفي إطار فرض تسمية بدل تسمية أخرى يؤكد "مصطفى غلفان" أنّ مصطلح اللسانيات مبدئياً نقصد به ذلك الفكر اللساني الذي ورد إلينا من الثقافة الغربية عن طريق الترجمة أو النقل أو النشر فهو بذلك ضمناً يرفض تسمية البحث اللغوي العربي القديم بمصطلح اللسانيات حيث يقول: «أما في الثقافة اللغوية العربية الحديثة فإن اللسانيات ليست استمراراً للبحث اللغوي العربي القديم بل وردت إلينا نتيجة الانفتاح المعرفي الذي عرفه العالم العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر»¹⁹.

وفي مواضيع كثيرة يعود (مصطفى غلفان) للحديث عن أزمة حقيقية في مجال تسمية البحوث اللسانية اللغوية العربية ، وهو ما يدخل في أزمة المصطلح العامة التي تعرفها

رؤية نقدية موضوعية وجراً منهجية ترتكز أساساً على «ملاحظة الوقائع وتمتنع عن اقتراح أي اختيار من بينها باسم بعض المبادئ الجمالية أو الأخلاقية»¹³ ، وهو الشرط المبدئي لأيّ دراسة علمية للغات كما ذهب إلى ذلك "أندريه مارتيني" ، فبغض النظر عن ارتباط العربية بالنص القرآني وبالتاريخ العربي الأزلي فهي لغة كسائر اللغات ، يتحدّد فيها مستوى الملكة كمكسب ذهني ، ومستوى اللسان كمكسب نسقي إبداعي جماعي اعتباري ، ومستوى الكلام كمكسب فردي إنجازي وفق شبكة من العلاقات يحكمها نظام من القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية التداولية وهي الحقائق اللسانية المتضمنة في جميع الألسنة البشرية والقابلة للتحليل اللساني ، أما الجوانب القيمة الأخرى والخارجية فلا مكان لها في هذا التحليل ، وعليه ينبغي كما يقول : (مصطفى غلفان) «إعادة النظر بموضوعية إلى اللغة العربية حيث يتم تجديد النظرة لها والتخلّص من النعوت التقديسية لها على أنّها سيدة لغات العالم ، لغة عالية المستوى ، أمثل اللغات للتعبير عن الفكر الفلسفي ، لغة كريمة عريقة ، وذات عبقرية»¹⁴.

وبتجديد هذه النظرة تتأسس العلاقة بين العلم والموضوع ، أي بين اللسانيات واللغة العربية بمنهجية علمية هدفها كشف الحقائق الثابتة لبنية اللغة العربية ونظامها اللساني القار ، وللمباشرة هذا النشاط اللساني يخلّص "مصطفى غلفان" إلى جملة من الشروط والمبادئ ، إذ يقول : «هناك بعض القواعد العامة والمبادئ الأساسية التي يجب أن تتوافر في كلّ بحث يريد لنفسه صفة «اللسانية» أو طابع العلمية ، غير أنّ هذه المبادئ ليست قواعد منهجية بقدرها ما هي "إزالة لبعض الأوهام" أو "المعرفة الخاطئة" حول أمور تتعلّق باللغة وطبيعتها وعلاقة المتكلّم بقواعد لغته»¹⁵.

ومن هذه القواعد المبادئ يذكّر:

- ليس هناك تمييز أو مفاضلة بين لسان ولسان فجميعها متساوية أمام البحث العلمي.
- الموضوعية وتجنّب الذاتية أو التعصّب.
- تجنب الممارسة المعيارية على الألسن وتحري الوصف أو التفسير دون إبداء الرأي من الناحية المعيارية.¹⁶
- بهذه الانطلاقة فقط -حسب م/غلفان- وغيره من الدارسين يمكن التأسيس فعلاً لنشاط لغوي يتّسم بالعلمية والموضوعية عنوانه اللسانيات العربية.

فما المقصود بهذا المصطلح وما هو موضوعه ؟

المصطلح بدقة ، وعن غاية الاهتمام بالتعريف العلمي للموضوع الحقيقي والوحيد للدرس اللساني العام والخاص ، مما جعلها كتابات غير مضبوطة: «بعضها تقليدي صرف ، وبعضها لا يرقى في شيء إلى ما هو تقليدي ، وبعضها الآخر لا علاقة له البتة باللسانيات»²³.

يوصل (مصطفى غلفان) مناقشة هذا المصطلح ليميز بين اللسانيات العربية ولسانيات العربية:

أ-لسانيات العربية: هي التي «تهدف إلى الاشتغال باللغة العربية ووصفها في نسقها القديم أو نسقها الحديث أو نسقها الوسيط ، وكذلك على الفكر المتصل بهذه اللغة ، ولسانيات العربية لا تتحدّد باللغة المكتوب بها ، إذ يمكن أن تكون لغة غير العربية ، بقدر ما تحدّد باللغة موضوع الوصف»²⁴. أي أنّها لسانيات تدرس اللغة في بنيتها ونظامها حيث تتخذ من اللغة العربية «موضوعا وهدفا في مختلف مستوياتها»²⁵.

ب/ اللسانيات العربية: هي «ذات مجال مختلف وأوسع إذ يمكن أن تشمل ما هو مكتوب من اللسانيات الأجنبية ، وقد نقصد باللسانيات العربية ما هو موجود من تصوّر عربي للظاهرة اللغوية»²⁶ ، أي أنّها لسانيات تهتم بوصف النشاط اللساني حول لغة من اللغات بمعنى تشتغل تقريبا بالتنظير العام عن اللغات وتشمل «كلّ ما يكتب في اللسانيات باللغة العربية سواء تعلّق الأمر باللسانيات العامة أو لسانيات العربية أو لسانيات أية لغة من اللغات الطبيعية»²⁷.

بعد تحديد مفهوم مصطلح اللسانيات العربية -على اختلاف التسمية -سنحاول الوقوف عند أبرز الاهتمامات التي شغلت الباحثين اللسانيين العرب والتي شكّلت ما يسمّى «بالتجاهات البحث اللساني العربي معتمدين في ذلك تصنيف "مصطفى غلفان" الذي وصف لنا هذا النشاط وفق الموضوع والمنهج والهدف واصفا بذلك واقع الدراسات اللسانية في الثقافة العربية.

3-اهتمامات اللسانيات العربية

تدقيقا لأوجه النشاط اللساني من حيث الموضوع والمنهج -خاصة -نجد "مصطفى غلفان" يسمّي هذه اللسانيات العربية بالكتابة اللسانية تارة وبالخطاب اللساني العربي تارة أخرى ويصنّف هذه الكتابات إلى ثلاثة أصناف وهي كالآتي:²⁸

مجالات عديدة في السّاحة العربية ، فبالإضافة إلى عدم تحديد الموضوع الحقيقي الذي يتوجّب على اللسانيّ دراسته وتحليله (التراث اللغوي أو الفكر الغربي أو راهن اللغة العربية) انحرفت هذه الإشكالية لمتنّ مستوى التسمية لتظهر عدة تسميات منها : «الدراسات اللّغوية العربية الحديثة ، اللغويات العربية الحديثة ، الدرس اللساني العربي الحديث ، التفكير العربي اللساني ، اللسانيات العربية ، لسانيات العربية»²⁰.

والأكيد أنّ هذا الواقع المرّ انجرّ عنه خلط على مستوى المفاهيم حيث كان من المفترض تحديده (المصطلح) بدقة علمية حتى تستقيم الإحالات الدلالية للمصطلح ليسهل بعد ذلك ممارسة العمل اللساني نظريا وتطبيقيا ، لكن يبدو أنّ هذه الإشكالية لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا فحتى بعد حصول شبه الإجماع مع بداية الثمانينيات من القرن العشرين على تبني تسمية «اللسانيات العربية» و"لسانيات العربية" مع هيمنة العبارة الأولى حسب (مصطفى غلفان) يبقى الإشكال مطروحا حول مفهوم كلّ مصطلح والفرق بين التسميتين ، وإنّ نحن تجاوزنا هذا الإشكال مرغمين قسريا من أجل مقارنة مفهوم المصطلح الشائع "اللسانيات العربية" والذي يشير إلى كلّ «الكتابات العربية التي لها صلة بموضوع الدرس اللغوي العربي قديمه وحديثه»²¹.

يمكن وصف هذا التعريف بأنّه عبارة عن الغربال الذي يغطي شمس الحقيقة المعرفية والتي كان على (مصطفى غلفان) أن يحجب بتعريفه هذا ولو نسبيا الأزمة المطروحة ، فهو من جهة يقول بأنّ مصطلح اللسانيات يُطلق على الفكر اللغوي الوارد إلينا من الغرب نافيا بذلك استعماله للدلالة على البحث اللغوي القديم لكنه من خلال هذا التعريف يؤكد تأزم الوضع حين يذهب إلى أنّ المصطلح يُطلق على الدرس اللساني القديم والحديث ، دون أن يقدم لنا منافذ ملموسة للخروج من هذه الأزمة: كيف نحدّد المصطلح المناسب؟ وكيف نحدّد موضوعه؟ وكي نحقق الإجماع على المصطلح (مفهوما وموضوعا) وهذا ما يؤكده بنفسه في موضع آخر حيث يتهم هذا المصطلح (التسمية والمفهوم) بالتقصير المعرفي والمنهجي ، فهي كما يقول: «كتابات عامة مبهمّة وغامضة نظريا ومنهجيا ، كتابات تأخذ من كلّ حذب وصوب ، وتجمع ما هو لغوي تراثي قديم بما هو لساني حديث دون أدنى حرج نظري أو منهجي»²². وكأنّ (مصطفى غلفان) يجعل من اللسانيات العربية مجالا ضائعا أضاع سبيله بنفسه حين غفل عن جدوى تحديد

اللغوية العربية القديمة من منظور البحث اللساني الحديث والتوفيق بين التصورات اللغوية القديمة والنظريات اللسانية الحديثة ومن ثمة إخراج التراث في حلة جديدة تبين قيمته التاريخية والحضارية بالتأكيد على احتوائه للمضامين اللسانية الجديدة»³¹.

يذكر الدارسون أن هذا الاتجاه في الخطاب اللساني العربي هو الأكثر بروزاً إذ يمثل الشغل الشاغل لمعظم اللسانين العرب بمحاولاتهم إبراز قيمة هذا التراث المعرفية خاصة من أجل الحفاظ عليه وعدم الذوبان في فكر الآخر الذي يرونه تهديداً لتراثهم وإقصاء لثقافتهم حتى تحول ذلك إلى «هاجس معرفي خلق نوعاً من الصراع الخفي بين الفكر اللغوي القديم واللسانيات بكيفية غير مبررة، ولأسباب غير بريئة»³².

تمثل تلك الأسباب في دوافع ذاتية غير علمية وهي أسباب إيديولوجية غير بريئة ترتبط بذهنية الذات العربية بصفة عامة، و"مصطفى غلفان" يوجّه انتقاداً لمثل هذه الممارسات اللسانية، فهو في كلّ مرة يتساءل تساؤل كلّ الدارسين الموضوعيين عن جدوى قراءة هذا التراث وإعادة قراءته في ضوء النظريات اللسانية الحديثة وكأن هذا «الفكر اللغوي القديم لا قيمة له ولا يمكن تقويمه أو إدراكه وفهمه إلا في إطار الجديد وبالقياس على هذا الجديد الذي هو اللسانيات»³³.

- ألا يمكن قراءة هذا التراث في ذاته؟ في حملته المعرفية؟ في خصوصيته المنهجية؟ أم أنه وجود فكري يحتاج إلى عقل آخر لفهمه واستثماره؟

هذا الإشكال يطرح إشكالا منهجياً آخر وهو ما طبيعة المعرفة اللسانية التي تنتجها هذه اللسانيات وهي تُدمج المفاهيم القديمة وتقاربها بالتصورات الحديثة؟

يصف "مصطفى غلفان" هذا العمل بأنه يقع على هامش اللسانيات لأنه من الناحية المبدئية لا يندرج مباشرة ضمن مهام اللسانيات: فهو «يسمح بانتقال بسيط وساذج من تصورات لغوية قديمة إلى تصورات جديدة وبلغى المسافات النظرية والمنهجية القائمة بين الفكرين اللغويين القديم والحديث»³⁴.

ونتيجة لهذه الأسباب التي تعيق قيام نشاط لساني فعلي وتأسيسه على أسس علمية موضوعية تُوجّه الكثير من الانتقادات لهذا الصنف من الكتابة اللسانية ممّا أفرز واقعا مضطربا ساهم في عرقلة تطوّر البحث اللساني وهو ما عرقل

صنفها	موضوعها	منهجها	غايتها
الكتابة اللسانية التمهيدية	النظريات اللسانية (اتجاهاتها، أعلامها مبادئها، مناهجها)	تعليمي (التعريف بها توضيح، بيان، تبسيط)	تبسيط المعرفة اللسانية
لسانيات التراث	التراث اللغوي العربي	القراءة وإعادة القراءة	المقاربة بين التراث اللغوي العربي والفكر اللغوي الحديث
لسانيات العربية	ظواهر من اللغة العربية	لساني حديث (تاريخي) مقارنة، وصفي، تقابلي	وصف اللغة العربية

يشرح لنا "مصطفى غلفان" هذه الاتجاهات بتقديم

تعريف لها مع وصف موضوع دراستها والمنهج المعتمد:

أ- اللسانيات التمهيدية: تتناول ما «تقدّمه النظريات

اللسانية الحديثة من مبادئ جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة ومناهج تحليل اللغات الخاصة ... قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي وتقريبها منه ... وتعتمد المنهج التعليمي القائم على الوضوح والتبيان والشرح وما يتطلبه كلّ ذلك من وسائل مساعدة من أمثلة ورسوم بيانية»²⁹. وكان هذا الصنف يعمل على نقل الفكر اللساني الغربي إلى البيئة العربية، وشرح النظريات اللسانية الغربية التي تناولت كليات المفاهيم اللغوية العامة، كتبسيط مفاهيم البنيوية والوظيفية والتوليدية التحويلية والتداولية، وتقديمها موضحة إلى القارئ العربي المبتدئ خاصة في مجال الدرس اللساني، وهنا نتساءل كيف سيكون منهج النقل؟ ومنهج الممارسة؟ ثم ألا يعني هذا أنّ القارئ العربي -حسب هذا التعريف الضمني- خالٍ من المعرفة اللسانية ينتظر فقط من يعلمه الدرس اللساني؟ ثم ماذا عن المعرفة اللغوية المكتسبة لديه من ثقافته الأصلية (التراث)؟

ب/ لسانيات التراث: هي الأعمال التي «تتخذ التراث

اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعاً لدراساتها المتنوعة، ويعتمد أصحاب هذه الكتابة ما يعرف بمنهج إعادة القراءة»³⁰، وتسعى مثل هذه الكتابات اللسانية إلى «تأويل التصورات

وهو واقع يُربِّح صفة الأزمة الفكرية التي تتمظهر أساساً في صعوبة التصنيف وتعقّد الاشتغال اللساني وغياب المنهج سواء في النقل أو القراءة وإعادة القراءة أو في التطبيق والتحليل.

وهذا ما يشير إليه (مصطفى غلفان) مستذكراً مواقفهم حيث يقول « لا نجد في خطابات اللسانيات العربية بأنواعها المتباينة مفهوماً منهجياً وتصوراً مضبوطاً وواضح المعالم للغة العربية»⁴⁰، فرغم تجاوز هؤلاء للتراث، ورغم محاولتهم تجاوز الفكر اللساني الغربي أيضاً نحو دراسة اللغة العربية وتحليلها تحليلًا مستقلاً عن هذا وذاك إلا أنهم لم يستطيعوا تأسيس فكر لسانيٍّ عربيٍّ قائمٍ الذات بموضوع مستقلٍّ ومنهج مضبوطٍ، أي أنهم « لم يقدموا أيّ بديلٍ لسانيٍّ حديثٍ للانتقادات التي وجهوها للفكر اللغوي القديم، فضلاً عن أنهم لم يقيموا كلاً من بعض مبادئ الدرس اللساني الحديث، ولم يتجاوزوا في تعاملهم مع اللغة العربية حدود معطيات النحو العربي القديم نفسها»⁴¹.

وعلى هذا التعدّد في الاهتمامات واختلافها موضوعاً ومنهجياً جاءت الكتابات اللسانية العربية التي حاولت استثمار المعطيات اللسانية متنوعة بين: «الاكتفاء بالدعوة إلى الاطلاع على اللسانيات من حيث أنها مبادئ عامة وأصول نظرية ومنهجية جديدة قد تساهم في معالجة العديد من قضايا اللغة العربية.

- الاستعانة باللسانيات إمّا لفهم التراث اللغوي العربي عامة واللغوي منه على وجه الخصوص أو لتجديد التعامل مع قضايا نحو اللغة العربية.

- التطبيق الحرفي للسانيات بالسعي إلى وضع أنحاء بديلة للمنظومة النحوية القديمة»⁴².

ومن جهة أخرى هناك من يُجمل هذه المهام للسانيات العربية الحديثة في تيارين متمايزين يمثلان حسب الباحث اللساني "نهاد الموسى" في:

«1/ درس قضايا من قضايا اللغة العربية خلال بدايات القرن العشرين من أجل حماية اللغة العربية من الدعوات المُفرّغة من مثل ما تداوله أهل العربية من وجوه الاحتجاج والاستدلال في مواجهة الدعوة إلى العامية وكتابة العربية بالحرف اللاتيني.

2/ إتباع النظريات اللسانية الغربية في سياقها الخاص وقد قام على المزاجية بين المنهج المستعار والموضوع العربي،

بدوره سبل تطوير اللغة العربية لأنها كتابة تتناول «الظاهرة اللغوية بعين تراثية مدمجة في السياق الحدائث بمفاهيمه وبمصطلحاته»³⁵. فهي حين تتناول ظاهرة اللغة العربية بهذه المنهجية فإنها تغفل عن غاية اللسانيات التي تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها أي أنها (اللسانيات التراث) تسعى لدراسة «جوانب خارجة عن بنية اللغة العربية»³⁶.

وهذا ما جعل البعض يدعو صراحة إلى تجاوز هذا التراث الذي وصل في اعتقاد "مصطفى غلفان" إلى "الطريق المسدود" حيث يستحيل مراقبة هذه الأعمال بآليات منهجية علمية ومضمونة بدقة لذلك اتجه الكثير إلى الاهتمام بدراسة اللغة العربية ومقاربة ظواهرها المختلفة في إطار ما يسمّى بلسانيات العربية.

ج-لسانيات العربية: يتخذ هذا الصنف من اللسانيات من «بنيات اللغة العربية في مستوياتها المختلفة موضوعاً تشتغل وتتمحور حوله كلّ اهتماماتها النظرية والمنهجية والتطبيقية»³⁷. يحاول هذا الاتجاه ممارسة اللسانيات في حقيقتها من خلال التركيز على الموضوع الفعلي للدرس اللساني: نظام اللغة وبنيتها، للوقوف عند عناصرها وعلاقاتها بمناهج لسانية بحتة وهي تلك «المناهج العلمية المتداولة في البحث اللساني الحديث كالمناهج التاريخية والمقارن والوصفي والتقابلي»³⁸.

أما عن غاية هذه الكتابات اللسانية العربية فهي تهدف إلى «تقديم وصف بنيات اللغة العربية وصفاً جديداً على نهج غير مسبوق في الثقافة اللغوية العربية وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث»³⁹.

من خلال هذين القولين الأخيرين يشعر القارئ بنوع من الخلل المفاهيمي والمنهجي في هذا التصنيف من "مصطفى غلفان" فكما نلاحظ رغم اهتمام هذا النشاط باللغة العربية ذاتها لكنه في وصفه لها لا يخرج عن نطاق نتائج البحث اللساني الحديث عند الغرب ممّا يعني تأكيد غموض الموضوع والأسس والمنطلق والمنهج في الخطاب اللساني العربي الحديث، وهو على غرار لسانيات التراث لا يكاد فيها العقل العربي ينفلت من النظريات اللسانية الغربية الحديثة ومن مبادئها وتصوراتها المنهجية التي يظل الفكر العربي يبحث عن ضالة لها في فكر مُوغل في القدم.

يبين لنا هذا القول أنّ اللسانيات العربية تعاني خلافاً منهجياً على المستوى النظري والتطبيقي معاً، وسبب ذلك غياب التفكير العلمي الجاد في مقاربة اللسان العربي مقارنة لسانية جادة أدخلت البحث اللغوي العربي في ديمومة التأخر وجعلته يقبع في مكانه يستهلك أفكاراً وتصورات غيره بالإسقاط السلبي أحياناً على الثقافة العربية، وأحياناً أخرى بالاحتكار الفكري الذي يعيد نفسه في كل مرة دون تأسيس لمعرفة لسانية عربية خالصة.

وربما هذا ما جعل "عبد السلام المسدي" يصف الخطاب اللساني العربي بالتأخر بل بالتخلف إذ يقول: «يلاحظ باستغراب وحيرة تخلف ركب الفكر العربي في حلبة علوم اللسان»⁴⁵، ولا جدال في أن السبب الرئيسي في تأزم هذا الوضع يتمثل أساساً في إشكالية المنهج الذي يُؤطر غالباً الأعمال الفكرية في أي مجال ويجعلها تنحو منحى العلمية بعيداً عن الأهواء والتخمينات والتأويلات الذاتية للظواهر.

عالج "مصطفى غلفان" هذه الإشكالية مطوّلاً في ثنايا مؤلفاته العديدة، وفي كلّ موقف يصف فيه الخطاب اللساني العربي يشير إلى واقعه المتوتر مرجعاً ذلك إلى أزمة في الأسس والمنطلقات والقواعد المنهجية حيث يقول: «إنّ المشكلة التي تُعاني منها العديد من الدراسات اللغوية العربية هو افتقارها الأساس المنهجي الذي يفترض أن يُستمد من النظرية اللسانية العامة»⁴⁶.

فالعمل الذي يستند إلى منهج واضح ومضبوط على المستوى المفاهيم والمصطلحات والآليات يستحيل معه الانحراف الفكري والوقوع في متاهة الضياع في إشكالات معرفية تُفقد هذا العمل الأساس الواقعي والمنطقي، واللسانيات العربية في غياب تبنيهاً للمنهج المؤسّس علمياً بقيت تعاني بين الأخذ والرّد دون التوجه المباشر نحو تحديد مسارها اللغوي وموضوعها المفترض دراسته. ومن أزمات كلّ ذلك «ادّعاء العلمية أو المنهجية وهذه الظاهرة تأخذ أشكالاً متعدّدة من متصوّر خاطئ للفرضيات العلمية إلى تصوّر خاطئ لما يُعتبر تطبيقاً»⁴⁷.

إذا افترضنا مسبقاً بأنّ علم اللسان العام قد تأسس على أسس علمية بصفة مطلقة فالنتيجة أن البحث اللساني الخاص بلغة من اللغات عليه الانقياد بهذه الأسس حتى وإن كان ذلك قسرياً ليحاول تطبيق هذه الفرضيات العلمية العامة بتكييفها حسب ما يقتضيه واقع اللسان الخاص، وهذا يعدّ من الشروط

واتجه إلى إعادة وصف العربية فكان تياراً تطبيقياً خالصاً إلى حدّ بعيد... لتشكيل وعي علمي بالعربية، وتشكيل وعي لساني وإقامة جدل بين الموضوع والمنهج تطرح فيه العربية أسئلتها الخاصة في ضوء الوعي اللساني العام»⁴³.

الملاحظ من خلال هذين التصنيفين الأخيرين لأبرز اتجاهات البحث اللساني العربي الحديث أنّه لا يزال بحثاً في طور التأسيس يعاني من أزمة نظرية وتطبيقية، ومن مظاهرها غياب الموضوعية وطغيان الجانب الذاتي بالدرجة الأولى بالإضافة إلى خلل منهجيّ صعب من مأمورية الدرس اللساني وأبعده عن الدقة والعلمية والضبط المفاهيمي والمصطلحي، وهي أبرز ما يميز واقع اللسانيات في الثقافة العربية.

ولعلّ أهمّ ما يُعرقل هذا التأسيس العلمي لللسانيات العربية هو قضية غياب أو تغييب المنهج.

4/ قضية المنهج في الخطاب اللساني العربي

كما أشرنا سابقاً، يُمثّل المنهج الشرط المبدئي العام الذي يفترضه كلّ علم وينطلق منه لوصف الظواهر المدروسة فهو يحدّد خطوات الوصف وآلياته ومسالكه، منذ الملاحظة إلى القوانين مروراً بالتجارب والتحليل، وهو الذي يضمن بذلك سلامة النتائج وثبوتها، وبالتالي تعميمها بكلّ دقة وموضوعية، لتندرج تحت هذه المنهجية والنتائج مختلف العلوم التي تشتغل حول مختلف الظواهر على اختلاف الأهداف والغايات. ويبدو أنّ هذا الشرط بكلّ هذه الضوابط هو ما ينقص البحث اللساني عند العرب الذي أصبح يهرب من هذا المأزق المنهجي نحو حلول واهية لا تزيد إلّا في تأزم الوضع، فتارة نجده يهرب نحو الفكر اللساني الغربي لينقله ويترجمه شارحاً إيّاه، وتارة نجده يختبئ وراء الفكر اللغوي العربي القديم بالقراءة أو إعادة القراءة، فما نجده اليوم في اللسانيات العربية: «كتب في أغلب الأحيان تكرر بعضها أو تقدّم ما جاء في اللسانيات الغربية من أفكار جاهزة يغلب عليها سوء الفهم وعدم دقة الترجمة، وبذلك بقيت الدراسات اللسانية في الوطن العربي ضعيفة لا تُلبي حاجة اللسان العربي إليها في معالجة قضاياها الداخلية وتطبيقها على المجالات الإبداعية والاجتماعية الأخرى، ولهذه الأسباب يبقى اللسان العربي يعاني من مشكلات رئيسية عطّلت تطوّره ودراسته دراسة علمية موضوعية»⁴⁴.

عربية يمكنها أن تراعي اللغة العربية ككل أو كجسم متكامل ... ولا يتوفر على النظرية النحوية المتكاملة التي تستطيع أن تراعي كل القضايا التركيبية للغة العربية»⁵⁰ حسبها نقله "مصطفى غلفان" عن الباحث اللساني (مازن الوعر).

يُجمع الباحثون على أنَّ هذا الوضع مردّه أساسا إلى تداخل الجوانب الذاتية مع الموضوعية في الممارسات اللسانية عند الباحثين العرب الذين لم يستطيعوا التملّص من الدوافع الذاتية والنوازع الشخصية والأذواق الخاصة في اختيار المناهج أو تطبيقها. ليتحوّل العمل بعد ذلك إلى «موقف شخصي وذاتي (اعتباري بمعنى آخر) مع ما يترتب على هذه المسألة من تداخل بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي لتتحوّل القضية المنهجية وكل نقاش يرتبط بها إلى مسألة ذاتية بهذا الباحث أو ذاك»⁵¹.

لا يمكن رغم هذا الوضع الحكم على البحث اللساني العربي بانسداد في الأفق، وطالما أن العقل يشغل باستمرار فلا وجود لإشكالية معرفية وضعية يعجز أمامها هذا العقل الذي يظل يحاول ويقارب بمنهج أو بآخر مختلف الظواهر ويسعى بشكل أو بآخر معالجة كل ما يعرقل نشاطه واشتغاله خاصة إذا تعلّق الأمر بالجانب الفكري بذاته وما يرتبط به من آلية اللغة، ما يتطلبه الأمر هنا فقط فعل الحضور واثبات الذات الفاعلة والمفكرة، ففي مختلف المجالات العلمية والثقافية «تكمّن نقطة الانطلاق في العلم إرادة الإنسان أن يستخدم عقله لفهم الطبيعة وضبطها ... والمشكلة الأولى التي يطرحها العلم هي معرفة كيف يكون ذلك ممكنا؟ كيف يتلاءم الواقع مع بحثنا؟ كيف تعثر الذات على الموضوع؟ وكيف تعرفه؟»⁵². وبهذا الحضور والإرادة والعمل، وبهذه المنهجية في طرح الإشكالات المبدئية يمكن لللسانيات في الثقافة العربية إن تقيّدت بها أن تخرج من مأزقها المنهجي والمعرفي وتفتح لنفسها أفقا جديدة لترتقي بذلك إلى منزلة الفكر اللساني العالمي المعاصر.

5/ آفاق الخطاب اللساني العربي

عندما يتعلق الأمر بالحديث عن موضوع الآفاق في مجال ما يكون الطرح متعلقا أساسا بمدى جاهزية المناخ الراهن فكريا ومنهجيا وحتى ماديا لتجاوز الواقع وفتح صفحة جديدة بإيجاد حلول ملموسة تسمح بتجسيد تلك الآفاق.

وبالنسبة لللسانيات في الثقافة العربية ومن أجل تحقيق النهضة اللسانية ينبغي السعي أولا نحو بناء منهجيّ

المنهجية لقيام ما يُسمّى باللسانيات العربية مع ما يتطلب ذلك من العقلنة في التعامل مع علم اللسان العام من جهة ومع الموروث اللغوي من جهة أخرى، فالمفترض علميا هو أن يكون «الاختيار الفكري والمنهجي الذي يناسب وضعنا اللغوي الراهن ويجب أن يؤخذ بعد التمحيص أيّا كان المصدر والمنطلق»⁴⁸.

والتمحيص هنا يتطلب التوقّف على قدر معيّن من أدوات منهجية وعلمية تسمح بإجراء نقد علمي لأسس الفكر في مرجعيته ومبادئه العامة، فاللسانيات منهج وعمل في الوقت نفسه أي أنّها منهج نظري يستفيد من النماذج اللغوية المختلفة ثم عملي يحاول اختبار جدواها وإمكاناتها النظرية والمنهجية بالنسبة للغة العربية حسب ما يؤكد عليه "مصطفى غلفان". واللسانيات العربية إذ تعاني من غموض الممارسة فذلك يُعزى إلى غموض المنهج، ممّا خلق أزمة حقيقية مظهرها المباشر هو التبعية الفكرية وعدم الاستقلالية فلا يزال الخطاب اللساني العربي حسب "مصطفى غلفان" يبحث عن نفسه ويسعى لتحديد نفسه بتجاوز الخطاب المزدوج والخطوة الأولى في هذا المسار هو ضرورة تحديد الموضوع الفعلي للدرس اللساني العربي بمعنى أن «شرط إمكان وجود لسانيات عربية مرتبط نظريا ومنهجيا بمدى قدرتها على اكتشاف الموضوع الخاص بها وهو اللغة العربية أو إحدى لهجاتها ورصدها باعتبارها معطى قابلا للتحليل والبحث فيها»⁴⁹.

عندما يتعلّق الأمر بالموضوع وتحديد وضبطه علميا فهذه إشكالية أخرى وأزمة داخل أزمة، أزمة الموضوع داخل أزمة المنهج (العلم)، ففي اللسانيات العربية بالإضافة إلى عائق المنهج تحضر إشكالية من نوع آخر: ماذا ندرس؟ اللغة الفصيحة؟ أم العامية؟ الفصيحة التقليدية الجزلة؟ أو الفصيحة الراهنة؟ العامية المولّدة من الفصيحة؟ عن أية عامية نتحدث؟ هذه الإشكالية الجوهرية التي أزمّت قضية المنهج أكثر، ففي اللسانيات -حسب دوسوسير- وجهة النظر هي التي تخلق الموضوع "وفي ظل غموض هذين القطبين في الثقافة العربية يبقى البحث اللساني يعاني منهجيا ومعرفيا.

وبالعودة إلى حتمية اللسانيات حديثا وضرورة المواكبة والمسيرة تظل للسانيات العربية تدرس اللغة العربية الرسمية، لغة الدين والإدارة والسياسة في ضوء الافتقار إلى «المنهج العربي القادر على وصف العربية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا... فليس بين أيدينا في الثقافة العربية نظرية صوتية

ونظريّ فعّال وعمليّ يقارب وصفا واقع اللغة العربية بها بطرحه لنا من إشكالات تستدعي إعادة النظر في المنظور اللساني السائد حاليا والذي يتراوح بين فكين حادين يقبضان على الوعي اللساني العربي الحديث ويعرقلان مسيرة تحرّكه وتطوّره ويتعلّق الأمر هنا بالنظرة التمجيدية وتبنيه للتراث دونها مساءلة نقدية فكرية عن مرجعيته وحيثيات انوجاده ، ومن جهة أخرى يتعلّق الأمر بالاندھاش من الفكر اللغوي الغربي والسّعي نحو استيراده ونقله -حرفيا- ومحاولة إسقاطه بإذعان على اللغة العربية ، أو محاولة البحث عن نظائر فكرية له في التراث عن طريق المقارنة والموازنة.

ومن أجل هذه النهضة المرجوة على العقل العربي أولا أن يؤمن بإمكاناته وأن يتقنّد بأبجديات العمل اللساني بداية بتحديد المنهج والموضوع ، ولعلّ هذا ما يسمح في الأخير بخلق جوّ فكري «يدفع بالبحث اللساني العربي نحو آفاق جديدة بدل أن تنحصر مباحث اللسانيات العربية في إعادة إنتاج الموضوعات اللغوية القديمة أو الاكتفاء بالسرد النظري أو التاريخي (لمختلف النظريات اللسانية) دون النفاذ إلى عمق المشاكل الراهنة التي يطرحها واقعنا اللغوي».⁵³

وفي حالة تحديد المنهج وضبط الموضوع يتأسس العلم بالفعل ، وتكون له مفاهيم نظرية وأخرى تطبيقية ومصطلحات خاصة به تُعبّر عنه وتُعرّفه وتُعطي له مكانة بين العلوم ليُصبح علما قائم الذات ، يسعى في كلّ الحالات إلى تطوير نفسه ومناهجه وتصوراته دون التّظر إلى الماضي الذي قد يكون سببا في ظهوره وإيجاده لكنّه ليس شرطا وحتمية لتأسيسه و تطويره ، وهو حال اللسانيات في الثقافة العربية التي عليها أن تسعى من أجل نهضتها وتأسيسها إلى أن تكون ذاتها كعلم قائم بنفسه «فالخطاب اللغوي العربي الحديث مطالب اليوم أكثر من أي وقت مضى بالبحث عن استقلاليته إزاء هيمنة التراث قديمه وحديثه».⁵⁴

فبوابة المستقبل نحو أفق جديدة للسانيات العربية تنطلق من شرط الاستقلالية وبعدها ستتحدّد لها المنهجية العلمية الخاصة بها ، لتجد لنفسها في هذا الإطار مقاربات جديدة للغة العربية «لا تكرّر القديم بأسلوب حديث ولا تنسخ الفكر اللساني الحديث بطريقة حرفية عمياء»⁵⁵ بل سيكون لها المجال المعرفي الخاص بها في التحليل اللساني للكشف عن طبيعة اللغة العربية ولتبني نموذج لسانيا خاصا بهذه اللغة.

فالمهمّ حاليا حسب "مصطفى غلفان" هو أن تسعى إلى خلق ثقافة لسانية عربية جديدة تعمل على نشر الوعي اللساني العام معرفيا ومنهجيا على مستوى البحث الخاص أو البحث الأكاديمي في المعاهد والجامعات فما نحن بحاجة إليه فعلا هو «تفعيل أساسيات العمل اللساني المتمثل في اللغة كموضوع وليس في شيء آخر... اللسانيات العربية يجب أن تكون عربية ، بمعنى تنصب على اللغة العربية في مستوياتها المختلفة لا عربية في أشياء أخرى ... من هنا يمكن أن يبدأ قطار اللسانيات العربية ويسير على سكة البحث اللساني الحقيقي»⁵⁶ ، المقصود هنا هو أن تكون اللسانيات عربية لأنها تدرس اللغة العربية ولا تكون عربية لأنها تنتمي إلى القطر العربي أو من إنتاج الذات العربية أو أشياء أخرى.

وعلى هذا يُلخّص لنا "مصطفى غلفان" الشروط الواجب توفرها من أجل تصحيح المسار المنهجي للسانيات العربية نحو أفق جديدة وذلك يقتضي الاهتمام بثلاث قضايا جوهرية وهي:

– العودة إلى جوهر العمل اللساني بتحليل اللغة العربية من حيث هي بنيات صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية ومعجمية.

– ضبط المصطلح اللساني العربي وتوحيد استعماله.

– إعادة النظر في تدريس اللسانيات في الجامعات والمعاهد العليا في الأقطار العربية.⁵⁷

وعن هذه الآفاق ومستقبل اللسانيات يتحدث "مازن الوعر" عن الحلول الآتية:⁵⁸

أولا: الاهتمام بعلم اللسانيات كعلم قائم برأسه في جامعات العالم العربي ومحاولة توسيعه وتطويره ووضع المبادئ الأكاديمية له وجعله مادة مستقلة بنفسها.

ثانيا: إنشاء كليات قائمة برأسها في جامعات العالم العربي تُدعى كليات اللغات والعلوم اللسانية الحديثة يكون فيها فرع اللسانيات قسما بذاته وهذه الكلية ينبغي أن تتألف من الأقسام التالية:

– قسم اللسانيات الحديثة. - قسم دراسة اللغة العربية الحديثة. - أقسام اللغات الأجنبية العالمية.

حسب "مازن الوعر" تكمن الحلول الناجعة من أجل تطوّر الفكر اللساني في الجانب الأكاديمي الذي يسمح بتكوين المعرفة اللسانية ، وممارستها علميا وعمليا من خلال تدريس

أجل مجابهة مختلف التحدّيات ، واللّسانيات ليست بمنأى عن هذا المنطق العام للعلوم ، وعليه لا مناص من إعادة تفعيل النشاط اللّساني وفق ما يتطلبه واقع اللغة العربية الحديثة من جهة ووفق ما يتطلبه المحيط العام الذي يحتضنها.

وهذا المخرج هو الوحيد لإخراج الثقافة العربية الحديثة وضمّنها اللّسانيات من وضعيتها بتوفير مجموعة من الشروط كما يعدّها الباحث اللّساني "محمد الأوراني" ⁶²:

– الشروع في إنتاج المعرفة وفق الشروط المنهجية المتبناة في هذا العصر وبذلك نتخلص من آفة التقليد.

– ربط إنتاج المعرفة بتطوير قطاعات وطنية في شتى الميادين الاقتصادية والصناعية والثقافية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك.

– ربط البعثة العلمية إلى الخارج بجلب المعرفة العملية والخبرة اللازمة لتطوير قطاع من القطاعات الوطنية الحيوية.

– إدماج الجامعة في وسطها لتكون قاطرة للتنمية الجهوية حتى تكون الجامعة فضاء أكاديميا للتفكير في مشاكل واقعية واقتراح بدائل مستقبلية.

– الإقلاع عن الاهتمام بالشكليات والأرقام والإحصائيات والتركيز بجدّ على المضامين والمحتويات.

يضيف الباحث اللّساني "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى هذه الشروط حلولاً عملية أكثر فعالية ونجاعة ، من أجل أفق أقرب إلى التصرّو العلمي للدرس اللّساني العربي من خلال ربطه إيّاه بالجانب التطبيقي الذي يعتد على الاختبار باستثمار الوسائل العلمية المتطورة كاستعمال الحاسوب أو ما يسمّى بحوسبة اللغة ، وهو المشروع الذي نظّر له من أجل النهوض بالدراسات اللغوية التي تسعى في مجملها إلى ترقية اللغة العربية ، حيث يقول واصفاً مشروعه : "فيما يخص نظريتنا الخيلية فزريد أن يكون نقداً بناءً لكل ما ظهر إلى الآن من النظريات ومشروعاً أساسه الاختبار بكلّ الوسائل العلمية والاختبار عندنا هو أكثره تطبيقاً" ⁶³.

ومن أجل هذه النهضة أيضاً يدعو "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى ضرورة التمسك بمسألة تحديد هويّة اللّسانيات العربية من خلال دعوته إلى إعطاء البحث اللّساني حقّه في إلقاء خطابات علمية بنفسها دونها إسقاطات فكرية أو إملاءات منهجية وهو ما يسمّيه بالتقليد حيث نجده يرفض فكرة الاستلاب بفكر الآخر ، إذ يقول: "والتقليد مهما كان هو أبغض

الدرس اللساني نظرياً ومن خلال البحوث العلمية الأكاديمية التي تطرح الإشكالات الراهنة وتعالج في إطار منسق ومنظم ومؤطر مؤسساتياً ، وفي موضع آخر يؤكد على أنّ الدرس اللساني «يحتاج إلى تأطير استيمولوجي -ربما أكثر من غيره- هذا هو الأمر الذي بإمكانه أن يعيد النظام والأمن الداخليين لمنظومة اللّسانيات العربية» ⁵⁹.

وكأنّ اللّسانيات - حسب رأيه - تتخبّط في حالة اللا أمن الناتج عن الصراع الفكري والهيمنة المنهجية والتبعية المعرفية والحلّ يكمن في إعادة الطرح الاستيمولوجي لها من أجل توضيح الرؤى وتأسيس المعرفة ونقد الأسس وتحديد المسار الحقيقي لعلم اللسان العربي وهي المهام التي دعا "الفاسي الفهري" الباحثين العرب وخاصة الشباب منهم إلى السعي لتجسيدها في ضوء الدعوة الموضوعية للنهضة بشكل عام ، حيث يقول : «لأبد للسانين الشباب أن يتشبثوا بالمنهج العلمي والبحث العلمي وأن لا يخالجهم شكّ في أنّ هذه الثورة المعرفية والثورة العلمية هي المخرج الوحيد من التخلف والتدهور ، وأنّ لهم مكاناً في هذه الثورة ويمكن لشبابنا وعلمائنا أن يلعبوا دوراً هاماً في هذه القاطرة التي يمكن أن تحوّل المجتمع من مجتمع جهل وتخلف وفقدان للقيم إلى مجتمع متشبث بهذه القيم» ⁶⁰.

يتبيّن لنا أنّ آفاق اللّسانيات اتسعت دائرتها عند "الفاسي الفهري" إذ يربطها بآفاق تطوير المجتمع ككلّ وتخليصه من أزمة الجهل والتخلف وإعادة بعث روح المبادئ والقيم التي تبني المجتمعات عن طريق الوعاء اللغوي لتلك المجتمعات ، وربما الرأي نفسه يذهب إليه الباحث "أحمد العلوي" الذي يربط تطوير البحث اللّساني بضرورة العودة إلى الجوانب اللغوية المجتمعية بقوله « إنّ التقدم بالدراسات اللغوية لن يتمّ إلاّ بالتوجّه نحو اكتشاف التفاعلات المجتمعية القائمة في حضان الممارسة اللغوية ، إنّ هذا يمكن أيضاً من الانتقال من دراسة اللغة المتصورة نظرياً إلى الممارسة بالفعل» ⁶¹.

يبدو من خلال هذه المقاربات والتصورات السابقة لأفق البحث اللّساني العربي أنّ الوعي اللّساني موجود عند الكثير من الباحثين اللّسانيين العرب الذين يشعرون بحلول الأوان لإعادة النظر في الممارسة اللّسانية الراهنة وضرورة تجديدها وفق ما يفرضه المنطق العلمي الحديث الذي يتجه أكثر نحو تحرير الأعمال الفكرية وربطها بالمحيط العام من

هو غياب سياسة واضحة من الجهات المعنية من أجل فرض إرادة التغيير.

— يمكن عدّ موقف "مصطفى غلفان" وتصوره لواقع اللسانيات العربية مقارنةً بنسبة بالنظر إلى الاكتفاء في وصفه على بعض الباحثين فقط ، دون التطرق لأبرز الجهود الراهنة والأعمال المهمّة لاسيما إقصاؤه أو تجاوزه لجهود "عبد الرحمن الحاج صالح" إذ لم يشر مطلقاً في كتبه إلى أبرز أعماله بالرغم من قيمتها العلمية.

— استكمالاً للحديث عن موضوع واقع اللسانيات العربية وآفاقها سجّل البحث إصرار أهل الاختصاص على ضرورة الدفع السريع لمسيرة الدرس اللساني العربي وحمله على تبني — بجدية — واقع اللغة العربية لمواجهة تحديات العصر وذلك بمواكبة نتائج تطور العلوم وألا تمّ التوجه نحو البحوث التطبيقية ثانياً ، وكلّ هذا يتحقق بشرط تفعيل الدرس الجامعي والبحث الأكاديمي الذي يربط الفكر اللساني بالعالم الخارجي بما ينعكس إيجاباً على اللغة العربية وعلى مجالات البحث فيها نظرياً وتطبيقياً.

الخلاصة

تحتاج اللغة العربية بوضعها الراهن إلى مقارنة علمية جديدة تأخذ بعين الاعتبار تحديات العصر لتنهض بمستواها إلى مستوى أرقى وأكثر حضوراً في مختلف المحافل العلمية والثقافية العالمية منها خاصة.

ولن يتحقق ذلك إلا إذا توقّر المناخ العلمي المناسب الذي يؤطر العمل معرفياً ومنهجياً ، نظرياً وتطبيقياً في إطار ما يصطلح عليه بالبحث اللساني أو اللسانيات العربية التي تشهد اليوم بدورها تحديات جديدة انطلاقاً من الأزمة التي تعيشها نتيجة غياب الشروط الإستيمولوجية والمنهجية ، والتي تسعى رغم ذلك إلى إيجاد حلول ناجعة لمعالجة وضعها المتردّي على مستوى المنهج والموضوع نحو آفاق علمية وعملية ملموسة تُمكنها من إحقاق نفسها وحجز مكانة لها في فضاء البحث اللساني العالمي الأكثر تحديداً وضبطاً وتقدّماً.

ما يتّخذ الباحث كسلوك سواءً كان تقليداً للقدماء أو المحدثين⁶⁴.

وفي سبيل تجاوز هذا الوضع نحو رؤية جديدة لواقع اللسانيات العربية يدعو وبمنظرة موضوعية إلى مبدأ التفاعل في النشاط الفكري ، ذلك أنّ الإنسان -كما يقول-: "يستحيل أن يعيش بالاعتماد على ما يصنعه وحده أو يرقى به العلم بدون أن يراعي ما ابتكره الآخرون ، والعلم بهذا الاعتبار هو أحوج الأشياء إلى التفاعل والتداخل والأخذ بما يأتيه الآخرون"⁶⁵.

يمكن لهذه الحلول العملية فعلاً أن تسمح للباحثين اللسانيين العرب العمل بجدّ بتأطير من الجهات الوصيّة التي تموّل فكراً ومادياً بحوثهم ودراساتهم وتهيئ لهم المناخ المناسب على مستوى مختلف المؤسسات من أجل انطلاقة حقيقية لللسانيات العربية ، وهذا ما يطمح إليه البحث اللساني مستقبلاً ، فالعلم «يلتفت وبكليته نحو المستقبل وممارسته تعني تنمية قدرة الحسم لأدوات المراقبة والقياس والعثور لها على تطبيقات غير متوقعة ، وابتكار الجديد منها لمراقبة وقياس ما يفلت من الأدوات المتاحة من قبل ، إنّه أيضاً العمل على منح اللغة المستخدمة دقة وصرامة يزدادان باستمرار ، إنّه إذن بكلمات أخرى الإكثار من عدد الموضوعات القابلة للمراقبة مع ابتكاره في الوقت نفسه مفردات وتراكيب تسمح بوصفها»⁶⁶.

أهم النتائج المتوصل إليها

سجّل البحث من خلال مقارنة "مصطفى غلفان" لواقع اللسانيات العربية وآفاقها جملة من النتائج أبرزها:

— تأزّم الدرس اللساني العربي وتدنيّ مستواه ، ومن مظاهر ذلك تعدّد الكتابات اللسانية العربية واختلافها من حيث مسألة الموضوع الحقيقي لللسانيات العربية ممّا أفرز واقعا مؤسفاً سببه سوء فهم طبيعة المعرفة اللسانية من جهة وكذا سوء تطبيق المنهج العلمي والدليل على هذا غياب الإجماع في قضايا: الموضوع ، المنهج ، المصطلح اللساني ، غياب الأعمال التطبيقية ، التجاذب الدائم نحو فكر الآخر ممّا يكرّس فكرة الصراع بين القديم والحديث ، والعامل الجوهرية في كلّ هذا

الهوامش

- 1- أندريه مارتيني (1990)، مبادئ ألسنية عامة، تر: ريمون رزق الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ص 5.
- 2- مصطفى غلفان (2013)، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، ص 33.
- 3- حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي (2009)، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار الأمان، الرباط، ط1، ص 131.
- 4- نعمان عبد الحميد بوقرة (2011)، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، عالم الكتب الحديث، إربد، لبنان، ط1، ص 20.
- 5- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص 111.
- 6- المرجع نفسه، ص 33.
- 7- المرجع نفسه، ص 37.
- 8- عبد السلام المسدي (2003)، العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس، ص 63.
- 9- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص 14.
- 10- ينظر، نعمان عبد الحميد بوقرة: الدراسات اللسانية، ص 26.
- 11- المرجع نفسه، ص 26.
- 12- الطيب دبة (2011)، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية إبستيمولوجية، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، ص 28.
- 13- أندريه مارتيني: مبادئ ألسنية عامة، تر: ريمون رزق الله، ص 10.
- 14- ينظر، مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 23.
- 15- مصطفى غلفان (2001)، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، ص 199.
- 16- المرجع نفسه، ص 199.
- 17- أحمد محمد قدور (2001)، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر، دمشق، سورية، ص 13.
- 18- المرجع نفسه، ص 13.
- 19- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص 16.
- 20- المرجع نفسه، ص 41.
- حصل الإجماع على مصطلح اللسانيات منذ انعقاد ندوة اللسانيات بتونس عام 1978، ينظر: أحمد محمد قدور اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص 14.
- 21- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص 43.
- 22- المرجع نفسه، ص 44.
- 23- المرجع نفسه، ص 45.
- 24- المرجع نفسه، ص 46.
- 25- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 34.
- 26- المرجع نفسه، ص 34. واللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 46.
- 27- المرجع نفسه، ص 47.
- 28- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 91-95.
- 29- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص 62.
- 30- المرجع نفسه، ص 62.
- 31- المرجع نفسه، ص 62.
- 32- حافظ إسماعيلي علوي، أحمد العناتي، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، ص 255.
- 33- مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، ص 105.
- 34- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص 45.
- 35- نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية، ص 23.

- 36- مصطفى غلفان ، اللسانيات العربية ، أسئلة المنهج ، ص 163.
- 37- المرجع نفسه ، ص 62.
- 38- المرجع نفسه ، ص 63.
- 39- المرجع نفسه ، ص 63.
- 40- المرجع نفسه ، ص 64.
- 41- مصطفى غلفان ، في اللسانيات العامة ، ص 105.
- 42- مصطفى غلفان ، اللسانيات العربية الحديثة ، أسئلة المنهج ، ص 105.
- 43- حافظ إسماعيلي علوي ، وليد أحمد العناتي أسئلة اللغة ، أسئلة اللسانيات ، ص 269-270.
- 44- خليفة الميساوي (2013) ، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، دار الأمان ، الرباط المغرب ، ط 1 ، ص 26.
- 45- عبد السلام المسدي (1997) ، مباحث تأسيسية في اللسانيات ، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع ، تونس ، ص 213.
- 46- مصطفى غلفان ، اللسانيات العربية ، أسئلة المنهج ، ص 07.
- 47- المرجع نفسه ، ص 13.
- 48- المرجع نفسه ، ص 53.
- 49- المرجع نفسه ، ص 66.
- 50- المرجع نفسه ، ص 96.
- 51- حافظ إسماعيلي علوي ، وليد أحمد العناتي ، أسئلة اللغة ، أسئلة اللسانيات ، ص 256.
- 52- مادلين غراووتر (1993) ، مناهج العلوم الاجتماعية ، تر: سام عمار ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ، ص 18.
- 53- مصطفى غلفان ، اللسانيات العربية ، أسئلة المنهج ، ص 53.
- 54- المرجع نفسه ، ص 50.
- 55- المرجع نفسه ، ص 50.
- 56- حافظ إسماعيلي علوي وليد أحمد العناتي ، أسئلة اللغة ، أسئلة اللسانيات ، ص 265.
- 57- مصطفى غلفان ، اللسانيات العربية ، أسئلة المنهج ، ص 266.
- 58- المرجع نفسه ، ص 103.
- 59- حافظ إسماعيلي علوي ، وليد أحمد العناتي ، أسئلة اللغة ، أسئلة اللسانيات ، ص 154.
- 60- المرجع نفسه ، ص 108.
- 61- المرجع نفسه ، ص 31.
- 62- المرجع نفسه ، ص 182.
- 63- المرجع نفسه ، ص 95.
- 64- المرجع نفسه ، ص 93.
- 65- عبد الرحمن الحاج صالح (2007) ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، ج 1 ، ص 11.
- 66- كريستوف بوميان (2009) ، نظام الزمان ، تر: بدر الدين عرودي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ص 430.

قائمة المصادر والمراجع

- 01 — أحمد محمد قدّور (2001)، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر، دمشق، سورية.
- 02 — أندريه مارتيتي (1990)، مبادئ ألسنية عامة، تر: ريمون رزق الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1.
- 03 — حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي (2001)، أسئلة اللغة-أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دارالآمان، الرباط، ط1.
- 04 — خليفة الميساوي (2013)، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دارالآمان، الرباط، المغرب، ط1.
- 05 — الطيّب الدبّة (2001)، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية إستيمولوجية، دار القصة للنشر، الجزائر.
- 06 — عبد السلام المسدي (2003)، العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس.
- 07 — عبد السلام المسدي (1997)، مباحث تأسيسية في اللسانيات، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس.
- 08 — عبد الرحمن الحاج صالح (2007)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج1.
- 09 — كريستوف بوميان (2009)، نظام الزمان، تر: بدر الدين عروودي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1.
- 10 — مادلين غراويتز، مناهج العلوم الاجتماعية، تر: سام عمّار، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر والتوزيع، دمشق، 1993.
- 11 — مصطفى غلفان (2013)، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1.
- 12 اللسانيات العربية الحديثة، دراسة في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- 13 مصطفى غلفان (2001)، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1.
- 14 — نعمان عبد الحميد بوقرة (2011)، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، عالم الكتب الحديث، إربد، لبنان، ط1.

محمد العمري قارئاً لمنهج تأليف عبد القاهر الجرجاني

Mohammed Al - Omari read a method written by Abdul Qahir Al - Jarjani

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-09-23

فؤاد زروق، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

fouad22041996@gmail.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى كشف مكونات الخطاب الشعري والقرآني من خلال تسليط الضوء على أحد أقطاب التفكير البلاغي العربي القديم وهو: الإمام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي أسرار البلاغة و "دلائل الإعجاز" على اعتبار أنه أول من تصدر للبحث في هوية الخطاب البليغ، ويكون ذلك من خلال عرض وتحليل لرؤية نقدية معاصرة للأستاذ محمد العمري، والتي نافع من خلالها عن مشروع الجرجاني البلاغي وفق رؤية نسقية حاولت إعادة تشكيل مشروع الجرجاني بمعطيات ورؤى فكرية جديدة، فنرصد الغاية التي من أجلها ألف الجرجاني كتاب "أسرار البلاغة"، وكتاب "دلائل الإعجاز" والنواة المنهجية التي ميزت المؤلفين، والغاية العامة للمشروع.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الشعري، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، التخيل، التداول

Résumé

Cette étude a pour but de révéler les éléments du discours poétique et coranique en mettant en évidence l'un des pôles de l'ancienne pensée rhétorique arabe: l'imam Abdul Qahir Al - Jarjani auteur du livre « le secret de l'éloquence et des signes du livre des miracles ». Le choix de cet auteur revient au fait que c'est le premier à avoir discuté de l'identité du discours éloquent en offrant une description et une analyse de la vision critique du contemporain professeur Mohammed Al - Omari. A travers cette étude, il a essayé de restructurer le projet rhétorique de Al - Jarjani conformément à la vision systémique avec de nouvelles données et perspectives intellectuelles. Nous développons ainsi l'objectif général pour lequel Al - Jarjani a édité les livres « mille secrets de la rhétorique » et « la preuve des miracles » ainsi que le noyau méthodologie qui caractérise ces écrits.

Mots-clés: discours poétique, secrets de rhétorique, signes de miracles, imagination, délibération.

Abstract

The purpose of this study is to uncover the components of the poetic and Qur'anic discourse by shedding light on one of the ancient Arabic rhetorical thinking poles: Imam Abdul Qahir Al - Jarjani, author of Secrets of Rhetoric and Signs of Miracle, through exploring and analyzing a contemporary critical view of Mohammed Al - Omari, in which he provides a systematic vision that tried to reshape Al-Jarjani's project with new data and insights. The study concludes the purpose for which Al - Jarjani wrote his two books Secrets of Rhetoric and Signs of Miracle, the methodological nucleus that characterized them and the main purpose behind the project.

Keywords: Poetic discourse, secrets of rhetoric, signs of miracles, imagination, and deliberation

مقدمة

الكتاب ، حيث نجد موضوعات أخرى لها صلة بعلم البديع كالسجع والتجنيس والتطبيق⁴.

أسرار البلاغة والبعد التخيلي

يتقابل في كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني عنصران مختلفان ومتناقضان وهما: الغرابة المفيدة والوضوح غير المفيد في مستوى المعنى البلاغي؛ فالغرابة "تقتزن بالمفارقة والتخيل والتركيب والتأويل وتوصف بالغموض والكذب... والوضوح يقتزن بالعقل والمعرفة والصحة ويوصف بالصدق والصرامة ومن ثم فهو عامي"⁵.

وسجل محمد العمري أن عبد القاهر الجرجاني لم يدن من نقطة التقابل بين المفهومين لإنتاج تركيب جديد يأخذ من كل طرف بنصيب؛ بل كانت الهمينة والحضور المتكرر لعنصر الوضوح المنازع لعنصر الغرابة ، واعتبره محمد العمري عنصرا مخلخلا من خلال التشكيك في انسجام النظرية ، ويُرجع محمد العمري هذه التنازلات التي منحها عبد القاهر الجرجاني لعنصر الوضوح إلى تلك الخلفية المذهبية التي تُحرج الجرجاني ، ولكنه سرعان ما يتحلل منها.

كما يُرجع العمري تلك التراتبية التي قام عليها القسم الأول من كتاب أسرار البلاغة والتي تتعلق بالمعنى القريب المأخذ ، والمعنى البعيد المأخذ إلى مستوى البنية من خلال تحقيق الإفادة وعدم تحقيقها ، والمدرجات التي ينتقل فيها المعنى من الحس إلى العقل ، ثم البساطة في التركيب ، أما على مستوى الوظيفة فإن ذلك يرجع إلى الوضوح والغموض⁶.

و يتناول الأستاذ محمد العمري مشروع عبد القاهر الجرجاني في المدخل الأول من خلال حديثه عن قضية الأخذ والسرقات ، ولكن عبد القاهر الجرجاني لم يضيّق على الأخذ اللهم ما تعلق بالمعنى الصريح ، أو بصفة تتعلق بالعبارة مفضلا التفصيل في أنواع المعاني ، وأنها إما عقلية أو تخيلية ، حسب الشكل رقم 1 ، ومن ذلك إخراجة للكثير من الظواهر التي لا يرى فيها تداخلا نصيا كالإعراب للكلمات ، وكالفرق بين المذكر والمؤنث ، وكالجموع ، فهذه الظواهر ليس فيها خصوصية ترتبط ببدء أو متكلم ، فهي أمور مشتركة لا تدخل مجال التمايز ، ولا الأفضلية ، ولا اختصاص لها بفرد دون فرد ، أو بجيل دون جيل⁷ ، كما أن الوزن أو الإطار الإيقاعي الخارجي

دخلت البلاغة العربية مع الإمام عبد القاهر الجرجاني دائرة لم تعدها من قبل بتجاوز الأثر المباشر للنص في متلقيه من خلال اعتبارات تحسينية بدرجة فنية ؛ فالقيمة الأدبية من خلال تصويره أصبحت ماثلة في خصوصيات المعاني التي تدرك بالعقل والتدبر والمثابة والتأمل.

ونحن إذ نبدأ الحديث عن كتاب الأسرار فلاعترارين اثنين هما: الأول يدخل في إطار الكرونولوجية التي اكتنفت عمل العمري ، واصطبغ بها مشروعه البلاغي العام ، فالأستاذ محمد العمري انطلق من كتاب أسرار البلاغة ، ثم انتقل منه إلى كتاب دلائل الإعجاز ؛ أما السبب الثاني فهو يتعلق بموقف الشيخ علي عبد الرزاق ، صاحب كتاب "الأمال في علم البيان وتاريخه" والذي بين فيه أسبقية كتاب الأسرار عن كتاب الدلائل ، والذي ساقه في قوله "نظم في كتابه أسرار البلاغة سمطا منها ، ثم أردفه بكتاب دلائل الإعجاز متداركا لما أغفل ومفصلا لما أجهل ، وموضحا لما أبهم".

أسرار البلاغة: مسوغات التأليف ومكونات المشروع

لا شك أن المطلع على كتابي عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز يلمس الفرق الواضح في توجيه كتاب دلائل الإعجاز نحو الرؤية الدينية المتعلقة بالإعجاز القرآني ، وأن كتاب الأسرار كتاب موجه إلى وضع الأصول والقوافي ، وبيان الأقسام ، وذكر الفروق بين العبارات والفنون الأدبية ، فحمل فكرة أن مقاييس الجودة تكمن فيما تركه الصور البيانية من أثر في نفس متذوقها².

ويرصد الأستاذ محمد العمري المشروع المعلن لعبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة بأنه يحتوي مقدمة تتضمن مفهومها للبلاغة وهو المعاني دون الألفاظ ، أما أقسام الكتاب فهي تدور حول التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة³.

إنّ اعتماد عبد القاهر الجرجاني على أن مقياس الجودة إنما يركز على تأثير الصورة البيانية في نفس متلقيها فد جعله يدحض كثيرا من القيم الأدبية التي كانت سائدة في عصره ، والتي كان يرى أنّها مجانبة للحقيقة. غير أنّ اهتمامه الزائد بالتشبيه والاستعارة والمجاز بعدها أهم موضوعات علم البيان ، قد جعل البعض يذهب إلى أنّ أسرار البلاغة هي في علم البيان بمفهومه الأخير. وهو ما يتنافى مع ما ورد في

اهتم كثيراً بالنصوص التي تحمل شحنات تأثيرية تبعث على أريحية ومزية بسبب حملتها الوجدانية والفكرية فهي "بطبيعة تكوينها تحتاج إلى قدرات في المبدع توازي مواصفات المتلقي، وبينهما يجري الأسلوب أو الأساليب مشحوناً بهذه الطاقة العدولية الهائلة"¹³.

إن التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني هو "التشبيه الذي يكون فيه الشبه مُنتزعا من العقل وغير حقيقي، ويحتاج إلى تأويل، وإنه تشبيه خاص؛ فكل تشبيه تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً، وإنه تشبيه عقلي"¹⁴.

ويتجلى ذلك جلياً من خلال خطاطة قدم فيها محمد العمري تصور عبد القاهر الجرجاني لمفهوم المشابهة وعلاقاتها (شكل رقم 2).

ويستعرض محمد العمري رؤية عبد القاهر الجرجاني فيما يتعلق بالفرق بين التشبيه الصريح والاستعارة، ويكتشف أن عبد القاهر الجرجاني بناه على أساس نفسي وهو التوهم من خلال اعتبار التشبيه استعارة متى ما وصل إلى درجة من الاختزال عن طريق حذف المؤشرات التي تبقى تشبيهاً، كحذف الأداة، أو المشبه، أو حذف أحد المرشحات.

ويناقش محمد العمري المثال الذي ساقه عبد القاهر الجرجاني وهو: زَيْدٌ أَسَدٌ، فحينما ذكرنا زَيْدًا فنحن نصرح بالمشبه به صراحة، ولذلك لا يستقيم التوهم بأنه من جنس المشبه به، ويبقى زَيْدٌ إنساناً؛ لأن الإبقاء على اسمه نقص أسديته؛ أي ملوكيته المقصودة من التمثيل.

ويبرر محمد العمري موقف عبد القاهر الجرجاني بالمنفعة التي يجلبها التشبيه حتى ولو كان هذا التشبيه ساذجاً أو سوقياً، وقَسَمَ العمري علاقات المشابهة إلى قسمين؛ فالاستعارة التمثيلية والاستعارة العقلية، والتمثيل هي من الخاص المبتدع التخيلي، أما الاستعارة الحسية، والتشبيه الساذج المرسل، والاستعارة غير المفيدة فهي من العامي المبتذل المستعمل¹⁵.

لا شك أن إشارة عبد القاهر الجرجاني إلى الأثر الذي تتركه الاستعارة من الناحية النفسية لدى السامع وتفاصيلاته في البنية والتمثيل، وتحديد معالمها، وكلامه في السرقات كان ذا فائدة فقد "أثبت عبد القاهر أن الفن البلاغي الواحد يمكن

للشعر ليس مما يقع فيه التناص أو التداخل"⁸، فمكونات الخطاب منها ما يتعلق بالغرض كمعاني المدح والوصف، والشجاعة، والسخاء، وحسن الوجه والبهاء، وهذا النوع إما أن يكون عقلياً، وإما تخيلياً معللاً وغير معلل. وفي أثناء استحضار محمد العمري لهذه الرؤية الجرجانية يقترح استبدال مفهوم الغرض بالمشارك العام الذي تصبح فيه المعاني حجاجية صريحة وصحيحة كالحكم، وإما تكون عقلية وعرضية اجتماعية، وتدخل تحتها الأغراض المعروفة والتي ذكرناها سابقاً⁹.

وفي المكون الثاني للخطاب، ومن ناحية وجه الدلالة على الغرض يكون المعنى صريحاً حيناً، وحسب صيغة العبارة حيناً آخر؛ فيستبدل محمد العمري الوجه الثاني من مكونات الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني وهو وجه الدلالة على الغرض بالمعاني الفردية الخاصة، فصيغة العبارة عند عبد القاهر الجرجاني تشبيه عامي وكناية خاصة. وفضل العمري أن يُدرج تحت البناء على الصورة البلاغية مفهوم تحلية الصور الاستعمالية، وتناسي التشبيه والمجاز حتى يزاوج بين التفاصيل والمقاصد معاً من خلال المقابلة بين المضامين¹⁰.

ويتعلق المدخل الثاني من كتاب الأسرار بالمعنيين القريب والبعيد، وأرجعها الأستاذ محمد العمري إلى مستويين هما البنية من خلال الإفادة وعدمها، ومدارج النقل من الحس إلى العقل، والبساطة، والتركيب، ومستوى الوظيفة، وتتمثل في الوضوح والغموض¹¹.

والتشبيه المعروف عند عبد القاهر الجرجاني هو الذي يكون من جهة أخرى بَيِّن لا يُحتاج فيه إلى تأويل، ويتضح ذلك من خلال تقسيمه هو له، والنوع الثاني هو التمثيل أو الاستعارة التي فصل الأستاذ محمد العمري في أنواعها وأنها قد تكون غير مفيدة، والمفيدة منها على ثلاثة أضرب: اشتراك في جنس المعنى المتجسد في معان جزئية، واشتراك في صفة متفاوتة بين الطرفين، وأخذ الشبه من الصور العقلية، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي: من حيث طرفاها إما أن يكونا حسيين، أو عقليين، أو مختلطين¹².

على أن الاستعارة من الأدوات التي تمكن من بلوغ الشرف الفني، وهي متمنعة إلا عن أصحاب الأذهان الصائبة، والعقول النافذة، والطباع السليمة؛ ف(عبد القاهر الجرجاني)

أن ينظر إليه من جوانب مختلفة ، وأن يحلل تحليلًا جديدًا يضيف عليه روحاً لم يكن يحسها القارئ قبل ذلك¹⁶.

وينتقل محمد العمري إلى رصد أنواع الاستعارة التي وضعها عبد القاهر الجرجاني وأنها تصنف حسب الصفة المشتركة بين الطرفين ومنها: الاشتراك في صفة عامة كأن تستعير الطيران ، وانقضاء الكواكب ، والسباحة للفرس على اعتبار أنها جنس واحد من حيث الحركة على الإطلاق¹⁷.

أما النوع الثالث فهو الذي نحصل من خلاله على صورة عقلية لا علاقة لها بالمبنى ، ولا بطبيعة ولا غريزة ، ولا على هيئة¹⁸.

ويسوق محمد العمري الأنواع الثلاثة للاستعارة المفيدة كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني في خطاطة (شكل رقم:3)

وما يمكن التأكيد عليه أن عبد القاهر الجرجاني عندما يتكلم عن علاقات التشبيه الاستعاري ، والتشبيه التمثيلي غير الاستعاري ، ومستوى النقل الحجاجي التشبيهي وغير التشبيهي كان ينفذ التفريق بين قطبين: فقطب صريح مباشر وبسيط ، وآخر مؤول أو بعيد ومركب ، وبينهما يتشكّل قطب ثالث من المؤول قريب من القطب الصريح ، حتّى يكاد يلتبس به¹⁹.

ويرجح الأستاذ محمد العمري أن نظرية المحاكاة هي التي ألفت بأبعادها على هذه المداخل التي تناولها عبد القاهر الجرجاني من خلال اعتبار نظرية المحاكاة تصويراً وابتداعاً لعلاقات عجيبة ومؤثرة ؛ من خلال تكريس عبد القاهر لمبدأ العجب كأهم وظيفة للبلاغة في كتاب أسرار البلاغة من خلال:

1/ إبراز الفرق بين المعاني الصريحة عقلياً أو اعتقادياً ، والمعاني التخيلية المؤولة.

2/ بيان الفرق بين الحسي القريب ، والمؤول البعيد.

3/ إبعاد صور النقل غير التشبيهية عن مجال البديع.

4/ تناسي الكناية أو عدم الإحساس بانتسابها إلى الموضوع الشاغل.

5/ جعل الاستعارة العقلية المؤولة المبالغة والتمثيل المؤول والتخييل الذي يبتدع العلل ويقلب الأسباب في قمة الهرم الشعري.

وفصل الأستاذ محمد العمري في الفصل الثالث والمتعلق بالإعجاز تفصيلاً مستفيضاً ينم عن اطلاعه ؛ فاستطاع تتبع الدقيق من وجهة نظر عبد القاهر الجرجاني لاسيّما ما تعلق بالاقتران بين الأفعال والإرادة ، مما تتقارب فيه المذاهب الكلامية ، وربما يرجع الأستاذ محمد العمري ذلك الاضطراب الذي اكتنف طرح عبد القاهر الجرجاني لرؤيته فيما يتعلق بالتفريق بين المجاز اللغوي أو المجاز في المفرد والمجاز في الجملة بالتوجه الديني والخلفية الدينية للإمام عبد القاهر الجرجاني ؛ فلم يلمس العمري توافقاً في التوجه النظري العام له²⁰.

ويرى الأستاذ محمد العمري أن تأخير عبد القاهر الجرجاني للحديث عن المجاز مرده إلى النقطة التي أشرنا إليها سابقاً والمتعلقة بمناقشته للمجاز في إطار الأسئلة الكلامية حول الظاهر والمؤول ، وما يتصل بذلك من أسئلة حول الأفعال والأسباب ، ولاحظ العمري اضطراباً وخلطاً بين المجاز في المفرد ، والمجاز في الجملة. فالمجاز في المفرد " هو كل كلمة جزت بها ما وضعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"²¹.

وأبقى عبد القاهر الجرجاني مفهوم المجاز في الجملة عاماً ولم يخصصه بالمجاز العقلي أو الجملي ، وهو " أن كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأول فهي مجاز"²².

أما المجاز الحكمي فقد ساق الجرجاني مفهومه له بقوله "أعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها من معناها كما مضى فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم هو بحقيقته فيها"²³.

ويجزم الأستاذ محمد العمري أن صنيع عبد القاهر الجرجاني في المدخلين الأول والثاني يوجد لهما تلخيص في القسم الثالث الذي حمل تصور الجرجاني " إذا ما صرف النظر

لها كانت النواة المهيمنة في بحث كتاب أسرار البلاغة تتعلق بالتخييل أو الغرابة الشعرية وهي أطبق ما تكون في تمثيلها مع الشعر العباسي، فإن نواة كتاب دلائل الإعجاز وهيمنتها هي النحو والإعراب بمفهومهما الواسع الذي ينال علاقة المعاني بالمقاصد، لذلك اعتمد عبد القاهر الجرجاني على أهمية الإمكانات النحوية التي تأخذ الطابع الاختياري في محاولة تبين مفهوم النظم كمبدأ لإدراك الحقيقة الجمالية في الصياغة الأدبية؛ من خلال التغير في المستوى الباطني العقلي الذي يؤدي إلى تغير في التشكيل الخارجي للصياغة؛ ومن خلال استغلال المتكلم لأنواع الاحتمالات النحوية الممكنة في خلق أنماط تركيبية، فيعطي للكلمة حياة جديدة، ويعطي للغة مصطلحات جديدة و" والموروث الجوهري في هذا هو في استخراج كل ما يمكن استخراجه من كل ما يقف خلف الكلمة من تاريخ لغوي"²⁷.

وسجل الأستاذ محمد العمري أن عبد القاهر الجرجاني لم يخصص مقدمة مذهبيه لتحديد طبيعة الكلام في أثناء تحديده لمفهوم البلاغة، بل ميز بين مستويين لتحقيق مفهومهما هما:

مستوى الغرض والمرام والطلبة من خلال تحديد العلل التي وجب من خلالها اعتبار نظم أحسن من نظم، ومستوى الذرائع وأسباب التسلق إلى الغرض من خلال تكريس النظم كموضوع ومجال لرصد مزية النصوص على بعضها²⁸.

لقد استطاع عبد القاهر الجرجاني بفضل اجتهاده أن يزيل اللثام عن العديد من القضايا المتعلقة باللغة العربية، وما تحمله من قوى من خلال نظم الكلام، فعُدّ بذلك منهجه منهجا جديدا في فهم النحو الذي كان يعني في فهم من كانوا قبله صحة التراكيب وعلاقتها، فكان النحو أقرب إلى المنطق منه إلى اللغة بمعناها الأرحب.

إن البحث النحوي في ظل الاهتمام بالصواب والخطأ في الأداء اللغوي؛ ما لبث أن تحول إلى تتبع خيوط العلاقات النحوية، ودورها في إنتاج المعنى، ومحاولة تحليل الجودة والرداءة في الكلام من خلال ردها إلى " خصائص دقيقة وفروق في الاستخدام والاستعمال لها القدرة على رفع كاتب وخفض آخر"²⁹.

عن بعض التحفظات العابرة التي أبداه في سياق الحرج كإخراج الاستعارة من التخييل"²⁴.

الإطار العام لتأليف كتاب دلائل الإعجاز

سلك الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتاب أسرار البلاغة كما تقدم السبيل الأشعري الذي كرس فكرة أن الكلام حديث نفسي من خلال استبعاد الطرح المعتزلي الذي نزع المزية البلاغية من الأصوات، فجاء كتاب دلائل الإعجاز ليتدارك فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني ما فات في كتاب أسرار البلاغة كسحب الاستعارة من الإعجاز على اعتبار أنها قليلة في الخطاب، ومع ذلك فإن عبد القاهر الجرجاني لم ينحرف عن الموضوع العام لِهَمِّهِ البلاغي المنشود؛ فهو قد أضاف الكناية مثلا و ربطها بمقتضيات النظم النحوي من خلال إلحاقها به، واعتبار مناسبة الكلام للمقاصد أهم من الغرابة.

ويندرج جهد الإمام عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز في إطار إثبات أن بلاغة الكلام تكون في النظم، وأن القرآن الكريم جاء معجزا من ناحية نظمه وليس بالصِّرف؛ فبلاغة القرآن الكريم لا ترجع لألفاظه وإنما إلى الصلة والرابطة التي تربط بينها. ويمكن تحري رؤية الجرجاني في كتابه الدلائل من خلال المقولة التي سندرجها، والتي تحدد غاياته وأهدافه وما توصل إليه في أبحاثه، حيث يقول: "قد بلغنا في مداراة الناس من دانهم، وعلاج الفساد الذي عرض في آرائهم كل مبلغ، وانتهينا إلى كل غاية وأخذنا بهم عن المجاهل التي كانوا يتعسفون فيها، ونقلناهم عن الآخر المطروق إلى التمييز الذي يُشفي غليل الشارب، ولم ندع لباطلهم عرقاً ينبض إلا كويناه، ولا للخلاف لسانا ينطق إلا أخرسناه، ولم نترك غطاء كان على بصر ذي عقل إلا حسرناه"²⁵.

ويرى الأستاذ محمد العمري أن غاية البحث التي حرّكت الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه واحدة وهي معايير بلاغة الشعر في الأسرار، مع استبعاد الغرض الاعجازي، وفي الدلائل نفسها معايير بلاغة الشعر باعتباره معجزة العرب في البلاغة في محاولة لإخراج النص القرآني كنص متفرد ومتفوق²⁶.

دلائل الإعجاز والتصور التداولي المقصدي

ورصد الأستاذ محمد العمري في خطاطة كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وفي بنيته العامة إشارات الجرجاني إلى التحويلات الدلالية البلاغية التي تلتبس أحياناً باللفظ فأرجعها إلى الكناية والمجاز من خلال إحلال الكناية مكان التشبيه والتمثيل غير المجازي، فتتقاسم بذلك الكناية المجال مع المجاز، ويخرج من ذلك المجاز غير الضمني أو المرسل³⁴، وذلك حسب (الشكل رقم 4).

وينتقل الأستاذ محمد العمري إلى بيان مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني معتبراً إيّاه "عنصراً مساعداً يضاف إلى التحويلات الدلالية المذكورة وهي: الكناية والمجاز، غير أن الجرجاني ينص على إمكانية وجود المزية البلاغية في النظم وحده"³⁵، ومن ذلك ما قدمه عبد القاهر الجرجاني حول قوله تعالى ((وَقِيلَ يٰأَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَرْضُ ائْبَلِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِي وَغِيضُ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْحُجُودِ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤٤)) [هود: 44]³⁶. يقول الجرجاني: فهل تشك إذا فكرت في هذه الآية، فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلمات ببعضها البعض، وإن لم يُعرف لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل تنتاج ما بينهما وحصل من مجموعهما؛ إن شككت فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه في مكانها من الآية؟ قل: «ابلي»، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة إذا توديت الأرض، ثم أمرت، ثم في إذا كان النداء بـ «يا» دون أي، نحو: «يا أيتها الأرض»، ثم إضافة «الماء» إلى «الكاف»، دون أن يُقال: «ابلي الماء»، ثم أن أتبع نداء الأرض، وأمرها بما هو من شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها...³⁷ فالتمعن في هذا التحليل لعبد القاهر الجرجاني يلمس كيف أنه استطاع أن يُقرئنا ما في الآية من جمال وإعجاز وروعة، "وكيف أنه طبق نظريته وجلاها فاهتمامه بالمعاني النحوية ظاهر بيّن فقد جعله كافياً لإظهار الإعجاز في الآية"³⁸.

ثم يتكلم العمري عن التقسيم الثاني الذي وضعه الجرجاني في البداية والذي تُعزى فيه المزية مرة إلى اللفظ،

ففي إطار إشارة محمد العمري للمفهوم الذي قدمه الجرجاني عن النظم وأنه توخي معاني النحو فيما بين الكلم عن طريق ترتيب القائل للمعاني في نفسه؛ ثم يلي ذلك ترتيبه للألفاظ في نطقه، يسوق لنا بيتاً لبشار بن برد يقول فيه:

كَانَ مِثَارُ النَّعَقِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا *** وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى
غَوَاكِهَ

فبشار هنا -وحسب عبد القاهر الجرجاني- توخى معاني النحو، وتوخي الغرض من القول (القصد)، فبشترط أن يحضر الفعل أو الغرض في الذهن ثم بقية الأطراف المشاركة في العمل والزمان، فتتوخي معاني النحو فيما بين معاني الكلم³⁹.

لا شك أن الإمام عبد القاهر الجرجاني حاول رد مزاعم المعتزلة الذين اعتبروا أن كلام النفس والمعاني النفسية شيء لا يمكن تحقيقه ولا معرفته، فوضع المعاني في النفس حسب عبد القاهر الجرجاني وربطها بالنظم إخراج لها من الغموض وجعلها أكثر مرونة وقابلية للفحص والمُدرسة، ومرجعية عبد القاهر الجرجاني في ذلك أشعرية من خلال تبني مبادئ وأفكار القاضي عبد الجبار كقضية الموقع مثلاً، أما المادة المعرفية المميزة لرؤيته فاستمدتها من كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة، وشجاعة العربية لابن جني، والمرجعية المشتركة لرؤية عبد القاهر الجرجاني هي من فكر القاضي عبد الجبار فيما يتعلق بالمادة والتخييل، وتشغيل بعض المفاهيم الأرسطية، أما النواة النظرية فتكمن في المفارقة الدلالية ثم في المناسبة التداولية³¹.

ويحدد محمد العمري من ناحية أخرى النتائج التي تمخضت عن اعتماد الكلام النفسي والمعاني النفسية وهي: استبعاد الأصوات وتقدير المعقول عن المحسوس، ثم تقييد المعاني بالنظم النحوي، وتقييد النظم بالقصد، والفائدة، والزيادة³².

وتنبع فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني من "التفريق بين استعمال اللغة بقصد الإشارة، واستعمالها بقصد التعبير عن الانفعال؛ أي التفريق بين الألفاظ التي تكتفي بالإشارة المجردة إلى الصورة الباردة للشيء، وبين الألفاظ التي تُعبر عن حقيقة الشيء"³³.

مجسدة للنشاط العقلي ومصورة له ، وهذه العلاقات " ليست إلا إمكانات النحو واحتمالاته داخل التركيب"⁴⁴، ثم إنّ التحولات التي تخضع لها البنية البلاغية في نظر عبد القاهر الجرجاني ليست مجرد ضم ؛ وإنما هذا التحول يتجاوز ذلك إلى فكرة التعليق وأين يتمثل الجانب الدلالي من الكلمات في السياق ف(عبد القاهر الجرجاني) لا يتصور وجود تمايز دلالي بين اللفظين بحيث يمكن القول إن أحدهما أدل على معناها الذي وضعت له من الأخرى.

مجال الخطاب (مادة + صورة)

اتكأ محمد العمري وهو يقرأ المنجز البلاغي والنقدي للإمام عبد القاهر الجرجاني على أربع عمليات كبرى رأى بأنها دعائم لبلاغة الجرجاني ، وعلامات عليها ، ومنها إقصاء الأصوات والمفردات ، وسجل محمد العمري أن موقف عبد القاهر الجرجاني من اللفظ المسموع والمنطوق خصوصا في باب التجنيس والسجع ظل ثابتا ؛ هذا في كتاب أسرار البلاغة ، أما في كتاب دلائل الإعجاز فإن موقف عبد القاهر الجرجاني إزاء هذا العنصر جاء متفاوتا لدرجة أن عبد القاهر الجرجاني صالح القدامى في هذا الباب من خلال تأويله إلى صورة المعنى⁴⁵.

لقد كان الإمام عبد القاهر الجرجاني في مسألة الفصل بين اللفظ والمعنى واضحا من خلال عدم رضاه عن سوء الفهم والتقليد والاستعصاء عن العلاج ، والخلط الذي وقع فيه الكثير من خلال الجهل بالمعنى ، ومُحِيلًا إلى الأفراد الذي خُص به اللفظ عن المعنى من خلال تحسينه ، وتصنيفه للشعر ، وإطلاق حُسن المعنى عن بعضه ، وحسن لفظه دون معناه⁴⁶.

إن هذا الطرح الذي يقدمه عبد القاهر الجرجاني يُعبر عن تصور جديد في البلاغة العربية من خلال الحديث عن الصورة ؛ صورة المعنى ومعنى المعنى وهي " منطقة بين اللفظ باعتباره أصواتا ، وبين المعنى باعتباره معاني مجردة معان عُفلا وأغراضا"⁴⁷.

ويسجل محمد العمري أن الصورة التي استبدل بها عبد القاهر الجرجاني اللفظ في المفهوم القديم له هي معنى المعنى على اعتبار أن المعنى على ضربين: ضرب يُتوصل إليه

ومرة ثانية إلى النظم ، ولكن هذا التقسيم تم تجاوزه من طرف الجرجاني إلى تقسيم ثلاثي من خلال ذلك العنصر " الذي يقع فيه التفاعل بين التغيير الدلالي (اللفظ) والتغيير التركيبي النظمي"³⁹.

وبذلك فقد حُلّت مشكلة اللفظ والمعنى ، فهما ليسا مجردين ولا منفصلين في البلاغة بل مؤتلفان يجمعهما النظم بواسطة قوانينه وأغراضه⁴⁰.

إن اللفظ بهذه الصورة لا يكتسب معناه ، ولا يؤدي وظيفته ودوره إلا من خلال وجوده داخل نظام ونسق تعبيرى مُعَيّن ؛ فكل كلمة تستمد دلالاتها من علاقاتها بالكلمات التي تسبقها ، والتي تلحق بها " فما نجد من معنى لأية كلمة إنما يأتيها من معاني الكلمات الأخرى التي ترافقها"⁴¹.

إن فصاحة الألفاظ حسب عبد القاهر الجرجاني لا ترجع إلى الألفاظ بشهادة الصفات التي توصف بها ، وإنما ترجع إلى صورتها ومعرضها الذي تتجلى فيه من خلال نظمها ، وما تتميز به من خصائص ، فهذه الصفات هي صفات عارضة لها في التأليف والصيغة بسبب دقائق بلاغية لم تكن لها قبل سياقها الذي أخذته في صور نظمها ، فالألفاظ لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، والدليل على ذلك أن الفكر لا يتعلق بمعاني الألفاظ في أنفسها ، بل بما بينها من علاقات هذه العلاقات في حقيقتها هي معاني النحو ، يقول عبد القاهر الجرجاني " فلا يقوم في وهم ، ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى «فعل» من غير أن يريد إعماله في «اسم» ، ولا أن يتفكر في معنى «اسم» من غير أن يريد إعمال «فعل» فيه ، وجعله فاعلا له أو مفعولا ، أو يريد فيه حكما سوى ذلك من الأحكام ، مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة أو حالا ، أو ما شاكل ذلك"⁴².

ورؤية الجرجاني هذه نابعة من اعتبار أن اللفظ والمعنى هما الأصلان الثابتان للظاهرة اللغوية ، وأن كل كلام عن الكلام من أي زاوية هو في الحقيقة تحديد لماهية وجوهر كل منهما ، وخصائصهما وكيفية أدائهما مُجتمعين للوظيفة⁴³. فعبد القاهر الجرجاني لم يعن بدرجة كبيرة بالكلام الملفوظ الذي يقع تحت الملاحظة العادية ، وإنما وجه اهتمامه إلى ذلك النشاط الذي يتعذر على الملاحظة ، في محاولة للجمع بين النقيضين ، ومحاولة رصد ما بين الألفاظ التي تعتبر

الجملة ، بل تضاف فيه الجمل بعضها إلى بعض ، مثل قول الشاعر:

التَّشْرِيسُكَ وَالْوُجُوهَ دَنَا نِيرَ وَأَطْرَافُ الْأَكْفَ عَمَّ⁵⁰.

لقد حاول محمد العمري أن يرصد المفهوم العام الذي كرسه عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن الخبر من خلال تقديم البناء على الجملة ، وتسميته داخل إطار يجمع أطرافها ، ويحفظ تماسكها ، فتجلى ذلك في كتاب أسرار البلاغة ، ولكن بطرائق مختلفة أبرزها: التفريق بين المركب ، والمتعدد من خلال الحديث عن الفروق بين التشبيه والتمثيل ؛ معتبرا أن التشبيه الأول والأجدر بهذه التسمية هو ذلك البعيد عن التشبيه الظاهر الصريح الذي لا يستقيم معه المعنى إلا من جملة أو جملتين أو أكثر " حتى إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر " ⁵¹.

وفي باب بحث البناء على الصور البلاغية وتراكيبها يسوق محمد العمري مجموعة من الأبيات الشعرية التي توضح كيفية بحث عبد القاهر الجرجاني عن الخاص في الابتداء ؛ هذا الذي يحمل بطاقة انتهاء من خلال ابتداء العلل وقلها في إطار عملية تناسي التشبيه والمجاز لبناء صور جديدة ومركبة وكثيرة الوسائط يكون الذهن فيها إزاء عملية تأويل لها حين يتلقاها.

ومن المصطلحات التي ذكرها محمد العمري واستخدمها عبد القاهر الجرجاني: التناسي ، ومخادعة النفس ، والمسامحة ، وعدم الاحتفال ، والاجترار ، والادعاء ، ومغالطة النفس وحملها على الاعتقاد والاطمئنان ، واستحكام الصور⁵².

ومن الأبيات التي ساقها الجرجاني لرصد تجديد الشعراء لصور التشبيه بالشمس والبدر والرياح من خلال اعتماد القلب والتناسي قول الشاعر:

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ
وقول البحري:

طَلَعَتْ لَهُمْ وَقَتِ الْغُرُوبِ فَعَايَنُوا

سَمَا الشَّمْسِ مِنْ أَفْقٍ وَوَجْهَهُ مِنْ أَفْقٍ

وَمَا غَايَنُوا شَمْسَيْنِ قَبْلَهُمَا تَقَى

ضَبَاؤُهُمَا وَفَقَا مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ

بدلالة اللفظ لوحده ، وضرب لا يتوصل إليه بدلالة اللفظ لوحده ، فإذا قلنا كثير الرماد مثلاً فهي: كناية عن حسن الضيافة ، وهذا المعنى (حسن الضيافة) هو المعنى الثاني الذي لا يؤخذ من ظاهر اللفظ بل يتوصل إليه بالعقل في معناه وهو الغرض من القول⁴⁸.

لقد استوعب عبد القاهر الجرجاني المادة البلاغية في كتاب أسرار البلاغة عن طريق التمثيل والاستعارة والمجاز ، وعوّض التشبيه بالكناية مستخدماً اللفظ في الدلالة على هذا المسموع ، وموزعاً المزية بينه وبين النظم يقول "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين: قسم تُعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يُعزى ذلك إلى النظم من خلال إدراج الكناية والاستعارة والتمثيل الذي يقترب من الاستعارة ، وكل ما يحتوي مجازاً واتساعاً وعدولاً باللفظ عن الظاهر في القسم الأول ، أما القسم الثاني فهو في توخي معاني النحو وأحكامه وفروعه ووجوهه ، والعمل بقوانينه⁴⁹.

وينبه محمد العمري إلى أن مبدأ البناء على الجمل والصور البلاغية ، وتناسي المستويات المتحققة سعياً لمزيد من التركيب هو من المبادئ التي بقيت معياراً للخصوصية والتميز البلاغي من خلال بحثه في التجليات التطبيقية التي تُعد متكاً ومكسباً للنظرية ، فبحث في قضية تقديم التفصيل الدلالي على التقطيع النظمي ؛ هذه القضية التي تُجسد كل خصوصيات تقديم المعنى ، والنظم على الأصوات باعتبارها أجراً ومقاطع.

ويسوق محمد العمري مجموعة من الأبيات الشعرية في باب بحث تماسك البيت الشعري ، فالجرجاني حسبه يرى أن البناء على الجملة يُغير معناها ، ويجعله شيئاً متفرداً جديراً بأن يُنسب إلى فاعله ، ويختص به فقول الفرزدق:

وما حملت أم امرئ في ضلوعها ** أعقُ من الجاني عليّ
هجاؤها

لا يستبين فيه المعنى للقارئ في القراءة الأولى إلا عندما يصل إلى آخر حرف من البيت.

على أن عبد القاهر الجرجاني ميز بين البيت الذي يحمل بطاقة تعريف كما يسميها محمد العمري من خلال المراد والعام له ، وبين البيت الذي لا يبنّي فيه المعنى على

وقول المتنبي:

كَبُرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدْتُ

أي المعنى أو الدلالة ، وهو بذلك يطرح المشكلة بنفس الدقة التي طُرحت بها في العصر الحديث: المعنى والصوت⁵⁵.

الهم الفلسفي والضرورة الأخلاقية

يشير الأستاذ محمد العمري إلى أن الجرجاني ينتهج طريقة الانطلاق من الجلي والتوصل به إلى الخفي تحقيقا للأنس والألفة في النفوس من خلال إخراجها " من خفي إلى جلي وتأنيها بصريح بعد مكنى ، وأن تردّها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم" (56) فالتمثيل مطلوب هنا لزوال الريب والشك تحقيقا للوظيفة الخطائية الإقناعية ؛ فالجانب الإقناعي يكمن في التشبيه الصريح الذي ليس بتمثيل كقياس الشيء على الشيء في اللون مثلا⁵⁷. أما الجانب الشعري فهو قائم على المبالغة.

ورصد العمري أن خصوصية الشعر عند الجرجاني مبنية على الجمع بين المتنافرات ، وبين المطلب اللغوي في الوضوح ، وأن الغرض في نهاية المطاف هو ما ينتجه المعنى حتى في حالة الوضوح التام من خلال تأمله وإعمال العقل فيه ، فلذة المعرفة هي كل ما يتعلق بمحصلات الإنسان من قضايا ومعارف من خلال صدقها ، فيما تُطف المفاخرة يخضع لمعطيات زمنية ماثلة عند الجرجاني⁵⁸.

إن غاية ما كان يرمي إليه عبد القاهر الجرجاني حسب محمد العمري هو البحث في مدارج الغرابة ومستوياتها ، وُعد الأسرار حسب العمري " أول كتاب يطرح سؤال الهوية هوية الخطاب البليغ فإنه كان محكوما بتوجهه إلى الشعر ولذلك يصلح أن يسمى حسب تعابيرنا أسرار بلاغة الشعر أو لغة الشعر" (59).

جدول رقم: 1 الفرق بين التشبيه والاستعارة عند

الجرجاني

التخريجات	الأمثلة	
تشبيه صريح / أو مرسل/ أو ساذج	كالشمس إشراقا	1
تشبيه مبالغ ملتبس بالاستعارة. استعارة ، تشبيه مبالغ محذوف	الوجه شمس	2

منها الشُّمُوسُ وليس فيها المَشْرِقُ

ويُعلق محمد العمري عن البيت الأول بأن الشاعر

يحفظ مُسبقا بوجه الشبه من خلال استذكار الوجه الذي يريد وصفه وهو المرأة الحسنة التي تشبه الشمس ، ولولا هذا الاستحضار لما ظهر لعجبه وَجْهٌ أصلا ؛ فالعجب مردّه إلى المعنى الجديد والتعامل معه كحقيقة⁵⁹ أما المثال الثاني فالمعنى المقصود منه إخراج الناس لرؤية ما لم يروه قط ، وما لم تجر العادة به ، ويكون ذلك من خلال الاجترار المصحوب بعدم الإنكار من أي أحد.

ويسوق محمد العمري تأسيسا على تحليلات عبد

القاهر الجرجاني للآليات الشعرية ، ومن خلال طرح الجرجاني للفرق بين التشبيه والاستعارة جدولا يوضح الأمثلة مع تخريجاتها ، (جدول رقم 1).

و يرصد الأستاذ محمد العمري ما انتهى إليه الجرجاني

حول مكونات الخطاب ولاسيما الشعر منه من خلال تفصيل القول في قضية دار النقاش فيها حول الشعراء واللغويين وهي اللفظ بمعناه العام ، والمعنى ببعديه المنطقي والأخلاقي ، وفصل في الرؤية التي تُقدم المعنى كجهة من جهات مادة الشعر والتي اعتبرها الجرجاني من العرف والعادة ، وما يهيجس في الضمير وما عليه العامة ، والرؤية التي تنظر للشعر من جهة صورته فتقدم اللفظ ؛ ويُقر العمري بأن الغرض من هذه الفكرة هو " التمييز بين المكون النوعي والمكون غير النوعي في الشعر ، والمكون الذي يتميز به الشعر والمكون الذي يشترك فيه مع أنواع أخرى من الخطاب"⁶⁰.

إن الجرجاني يعطي الأصوات دورا في حدود ما يسمح

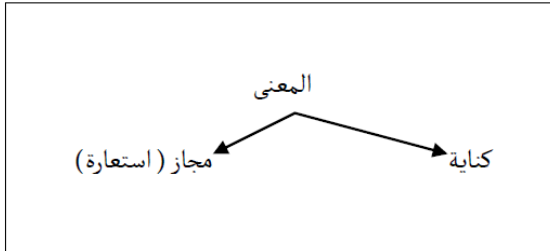
به تأويلها دلاليا من خلال حديثه عن الإيهام الذي يترتب عن حدوث الإفادة من مظهر التكرار أو الحشو اللفظي ؛ ومن ناحية ثانية فتلاؤم الحروف في البناء الصوتي لا يكون معجزا إلا إذا تحقق شرط الدلالة ، ومرد ذلك إلى صعوبة مراعاة السجع والوزن ، وصعوبة التجنيس والترصيع إذا روعي المعنى معه.

ويرصد العمري الإضافة التي أضافها الجرجاني في "

سعيه لتدقيق مفهوم اللفظ والمعنى ، فحصر الأول في المسموع ؛ أي الجانب الصوتي ، وحصر الثاني في المفهوم ؛

المصدر: محمد العمري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د.ط، أفريقيا الشرق، د.م.ن، 1999، ص339.

شكل رقم: 4 تقاسم المجال المعنوي بين الكناية والمجاز



المصدر: محمد العمري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د.ط، أفريقيا الشرق، د.م.ن، 1999، ص354.

الخاتمة

ينوء المشروع البلاغي للإمام عبد القاهر الجرجاني بثقل عظيم، ولا شك أن المسوغ العام للجرجاني في مشروعه البلاغي كان تلك الثورة التي شتّها النحاة على المناطق الذين كرسوا البحث في التغيرات التي تطرأ على أواخر الكلمات؛ فكان ذلك الأرضية التي هيأت للجرجاني الظهور بنظريته في النظم، وما تحتويه من اتصال بالكلام الفني والمنطوق، وما فيها من اتصال بالإمكانات النحوية من ناحية أخرى.

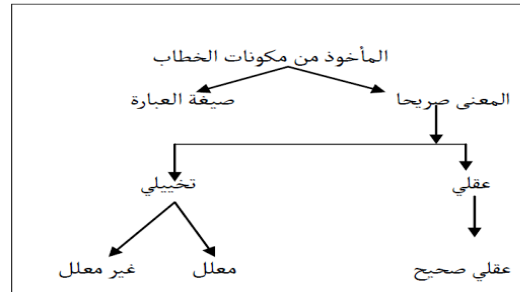
ولعل توجه كتاب دلائل الإعجاز إلى دراسة القرآن ومستويات النظم في القرآن، أو مستويات الإعجاز القرآني بالمفهوم الحقيقي كان واضحاً، على أن الأسرار كتاب ألفه الجرجاني لتثبيت الأصول، وتمييز الفروق بين العبارات والفنون الأدبية من خلال أثر الصور البيانية في نفسية المتلقي.

وكانت النواة المنهجية التي ميزت كتاب الأسرار هي الاتجاه نحو الاهتمام بالغرض في الخطاب، وبوجه الدلالة على الغرض فيه، من خلال تفريق الجرجاني بين أنواع التمثيل؛ فالتشبيه عنده ما كان بيناً ولا يحتاج إلى تأويل، وبصل التشبيه إلى أن يُصبح استعارة حسب مبدأ التوهم من خلال وصوله إلى درجة معينة من الاختزال في أطرافه.

طلعت علينا شمس	
عجبا شمس تظللني من شمس طلوع الشمس من الشرق عند طلوعها من الغرب طلوع الشمس من ديارهم	3
تخييل قائم على تناسي التشبيه والاستعارة	

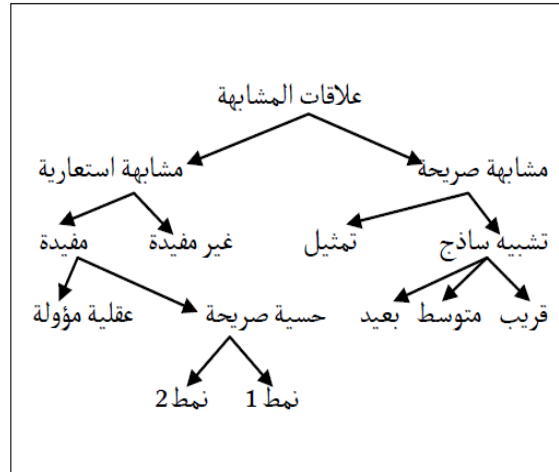
محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د.ط، أفريقيا الشرق، د.م.ن، 1999، ص381.

شكل رقم: 1 أنواع المعاني المأخوذة عند عبد القاهر الجرجاني



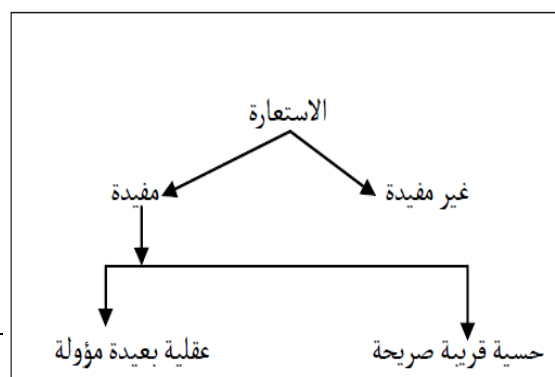
المصدر: محمد العمري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د.ط، أفريقيا الشرق، د.م.ن، 1999، ص333.

شكل رقم: 2 مفهوم المشابهة وعلاقاتها عند الجرجاني



المصدر: محمد العمري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د.ط، أفريقيا الشرق، د.م.ن، 1999، ص343.

شكل رقم: 3 أنواع الاستعارة المفيدة عند الجرجاني



ترجع فصاحة الألفاظ عند الجرجاني إلى تلك الصورة التي يمنحها لها النظم مُعتبراً أن قُطبي الظاهرة اللغوية وعمادها هما اللفظ والمعنى.

تبين لمحمد العمري أن طرح الجرجاني فيما يتعلق بالمعنى والصوت هو نفسه ما يروج في عصرنا، فهو حاول أن يربط اللفظ بالجانب الصوتي، أما المعنى فمرتبط عنده بالدلالة.

إن الغاية التي من أجلها استهدف الأستاذ محمد العمري مشروع الجرجاني هي الإبانة على ما ميز جهد الرجل من خلال قراءته النسقية للمشروع ثم المنجز، مستحضراً في كل ذلك ما استعان به الجرجاني، وما شاع في زمنه من ضرورات في محاولة لإعادة تشكيل عناصر هذا المشروع بمعطيات ورؤى فكرية جديدة.

أشار محمد العمري إلى الاضطراب بين الموقف العام للإمام عبد القاهر، وبين بعض القضايا المتعلقة بالتفريق بين المجاز اللغوي والمجاز في الجملة، وأرجعه إلى التوجه الديني للإمام عبد القاهر الجرجاني.

أشار العمري إلى أن الغاية من مشروع الجرجاني هو البحث في المعايير البلاغية للشعر في كتاب الأسرار؛ وهي نفسها الغاية التي من أجلها ألف الجرجاني كتاب دلائل الإعجاز، مع اعتبار أن القرآن الكريم معجزاً للبشر، ويجب إخراجه من أي تصنيف؛ لأنه نص متفرد ومتفوق. ولما كانت مهيمنة الأسرار هي رصد التخييل والغربة الشعرية فإن مهيمنة الدلائل تتعلق بالنحو والإعراب من خلال رصد العلاقة بين المعاني والمقاصد.

قدم العمري مفهوم النظم عند الجرجاني بأنه من العناصر المساعدة التي تشارك مع الكناية والمجاز، على أن النظم قد يستأثر بوجوده لوحده، وربما يقصد الجرجاني هنا النص القرآني.

الهوامش

1. علي عبد الرزاق، الأمالي في علم البيان وتاريخه، د.ط، مطبعة مقداد، مصر، 1330-1911ص23.
2. أنظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، د.ط، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص 296.
3. أنظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د.ط، أفريقيا الشرق، د.م.ن، 1999، ص330.
4. أحمد مطلوب، دراسات بلاغية، د.ط، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1400هـ-1980م.
5. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص229-230.

6. أنظر: المرجع نفسه ، ص336.
7. أنظر: عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص26.
8. أنظر: المصدر نفسه ، ص474.
9. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص333.
10. أنظر: المصدر نفسه ، ص331.
11. أنظر: المصدر نفسه ، ص336.
12. أنظر: المصدر نفسه ، ص338.
13. محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون / الشركة المصرية العالمية للنشر- لوندجمان ، 1995 ، ص46.
14. أحمد مطلوب ، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، د.ط ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1973-1393 ، ص38.
15. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص343.
16. أحمد مطلوب ، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، ص255.
17. أنظر: عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص41 ، ومحمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص337.
18. أنظر: عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة في علم البيان ، ص50.
19. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص349.
20. أنظر: المصدر نفسه ، ص346.
21. المصدر نفسه ، ص349.
22. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص332.
23. المصدر نفسه ، ص362.
24. محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص349.
25. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق: محمد رشيد رضا ، د.ط ، دار المعرفة ، بيروت ، 1987 ، ص366.
26. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص353.
27. محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، د.ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1979 ، ص370.
28. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص317-318.
29. محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، ط1 ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص329.
30. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص323.
31. أنظر: المصدر نفسه ، ص325.
32. أنظر: المصدر نفسه ، ص325.
33. محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، ص321.
34. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص354.
35. أنظر: المصدر نفسه ، ص350.
36. سورة هود ، الآية 44.
37. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص36-37.
38. عبد الله بن عبد الوهاب العمري ، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، بحث في مادة البلاغة وتاريخها ، 1428 ، ص29.
39. محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص357.
40. أنظر: عبد الملك بومنجل ، تأصيل البلاغة ، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية ، ط1 ، منشورات مخبر الميثاقفة العربية في الأدب ونقده ، جامعة محمد لمين دباغين — سطيف 2 ، 2015 ، ص79.
41. ريتشاردز ، فلسفة البلاغة ، ترجمة: ناصر حلاوي وسعيد الغانمي ، د.ط ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، 2002 ، ص31.
42. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص410.
43. أنظر: حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، ط3 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2010م ، ص414.
44. محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، ص59.
45. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص366.
46. أنظر: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص279.
47. محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص368.
48. أنظر: المصدر نفسه ، ص369.
49. أنظر: عبد القاهر الجرجاني ، مصدر سابق ، ص329 ، ومحمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص371.

50. محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص375.
51. عبد القاهر الجرجاني ، مصدر سابق ، ص87.
52. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص380.
53. أنظر: المصدر نفسه ، ص380.
54. المصدر نفسه ، ص360.
55. محمد العمري ، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية ، د.ط ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1991م ، ص123.
56. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص102.
57. أنظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص395.
58. أنظر ، محمد عبد الرزاق بوعافية ، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة من خلال مشروع محمد العمري ، مذكرة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة سطيف ، 2014/2015 ، مذكرة منشورة ، ص146.
59. محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، ط2 ، أفريقيا الشرق ، 2012 ، ص41.

مساهمة الاختصاص الجنائي العالمي في التصدي لانتهاكات القانون الدولي الإنساني

Contribution of the universal criminal jurisdiction to addressing violations of international humanitarian law

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-10-21

أساء بلملياني، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد
مخبر القانون، المجتمع، السلطة
asma463@rocketmail.com

الملخص

يؤدي مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي دوراً كبيراً في التصدي لمرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة وبالأخص انتهاكات القانون الدولي الإنساني سواء المرتكبة أثناء النزاعات المسلحة الدولية أو غير الدولية. فهو يمنح للمحاكم الجنائية الوطنية صلاحية الاختصاص بالنظر في هذه الجرائم دون ضرورة وجود علاقة بين الجريمة المرتكبة والدولة التي تمارس هذا الاختصاص. إلا أن تطبيقه وفعالته يتوقف على ضرورة إدماجه ضمن التشريعات الوطنية.

وقد عمدت العديد من الدول إلى تكريس مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي ضمن قوانينها الوطنية لتتمكن من متابعة مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني، ومنع إفلاتهم من العقاب، بغض النظر عن جنسيتهم، أو مكان ارتكابهم للجريمة، من بينها بلجيكا، فرنسا، اليمن والأردن.

الكلمات المفتاحية: الاختصاص الجنائي العالمي-الجرائم الدولية-القانون الدولي الإنساني-التشريعات الوطنية — المحاكم

الجنائية الوطنية

Résumé

Le principe de la compétence pénale universelle joue un rôle majeur dans le traitement des auteurs de crimes internationaux graves, en particulier de violation du droit international humanitaire, qu'ils aient été commis lors de conflits armés internationaux ou non internationaux. Il donne aux juridictions pénales nationales la compétence d'examiner ces crimes sans qu'il soit nécessaire d'établir un lien entre le crime commis et l'Etat qui exerce cette compétence. Toutefois, son application et son efficacité dépendent de la nécessité de l'intégrer dans la législation nationale.

De nombreux États ont adopté le principe de la compétence pénale universelle dans leurs législation nationale afin de permettre la poursuite des auteurs de violations du droit international humanitaire, et d'empêcher leur impunité, indépendamment de leur nationalité ou du lieu où ils ont commis le crime, notamment en Belgique, en France, au Yémen, et en Jordanie.

Mots-clés: La compétence pénale universelle, Les crimes internationaux, Le droit international humanitaire, Législation nationale, Les juridictions pénales nationales.

Abstract

The principle of universal criminal jurisdiction plays a major role in addressing the perpetrators of serious international crimes, in particular violations of international humanitarian law, whether committed during international or non international armed conflicts. It grants jurisdiction to national criminal courts to consider such offenses without the need to establish a link between the crime committed and the state exercising that jurisdiction. But its application and effectiveness depends on the need to incorporate it into national legislation.

Many states have sought to enshrine the principle of universal criminal jurisdiction within their national laws to enable them to prosecute perpetrators of violations of international humanitarian law, regardless of their nationality or where they commit the crime, including Belgium, France, Yemen and Jordan.

Keywords: Universal criminal jurisdiction, International crimes, International humanitarian law, The national legislation, The national criminal courts

مقدمة

لهذا الاختصاص تفعيل سبل الملاحقة والمتابعة عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني؟

أولاً: مفهوم مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي

نظراً لتفشي وانتشار الجريمة الدولية ووقوعها على نطاق واسع، سواء على المستوى الدولي أو الداخلي، في أوقات السلم وزمن النزاعات المسلحة، ولجوء مرتكبيها إلى مغادرة الدول التي ارتكبوا فيها هذه الجرائم، أو تغيير جنسياتهم، حتى لا يكونوا محل ملاحقة ومتابعة من طرف القضاء الجنائي الوطني للدولة التي ارتكبوا فيها جرائمهم، سعى المجتمع الدولي إلى تكثيف جهوده بغية التصدي لمرتكبي هذه الجرائم، ومنع إفلاتهم من العقاب، فكان تبني واعتماد مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي هو السبيل لتحقيق ذلك.²

1- تعريف مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي وأهميته

الاختصاص الجنائي العالمي أو كما يصطلح عليه البعض بمبدأ الصلاحية العالمية أو الشاملة، ويسميه البعض الآخر بمبدأ العالمية ينصرف مدلوله إلى سريان قانون العقوبات الوطني على مرتكبي الجرائم من الأجانب الذين يتم القبض عليهم داخل إقليم الدولة، فارتكاب الأجنبي لجريمة في الخارج، وتواجده فوق إقليم أي دولة أخرى يجعل قضاءها الوطني مختصاً بمتابعته ومساءلته عن الجريمة المرتكبة من طرفه بالرغم من أنه ليس من رعايا هذه الدولة، وأن الجريمة لم تقع فوق إقليمها، ولذلك وصف هذا الاختصاص بالعالمي.³ وبذلك فإن الاختصاص الجنائي العالمي يقصد به انعقاد الولاية للمحاكم الجنائية الوطنية للمساءلة والمعاقبة عن الجرائم الدولية المحددة ضمن التشريع الوطني، دون ضرورة وجود رابطة بين الشخص مرتكب الجريمة والدولة صاحبة الاختصاص، ومن ثم فإن هذا الاختصاص يمارس بشأن تلك الجرائم التي ترتكب خارج الحدود الإقليمية للدولة ومن غير الأشخاص الذين يحملون جنسيتها، مما يجعل البحث عن تحديد مكان وقوع الجريمة أو جنسية مرتكبها عديم الفعالية، ومن دون أثر في إعمال هذا المبدأ.⁴

إن أساس انعقاد الاختصاص الجنائي العالمي يرجع إلى نوع وطبيعة الجريمة المرتكبة بغض النظر عن أي معيار آخر يقضي بضرورة وجود علاقة تربط الشخص مرتكب

القانون الدولي الإنساني يتمثل في مجموع القواعد القانونية التي تعنى بتنظيم النزاعات المسلحة، فتشمل بالحماية الأشخاص غير المشاركين في العمليات الحربية أو الذين كفوا عن ذلك كالمدنيين والجرحى والمرضى والأسرى وغيرهم، كما تهدف للحد من آثار الحرب وجعلها أكثر إنسانية من خلال تقييد استعمال الأسلحة، وبذلك فإن الأفعال التي تقع بالمخالفة لهذه القواعد تعتبر انتهاكا لقواعد ومبادئ القانون الدولي الإنساني.

إن الاختصاص بالنظر في هذه الانتهاكات ينعقد في المقام الأول للقضاء الجنائي الوطني، هذا الأخير الذي تكون له صلاحية النظر في جميع الجرائم الواقعة داخل حدود إقليم الدولة وفقاً لمبدأ الإقليمية، كما قد يتولى القضاء الجنائي الوطني الاختصاص بملاحقة ومتابعة مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني بالرغم من عدم وقوعها داخل حدود إقليم الدولة، فيكفي أن تكون مرتكبة من طرف مواطنين يحملون جنسية الدولة لينعقد اختصاص القضاء الوطني وفقاً لمبدأ الاختصاص الشخصي، وفي حالات أخرى قد يكون مختصاً بالنظر لطبيعة الجريمة المرتكبة والتي تمس بالمصلحة الأساسية للدولة، بغض النظر عن مكان وقوعها أو جنسية مرتكبها.

وعليه فإن الاختصاص الجنائي الوطني تنحصر حدود تطبيقه في ضرورة وجود علاقة بين الجريمة المرتكبة والدولة التي ينعقد لها الاختصاص، مما يجعله قاصراً وعاجزاً عن التصدي للجرائم الدولية الخطيرة التي تمس بمصالح المجتمع الدولي ككل، وتهدد سلامته واستقراره، خاصة الجرائم التي تشكل انتهاكا لقواعد ومبادئ القانون الدولي الإنساني، كما في حال فرار مرتكب الجريمة إلى دولة أخرى، أو في حال عدم وجود رغبة لدى الدولة التي فر إليها الجاني بمتابعته ومعاقبته أو عدم قدرتها على ذلك، أو في حال ارتكاب الجريمة من طرف أو بموافقة من المسؤولين الرسميين في الدولة.

في مثل هذه الحالات ينبغي التوسع من مبادئ الاختصاص الجنائي الوطني، والارتقاء بها إلى المستوى العالمي، حتى تشمل بالاخصاص أشد الجرائم الدولية خطورة، وتمنع إفلات مرتكبيها من العقاب،¹ ويكون ذلك من خلال اعتماد مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي، فكيف يمكن

تقدم وسائل النقل والاتصال وجعلها أكثر تطوراً وحداثة ساهم وإلى حد كبير من تسهيل مهمة المجرمين الدوليين الذين أصبحوا يرتكبون الجرائم ثم يفرون إلى دول أخرى حتى يفلتوا من العقاب، فكان اللجوء إلى جعل الملاحقة والمتابعة عن الجرائم الدولية الخطيرة عالمية هو السبيل لردع وزجر هؤلاء المجرمين¹⁰.

ومنه فإن جسامه وبشاعة الجرائم الدولية المرتكبة في حق الإنسانية وخطورة الآثار والأضرار التي تلحقها بصفة عامة، أدى إلى إقرار مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي كآلية وطنية لملاحقة ومتابعة المجرمين الدوليين بغض النظر عن مكان تواجدهم أو جنسياتهم¹¹.

إن أهمية اعتماد مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي تكمن في منع إفلات مرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة من العقاب والمسؤولية، بالنظر لبشاعة وجسامه هذه الجرائم التي تشكل خطراً وتهديداً على المجتمع الدولي ككل وليس فقط الأشخاص المرتكبة في حقهم كجريمة الإبادة الجماعية مثلاً الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب¹² فإنه بذلك يعتبر من الآليات الوطنية الفعالة التي تساهم في التصدي لمرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة وبالأخص انتهاكات القانون الدولي الإنساني ومنع إفلاتهم من العقاب¹³ خاصة وأنه يسمح لأي دولة، ويمكنها من المطالبة باتخاذ إجراءات المتابعة في حق مرتكبي هذه الجرائم.

2- الأساس القانوني لإعمال مبدأ الاختصاص الجنائي

العالمي بشأن انتهاكات القانون الدولي الإنساني

نصت العديد من الاتفاقات الدولية على ضرورة الإقرار بمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي والعمل به، كما حثت الدول على تكريس هذا النوع من الاختصاص ضمن تشريعها الوطني للتصدي لمرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة، وبالأخص انتهاكات القانون الدولي الإنساني، ومنع إفلات مرتكبيها من العقاب.

أ- الاتفاقات الدولية المكرسة لمبدأ الاختصاص

الجنائي العالمي

إن من أكثر الاتفاقات الدولية ذات الصلة بالقانون الدولي الإنساني، والتي تركز مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي نجد اتفاقات جنيف الأربع لعام 1949 التي تنص ضمن المواد المشتركة (المادة 49 من الاتفاقية الأولى، المادة

الجريمة بالدولة صاحبة الاختصاص، كمكان وقوع الجريمة مثلاً، أو جنسية مرتكبها،⁵ الأمر الذي أكدته جامعة بريستون في عام 2001 ضمن مجموعة المبادئ التي وضعتها بشأن الاختصاص الجنائي العالمي⁶.

يعتبر مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي خروجاً عن المبادئ الكلاسيكية المتعلقة بممارسة القضاء الوطني لاختصاصه بشأن الجرائم الدولية المرتكبة، وذلك لأنه يسمح بتوسيع مجال اختصاص محاكم القضاء الجنائي الوطني، ومن نطاق تطبيق قانون العقوبات الوطني، فيمنح للمحاكم الجنائية الوطنية للدولة صلاحية الاختصاص بمساءلة الأشخاص مرتكبي الجرائم الدولية الذين يتواجدون فوق إقليمها بغض النظر عن مكان وقوع الجريمة، أو جنسية الجاني أو المجني عليه⁷. وهو بذلك يعتبر إسهاماً فعالاً وآلية ناجعة لردع مرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة، ومنع إفلاتهم من العقاب، خاصة في ظل قصور مبادئ الاختصاص التقليدية التي قد تصبح عاجزة عن مجابهة الجرائم الدولية والتصدي لمرتكبيها، نظراً لوقوع هذه الجرائم خارج إقليم الدولة، ومن غير رعاياها⁸.

تحقيقاً لمبدأ العدالة الجنائية الدولية تم تطوير وتوسيع مبادئ الاختصاص التقليدية، من خلال اعتماد مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي، الذي يسمح للقضاء الوطني للدولة بملاحقة مرتكبي الجرائم الدولية، ومساءلتهم دون النظر إلى المكان الذي وقعت فيه الجريمة أو جنسية مرتكبيها أو حتى صفة الأمرين بارتكابها، سواء أكانوا من المدنيين أم من العسكريين، إلا أن تطبيق هذا المبدأ لن يتأتى إلا من خلال تكريسه ضمن التشريعات الوطنية، وتحديد الجرائم التي تكون موضوع مساءلة بموجبها⁹.

يهدف الاختصاص الجنائي العالمي إلى إخضاع الأجنبي الذي يرتكب جريمة في الخارج لقانون عقوبات الدولة التي يتم القبض عليه فيها، أو التي يتواجد فوق إقليمها، ويراد من اعتماده تحقيق التعاون الدولي لأجل مكافحة الجريمة الدولية، ومنع إفلات مرتكبيها من العقاب بغض النظر عن جنسية هؤلاء، أو مكان ارتكابهم للجريمة.

تظهر أهمية الأخذ بمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي في الحد من تفشي الجريمة الدولية وانتشارها على نطاق واسع وبالأخص الجريمة الدولية المنظمة التي تتجاوز الأفعال الإجرامية المكونة لها حدود إقليم الدولة الواحدة، فتتصرف آثارها إلى أكثر من دولة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن

1984، التي نصت المادة الخامسة منها على أن من واجب كل دولة طرف في الاتفاقية اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لبسط اختصاصها القضائي الوطني على الجرائم الميمنة في المادة الرابعة، في الحالات التي يكون فيها مرتكب الجريمة متواجدا داخل حدود إقليمها، وألا تقوم بتسليمه استنادا للمادة الثامنة إلى أية دولة من الدول التي ورد ذكرها في الفقرة الأولى من المادة الخامسة، وبذلك فإنه استنادا لنصوص اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، فإن المحاكم الجنائية الوطنية للدولة ينبغي لها الاختصاص بملاحقة ومتابعة مرتكبي جرائم التعذيب بمجرد تواجدهم فوق إقليمها. إن اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة لعام 1984 لا ينحصر مجال تطبيقها ضمن جرائم التعذيب فقط، وإنما تشمل وتنطبق على جميع الجرائم الأخرى التي يمكن أن تطوي على أفعال تعذيب كجريمة الإبادة الجماعية، الجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب، بغض النظر عن زمان وقوعها سواء أثناء السلم أو في أوقات النزاعات المسلحة الدولية أو غير الدولية²⁰.

يجد مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي أساس إقراره أيضا ضمن الاتفاقية المتعلقة بعدم تقادم جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية لعام 1968، حيث أكدت في المادة الرابعة منها على أن "تتعهد الدول الأطراف في هذه الاتفاقية بالقيام وفقا للإجراءات الدستورية لكل منها، باتخاذ تدابير تشريعية أو غير تشريعية تكون ضرورية لكفالة عدم سريان التقادم على الجرائم المشار إليها في المادتين الأولى والثانية من هذه الاتفاقية، سواء من حيث الملاحقة أو من حيث المعاقبة، ولكفالة إلغائه إن وجد"

يستخلص من مفهوم المادة الرابعة من اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية، أن الدول تلتزم بموجب الاتفاقية بملاحقة ومتابعة مرتكبي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، وأن هذه الملاحقة تظل قائمة رغم مرور الزمن، كما أن هذه الجرائم لا يسري عليها مبدأ التقادم ولا يكون سببا في سقوط المساءلة والمعاقبة عن ارتكابها²¹.

50 من الاتفاقية الثانية، المادة 129 من الاتفاقية الثالثة، المادة 146 من الاتفاقية الرابعة) على ضرورة اتخاذ كل دولة طرف في الاتفاقات التدابير والإجراءات القانونية اللازمة لقمع مرتكبي الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني،¹⁴ المتمثلة أساسا في جريمة الإبادة الجماعية، الجرائم ضد الإنسانية، جرائم الحرب وغيرها¹⁵.

وبذلك وضعت هذه الاتفاقات على عاتق الدول الأطراف واجب البحث، وملاحقة مرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة التي تشكل انتهاكات جسيمة لقواعد القانون الدولي الإنساني¹⁶، إلا أنه وفيما يتعلق بالمحاكمة فإنها وضعت أمام الدول الأطراف خيار محاكمة هؤلاء المجرمين أو تقديمهم إلى دولة أخرى طرف لأجل محاكمتهم ومساءلتهم عن الجرائم المرتكبة من طرفهم¹⁷.

تأكد إقرار مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي أيضا ضمن بروتوكول جنيف الأول لعام 1977 الملحق باتفاقات جنيف الأربع، في الفقرة الأولى من المادة 85، التي وضعت على عاتق الدول الأطراف واجب البحث عن الأشخاص المتهمين بارتكاب جرائم الحرب، وتقديمهم للمحاكمة، كما أكد ضمن المادة 88 منه على أن تتبع وملاحقة مرتكبي الانتهاكات الجسيمة لقواعد القانون الدولي الإنساني تستلزم إعمال مبدأ التعاون الدولي في القضايا الجنائية، إذ يشكل هذا التعاون مسألة جوهرية لأجل تفعيل المتابعة القضائية الجنائية لمرتكبي الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني أو من أجل تسليم هؤلاء المجرمين إلى دولة أخرى طرف في اتفاقات جنيف لمتابعتهم ومساءلتهم¹⁸.

بالرغم من أن الاختصاص الجنائي العالمي لم يتم تكريسه وبشكل صريح ضمن المواد المشتركة من اتفاقات جنيف الأربع إلا أنه تم تفسير هذه النصوص بشكل يؤدي إلى أنها تنص على إقرار هذا الاختصاص، وضرورة إعماله ضمن التشريعات الوطنية¹⁹.

إلى جانب هذه الاتفاقات المتعلقة بصفة مباشرة بالقانون الدولي الإنساني، فإن العديد من اتفاقات القانون الدولي الجنائي التي تنطبق أحكامها على النزاعات المسلحة، أكدت على ضرورة إعمال مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي وتكريسه ضمن النصوص التشريعية الوطنية ليسمح بملاحقة ومتابعة مرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة، ومنع إفلاتهم من العقاب من أهمها، اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة لعام

ب- انتهاكات القانون الدولي الإنساني موضوع الاختصاص الجنائي العالمي:

تنقسم انتهاكات القانون الدولي الإنساني المنصوص عليها ضمن اتفاقات جنيف إلى قسمين، انتهاكات جسيمة وانتهاكات خطيرة. فأما الانتهاكات الجسيمة فهي تعتبر من أشد وأكثر جرائم الحرب خطورة، التي يمكن أن ترتكب في حق الأشخاص والممتلكات والأعيان المشمولة بالحماية. لذلك فإنها توصف بالانتهاكات الجسيمة، وتعرف على أنها تلك "الانتهاكات التي تعرض الأشخاص أو الأعيان ماديًا وبشكل مباشر للخطر"

وبذلك فإنه يدخل في مفهوم الانتهاكات الجسيمة، المخالفات الخطيرة التي يترتب على وقوعها وجوب مساءلة ومعاينة مرتكبيها؛ لأنها تشكل جرائم حرب، وهو ما تؤكد بموجب بروتوكول جنيف الأول لعام 1977 الذي نص على أنه "تعد الانتهاكات الجسيمة للاتفاقات ولهذا البروتوكول بمثابة جرائم حرب، وذلك مع عدم الإخلال بتطبيق هذه المواثيق"²²

كما أن دراسة اللجنة الدولية للصليب الأحمر المتعلقة بقواعد القانون الدولي الإنساني العرفي أكدت ضمن القاعدة 156 منها على أن "الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني تشكل جرائم حرب"²³

أما الانتهاكات الخطيرة فهي تلك الانتهاكات التي تخالف أو تتنافى مع مبادئ وأحكام اتفاقات جنيف الأربع والتي لا تعتبر من الانتهاكات الجسيمة²⁴، ففي حال وقوعها أو ارتكابها فإن الدول الأطراف تتخذ بشأنها إجراءات إدارية أو جزائية فقط²⁵.

بالرجوع إلى النصوص المشتركة لاتفاقات جنيف الأربع التي تضع على عاتق الدول الأطراف ضرورة إعمال مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي بشأن الانتهاكات الجسيمة لقواعد القانون الدولي الإنساني، من خلال سن تشريعات وطنية تقضي بملاحقة ومتابعة مرتكبيها أو تسليمهم إلى دولة طرف تتكفل بذلك، نجد أن هذه النصوص تنطبق فقط على الانتهاكات الواقعة أثناء النزاعات المسلحة الدولية، ومن ثم فإن الجرائم التي تقع أثناء النزاعات المسلحة غير الدولية لا تخضع لمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي.²⁶

إن الاتجاه الرامي إلى اعتبار الاختصاص الجنائي العالمي يطبق فقط على الانتهاكات الجسيمة المرتكبة أثناء

النزاعات المسلحة الدولية ليس في محله وغير مؤسس، ذلك لأن أساس إقرار واعتماد مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي لا يقتصر فقط على الاتفاقات الدولية، بل كذلك على القانون الدولي العرفي، وبذلك فإنه ورغم حصر الاتفاقات الدولية تطبيق مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي على الانتهاكات الجسيمة لاتفاقات جنيف، فإن القانون الدولي العرفي يقضي بتطبيق هذا المبدأ على كافة انتهاكات قواعد ومبادئ القانون الدولي الإنساني، جسيمة كانت أو خطيرة، بل ويمتد نطاق تطبيقه ليشمل أيضاً الانتهاكات المتعلقة باستعمال وسائل وأساليب القتال²⁷.

فقد أصبح الاتجاه القائل باعتبار الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي الإنساني المرتكبة أثناء النزاعات المسلحة غير الدولية، تشكل جرائم حرب، يلقي قبولا واهتماما واسعا، وبذلك فإن هذه الانتهاكات الواقعة في إطار النزاعات المسلحة غير الدولية تخضع أيضا لمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي الجوازي، وذلك لأن القانون الدولي العرفي لا يضع على عاتق الدول التزاما بممارسة مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي، كما هو الحال بالنسبة للاتفاقات الدولية، ومن ثم فإن تطبيق مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي بشأن انتهاكات القانون الدولي الإنساني الخطيرة يبقى جوازيا واختياريا من طرف الدول. وقد تأكد ذلك ضمن الكلمة التي ألقته اللجنة الدولية للصليب الأحمر أمام الأمم المتحدة سنة 2011، بعنوان "نطاق مبدأ الولاية القضائية العالمية وتطبيقه" التي جاء فيها أن الاختصاص الجنائي العالمي مقرر بالنسبة لجميع انتهاكات القانون الدولي الإنساني، وأن ذلك يعتبر قاعدة عرفية دولية من قواعد القانون الدولي الإنساني،²⁸ ويدخل في مفهوم ذلك الانتهاكات المنصوص عليها ضمن المادة الثالثة المشتركة بين اتفاقات جنيف الأربع لعام 1949 والبروتوكول الثاني الملحق بها، الواقعة خلال النزاعات المسلحة غير الدولية، ويشمل ذلك أيضا جميع انتهاكات قواعد وأعراف القانون الدولي الإنساني كتلك المنصوص عليها ضمن النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية²⁹.

ثانيا: موقف التشريعات الوطنية من الأخذ بمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي

تباينت مواقف التشريعات الوطنية من الأخذ بمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي، فمنها من اعتمدت هذا المبدأ وكرسته ضمن قانونها الوطني بشكل مطلق ودون تقيده

بالنسبة للانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني، سواء من الجانب الموضوعي أو الإجرائي، فمن الجانب الموضوعي تضمن هذا القانون نصا لعشرين فعلا مجرما يشكل في مجمله انتهاكات جسيمة لاتفاقات جنيف الأربع والبروتوكول الإضافي الأول الملحق بها، وبعض الانتهاكات المنصوص عليها ضمن البروتوكول الثاني لعام 1977، كما تضمن هذا القانون تجريما لبعض الأعمال التحضيرية واعتبارها جرائم مستقلة تستوجب مساءلة ومعاقبة مرتكبيها.

أما من الجانب الإجرائي، فقد تبني هذا القانون الصادر بتاريخ 16 جوان 1993 مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي، بحيث تكون المحاكم الوطنية مختصة بالنظر في انتهاكات القانون الدولي الإنساني المنصوص عليها ضمن هذا القانون، بصرف النظر عن مكان وقوعها، أو جنسية وصفة مرتكبيها أو ضحاياها³⁴.

إضافة إلى ذلك فإنه وخلافا للتشريعات الجنائية المعتمدة من طرف الدول الأخرى بشأن أعمال مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي فإن القانون البلجيكي وسع من نطاق المتابعة والمساءلة لتشمل جميع انتهاكات القانون الدولي الإنساني، سواء تلك الواقعة أثناء النزاعات المسلحة الدولية أو غير الدولية³⁵.

بعد مصادقة بلجيكا على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، كان من اللازم على المشرع البلجيكي تعديل هذا القانون ليتلاءم أكثر ويتماشى مع مضمون النظام الأساسي، الأمر الذي تحقق بإصدار قانون 10 فيفري 1999، الذي تم بموجبه تعديل تسمية القانون الصادر سنة 1993، ليصبح "قانون منع الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني" وقد أدخل هذا القانون بعض التعديلات تتعلق بتعريف جريمة الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وفق ما هو متعارف عليه ضمن نظام المحكمة الجنائية الدولية، كما تضمن القانون تجريم الانتهاكات الجسيمة لاتفاقات جنيف الأربع مستندا في ذلك إلى أحكام المادة الثامنة من النظام الأساسي³⁶.

من أهم التعديلات التي تضمنها إقرار مبدأ عدم الاعتماد بالصفة الرسمية للأشخاص الذين يرتكبون الجرائم والانتهاكات المنصوص عليها في هذا القانون³⁷.

عرف القانون البلجيكي المتضمن الاختصاص الجنائي العالمي انكاسة حقيقية بمقتضى التعديل الذي أجراه المشرع بموجب القانون الصادر بتاريخ 23 أفريل 2003، إذ إنه ونظرا

بشروط معينة، حتى تتمكن من ملاحقة مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني ومساءلتهم عن الجرائم المرتكبة من طرفهم، ومنها من قيدت نطاق تطبيق هذا الاختصاص بأن اشترطت توافر مجموعة من الشروط لانعقاده، وهناك من التشريعات من لم تأخذ بهذا المبدأ أصلا.

1-التشريعات الأجنبية

التشريعات الأجنبية وبالأخص الأوروبية منها هي من أكثر التشريعات التي تبنت مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي وكرسته ضمن قوانينها الوطنية حتى تتمكن بموجبه من ملاحقة المجرمين الدوليين، ومنع إفلاتهم من العقاب، ومن أهم هذه التشريعات نجد التشريع البلجيكي والتشريع الفرنسي.

أ-التشريع البلجيكي

تعتبر بلجيكا من أولى الدول التي سعت إلى تطوير تشريعها الوطني، وتوسيع اختصاص قضائها الجنائي الوطني ليشمل النظر في انتهاكات القانون الدولي الإنساني الواقعة أثناء النزاعات المسلحة الدولية أو غير الدولية، بغض النظر عن مكان وقوعها، أو جنسية مرتكبيها أو ضحاياها، وهذا من أجل إضفاء حماية أكبر وأشمل على ضحايا هذه النزاعات³⁰.

حيث عمد المشرع البلجيكي إلى إصدار قانون خاص، مستقل عن قانون العقوبات العام، وعن قانون العقوبات العسكري، يسمى "قانون منع الانتهاكات الجسيمة لاتفاقات جنيف لعام 1949 والبروتوكولين الإضافيين لعام 1977" صدر بتاريخ 16 جوان 1993 والذي تضمن تجريم أهم الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني³¹.

بموجب هذا القانون تم تكريس الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني ضمن التشريع الجزائي البلجيكي، الذي نص وبشكل صريح على مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي ضمن المادة الأولى منه³².

كما أكدت المادة السابعة من ذات القانون على انعقاد الاختصاص الجنائي العالمي للمحاكم الوطنية البلجيكية التي تختص بالنظر في جرائم الحرب المتمثلة في الانتهاكات الجسيمة لقواعد القانون الدولي الإنساني، دون الأخذ بعين الاعتبار مكان وقوعها³³.

يعتبر القانون الذي أصدره المشرع البلجيكي والمتعلق بالاختصاص الجنائي العالمي تشريع جنائي متكامل

22 ماي 1996 تحت رقم 96-432 والذين تضمنوا إقرار التشريع الفرنسي لقراري مجلس الأمن رقم 827 و955⁴³. حيث جاء في المادة الأولى من القانون رقم 95-01 أن هذا القانون ينطبق بشأن الانتهاكات الجسيمة لاتفاقات جنيف الأربع لعام 1949 وانتهاكات قواعد وأعراف الحرب وجرائم الإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية المرتكبة منذ سنة 1991 في إقليم يوغسلافيا السابقة، واشترطت المادة الثانية من القانون نفسه ضرورة وجود المتهم داخل الإقليم الفرنسي لأجل انعقاد اختصاص المحاكم الجنائية الفرنسية بهذه الجرائم من خلال نصها على أنه "لا يمكن متابعة ومحاكمة الفاعلين أو الشركاء في المخالفات الواردة ضمن المادة الأولى من طرف المحاكم الفرنسية إلا إذا وجدوا بفرنسا"

أما القانون رقم 96-432 الصادر بتاريخ 22 ماي 1996 والمتعلق بتكييف القانون الفرنسي مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم 955 الخاص بإنشاء المحكمة الجنائية الدولية الخاصة برواندا، فقد جاء في الفقرة الأولى من المادة الأولى منه أن هذا القانون واستنادا للمواد من 2 إلى 4 من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الخاصة برواندا يطبق على الانتهاكات الجسيمة للمادة الثالثة المشتركة بين اتفاقات جنيف الأربع والبروتوكول الثاني الملحق بها لعام 1977، وجرائم الإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية المرتكبة في رواندا، أو على أقاليم الدول المجاورة بين تاريخ 1 جانفي و31 ديسمبر 1994.

وقد جعل هذا القانون مباشرة الدعوى الجزائية أمام القضاء الفرنسي مقترنة بضرورة تواجد المتهم فوق الإقليم الفرنسي.

إن القانونين الفرنسيين المذكورين أعلاه والمتعلقين بتكييف التشريع الفرنسي مع قراري مجلس الأمن رقم 827 و955 قد أعطيا صلاحية للقضاء الفرنسي الاختصاص الجنائي العالمي بشأن جريمة الإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب الواقعة أثناء النزاع المسلح غير الدولي. يعاب على هذين القانونين أن تطبيقهما ينحصر ضمن مجال جغرافي معين، وهي الجرائم المرتكبة في يوغسلافيا السابقة ورواندا فقط، وضمن إطار زمني معين وهو الفترة من 1 جانفي إلى 31 ديسمبر 1994، الأمر الذي يقلص من فعالية الاختصاص الجنائي العالمي في التصدي للانتهاكات الواقعة بعد تاريخ 31 ديسمبر 1994⁴⁴.

للضغوط الممارسة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على الحكومة البلجيكية لأجل إلغاء هذا القانون المتعلق بإعمال مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي، قامت هذه الأخيرة بإجراء تعديلات جوهرية قيدت من نطاق تطبيقه من خلال إدراج مجموعة من الشروط أهمها، ضرورة أن يتمتع المدعي والمتهم بالجنسية البلجيكية أو الإقامة على الأراضي البلجيكية مدة ثلاث سنوات على الأقل، وأن لا تختص المحاكم البلجيكية بالنظر في الدعوى إلا إذا كانت الدولة التي وقعت الجريمة فوق إقليمها لا تملك تشريعا يعاقب على هذه الجرائم، أو ليس بإمكانها إجراء محاكمة عادلة، كما جعلت قبول النظر في الدعوى مرهونا بضرورة فحصها من طرف رئيس محكمة الاستئناف ببروكسل³⁸.

وبذلك كانت التعديلات التي أجراها المشرع البلجيكي على القانون المتعلق بالاختصاص الجنائي العالمي بمثابة انتكاسة لهذا القانون وتفرغ لمحتواه، بحيث أصبح اختصاص القضاء البلجيكي بالنظر في انتهاكات القانون الدولي الإنساني صعب التحقق من الناحية العملية، وبعيدا عن تحقيق الغاية من اعتماد مبدأ العالمية، وهي منع الإفلات من العقاب³⁹.

مع ذلك يبقى الأمل منعقدا بشأن اختصاص القضاء البلجيكي بالمساءلة عن جرائم القانون الدولي الإنساني، في حال ما إذا كان المتهم أو الضحية من جنسية بلجيكية أو مقيما ببلجيكا⁴⁰.

ب- التشريع الفرنسي

من أولى المبادرات التي قامت بها فرنسا لأجل تكريس انتهاكات القانون الدولي الإنساني ضمن تشريعها الوطني⁴¹، بغية ملاحقة مرتكبيها ومساءلتهم، قانون العقوبات الفرنسي الصادر بتاريخ 22 جويلية 1992 الذي استحدث بموجبه المشرع الجرائم ضد الإنسانية التي نص على ضرورة معاقبة مرتكبيها⁴².

ثم في سنة 1995 وبمناسبة النزاع المسلح القائم في يوغسلافيا السابقة ورواندا أصدر مجلس الأمن الدولي القرارين المتعلقين بإنشاء المحكمة الجنائية الدولية الخاصة بيوغسلافيا السابقة ورواندا، قامت فرنسا على إثرها بتبني واعتماد هذين القرارين بمقتضى القانون الذي أصدرته في 2 جانفي 1995 تحت رقم 95-01 والقانون الصادر بتاريخ

أ- التشريع اليمني

لقد كانت الجمهورية اليمنية من أولى الدول العربية التي سعت إلى إدماج الجرائم المشككة لانتهاكات القانون الدولي الإنساني ضمن تشريعها الوطني، وذلك من خلال إصدار قانون "الجرائم والعقوبات العسكرية" بتاريخ 25 جويلية 1998 تحت رقم 2148.

تم النص على جرائم الحرب ضمن الفصل الثالث منه في المواد من 20 إلى 30، حيث جاء في المادة 20 "يعاقب بالحبس كل من أقدم على سلب أسير أو مريض أو جريح" كما عاقبت المادة 21 بالحبس لمدة لا تزيد عن عشر سنوات أو بعقوبة تتناسب مع نتائج الجريمة كل من قام أثناء النزاع المسلح بأفعال تلحق أضراراً بالأشخاص أو الممتلكات المحمية بموجب الاتفاقات الدولية التي تكون الجمهورية اليمنية طرفاً فيها⁴⁹.

وقد جاء ضمن المادة المذكورة أعلاه (المادة 21) تعداد لبعض الأفعال التي تشكل انتهاكا لقواعد القانون الدولي الإنساني وتكييفها على أنها جرائم حرب من بينها، قتل الأسرى أو المدنيين، تعذيب الأسرى وإساءة معاملتهم أو إلحاق أذى شديد بهم، أو إخضاعهم لتجارب علمية، تعمد إلحاق الأضرار الخطيرة بالسلامة الجسدية والعقلية للأسرى سواء كانوا من المدنيين أو العسكريين، وإرغامهم على الخدمة في صفوف القوات المسلحة، احتجاز الأشخاص المدنيين بطريقة غير مشروعة أو أخذهم كرهائن، أو التمرس بهم أثناء العمليات العسكرية، الاستخدام الغادر للشارة المميزة للهِلال الأحمر اليمني أو أي إشارات حماية دولية أخرى وفقاً للاتفاقات الدولية، الهجوم على السكان المدنيين والأشخاص العاجزين عن القتال، ونهب وسلب الممتلكات، الهجوم على المنشآت المدنية العامة والخاصة، الهجوم على المناطق المنزوعة من السلاح مع عدم وجود ضرورة عسكرية لذلك⁵⁰.

أما المادة 22 من قانون الجرائم والعقوبات العسكرية اليمني، فقد أكدت على عدم سقوط جرائم الحرب المنصوص عليها ضمن الفصل الثالث بالتقادم، كما قررت المادة 23 من ذات القانون على عدم إعفاء القائد والأدنى منه رتبة من المسؤولية الجنائية عن هذه الجرائم، فلا يعفى أي منهما من المساءلة والعقاب إلا في حال وقعت هذه الجرائم دون اختيارهم أو علمهم، أو إذا تعذر عليهم دفعها⁵¹.

سارعت فرنسا وبمجرد صدور النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية سنة 1998 إلى تكييف تشريعها الوطني مع هذا النظام، وذلك من خلال إصدارها للقانون رقم 930-10 الصادر بتاريخ 9 أوت 2010، والذي تم بموجبه إدخال تعديلات على قانون العقوبات، وقانون الإجراءات الجزائية الفرنسيين، والتوسيع من نطاق تطبيق مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي ليشمل الجرائم المنصوص عليها ضمن النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية والمتمثلة في جريمة الإبادة الجماعية، الجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب⁴⁵.

وقد جاء هذا القانون الصادر تحت رقم 930-10 ببعض التعديلات كالمادة الأولى منه التي جرمت التحريض على جريمة الإبادة الجماعية بغض النظر عما إذا كان لهذا التحريض نتائج إجرامية أم لا، واعتبرت التحريض على جريمة الإبادة الجماعية جنائية يخضع مرتكبها للمسؤولية والعقاب بعكس النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الذي كيفها على أنها جنحة⁴⁶.

إن التعديلات التي أضافها المشرع الفرنسي على قانون العقوبات، وقانون الإجراءات الجزائية والتي كان من المفروض أن تصب في مصلحة المساءلة الجنائية وعدم الإفلات من العقاب جاءت مخيبة للآمال والتوقعات، بحيث قيدت من نطاق اختصاص المحاكم الفرنسية بالمتابعة والمساءلة استناداً لمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي، وذلك من خلال تقييد هذا الاختصاص بمجموعة من الشروط تكاد تجعل تطبيق هذا الاختصاص مستحيلاً، كشرط الإقامة المعتادة للمتهم في الإقليم الفرنسي، وشرط ازدواجية التجريم، تحريك الدعوى العمومية من طرف النيابة العامة وحدها، رفض المحكمة الجنائية الدولية لممارسة اختصاصها⁴⁷.

2- التشريعات العربية

على الرغم من أن غالبية الدول العربية صادقت على اتفاقات جنيف الأربع المكرسة لمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي والتي تحت الدول الأطراف على العمل به بشأن انتهاكات القانون الدولي الإنساني، إلا أننا لا نجد سوى حالتين فقط قد تبنت هذا الاختصاص وكرسته ضمن تشريعها الوطني وهما التشريع اليمني والأردني.

بالقانون البلجيكي المتعلق بالاختصاص الجنائي العالمي⁵⁶. أما الفقرة الثانية من المادة فقد حددت العقوبات الجزائية المقررة لهذه الجرائم التي تتراوح بين السجن والإعدام، وجاء في المادة 42 من ذات القانون النص على مساءلة ومعاينة المحرض والمتدخل في جرائم الحرب، وتقرير نفس عقوبة الفاعل الأصلي بالنسبة إليهما، أما المادة 43 فقد أكدت على عدم خضوع جرائم الحرب المنصوص عليها ضمن هذا القانون للتقادم، وجاء في المادة 44 النص على سريان أحكام هذا القانون على الأشخاص المدنيين الذين يرتكبون إحدى انتهاكات القانون الدولي الإنساني المنصوص عليها في هذا القانون⁵⁷.

وما تجدر ملاحظته بشأن قانون العقوبات الأردني أنه خطى خطوة تشريعية فاعلة في مجال التقنين لجرائم الحرب والعقاب على ارتكابها، خاصة من خلال نصه على أغلب انتهاكات القانون الدولي الإنساني المنصوص عليها في القوانين المنظمة للنزاعات المسلحة⁵⁸، إضافة إلى تأكيده على عدم سقوط هذه الجرائم بالتقادم، ولا حتى العقوبات المقررة بشأنها، إلى جانب توسيعه لنطاق الملاحقة والمتابعة عن الانتهاكات الواردة ضمن هذا القانون، فلم يجعلها مقتصرة على العسكريين فقط بل تعدت ذلك لتشمل المدنيين أيضاً⁵⁹. رغم ما يحمله القانون الأردني من إيجابيات تصب في مصلحة تحقيق العدالة الجنائية، ومنع إفلات مرتكبي جرائم القانون الدولي الإنساني من العقاب، إلا أنه لا يخلو من الانتقاد، خاصة بالنسبة لانطباق هذا القانون على غير الأردنيين، إذ إنه لم ينص على مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي بالشكل المطلوب، والمنصوص عليه في اتفاقات جنيف الأربع⁶⁰.

مع ذلك يظل الأمل معلقاً خاصة مع التعديلات التي يخضع لها قانون العقوبات العسكري في الوقت الحالي، التي قد تجعله يواكب النصوص القانونية المتعلقة بالنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، ويعمم تطبيق الاختصاص الجنائي العالمي بشأن انتهاكات القانون الدولي الإنساني، بغض النظر عن مكان وقوعها أو جنسية مرتكبها⁶¹.

إن الجهود التي بذلتها بعض الدول العربية في سبيل إعمال مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي وتكريسه ضمن تشريعاتها الوطنية غير كافية لملاحقة وتنبع مرتكبي جرائم القانون الدولي الإنساني، ومساءلتهم بغض النظر عن جنسيتهم أو صفاتهم أو مكان تواجدهم، خاصة وأن هذه

وعلى الرغم من أهمية القانون اليمني المتعلق بالجرائم والعقوبات العسكرية، ودوره في تكريس انتهاكات القانون الدولي الإنساني والمعاينة على ارتكابها، إلا أنه لم ينص على جميع الانتهاكات الجسيمة الواردة ضمن اتفاقات جنيف الأربع والبروتوكولين الملحقين بها لعام 1977، وإنما اقتصر على ذكر البعض منها فقط⁵².

كما أن هذا القانون لم يأخذ بمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي بمعناه الشامل، بحيث يحصر تطبيقه على الجرائم الواقعة في الإقليم اليمني فقط، أو على العسكريين اليمنيين أو القوات الحليفة لليمن أو الملحقين بهم إذا كانوا مقيمين فوق أراضي الجمهورية اليمنية، وبذلك فإن القانون الجنائي العسكري اليمني لا يسمح بمتابعة ومساءلة غير اليمنيين أو القوات الحليفة لليمن.

مع ذلك فإن هذه العيوب أو النقائص لا تقلل من قيمة وأهمية هذا القانون باعتباره يساهم في ردع وزجر مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني من اليمنيين، ويمكن أن يتعدى غيرهم ليطبق على كافة مرتكبي هذه الانتهاكات دون النظر إلى جنسيتهم⁵³.

ب- التشريع الأردني

تعتبر دولة الأردن ثاني الدول العربية التي سارعت وحرصت على إدراج وتكريس انتهاكات القانون الدولي الإنساني ضمن تشريعها الوطني⁵⁴ من خلال إصدار قانون العقوبات العسكري المؤقت بتاريخ 28 ماي 2002 تحت رقم 30، هذا القانون الذي لم يأخذ في اعتباره الأحكام المتعلقة باتفاقية روما لعام 1998، على الرغم من أنه صدر سنة 2002، وربما يرجع سبب ذلك إلى أن مشروع هذا القانون قد أعد قبل صدور النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية ووضع أمام السلطة المختصة لإصداره، وتزامن ذلك مع التصديق على نظام روما الأساسي، وقد أدرك المشرع الأردني هذه الثغرة القانونية فعمد إلى إنشاء لجنة مشكلة بوزارة العدل الأردنية مهمتها إجراء التعديلات اللازمة على هذا القانون ليتلاءم ويتماشى مع مضمون النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية⁵⁵.

يحتوي قانون العقوبات العسكري الأردني 61 مادة، من أهمها المادة 41، التي نصت ضمن الفقرة الأولى على قائمة محددة على سبيل الحصر تضم عشرين فعلاً يشكل في مجمله جرائم الحرب، وقد اهتمت في إعداد هذه القائمة

- أن الاختصاص الجنائي العالمي يجد أساس تطبيقه ضمن الاتفاقات الدولية المكرسة له وبالأخص اتفاقات جنيف الأربع لعام 1949 والبروتوكول الأول الملحق بها لعام 1977.

- أن الاختصاص الجنائي العالمي يطبق بشأن كافة انتهاكات القانون الدولي الإنساني الجسيمة منها والخطيرة.

- أن الدول تلتزم بسن تشريعات تقضي بإدماج انتهاكات القانون الدولي الإنساني ضمن قوانينها الوطنية.

- أن الدول الأوربية تعتبر السباقة في الأخذ بمبدأ الاختصاص الجنائي العالمي وتكريسه ضمن تشريعاتها الوطنية، كبلجيكا وفرنسا.

- أنه يتوجب على الدول العربية تبني مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي الذي يسمح لها بملاحقة ومتابعة مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني.

إن مكافحة الجرائم الدولية الخطيرة التي تشكل انتهاكا لقواعد القانون الدولي الإنساني يقتضي إعمال مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي، ولضمان تفعيل وإنفاذ هذا الاختصاص نقترح التوصيات التالية:

- ضرورة مراجعة التشريعات الوطنية ومواءمتها مع الالتزامات الدولية وبالأخص اتفاقات جنيف الأربع لعام 1949 والبروتوكولين الملحقين بها

- تكريس مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي ضمن التشريع الوطني وتفعيله كآلية لملاحقة ومتابعة مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني.

- توسيع نطاق تطبيق مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي وتحريره من الشروط التي تحد من فعاليته

- تطبيق وإنفاذ مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي بمعزل عن الاعتبارات السياسية والمصالح الخاصة للدول الكبرى على حساب تحقيق العدالة الجنائية الدولية

- دعوة الدول العربية إلى إعمال مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي وتكريسه ضمن تشريعاتها الوطنية.

الدول حصرت تطبيق الاختصاص الجنائي العالمي ضمن حدود إقليمها الوطني، ومن طرف الأشخاص الذين يحملون جنسيتها فقط، مما يجعل الاختصاص القضائي لهذه الدول عاجزا عن التصدي لجميع انتهاكات القانون الدولي الإنساني.

في هذا المقام لا يسعنا سوى دعوة الدول العربية إلى تضمين وتكريس مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي ضمن تشريعاتها الوطنية بالشكل الذي تنص عليه اتفاقات جنيف الأربع، لأجل تطبيق مبدأ الملاحقة الجنائية العالمية بشأن مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني، ومنع إفلاتهم من العقاب، بغض النظر عن جنسية هؤلاء أو مكان ارتكابهم لهذه الانتهاكات.

خاتمة

إن مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي يلعب دورا كبيرا في التصدي لمرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة وبالأخص انتهاكات القانون الدولي الإنساني، فهو بذلك يساهم في إحقاق العدالة الجنائية الدولية، ومنع إفلات المجرمين الدوليين من العقاب. خاصة وأنه يسمح بملاحقة ومتابعة هؤلاء المجرمين بغض النظر عن جنسيتهم، أو مكان ارتكابهم للجريمة.

وفقا لما سبق عرضه نخلص من خلال دراسة موضوع مساهمة الاختصاص الجنائي العالمي في التصدي لانتهاكات القانون الدولي الإنساني إلى النتائج التالية:

- أن الاختصاص الجنائي العالمي يمنح للمحاكم الجنائية الوطنية صلاحية المساءلة والمعاقبة عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني.

- أن الاختصاص الجنائي العالمي ينعقد بشأن الجرائم الدولية الخطيرة بغض النظر عن مكان وقوعها، أو جنسية مرتكبيها أو ضحاياها.

- أن الهدف من إعمال مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي هو ملاحقة ومتابعة مرتكبي الجرائم الدولية الخطيرة ومنع إفلاتهم من العقاب.

الهوامش

1. - أحمد وافي ، د. س. ن. ، **الحماية الدولية لحقوق الإنسان ومبدأ السيادة** ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 535 ، 536
2. - عبد القادر قهوجي ، 1985 ، **قانون العقوبات** ، القسم العام ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، ص 110
3. - المرجع نفسه ، ص 109
4. - نجاة أحمد إبراهيم ، 2009 ، **المسؤولية الدولية عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني** ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 249
5. - أحمد وافي ، المرجع السابق ، ص 536
6. - مونية بن عبد الله ، 2014 ، **المركز القانوني لضحايا الجرائم الدولية** ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ص 30
7. - سفيان دخلا في ، " مفهوم الولاية العالمية للمحاكم الجنائية الوطنية " **المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية** ، جامعة مولود معمري ، العدد الثاني 2012 ، ص 276
8. - عبد المنعم ، 2000 ، **النظرية العامة لقانون العقوبات** ، دار الجامعة الجديدة للنشر ، الإسكندرية ، ص 138
9. - أحمد وافي ، المرجع السابق ، ص 536
10. - سليمان عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 138
11. - بدر الدين محمد شبل "الاختصاص الجنائي العالمي ودوره في تفعيل العدالة الجنائية الدولية" **مجلة العلوم القانونية** ، المركز الجامعي بالوادي ، العدد الأول ، جوان 2010 ، ص 110 ، 111
12. - أيلينا ييجيتش "المساءلة عن الجرائم الدولية من التخمين إلى الواقع" **المجلة الدولية للصليب الأحمر** ، العدد 845 ، 2002 ، ص 195
13. - مونية بن عبد الله ، المرجع السابق ، ص 31
14. - عبد القادر حوبة ، 2015 ، 2016 ، **الجهود الوطنية والدولية لإنفاذ قواعد القانون الدولي الإنساني** ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 54
15. - Gérard Fellous, 2010, **Les droits de l'homme une universalité menacée**, Ghali imprimerie de la administrative, Paris, p 248
16. - أمينة محمدي بوزينة ، 2014 ، **آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني** ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية ، ص 153
17. - عبد الرحمان خلفي ، 2014 ، **أبحاث معاصرة** ، القانون الجنائي المقارن ، نظرة حديثة للسياسة الجنائية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 251
18. - عبد القادر حوبة ، المرجع السابق ، ص 54
19. - أمينة محمدي بوزينة ، المرجع السابق ، ص 153
20. - عبد القادر حوبة ، المرجع السابق ، ص 55 ، 56
21. - جمال ونوقي ، 2013 ، **جرائم الحرب في القانون الدولي المعاصر** ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 164 ، 165
22. - المادة 85 من بروتوكول جنيف الأول لعام 1977
23. - Jean Marie Henchaerts et Louise Doswald Beck, 2006, **Droit international humanitaire coutumier**, bruyant, volume 1Cicr, Bruxelles, p 750
24. - ياسر حسن كلزي ، المواجهة الدولية والوطنية لانتهاكات القانون الدولي الإنساني ، أطروحة دكتوراه ، تخصص العلوم الأمنية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، 2009 ، ص 266
25. - محمد رضوان ، 2010 ، **المبادئ العامة للقانون الدولي الإنساني والعدالة الدولية** ، مطابع إفريقيا الشرق ، المغرب ، ص 126
26. - عبد القادر حوبة ، المرجع السابق ، ص 55
27. - عمر محمود المخزومي ، 2008 ، **القانون الدولي الإنساني في ضوء المحكمة الجنائية الدولية** ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص 95
28. - اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، 2010 ، **دليل التنفيذ الوطني للقانون الدولي الإنساني** ، الطبعة الأولى ، المركز الإقليمي للإعلام ، القاهرة ، ص 39 ، أنظر أيضا Jean Marie Henchaerts et Louise Doswald Beck, op cit, p802
29. - الأمم المتحدة ، الجمعية العامة ، «نطاق مبدأ الولاية القضائية العالمية وتطبيقه» كلمة اللجنة الدولية للصليب الأحمر أمام الأمم المتحدة ، بتاريخ 12 ، 10 ، 2011 ، على الرابط - www.icrc.org/ar/document تاريخ زيارة الصفحة 11 ماي 2018
30. - أحمد لطفي السيد مرعي ، "نحو تفعيل الإنفاذ الجنائي الوطني لأحكام القانون الدولي الإنساني" **مجلة جامعة الملك سعود** ، المجلد 24 ، 2012 ، ص 122
31. - المرجع نفسه ، ص 123
32. - أمينة محمدي بوزينة ، المرجع السابق ، ص 154
33. - Pierre D'argent «l'expérience Belge de la compétence universelle, beaucoup de bruit pour rien » **revue générale de droit international public**, Paris tome 108, N° 03, 2004,, p 598
34. - أحمد لطفي السيد مرعي ، المرجع السابق ، ص 123 ، 124
35. - Tomas Graditzky, « la responsabilité pénale individuelle pour violation du droit international humanitaire applicable en situation de conflit non armé non international » **revue international de la croix rouge** , N° 892, 1998, p 33
36. - أحمد لطفي السيد مرعي ، المرجع السابق ، ص 124 ، 125

37. - جمال ونوقي ، المرجع السابق ، ص 170
38. - لنده معمر يشوي ، 2008 ، المحكمة الجنائية الدولية الدائمة واختصاصها ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص 336 ، 337
39. - جمال ونوقي ، المرجع السابق ، ص 171
40. - عبد القادر حوبة ، المرجع السابق ، ص 60
41. - أحمد لطفي السيد مرعي ، المرجع السابق ، ص 126
42. - ياسر حسن كلزي ، المرجع السابق ، ص 332
43. - أمينة محمدي بوزينة ، المرجع السابق ، ص 156
44. - سفيان دخلا في ، الاختصاص العالمي للمحاكم الجنائية الداخلية بجرائم الحرب وجرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية ، أطروحة دكتوراه ، تخصص القانون ، جامعة مولود معمري ، 2014 ، ص 328
45. - أحمد لطفي السيد مرعي ، المرجع السابق ، ص 127
46. - سفيان دخلا في ، المرجع السابق ، ص 330
47. - المرجع نفسه ، ص 327 وما بعدها
48. - أحمد لطفي السيد مرعي ، المرجع السابق ، ص 134
49. - أمينة محمدي بوزينة ، المرجع السابق ، ص 157
50. - عمر محمود المخزومي ، المرجع السابق ، ص 91 ، 92
51. - أحمد لطفي السيد مرعي ، المرجع السابق ، ص 135
52. - المرجع نفسه ، ص 135
53. - عمر محمود المخزومي ، المرجع السابق ، ص 92
54. - نزار حمدي قشطه "مبدأ الاختصاص الجنائي العالمي في نظام العدالة الدولية ، النظرية والتطبيق" مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية ، المجلد 22 ، العدد الثاني ، جوان ، 2014 ، على الرابط <https://journals.iugaza.edu.ps/index.php/IUGJIS/article/view/1244> ، تاريخ زيارة الصفحة 10 جويلية 2018
55. - عمر محمود المخزومي ، المرجع السابق ، ص 92
56. - أمينة محمدي بوزينة ، المرجع السابق ، ص 157
57. - عمر محمود المخزومي ، المرجع السابق ، ص 93 ، 94
58. - نزار حمدي قشطه ، المرجع السابق ، ص 611
59. - أحمد لطفي السيد مرعي ، المرجع السابق ، ص 134
60. - نزار حمدي قشطه ، المرجع السابق ، ص 611
61. - عمر محمود المخزومي ، المرجع السابق ، ص 94

بلاغة التواتر السرد في الخطاب الروائي قراءة في رواية «تصريح بضياح» لسمير قسيمي

The eloquence of narrative frequency in the novelistic speech, reading in the novel "Declaration of loss" of Samir Quasimi

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-10-26

كريمة مليزي، جامعة محمد بوضياف مسيلة
karimamelizi008@gmail.com

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن تجليات بلاغة التواتر السردية وأشكاله في خطاب الروائي سمير قسيمي (تصريح بضياح) للوصول إلى معرفة القوانين العامة التي تمثل شعرية هذا الخطاب، انطلاقاً من خصوصية البنية السردية لهذا الأخير؛ لكون خطاب هذه الرواية مبنياً على مقاطع التواتر السردية الزمني التي لعبت دوراً مهماً في البناء الزمني للسرد، من خلال علاقة التواتر ببقية العلاقات الزمنية الأخرى (التنافر الزمني والاستغراق الزمني) من جهة، وعلاقته بمكونات الخطاب السردية الأخرى (الشخصية والفضاء الروائي) من جهة ثانية. لذلك فالتواتر الزمني الذي بنيت عليه قواعد الحكاية في هذه الرواية المختارة يكون قد حقق وظائف سردية على مستويات كثيرة، مما جعل عملية القص السردية لا تخلو من إثارة بالغة الأهمية أسهمت في سيميائية الخطاب الروائي.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التواتر، السرد، الخطاب، التفرّد، التردّد، سمير قسيمي.

Résumé

Cette étude vise à souligner les manifestations rhétoriques de la fréquence narrative et de ses formes dans le discours du romancier Samir Quasimi "Déclaration de perte" afin de rendre perceptibles les lois générales qui régissent la poétique du discours, à partir de la spécificité de la structure narrative de ce dernier. Le discours de ce roman est basé sur les segments de la fréquence narrative chronologique (qui a joué un rôle important dans la construction chronologique de la narration) à travers le rapport de la fréquence avec les autres relations temporelles (la dissonance temporelle et l'absorbement temporel) d'une part, et sa relation avec les composantes d'un autre discours narratif (le personnage, l'espace romanesque), de l'autre. Par conséquent, la fréquence narrative, sur lesquelles les règles de la narration ont été construites dans ce roman choisi, a atteint des fonctions narratives à plusieurs niveaux, ce qui rend la narration non sans agitation très importante, contribuant à la sémiotique du discours romanesque.

Mots-clés : éloquence, fréquence, narration, discours, singulatif, fréquentatif, Samir Quasimi

Abstract

This study seeks to reveal the manifestations of the eloquence of narrative frequency and its forms in Samir Quasimi's Declaration of Loss to know the general laws that represent the poetic of this speech. The study focuses on the specificity of the narrative which is based on the narrative chronological frequency segments that play an important role in the narrative chronological construction; on the one hand, through the relationship of frequency with other temporal relationships (temporal dissonance and temporal absorption), and on the other hand, its relation with the other components of the narrative speech (character and narrative space). Therefore, the study concludes that the narrative frequency, upon which the rules of the narration are built in this selected novel, has achieved the narrative functions at many levels. This makes the narrative storytelling characterized by an important stir which contributes to the semiotics of the narrative speech.

Keywords: eloquence, frequency, narration, speech, singulative, frequentative, Samir Quasimi

مقدمة

ينتمي سمير قسيبي إلى جيل الروائيين الجزائريين الشباب الذين برزت الكتابة السردية لديهم مطلع الألفية الثالثة، وهذا الجيل الروائي الذي ينتمي إليه سمير قسيبي يكون قد استفاد من الإبداع الروائي الجزائري الذي أنشأه جيل المؤسسين على غرار بن هدوقة، والطاهر وطار وواسيني الأعرج وغيرهم من جيل الرواد، رغم الاختلاف الواضح في نمط الكتابة، وآليات الإبداع فيها، وإطارها الاجتماعي والسياسي الذي ولدت فيه، ليكون هذا التميّز في الكتابة الروائية عند سمير قسيبي محط أنظار الباحثين الأكاديميين الذين قرأوا إنتاجه الروائي الغزير، بوصفه خطاباً يمثل مرحلة متميزة من تاريخ الجزائر المعاصر، أو جزائر ما بعد العشرية السوداء. لذلك ينصب اهتمامنا في هذا المقال الموجز على كشف العلاقات الزمنية الممكنة في رواية (تصريح بضياع) التي لفتت نظرنا إليها بكثرة الشبكة الزمنية المعقدة التي أسهمت في حركية الزمن وبنائية الأحداث، وحوارية الشخصيات؛ فهذه الرواية تنحصر أحداثها بين بداية مفاجئة وهي سجن الراوي البطل، ونهاية سعيدة وهي الإفراج عنه وإطلاق سراحه في مدة لا تتجاوز عشرين يوماً-كما أخبر بذلك الراوي البطل طبعاً- «منذ عشرين يوماً سيدي، منذ أن ألقي القبض عليّ في السيسيام»¹ وهو يوجه الكلام للقاضي أثناء المحاكمة.

1- التواتر السردية

تأتي تقنية التواتر السردية لتكمل المحاور الزمنية الأساسية الثلاثة في دراسة خطاب رواية (تصريح بضياع) خاصة، والخطاب الأدبي عامة، وهي: (التنافر الزمني/ الاستغراق الزمني/ التواتر الزمني). ومن ثمة فلا مندوحة لأي باحث يروم الحديث عن الزمن في الخطاب السردية أن يغض الطرف عنه أو يغفله؛ إذ إنه يبحث عن المفارقة الزمنية بين زمن الحكاية وزمن الخطاب من جهة الحدث، وموقعه من السلسلة الكلامية، ف«ليس حدث من الأحداث بقادر على الوقوع فحسب، بل يمكنه أيضاً أن يقع مرة أخرى، أو أن يتكرر»² وقوعه أو سرده من طرف الراوي. وإعادة سرده أو قصّه تخضع لعوامل كثيرة، انطلاقاً من أهمية كلّ حدث ودوره في

بناء الخطاب الروائي. وهذه العملية يسميها الباحثون بالتواتر الزمني/ السردية نسبة إلى التكرار الذي تخضع له هذه المقاطع الزمنية على مستوى السرد أو الحكاية.

وانطلاقاً من هذا الحديث نفهم أن الأحداث في الخطاب السردية لا تأتي كلها على نسق واحد؛ فمنها ما يُذكر مرة واحدة، ومنها ما يخضع للتكرار من قبل الراوي أكثر من مرة لأغراض جمالية كثيرة، رغبة من هذا الأخير في تأكيد شيء أو نفيه. «والواقع أن "التكرار" بناء ذهني، يقصي من كل حدوث كل ما ينتمي إليه خصيصاً، لئلا يحافظ منه إلا على ما يشترك فيه مع كل الحدوثات الأخرى التي من الفئة نفسها»³. وتتعدد رغبات الراوي في منجزه النصي أثناء سرده للأحداث بين حدث مفرد لا يبلغ أهمية قصوى إلا بمقدار أهمية الأحداث الأخرى، من حيث وجودها في النسق العام ووقوعها فيه، وحدث مكرر يرتقي إلى كونه محورياً أساسياً في العملية السردية، كأن يشكل بؤرة سردية تنطلق منها بقية التفصيلات السردية الأخرى، أو يعطينا معلومات جديدة باستذكار حدث مروى أو مسرود ظلت شخصية معينة تجتريه طيلة مدة زمنية كبيرة، ممّا يساعد الراوي على تغيير مسار هذه الشخصية وتحويل خصائصها استبطاناً لوعيها وتعريضاً بفكرها. «وكان فيليب لوجون على صواب تام عندما أشار إلى أن الحكاية السّيرية الذاتية، منذ جان جاك روسو أو شاتوبريان تلجأ إلى الترددي أكثر من الحكاية المتخيّلة، ولاسيما في استحضار ذكريات الطفولة»⁴ التي تعدّ مرتكزاً أساسياً في بناء عملية تكرار السرد الروائي، وهو القانون السردية الذي ينطبق على رواية سمير قسيبي (تصريح بضياع) المختارة في هذه الدراسة.

وممّا لا شك فيه أن عنصر التواتر السردية/ الزمني نابع من «التوزيع. غير المتكافئ لزمن فعل السرد في زمن مادة السرد»⁵، وهو أمر طبيعي صادر من الراوي نفسه؛ فهذا الأخير يعمل على بقاء الاضطراب موجوداً بين زمن الحكاية (زمن مادة السرد) وزمن الخطاب (زمن فعل السرد)؛ إذ ينتج عن ذلك التمايز أو الاضطراب ما يسمّى بالمسافة الجاهلية السردية المتخيّلة عن طريق تطويع الزمن للعب الحر. «إن مثل هذه النقلة في الاهتمام من التقرير السردية إلى تليظها

جعلت الملامح القصصية حصرا للزمن السردية تتخذ خطوطا عريضة مميزة. إذ يطلقها حرة. بمعنى ما ذلك التفاعل بين المستويات الزمنية المتنوعة النابعة من تأملية الفعل التصوري نفسه»⁶ وهو ما يؤكد مرة أخرى أن التفاعل الحاصل من جهة بين المتخيل - أو الحدث بوجه خاص - والزمن ، ومن جهة أخرى المتخيل بين زمن فعل السرد وزمن مادة السرد بتعبير بول ريكور (Paul Ricoeur) يدخل ضمن العلاقة الوطيدة بين التجربة القصصية والزمن ، وهي العلاقة التي تنتج عنها أشكال التواتر الكثيرة.

لكن قبل توضيح هذه الأخيرة نودّ تنبيه الدارس إلى أنه ينبغي أن يقوم بما يأتي إذا أراد أن يعيّن المقاطع السردية المكررة أو المتواترة في أيّ خطاب سردي كان ، وهي عملية ناتجة عن هذا الفرز السردية الذي يقوم به القارئ:

«أ) تحديد المقاطع النصية المؤلفة أو المفردة أو المكررة.

ب) استخراج علاقة التواتر السائدة في النص المدروس وتعريفها حسب هذه الأنماط من التواتر.

ج) البحث عن مدلول تواجد علاقة تواتر أكثر من غيرها أو دون غيرها في هذا النص المدروس.

د) دراسة العلاقات التي تربط بين هذه المقاطع المختلفة في نطاق النص القصصي المدروس»⁷.

وتعدّ هذه الأخيرة المراحل التي يمرّ بها الباحث لتعيين المقاطع السردية المكررة وفرزها عن المقاطع السردية غير المكررة لدراسة أشكال التواتر الزمني الممكنة ؛ حيث إن الحدث -انطلاقا من تركيز الراوي عليه أو عكس ذلك- يكون محل الدراسة. ومنه نستنتج الصور الممكنة لهذا التواتر بوصفه يجمع أنواع الزمن وتقسيماته السابقة في هذا العنصر المختصر المهمّ على النحو الآتي:

2- أشكال التواتر السردية (La fréquence narrative)

يتحدث رواد السرديات عن هذه الأشكال تحت عناوين كثيرة ؛ فها هو جيرار جنيت (Gérard Genette) يناقش هذه المسألة تحت عنوان: «التفردي والتردي»⁸ (Singulatif/. Répétitif) ، وهو ما يوحي لأول وهلة - ممّا يتبادر إلى الأذهان - بوجود شكلين رئيسيين. بينما

نرى باحثا آخر يتحدث عنها من واقع كونها ثلاثة أشكال⁹ لا شكلين اثنين كما هو عند جنيت. لكننا بالعودة إلى هذا الأخير نجد أنه يفصل الشكلين المشار إليهما من قبل ليصباحا أربعة أشكال ؛ حيث يقول جنيت: « فبين هاتين القدرتين للأحداث المسرودة (من القصة) والمنطوقات السردية (من الحكاية) على التكرار يقوم نسق من العلاقات يمكننا رده قبلها إلى أربعة أنماط تقديرية ، بمجرد مضاعفة الإمكانين المتوافرين من الجهتين ، ألا وهما: الحدث المكرر أو غير المكرر والمنطوق المكرر أو غير المكرر. وعلى سبيل التبسيط ، يمكننا القول إن حكاية أيا كانت ، يمكنها أن تروي مرة واحدة ما وقع مرة واحدة ، ومرات لا نهائية ما وقع مرات لا نهائية ومرات لا نهائية ما وقع مرة واحدة ، ومرة واحدة ما وقع مرات لا نهائية»¹⁰.

والظاهر - من فحص تقسيميّ هذا الباحث - أنه لا وجود لإسقاط شكل مهمّ ، وإنما هو خلاف سطحي فقط ؛ ففي الوقت الذي يتحدث فيه جنيت عن شكلين للتفردي ، يشير برنار فاليت (Bernard Valette) إلى كونها شكلا واحدا مكررا غير منفصل ، بل يمثلان جوهر نمط واحد ؛ فالحدث أو المنطوق المكرر وقوعه مرات كثيرة في الحكاية يسرد من طرف الراوي مرات كثيرة يدخل - في عرف فاليت - ضمن النمط الأول الذي أشار إليه جنيت وهو: أن تروي مرة واحدة ما وقع مرة واحدة. وعليه فلا وجود للخلاف الجوهرية بين الباحثين. والشيء الذي يؤكد الكلام السابق هو قول جنيت نفسه: «يظل هذا النمط الترجيعي تفرديا فعلا ، وبالتالي يرتد إلى النمط السابق ، ما دامت تكرارات الحكاية لا تتعدى فيه - حسب تماثل قد ينعتة رومان ياكوبسون بأنه أيقوني -التوافق مع تكرارات القصة. ومن ثم فالتفردي لا يتحدد بعدد الحدودات من الجانبين ، بل بتساوي هذا العدد»¹¹.

ومن هنا لم يبق مجال للحديث عن هذا الخلاف في هذه المسألة التي تخص أشكال التواتر السردية /الزمني ، وهو ما يجعلنا نتحدث عنها بتفصيل على النحو الآتي:

2-1- الشكل الأول

وهو الشكل الذي يدخل ضمن "التفردي" الذي أشار إليه جيرار جنيت سابقا ، انطلاقا من كونه «أن يروى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة (أي إذا توخينا الاختصار في شكل

العائلي بعد وفاة الوالد باتجاه بيت الخال ببرج ابريص (ولاية البويرة). «لم أشعر بها (أمي) طيلة الرحلة إلى البويرة، ومن هناك إلى حيث تنام جدتي هائلة في قبرها ببرج ابريص، لم أشعر بها لولا ابتلال قميصي بدموعها، ولولا ذلك اللحن، الأغنية التي كانت تغنيها ...»¹⁶ ففعل الرحلة إلى برج ابريص الذي تم مرة واحدة على مستوى الحكاية سرده الراوي كذلك مرة واحدة، ولم يروِه أكثر من مرة، لأنه حدث فرعي بسيط، غرضه السردية انتقال الراوي من سرد مرحلة خاصة عاشها البطل وعائلته في مكان معين إلى مرحلة أخرى سيعيشها هؤلاء في مكان يختلف عن المكان الأول.

والى هذا الشكل الأول تنتمي مقاطع زمنية سردية كثيرة في الخطاب الروائي، لأنه لا يعقل أن تتواتر كل المقاطع السردية الموجودة في الرواية، لكونها ليست على درجة واحدة من الأهمية؛ فالمقطع المكرر على مستوى فعل السرد/الخطاب هو مقطع زمني يشكل حضوره مركزية لافتة للنظر من زوايا كثيرة. بينما القفز السردية الذي يمارسه الراوي على بعض المقاطع يكون بغرض التخلص من مشهد سردي والدخول إلى آخر. أو بعبارة أخرى نقل الحدث من مكان إلى مكان آخر. و ما الأحداث الهامشية المشكّلة لخطاب رواية (تصريح بضياغ) سوى مقاطع زمنية من هذا الشكل الأول. ومنها على سبيل المثال -لا الحصر -؛ تغيير مكان الإقامة بالنسبة للبيت العائلي. «بعد حادثة برج ابريص أمضينا قرابة خمسة أشهر في ترحال دائم دون أن يستقر بنا المقام في مكان بعينه. لجأنا في البداية إلى بيت أحد أقربائنا في الهاشمية بالبويرة، إلا أن أوضاعه المادية لم تكن تسمح له بإبقائنا في ضيافته لمدة أطول، ثم استضافنا آخر أياما في بيته ببني يلان بالمسيلة، قبل أن يجد لنا مسكنا في بن سرور»¹⁷ فهذا المقطع الزمني ينتمي إلى التواتر التفردية الذي لم يشهد تكراراً في مواضع متفرقة من خطاب هذه الرواية، هو بمثابة الحدث الانتقالي العابر في مسيرة البطل وعائلته.

وغير بعيد عن النماذج السردية السابقة المنتمية إلى هذا الشكل، هناك نماذج أخرى تبرز تفرديتها. «في العاشرة ليلا خرجت من سجن الحراش، فلم يكن - وقد تأخر الوقت - إلا المبيت في أي نزل، وعزمني أنه إذا كان الصباح عدت إلى منزلي بدوار بن يمينه، وكنت قد علمت أن زوجتي نزلت عند أمي بعد الذي حلّ بي»¹⁸ فهذه الأحداث المذكورة في هذا

صيغة شبه رياضية: ح 1/ق 1¹². ويطلق عليه بعض الباحثين مصطلح «المحكي الإفرادي»¹³ و تلخص هذه الصياغة شبه الرياضية مضمون هذا الشكل؛ إذ المقصود منها أن "ح 1" تمثل الحكاية وعدد المرات التي تواتر من خلالها هذا المقطع. أما "ق 1" فتعني القصة/الخطاب وعدد المرات التي وقعها هذا المقطع، وهو بذلك يجسد المفارقة الزمنية ويجعل طرفيها (زمن الحكاية وزمن القصة /السرد) متساويين، وينتج عنه التواتر التفردية أو المحكي الإفرادي الذي يعدّ الأصل في المقاطع السردية، «فلا شك في أن هذا الشكل من الحكاية، الذي يتوافق فيه تفرد المنطوق السردية مع تفرد الحدث المسرود، هو الأكثر شيوعاً - بما لا يقاس - وهو من الشيع، ويعتبر فيما يبدو من العادة بحيث ليس له اسم... غير أنني أقترح أن أطلق عليه اسماً حتى أبين تبياناً أنه ليس إلا إمكاناً من بين إمكانات أخرى. إنني أسميه من الآن فصاعداً الحكاية التفردية»¹⁴ التي تنشأ عادة من السرد المفرد البسيط الذي يقوم به الراوي للأحداث الروائية.

ولعل أغلب الأحداث التي تشكل المحاور المفصلية لرواية (تصريح بضياغ) تنتمي إلى هذا الشكل الأول من التواتر التفردية؛ فالراوي يقصّ سلسلة من الأحداث وقعت للبطل في مسيرته التي أنجزها. «في ذلك اليوم من شهر أكتوبر تواعدنا (البطل وصديقه إسماعيل) صباحاً في شارع ديدوش مراد، تغذينا سوية وجلسنا ساعة أو أكثر نتجاذب أطراف الحديث في مقهى ميسوني.

كانت هذه أول مرة أخرق فيها مبدأ من مبادئي، ذلك أنني سبق وأقسمت على نفسي ألا أدخل ميسوني عبر شارع ديدوش مراد أو العكس»¹⁵ فهذا الحدث البسيط هو قطعة زمنية لا تشكل حدثاً هاماً بالنسبة إلى خطاب هذه الرواية. لذلك لم يحظ بتواتر خاص في هذه الأخيرة، فلا هو بالحدث المركزي المفصلي فيها، ولا هو بالحدث الذي له علاقة وطيدة بالشخصيات الفاعلة في الرواية مثل: البطل أو أحد من عائلته. وهذه الحكاية التفردية -بتعبير جيرار جنيت- لم تتواتر في مواضع أخرى من خطاب هذه الرواية.

وهناك مقاطع سردية تفردية أخرى في هذه الرواية تدخل في تشكيل خطاب هذه الأخيرة، وهو المقطع الذي يذكر فيه الراوي سفر عائلة البطل بعد خروجهم من البيت

لذلك فالنماذج التي ذكرناها تكفي لبيان هذا الشكل الأول من التواتر السردية.

2-2- الشكل الثاني

وهو النمط الذي لا يختلف عن الشكل الأول، بل إن جيران جنيت يجعلهما تحت قسم التفرّدي،²² لما يشتركان فيه من خصائص، وقد عبر عنه بقوله: «أن يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية (ح ن / ق ن)».²³ ويمكن القول عن هذا النمط إن أي حدث قد يعيد الراوي سرده مرات كثيرة في الوقت الذي وقع أيضاً في المتن الحكائي مرات كثيرة، وهو ما يجعل التساوي في العدد بين الحدث ووقوعه في الحكاية وسرده من قبل الراوي حتمياً في الخطاب أو القصة كما هو واضح من كلام جنيت. ويبدو أن هذا الشكل الثاني يقلّ بل يندر وجوده في الخطاب السردية بشكل عام لأسباب كثيرة، وأولها: تتعلق أساساً بعملية الاقتصاد اللغوي الذي يقوم الراوي به في عملية البناء السردية للخطاب الروائي؛ فتكرار الحدث على مستويي الحكاية والخطاب/القصة بالقدر نفسه بينهما يستغني عنه الراوي لكون الحدث عابراً انتقالياً وليس مركزياً. وثانيها: فهذا التساوي بين عدد المرات في الحدث الواحد في زمن الحكاية والخطاب/القصة يجعل الأول غير الثاني. أي يكون الحدث الأول منفصلاً عن الثاني، ومن ثمة فلا وجه للمقارنة بينهما. - وفيما نعتقد - هو السبب الجوهرية الذي جعل برنار فاليت يلغي هذا الشكل الثاني لتطابقه مع الشكل الأول، وتكون بذلك أشكال التواتر الزمني عنده ثلاثة لا أربعة ما دام الأمر كذلك. وثالثها: يعود إلى كون هذا الشكل الثاني قد يخلو منه الخطاب السردية - والروائي منه بوجه خاص - إذا لم يكن للراوي حاجة سردية إليه.

على أن الشيء الملاحظ على الشكلين الأول والثاني المتميّين إلى التواتر التفرّدي هو كون المقاطع الزمنية فيها تأتي انتقالية عابرة. أي ينتقل فيها الراوي من زمن إلى زمن آخر (أي من حدث إلى حدث آخر) دون الوقوف عند جزئيات هذه الأحداث، بوصفها جسوراً للانتقال دون الحاجة إلى تكرارها، وهو ما يجعل زمنها بسيطاً غير ملتصق بذاكرة الراوي/البطل التي تقوم بتبئير قطع زمنية على حساب قطع زمنية أخرى. ومنه فإن هذا التواتر التفرّدي هو الحركة الزمنية الانتقالية بين

المقطع (خروجه من سجن الحراش ليلاً وحلول زوجته في بيت والدته) تشكل قطعاً زمنية تفرّدية، لم تتكرر على مستوى خطاب هذه الرواية، لكونها لا تشكل عند الراوي أهمية بالغة في صناعة الحدث، أو بناء الشخصية، والكشف عن معالمها، أو تشكيل الفضاء الروائي. لذلك كان الراوي يعجل بسردها دون الوقوف عندها أو العودة إليها في مواطن أخرى من هذه الرواية، وهو ما جعل الاقتصاد اللغوي يشملها وفقاً للقوانين السردية الملائمة لذلك.

كما يشكل حدث آخر قطعة زمنية انتقالية تؤسس لعلاقة الراوي/البطل مع صديقه فوزي الذي تعرّف عليه في السجن؛ وهي الصداقة التي جعلت هذا الأخير يقصّ مأساته على البطل. «أراد (فوزي) أن يمسك زمام حياته من جديد، وكانا (فوزي وزوجته) لا يزالان في البيت نفسه، قصد محامياً فنصحنى بالتريث إلى حين أن يثبت عليها خيانتها، فحينها يمكنه أن يطلقها دون أن يفقد حق حضانة ابنته، ومن أجل ذلك كان عليه أن يهادنها إلى حين أن يجد وسيلة إلى ذلك، فجعلها تتصور أنه عائد إلى الجنوب، في حين استأجر شقة في نفس الحي لتسهل عليه مراقبتها... فلما يؤس قرر أن يجعلها تتنازل عن الحضانة مقابل مبلغ من المال».¹⁹ وهو الحدث/الزمن الذي لم يشهد تواتراً أو تكراراً في خطاب هذه الرواية، بوصفه حدثاً عابراً لا قيمة له إلا بالنسبة إلى شخصية فوزي الذي عرفنا الراوي بمشاكلته الاجتماعية، من خلال هذه الأحداث الموجزة المختصرة التي كان هدف الراوي فيها رسم صورة لمعاناة فوزي مع زوجته.

وانطلاقاً من كون هذه الأحداث المسرودة قطعاً زمنية أو وظيفة ضمن سلسلة القطع الزمنية الأخرى المشكّلة للخطاب الروائي في نظر فلاديمير بروب (Vladimir Propp)²⁰، فإن هذه القطع الزمنية لم تشهد تبئيراً من طرف الراوي، ولا تكراراً من قبّله لتكون ذات تواتر خاص موجود في مواطن كثيرة من خطاب هذه الرواية. فهي نموذج للسرد المفرد أو التفرّدي الأول الذي «يرجع إلى طبيعة الأحداث في حد ذاتها، وإلى الشكل التبئيري المميز»²¹ الذي يعني بصفة سهلة ميسورة أن عدم مركزية الحدث/القطعة الزمنية تؤثر للتواتر الفردي أو التفرّدي في أحسن صورته المألوفة. ولكثرة المقاطع الزمنية التفرّدية المذكورة في خطاب رواية (تصرّح بضياح) أثّرنا ألا نسجلها في جدول خاص بها خشية الإطالة.

القطع الزمنية غير المبارة ، ووظيفتها في الخطاب الروائي هو والنماذج السردية الدالة من الرواية المختارة (تصريح بضياح) على تفردية هذا الشكل الثاني وتنضوي تحته ، والتي يمكن إحصاؤها في الجدول الآتي:

الجدول رقم 1 يبين النماذج السردية الخاصة بالشكل الثاني من التواتر السردية

الصفحة	النماذج السردية الخاصة بهذا الشكل الثاني
ص 10.	- «غير أنني في ذلك الخميس حاولت أن أتحرر من مبدأ ألا أجمع بين شارع ديدوش وشارع ميسوني ، فتركت إسماعيل يقنعني بما يشاء» .
ص 11.	- « قلت إن كل شيء بدأ في ذلك الخميس حين دخلت وإسماعيل إلى المحافظة السادسة للشرطة بديدوش مراد لأطلب تصريح ضياح بطاقة المكتبة» .
ص 20.	- «وما هي إلا لحظات حتى قدم شرطي مكش ، وضربه على قفاه أمراً بإياه أن يسكت.» بلع ولا تعرف واش اندير لك» .
ص 21.	- « لحظات من الصمت ملأت فراغات الحديث ، حتى قطعها الشاب المسطول بققهات لا معنى لها ، ليعود صوت المكش من آخر الرواق " بلعوا (أصمتوا) يا كلاب"» .
ص 12-13.	- « فأمسكتني من ساعدي كما يمسك صاحب الدار السارق...- هذه ليست دار أمك» .
ص 27.	- « جلس الشرطي خلف المكتب بعد أن كان قد غادره ليحل قيدي» .
ص 29.	- « وأنا أشاهد أبي يضرب أمي ضرباً مبرحاً بعد أن يكون قد كسر كل ما هو قابل للتكسير في البيت» .
ص 29.	- « "رجل يضرب زوجته ، لا غرابة في الأمر" . بهذا كانت تطمئنني يما عيشة سنوات طفولتي ، أما أمي فلم تكن تأبه لضرب أبي ، ربما لأنها لكثرة ما ألفتة أصبح لا يثير فيها أي ألم» .
ص 50.	- « تطاردني كما تطاردني النبوءة ، تضربني كما كان أبي يضرب أمي...كما كان أبي يصلح أمي بعد حصة الضرب والركل واللكمات» .
ص 51.	- «كان (أبي) ثملاً ، غاية في الثمالة ، رائحته التي كانت تملأ الدار ، كلها دخلها ، لم تكن عطرا ، كانت رائحة البيرة والروح» .
ص 64.	- « فك الشرطي قيدي ثم فتح الشرطيان الواقفان عند الباب الخشبية الحجر» .
ص 75.	- «فاستشاط (الشرطي) غضبا وراح يسبني ويصفني بكل النعوت» .
ص 79.	- « وهناك (في السجن) سلّمني (الشرطي) إلى الحارس وسلّم الحارس ملفي بعد أن فك قيدي» .
ص 82.	- « حين خرجنا الصف شكلنا مرة أخرى وسرنا في طابور حتى عبرنا بوابة خامسة» .
ص 101.	- « كنت أراقب المحبوسين وهم يتدافعون في طابورهم» .
ص 113.	- « خرجنا في طابور من صفين ، وكان إذ ذاك فوزي واقفا بجانبني» .
ص 117.	- « وهناك وجدنا حراسا نظّمونا في طابور وجعلونا ندخل الأبواب والساحات» .
ص 118.	- « ويقوم الشرطي بنزع القيد والاحتفاظ به» .
ص 127-128.	- « لم يكن أمامه (فوزي) من حل إلا أن يطلقها ، فعرض عليها ذلك فرحبت بالأمر ولكنه اشترط عليها أن تبقى ابنتهما معه...إلا أنها رفضت وأصرّت على الاحتفاظ بها» .
ص 128 - 129.	- « ثم ما لبث فوزي في السجن وقتا حتى طلبت منه الطلاق وحضانة الطفلة وحصلت وقبل أن يمضي شهر على الحكم عليه بالسجن ، طلبت زوجته منه الطلاق وحضانة الطفلة» .
ص 129.	- « عمي أحمد الصوري ، فما كاد أن تطأ قدماه حتى همّ الجميع إليه مصافحين مهلّلين ، وعلى وجهه رسمت ابتسامة عريضة» .
ص 135.	- « الجميع رحب بعمي أحمد الصوري إلا إبراهيم باديا» .
ص 139.	- « وكحالة الجميع كان قاديرو أول المحتفين بقدم عمي أحمد» .
ص 171.	- «تذكرت ثمالة أبي.. جلوسه على الحصيرة ليلا يصلي ويكي» .

في بناء شخصية البطل تجاه والده الذي لا يحسن التعامل مع زوجته إلا عن طريق الضرب والركل.

2- إن المقاطع السردية التفردية الخاصة بالبطل - وهو قيد الأغلال - تعطي الانطباع بمأساته الراهنة التي تضاف إلى

وانطلاقا من النماذج السردية السابقة الخاصة بهذا الشكل السردية التفردية يمكن ملاحظة المسائل الآتية:

1- تشكّل المقاطع السردية التفردية الخاصة بالعلاقة الاجتماعية بين والديّ الراوي البطل ذاكرة هذا الأخير ؛ إذ تكون هذه العلاقة موقفاً يتخذه البطل من والده ، وهو ما يؤثر

مأساته السابقة في مرحلة الطفولة (ضرب والده لأمه وسوء معاملته لأبنائه وخاصة للراوي البطل).

3- تخدم المقاطع السردية التفردية الخاصة بمكانة الشيخ أحمد الصوري - أثناء تواجد البطل في السجن - الحدث المحوري الموجود في الرواية ألا وهو نبوءة المرأة العجوز وعلاقتها بعائلة البطل ؛ فشخصية أحمد الصوري تسهم في إضاءة هذا الحدث المركزي ، وإثارة ذاكرة البطل.

فهذه المقاطع السردية التفردية السابقة الخاصة بالبطل رسمت لوحة الذاكرة عند البطل. كما أنها رسمت لوحة الحاضر/الراهن في علاقته بالذاكرة. وكلتا اللوحتين تعدّ موقفاً من البطل تجاه الماضي والحاضر اللذين عاشهما معاً.

2-3- الشكل الثالث

ويصطلح عليه جبرار جنيت بقوله: «أن يروى مرات لا متناهية ما وقع مرة واحدة (ح ن/ق 1)». ²⁴ ويتم فيه اعتماد حدث رئيسي مركزاً وجعله بؤرة سردية يعود إليها الراوي مرات كثيرة ، على الرغم من كون الحدث قد وقع مرة واحدة. «إن بعض النصوص الحديثة تركز على قدرة الحكاية على التكرار...

يمكن الحدث الواحد أن يروى عدة مرات ليس مع متغيرات أسلوبية فقط ، كما هو الحال عموماً عند آلان روب - كريبه بل أيضاً مع تنويعات في «وجهة النظر» ²⁵. ويحصل هذا التواتر الزمني في المقطع السردية أثناء عودة الراوي كل مرة إلى الحديث المروي سابقاً لغرض فني جمالي ، فيحصل بذلك تضخم في هذا المقطع ، فيصبح هذا الأخير من نوع «المحكّي الإكراري» ²⁶ الذي يسلط عليه الضوء أكثر من مرة لدواعٍ فنية كثيرة ، تسهم في بناء عناصر السرد الكثيرة لتكون أكثر ملحمية ، عن طريق تغيير صياغة هذا الحدث أحياناً ، أو بإضافة بعض المعطيات لهذا الحدث ، أو بسرده عن طريق رواة كثيرين.

وبالعودة إلى الرواية المختارة (تصرّح بضياغ) نجد حدثاً مركزياً سرده الراوي/البطل أكثر من مرة ، وهو الحدث الذي لم يغادر ذاكرة البطل في مسيرته ، وتمثّل هذا الحدث في نبوءة المرأة العجوز الذي صار بالنسبة إليه «حلماً غريباً راودني منذ الصغر ، حلم أن أحقق نبوءة امرأة عجوز دقت باب بيتنا ذات مساء من عام 1954.

ظهرت النبوءة قبل ميلادي بنحو عشرين سنة ، ومن فرط ما رددتها أُمّي ثلاثين عاماً على مسامعي آمنت بها» ²⁷. فهذه النبوءة التي استهلّ بها الراوي الصفحة الأولى من الرواية سيتكرر سردها في مواضع كثيرة من هذه الرواية ، بل ستكون بمثابة الحدث المكرر الذي يشكّل الذاكرة السردية للراوي ؛ إذ لها علاقة بأحداث مفصلية أخرى في هذه الرواية ؛ فمغادرة البطل وعائلته بيت الوالد بعد وفاته ناتج عن تأثير صدمة بيع الابن بوعلام البيت ، وعلاقته بنبوءة هذه المرأة العجوز. «واحد ظالم ولاحر عالم ، واحد أعمى ولاحر يرفدو الماء " ، لماذا استمرت هذه اللعنة تقنات من جسدي ومن روحي اثنين وثلاثين عاماً» ²⁸. وكلما تقدم الراوي في عملية السرد إلا واستعان بهذه النبوءة ، لتأكيد وقوع أحداث أخرى ، تفسيراً لهذا التناص الشعبي الذي له عمق طويل في بنية هذه الرواية ؛ ففي حقيقة الأمر نبوءة هذه المرأة العجوز حدث وقع مرة واحدة في الزمن الذي ذكره الراوي في هذا الشاهد. لكن الراوي من حين إلى آخر يعيد سرد هذه النبوءة التي لها امتداد واسع في ذاكرته. ومنه فإن هذا الحدث تواتر سرده في مواضع شتى لدواعٍ كثيرة ، منها ربط حاضر الشخصية بماضيها ؛ فالأحداث المركزية في هذه الرواية تعدّ تفسيراً لهذه النبوءة ، ممّا يؤكد علاقة الحاضر السردية بذاكرة البطل ، لأن هذه النبوءة تمتد إلى أكثر من عشرين سنة قبل ميلاد البطل الذي يعمل من حين إلى آخر على استذكارها لتأكيد وقوع الأحداث اللاحقة.

ومن حين إلى آخر يسرد الراوي نبوءة المرأة العجوز بإضافة بعض العبارات والجمال وتغيير صياغة هذا التناص الشعبي. «تلك الجمل المسجوعة التي ترويه أمه على لسان العجوز " تزيدي تسعة ، الرجال فيهم ربعة ، واحد ظالم ولاحر عالم ، واحد أعمى ولاحر يرفدوا لها "» ²⁹.

وتأتي هذه النبوءة في موضع آخر لتؤكد علاقتها بمصرع بعض الشخصيات في هذه الرواية ، في صورة إبراهيم ومناد وتسعديت وحمامة بها يشبه السرد الاستباقي الذي يؤسس العلاقة بين الراوي والقارئ/المتلقي ؛ فتتكشف خيوط هذه النبوءة رويداً رويداً. «يومها جلست في الحافلة بجانب أُمّي ، كان الحزن يمنيني من الحديث ، فتأبطت أُمّي ذراعي ووضعت رأسها على كتفي وهمست لي " هذا هو الظالم الذي تنبأت به العجوز "» ³⁰. فما وقع لهذه العائلة وخروجها من

البيت العائلي جعل نبوءة المرأة العجوز تتردد مرات كثيرة على لسان الراوي/البطل، فهي لعنة حاقت بهذه العائلة التي لا تكاد تستفيق من كابوس إلا وينزل على رأسها كابوس آخر.

بينما يستغل الراوي الفرصة السردية للتعليق على الأحداث الجارية ليعطينا موقفه في شكل تأملات شخصية. «الآن عرفت الظالم، ذاك الذي أخرجنا من دارنا من غير حق، ليدفع بنا إلى الموت، إلى العار الذي لا يمحي..

الآن عرفت الأعمى، إبراهيم هذا الذي أفقده الركل قدرته على السير، قدرته على الزواج، قدرته على الإبصار، هذا الذي جعلته شجاعته صنما جامداً».³¹ فالظالم (بوعلام) - في نظر شقيقه البطل - هو السبب في كل ما حدث للعائلة من قتل واغتصاب وتشريد وعار بعد حادثة الطرد من البيت العائلي.

على أن هناك وظيفة سردية أخرى لهذا التواتر السردية فيما يخص زمن النبوءة، وهو محاولة الراوي/البطل التخلص من غياهب السجن الموجود فيه، عن طريق استعمال طريقة الحلم للتخفيف من المعاناة التي يلاقيها هناك. فالإغفاءات التي تحدث للبطل داخل السجن نتيجة التعب الشديد والإرهاق المتواصل تكون بمثابة الترويح والسلوى نظير الظلم الذي وقع له ولعائلته أثناء الطرد وبعده.

وفي الوقت نفسه يمكن للتواتر السردية للزمن أن يكون بمنزلة تلخيص المحطات التاريخية التي مرت بها عائلة البطل، فتكون هذه النبوءة استرجاعاً للماضي البعيد الذي يقوم بتذكير القارئ بما جرى آنفاً؛ فرواية (تصريح بضياح) هي رواية الذاكرة الجريحة التي سيطرت على البطل، وجعلت حاضره شبيهاً بماضيه. «أذكر سعادة أمي حين حكّت لي أول مرة حكاية المرأة العجوز، أذكر دموعها حين طردنا أخي، أذكر نحيبها عندما علمت بمقتل مناد، أذكر الظلمة التي غرقت فيها عيناها بعد عمى إبراهيم».³² وهذا التلخيص الذي قام به الراوي/البطل يعمل على تجاوز هذه اللحظات الحرجة التي يعيشها في السجن باللحظات التاريخية الأكثر حرجاً بعد حادثة الطرد من شقيقه بوعلام الذي شتّت الأسرة كلها وتسبب - بشكل غير مباشر - في القتل والاغتصاب والتشريد.

كما تعمل نبوءة المرأة العجوز على الجمع والتعارف بين شخصيتين اثنتين: بين شخصية الراوي/البطل وشخصية الشيخ أحمد الصوري الموجود معه في السجن؛ فمنذ دخول البطل إلى السجن كان هناك تعارف إشاري - إن صح التعبير - بينه وبين أحمد الصوري الذي يملك معطيات تاريخية عن عائلة البطل؛ حيث قال للراوي/البطل: «قالت (العجوز) لأملك شيئاً من هذا:» في ولادك تسعة، الذكور فيهم أربعة: واحد ظالم ولاحر عالم، واحد أعمى ولاحر يرفدوا لها،..»، كانت أمك مهووسة بها، حتى كاد يجن أبوك من كثرة ما رددتها على مسامعه».³³

ومن جهة أخرى تكشف هذه النبوءة عن كون أحمد الصوري هو صديق والد البطل، وهو ما حوّل التعارف الإشاري بينهما عن طريق النظرات إلى تعارف حقيقي بالكلام فتح قنوات الحوار بينهما، بعد أن كان تبادل النظرات بين الطرفين مشوباً بالحذر. «كان (أحمد الصوري) صديق والدي، والدي الذي ائتمنه على أكثر أسرار خطورة، نبوءة العجوز، تلك التي طرقت باب دارنا في عام 54..

هكذا تحققت النبوءة».³⁴

ويستمر التواتر السردية /الزمني في هذه الرواية لنبوءة المرأة العجوز، لتحقيق هذه الأخيرة وظيفة سردية أخرى. «وحينها، وحين تذكرت ذلك، تكشفت الحقيقة: " واحد عالم، واحد..».

أنا العالم أُمي في نبوءة المرأة العجوز، عالم بحقيقة أبي، بحقيقة سناء..

كلها تأخذني إلى حيث أردتني أن أكون تلك المرأة العجوز التي دقت بابنا ذات مساء من عام 1954».³⁵ وهو الوصول إلى كشف الحقيقة كاملة، وتعلق بكثير من المسائل المحيطة بأسرة البطل المذكورة في هذا المقطع الأخير؛ كشف حقيقة قبر أبيه، وحقيقة أخته سناء التي ماتت ولم يعرف لها سبب موتها، وهي في شهرها الخامس. فاشتغال الراوي على هذه النبوءة جعل الزمن السردية يتداخل مع قضايا كثيرة، تشكل عصب خطاب هذه الرواية. وفي الجدول الآتي المقاطع الزمنية التي تندرج ضمن هذا الشكل الثالث المذكورة في خطاب رواية (تصريح بضياح):

الجدول رقم 2 يبيّن النماذج السردية الخاصة بالشكل الثالث من التواتر السردية

الصفحة	النماذج السردية الخاصة بهذا الشكل الثالث
ص 07.	- « أن أحقق نبوءة امرأة عجوز دقّت باب بيتنا ذات مساء من عام 1954 ».
ص 07	- « شيء يقنعني أن نبوءة العجوز مجرد سخافات تقيأتها امرأة انفرد بها الجوع والعوز لتنال بعض الصدقات ».
ص 07.	- « بدأت أفهم سبب تواتر خلف نبوءة المرأة العجوز ».
ص 11 .	- « ولكن أني لطفل في الرابعة أن يتخيل عجوزا تختلف عن جدته؟! وأنى له أن ينسى تلك الجمل المسجوعة التي ترويه أمه على لسان العجوز " تزيدي تسعة ، الرجال فيهم ربعة ، واحد ظالم ولاخر عالم ، واحد أعمى ولاخر يرفدو الها " ».
ص 35.	- « السمين القذر ، بدا رجلا لطيفاً ، حتى أنه طلب لي أكلا وعلبة سجائر ».
ص 43.	- « كنت (أي البطل) أعيش مع أمي وجدتي وإخوتي الثمانية وأنا تاسعهم ، تماما مثلها تنبأت المرأة العجوز ».
ص 44 - 45.	- « فالمرأة العجوز لم تخبرها شيئا عن المولود العاشر ، أما سيدي أحمد بن يونس فقد قال إنها وُلدت هزيلة لم يفارقها الصغار حتى فارقت الحياة ».
ص 45.	- « كان (إسماعيل) يحب أن يصغي إلى حكاياتي عن النبوءة والمرأة العجوز. إلا أنه رغم ما عاشه معي وما رآه من تحقق النبوءة ، كان كافرا بها ».
ص 50.	- « مات أبي قبل أن ينقضي عام من رحيل سناء ، " ربما لأنه أحبها أكثر منا " ».
ص 51 .	- « أذكر يوم رحيله ، حدث ذلك في يوم من عام 1978 ».
ص 52.	- « هكذا أذكر يوم رحيل أبي ، كنت في الرابعة من عمري ، فمُنعت من حضور الجنازة ، بقيت مع جدتي في مسكن خالتي لأكثر من شهر ».
ص 53.	- « كان إيمان أمي بنبوءة المرأة العجوز إيمانا مطلقا ، لم يتزعزع ».
ص 56 .	- « إن كانت النهاية حقيقة ، فلم لم أجدها لأمنحها أمي حتى تتوقف عن الإيمان بنبوءة المرأة العجوز " واحد ظالم ولاخر عالم ، واحد أعمى ولاخر يرفدو الماء ».
ص 72.	- « فتأبطتُ أمي ذراعي ووضعت رأسها على كتفي وهيمت لي: " هذا هو الظالم الذي تنبأت به العجوز " ».
ص 74 .	- « ما الذي يمنع هذا الحلم أن يتحقق... يظهر ويختفي كنبوءة المرأة العجوز... الآن عرفت الظالم ، ذاك الذي أخرجنا من دارنا من غير حق ، ليدفع بنا إلى الموت ، إلى العار الذي لا يمحي. الآن عرفت الأعمى ، إبراهيم هذا الذي أفقده الركل قدرته على السير ، قدرته على الإبصار ».
ص 86.	- « بهذا الرجل (أحمد الصوري) ، بهذا الذي سيجعلني أتوقف عن ملاحقة نبوءة المرأة العجوز ، أو لأحقق آخر أغازها ».
ص 100 .	- « أتذكر سعادة أمي (والدة البطل) حين حكّت لي أول مرة حكاية المرأة العجوز ، أتذكر دموعها حين طردنا أخي ، أتذكر نحيبها عندما علمت بمقتل مناد ، أتذكر الظلمة التي غرقت فيها عيناها بعد عمى إبراهيم ».
ص 102 .	- « فقررت أن أجعلها تستمر في أملها ، في إيمانها بنبوءة المرأة العجوز ، أفليس الإيمان ما يجعلنا نستمر ؟.. ».
ص 107.	- « لقد كان كلامنا (كلام البطل وأحمد الصوري) لحظتها نهاية لقصة امرأة عجوز جعلت حياتي وحياة أمي تدور في فلكها ، في محاولة لفهم شيفرات القدر ».
ص 154.	- « قالت لأمك شيئا من هذا: " في ولادك تسعة ، الذكور فيهم ربعة: واحد ظالم ولاخر عالم ، واحد أعمى ولاخر يرفدو الها ، " ».
ص 159.	- « كان (أحمد الصوري) صديق والدي ، والدي الذي ائتمنه على أكثر أسرارهِ خطورة ، نبوءة العجوز ، تلك التي طرقت باب دارنا في عام 54 ».
ص 160.	- « أريدك (أحمد الصوري) يا بني (البطل) أن تعرف ، أنني بعدما سمعت قصتك وقصة إخوتك حزنت حزنا شديدا ، بل وتهنيت لو كنت حاضرا لأمنع الأمر ».
ص 164.	- « أريدك (أحمد الصوري) يا بني (البطل) أن تعرف ، أنني بعدما سمعت قصتك وقصة إخوتك حزنت حزنا شديدا ، بل وتهنيت لو كنت حاضرا لأمنع الأمر ».
ص 170.	- « تذكرت الروايات المختلفة عن موت سناء الأولى ».
ص 171 .	- « تذكرت غضب أمي حين أسميت ابنة حمامة سناء ».
ص 171 .	- « تكشففت الحقيقة: " واحد عالم ، واحد.. " ».
ص 171 - 172.	- « أنا العالم أمي في نبوءة العجوز ، عالم بحقيقة أبي ، عالم بحقيقة سناء... كلها تأخذني إلى حيث أردتني أن أكون تلك العجوز التي دقت بابنا ذات مساء من عام 1954 ».

السابق، لكنه معكوس هذه المرة من جهة الوقوع أو الحدوث؛ فإذا كان التكرار يقع في الحدث من جهة سرده داخل الخطاب في الشكل الثالث، فإن التكرار في الشكل الرابع يقع في الحدث من جهة وقوعه في الحكاية. لذلك فقد عبر عنه جيرار جنيت بقوله: «أن يُروى مرة واحدة (بل دفعة واحدة) ما وقع مرات لا نهائية (ح 1/ق ن)»³⁷، ويسميه بعض الباحثين الآخرين «المحكّي الإعادي»³⁸.

وعادة ما يختار الراوي في الخطاب النزوع نحو الاختصار وإسقاط الأحداث المتكررة عندما تكون غير بالغة الأهمية لسرد برنامج شخصية معينة، وغالبا ما تكشف هذا النوع من التواتر الترددي عن طريق قرائن لغوية كثيرة مشهورة من مثل: "كل يوم" أو "كل أسبوع" أو "كان ينهض باكرا كل صباح". وهي القرائن الشائعة المتواترة، وهذا النمط من الحكاية الذي يتولى فيه بث سردي وحيد عدة حدوثات مجتمعة للحدث الواحد (أي - مرة أخرى - عدة أحداث منظورا إليها من حيث تماثلها وحده)، سنسميه حكاية ترددية، وهي هنا طريقة لغوية شائعة تماما وربما كونية أو شبه كونية، في مختلف سياقاتها³⁹ الكثيرة التي من الممكن أن تشكل هذا النمط من التواتر الزمني الذي يلعب دوراً في تأسيس البرنامج اليومي لأي شخصية مهمّة في نطاق السرد الروائي.

وبالعودة إلى الرواية المختارة في هذه الدراسة (تصرّح بضياغ) يبرز هذا الشكل الزمني لتحقيق أهداف سردية كثيرة؛ فهي هو البطل يروي يومياته. «يوم خميس فيما أذكر، إذ كنت أواعد إسماعيل صديقي كلّ خميس لنمضيه سوية كيفما شاء، وغالبا ما كنا نمضيه نتسكع في شوارع العاصمة نجوبها شارعا شارعا على الأقدام»⁴⁰ فالراوي/البطل يعطينا برنامج الأسبوعي مع صديقه إسماعيل. وهنا يقتصد الراوي في الجهد السردية ليروي مرة واحدة (في نطاق الحكّي/القصّ) ما وقع أكثر من مرة (في نطاق الحكاية). ومن ثمة كلمة: (كل) وتدلّ على قيمة التواتر الزمني في حذف عدد المرات الكثيرة الواقعة على مستوى الحكاية، والإشارة فقط عن طريق هذا الأسلوب اللغوي الذي اقتصد فيه الراوي عدد المرات الكثيرة في كلمة (كل).

وانطلاقا من النماذج السردية السابقة الخاصة بهذا الشكل السردية الترددي الثالث يمكن قراءة هذه المقاطع وفق التأويل الآتي:

1- تشكّل المقاطع السردية الترددية الخاصة بنبوءة المرأة العجوز الحدث المركزي في الرواية؛ فهو من جهة الزمن السردية يشير إلى الذاكرة. أي إلى الزمن الماضي الذي يسترجعه البطل باللجوء إلى طفولته (الاستذكار) والبحث في أخاديدها. ومن جهة أخرى يشير إلى الزمن الاستباقي الذي تبرزه المراحل السردية اللاحقة.

2- تأتي هذه المقاطع السردية الخاصة بنبوءة المرأة العجوز على لسان رواة كثيرين - كما هو واضح في الجدول -؛ على لسان والدة البطل، وعلى لسان البطل نفسه، وعلى لسان الشيخ أحمد الصوري. ورغم اختلاف الرواة للحكاية الترددية الواحدة إلا أن هذه الحكاية الترددية تقوم بدور التحفيز السردية للراوي للقيام بعملية القصّ أو الحكّي السردية.

3- تبرز المقاطع السردية الترددية الخاصة بوفاة والد البطل التأثير العميق لهذه الوفاة على مشوار حياة العائلة التي انقلبت رأسا على عقب، بداية بطردهم من البيت العائلي ومروراً بحادثة مقتل أشقائه من طرف الإرهابيين، ووصولاً إلى التنقّل المستمر لعائلة البطل - بين مساكن كثيرة، وفي مدن عديدة - بحثاً عن الاستقرار والأمان الاجتماعي، وهو ما أثر على البنية السردية لخطاب هذه الرواية من حيث البناء والمكونات.

4- ومنه فإن البنية السردية لخطاب هذه الرواية مبنية على هذين المقطعين التردديين في مواضع كثيرة. بينما تبقى بعض المقاطع السردية الترددية الأخرى مثل: الروايات المختلفة عن سبب موت سناء شقيقة البطل في شهرها الخامس، أو حادثة الشرطي السمين مع المرأة السمراء في المحافظة السادسة للشرطة تعزّزان موقف البطل من نبوءة المرأة العجوز، ومن تصرفات الشرطي الانتهازية تجاه هذه المرأة التي أمّنته على شرفها.

2-4- الشكل الرابع

وبعود هذا الأخير إلى مصطلح التواتر الترددي أو «الحكاية الترددية»³⁶ التي تحدثنا عنها في الشكل الثالث

السردى اليومى وما فيه من أحداث فقد حاول الراوى ألا يقف عند كل صغيرة وكبيرة ، بل يطوي هذه الأحداث الانتقالية للوصول إلى انكماش سردي يوافقه تضخم حكاىي ، ممّا أوجد هذا التواتر الزمنى والفرق الواضح بين المقطعين: الحكائى والسردى.

وفي مقطع آخر تنتقل عدسة الراوى/البطل من التواتر الزمنى على مستوى الفعل والحركة إلى مستوى النظر والإبصار. «كنت ألحظه في كل قاعة أدخلها ، وكأن المشيئة أرادته أن يتواجد في أماكن تواجدى، إلا أنني ما كنت لأجراً على الاقتراب منه ، رغم ما كنت أشعر به نحوه ، فثمة شيء شدني إليه»⁴⁴ وهو ما جعل الراوى/البطل يدقق النظر في شخصية أحمد الصوري الذي سيكون له شأن كبير بالنسبة إلى العلاقة بينه وبين الأول متمثلة في كلمة (كل قاعة) التي توحى بذلك ، فقد اختزلت هذه الكلمة عدد المرات الكثيرة التي شاهد فيها البطل الشيخ أحمد الصوري ، والتقى به فيها معه. فهذا التقاطع الكثير الذي حصل بين الشخصيتين نتج عنه مقطع حكاىي متضخم في مقابل مقطع سردي مختصر موجز منكش على مستوى القصة. ومنه فإن هذه المفارقة الزمنية بين المقطعين تجعل هذه النماذج السابقة تختلف بين: مادة السرد (زمن الحكاية) وفعل السرد (زمن القصة/السرد).

ويمثل هذا الجدول النماذج المذكورة في الرواية المختارة في هذا البحث ، وهي النماذج التي تنتهي إلى هذا الشكل الرابع مبينة على النحو الآتي:

والأمر نفسه يمكن أن يقال عن يوميات الراوى/البطل عندما كان طفلاً صغيراً يلعب مع أترابه ، وذلك في الزمن الذي توفي فيه والده. «أذكر يوم رحيله ، حدث ذلك في يوم من عام 1978 ، لم أكن في المنزل يومها ، دخلت الدار بعد أن تعبت من اللعب مع أقراني ، إذ كنّا نلتقي كل يوم صباحاً في النفق المغطى من سوق ميسوني المعروف اليوم بسوق فرحات بوسعد ، ... كنا نتجمع هناك كل يوم ونلعب كرة القدم»⁴¹. وتجلّى هذا الشكل من التواتر الزمنى في العبارات الآتية: (نلتقي كل يوم صباحاً ، نتجمع هناك كل يوم) التي تختصر البرنامج اليومي للبطل عندما كان طفلاً. وهذا الاقتصاد اللغوي يلخص هذا البرنامج في مقطع سردي واحد على مستوى الحكى أو القص عوض سرد هذا البرنامج في مقاطع زمنية كثيرة.

وضمن هذا النوع الرابع من التواتر السردى يدخل البرنامج الذي سرده الراوى/البطل الخاص بيوميات والده. «توقف (أي) عن العمل ، إلا أنه ظل يخرج كل صباح ولا يعود إلا ليلاً. كنت كلما سمعت الباب يفتح ليلاً ، كنت أخرج من بين أحضان جدتي ... ولكنني كنت في كل ليلة أنتظر دخوله ، فأخرج رأسي من شق باب الغرفة بحيث أراه ولا يراني»⁴². وهو البرنامج الذي لا يختلف عن برنامج البطل من قبل ، لوجود القرينة اللغوية الدالة على ذلك (يخرج كل صباح ، في كل ليلة أنتظر دخوله) ، وهو البرنامج الذي يسرده الراوى بسرعة للقفز على كلّ ما ليس بهمهم من الأحداث على مستوى السرد/القصة. لذلك فالراوى يلغى في السرد هذا التضخم الموجود على مستوى الحكاية.

وتتشابه مقاطع كثيرة في هذه الرواية من حيث تواترها الزمنى ، ومن حين إلى آخر يكسر الراوى/البطل سطوة الحاضر المهرّ أثناء وجوده في السجن ، عن طريق كشف البرنامج الأسبوعي مختصراً مقطوعاً حكاىياً متضخماً. «كنت وقتها قد التحقت بالجامعة ، أقضي معظم أيام الأسبوع في العاصمة ، بين الدراسة نهارة ، والعمل ليلاً في ملهى قرطبة ، كل ذلك دون أن أنسى زيارة إبراهيم في مستشفى زميرلي بالحراش والاهتمام بحاجياته...

أما نهاية الأسبوع فقد كنت أقضيها مع أمي وحمامة في بن سرور»⁴³. وهو الإطار السردى الذي يتحرك وفقه البطل طالباً في الجامعة. ولعدم أهمية هذا البرنامج

الجدول رقم 3 یبیین النماذج السردیة الخاصة بالشکل الرابع من التواتر السردی

الصفحة	النماذج السردیة الخاصة بهذا الشکل الرابع .
ص 07.	« ککل لیلة أجدنی محاصرا بكل ما لم أحققه طیلة ثلاثین عاما من وجودی فی هذه الحیاة ، مجرد حیاة یملؤها الفراغ .»
ص 07.	« كنت أعود إليها کلما صافحتنی الفشل فی أحد أزقة حیاتی .»
ص 08.	« كنت أواعد إسماعیل صدیقی کلّ خمیس لنمضیه سوبة کیفما شاء .»
ص 18.	« ربما أخذت هذا من مدام موفق مدرسة اللغة الفرنسیة فی الابتدائی ، كانت کلما أرادت قطع دابر آی حدیث ممل أو خارج عن البلاقة تهدد وجهها .»
ص 45.	« كانت هذه عادتها کلما علمت (یَمّا عیشة) أنني فی فترة امتحانات ، تستیقف ساعة الفجر لتصلی ثم تضع " قصعة " مُطیئة وتبدأ فی العجن ، تحضر القهوة والحلب والجمیع نيام ، وبعدها توقظنی وقد أعدت کل شیء .»
ص 49.	« حتی هو (أي إسماعیل) کلما سألته یتحجج تارة بالنسیان وتارة أخرى یستعین بابتسامته الخبیثة للتملص من الإجابة .»
ص 52.	« إذ کُنّا نلتقي کل یوم صباحا فی النفق المغطی من سوق میسونیی المعروف الیوم بسوق فرحات بوسعد...، کنا نتجمع هناك کل یوم ونلعب كرة القدم ولا نتوقف حتی تتوسلنا أجسادنا أكلا وراحة ، فنفرق لنتقی مجددا فی المساء .»
ص 52.	« فكثیرا ما كانت أُمی تشبعنا أنا وإخوتی ضربا وصراخا حین کنا نترك الباب كذلك .»
ص 57.	« لا أحفظ فی ذاكرتی شیئا یرر هذه الهالة التي أحاطتني بها أُمی ویمّا عیشة ، عدا رائحة " الجاوی " والبخور الذي میز بیتنا.. مشهد أُمی مقعزة أمام الكانون تصهر قطعا من الرصاص ثم تفرغها فی المهرز لتتشکل فی کل مرة فی شکل غریب.. التهاثم والحز التي غالبا ما كنت أكتشفها داخل وسادتی وتحت فراشی .»
ص 63.	« كان ذلك شاب ملاهی ، اعتاد أن یقضي نهاية کل أسبوع فی ملهى قرطبة... الحقیقة لم أكن أعرفه فحسب ، فقد قضیت فیہ سنوات الجامعة أعمل فیہ نادلا .»
ص 70.	« كان کلما دخل محبوس علی الوکیل یمدر من المكثب صراخ ، صراخ بصوت واحد ، كان هذا صوت الوکیل مثلما تبیین لی لاحقا ، فی حین كان کلما خرج من عنده واحد یصفّد ویقتاد خارجا .»
ص 76.	« فرغم العدد الهائل من المرات التي رأیتها فیها ، كانت هذه أول مرة لاحظ فیها جدرانہ الزرقاء الشاهقة والأسلاك الشائكة التي تعلوها .»
ص 85.	« الآن تدرکون لماذا یضطهدنی الأرق مثلما بفعل ، لماذا یحاصرني کل لیلة یمنع عَنی النوم ، یفترسني الخوف ، کل لیلة ، من أن أغمض عینی وأراهم (الإرهابیین) .»
ص 90.	« وأکاد أقسم أنها (حمامة) روت لی عن السنتين اللتین أمضتھما هناك یوما بیوم ، ساعة بساعة ، حتی حسبتنی أنا من قضی تلك الفترة فی السجن ، حتی ربع الساعة التي کنا نزورها فیها أنا وأُمی کل جمعة ، كانت تقضیها فی الثثرة عن یومیاتها .»
ص 90.	« وكنا رحمة بها (أي حمامة) نحقق کل طلباتها ، حتی أكثرها غرابة ، وكنا إرضاء لها نحضر إبراهیم لزیارتها رغم إعاقته مرة کل شهر .»
ص 107.	« كنت ألاحظ فی کل قاعة أدخلها ، وكان المشیئة أراذته أن یتواجد فی أماكن تواجدی .»
ص 131.	« كان (أحمد الصوري) صاحب حق ، وهذا بشهادة من یتشاجر معهم ، وفی کل مرة كان یصرع خصمه بضربة واحدة .»
ص 132.	« جمیع الروایات تؤکد أنه (أحمد الصوري) قتل ابنته لیلا ، وكل قصص المساجین تجمع علی أنه سلم نفسه واعترف بجریمته رغم أنه كان خارج کل الشکوک .»
ص 134.	« فحتى الساعة مازلت حین أتذكر الأمر یتملکني الضحك ، بل وأحب أن أحکی هذه القصة فی کل مناسبة .»
ص 137.	« وأحیانا كان یستعین ب"الشاف کورفی" فیسخره (وبعنی إبراهیم بادیا) کل یوم للعمل والتنظیف ، وهو ما یعني أن یمنع عنه حقه فی الخروج إلى الساحة .»
ص 154.	« أصبح (أحمد الصوري) یتحین الفرص للحدیث معی ، وكان فی کل مرة یسألني رأیی ، وكان رأیی یهمه فی شیء .»
ص 159.	« أوهام تحولت مع الوقت إلى أساطیر ترقد معی (مع الراوی البطل) کل لیلة یتملکني الأرق فیها .»

مرحلة الطفولة أو مرحلته الراهنة - وخاصة المرحلة التي عاشها في السجن - ، أو بأحد أفراد عائلته مثل جدّته (يَمّا عیشة) أو شقيقته حمامة أثناء وجودها في السجن أو صديقه إسماعیل أو یومیات البطل مع الشیخ أحمد الصوري.

أما الزاوية الثانية: فمقاطع التواتر السردی التردّدي تعمل -بالنسبة إلى الراوی - علی الاقتصاد اللغوي الذي یقوم به

فهذه النماذج السابقة الخاصة بالشکل الرابع من التواتر السردی التردّدي یمکن النظر إليها من زوايا كثيرة تخدم البناء السردی للخطاب الروائي:

فالزاوية الأولى: تمثّل مقاطع التواتر السردی التردّدي البرنامج الخاص ببعض الشخصیات القصصیة الموجودة فی الرواية ، وهي فی معظمها تتعلق بشخصیة الراوی البطل فی

بین المقاطع الزمنية المكررة والمقاطع الزمنية المفردة ، وهي النتائج العلمية التي يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

1 -ظاهرة التواتر السردی ظاهرة زمنية فی الخطاب السردی بشكل عام ، والروائي منه بوجه خاص ، يقوم عليها بناء النص القصصي الذي تخضع بعض مقاطعه لבלاغة هذا التواتر كثرةً وقلةً ، بحسب حاجة الخطاب إلى عدد مرات التواتر المناسبة لعملية البناء السردی.

2 -لا يمكن أن تكون المقاطع الزمنية فی النص السردی القصصي على شكل واحد ، بل تنوع هذه المقاطع على النحو الذي سبق ذكره.أي مقاطع زمنية تفرّدية وأخرى مقاطع زمنية تردّدية ؛ فالمقاطع الزمنية التفرّدية هي مقاطع انتقالية بسيطة ليس لها أهمية كبيرة إلا بمقدار الربط السردی بین حدث وحدث آخر ، أو بها يمثل سدّ الفجوات السردية بین المقاطع الزمنية. أما المقاطع الزمنية التردّدية فهي مقاطع زمنية مركزية تقوم بخدمة الطابع الملحمي للخطاب الروائي ، وهو ما يجعل خطاب رواية (تصریح بضیاع) «يقوم أساسا على تناوب مختلف ، هو التناوب بین الترددي والتفردی»⁴⁷.

3 -يقوم الطابع الملحمي للنص الروائي على تكرار بعض المقاطع الزمنية التي يتخذها الراوي مركزاً سردياً مهماً يُعيد سرده من حين إلى آخر. وهذا الطابع الملحمي هو الذي يجعل خطاب أي نص سردی متميزاً وذا خصوصية بنائية مختلفة عن بقية النصوص السردية الأخرى.

4 -تقوم آلية التواتر الزمني بعملية الربط السردی بین بقية العلاقات الزمنية الأخرى ؛ فالتواتر الزمني يحرك ذاكرة الراوي البطل ، وهو ما ينتج عنه السرد الاستذكاري (العودة إلى الذاكرة)، ويحقق في الوقت نفسه النظر إلى المستقبل (السرد الاستباقي)، وهو ما حقّقه التواتر فی نموذج نبوءة المرأة العجوز ، وجعل عناصرها تتحقق واحدة تلو الأخرى ؛ بخروج البطل من البيت العائلي بعد طردهم منه بواسطة الابن بوعلام (واحد ظالم)، وتألّق البطل فی الدراسة (واحد عالم)، وفقدان إبراهيم بصره (واحد أعمى)، ومقتل مناد ورميه فی الوادي (واحد يرفدو الماء).ف «ليس الاستخدام الترددي وجهها من وجوه التواتر فحسب ، بل يؤثر أيضا فی الترتیب (ما دام يبطل تتابع أحداث" متشابهة "وهو يرگبها) وفي المدة (ما دام يقصي الفترات الفاصلة فی الوقت نفسه)»⁴⁸.

لرسم الشخصيات القصصية التي تقوم بتحريك الحدث السردی تارة نحو الذاكرة لبيان العامل النفسي ، وتارة أخرى نحو الأمام للوصول إلى كشف بعض الحقائق السردية التي - ربما - تغيب عن الشخصيات القصصية.لكن الغالب فی مقاطع هذا التواتر التردّدي (الشكل الرابع) أنها ذات علاقة بالذاكرة.

بينما الزاوية الثالثة: فتكون هذه المقاطع السردية التردّدية بنية أساسية فی تكوين الشخصيات القصصية التي تقوم بأدوار كثيرة؛ فالتردّدي هنا - فيما يخص الشكل الرابع - «يرگب بین عدة شهور بل بین عدة سنوات من العلاقات»⁴⁵، ممّا يجعل التردّدي يكشف عن عادات هذه الشخصيات الاجتماعية.

والشيء الذي يمكن ملاحظته على الشكّلين الثالث والرابع المنتميين إلى التواتر التردّدي هو كونهما مقاطع زمنية سردية مركزية لها علاقة بالشخصيات المباشرة فی الخطاب الروائي. أي لها علاقة بالذاكرة (الزمن الاستذكاري) وعلاقة أخرى بالمستقبل (الزمن الاستباقي). لذلك تكون محل تواتر أو تكرار من حين إلى آخر ، وهو ما يجعل هذه القطع الزمنية المركزية تظهر على لسان الراوي وشخصياته مرات كثيرة ، وفي مواضع متفرقة من الخطاب الروائي ؛ إذ تسهم فی بناء الحدث ودراميته. «إضافة إلى الطابع الملحمي الذي كثيرا ما يلجأ إلى التكرار اللفظي المقطعي، أو إعادة الفكرة بصيغ تركيبية مختلفة»⁴⁶ وحوارية الشخصيات التي تتشكل بنيتها انطلاقاً من عمق تكوينها وجوانبها التي يكشفها التواتر السردی، وهي الملامح التي برزت على شخصية الراوي/البطل أثناء وجوده بین عائلته (تعامله مع والده قبل وفاته وهو طفل صغير) أو صبره فی السجن بعد حبسه من غير وجه حق. ويمتد دورها إلى صناعة الفضاء الروائي الذي يحيط بهؤلاء جميعا.

خاتمة

وما يمكن قوله بخصوص التواتر الزمني /السردی بقسميه (التفردی والتردّدي) إنه لا يخلو منه أي خطاب روائي مهما كان نسيجه الزمني تحقيقاً لوظائف سردية كثيرة ؛ تتعلق بجوانب بنائية عديدة تؤسس لخطاب روائي درامي ، يتفاوت حضور مقاطعه السردية من حيث التواتر أو التكرار ، بما يجعل هذا التفاوت طابعا ملحمياً يقوم عليه معيار تصنيفي

5-تشكّل عملية التواتر السردى/ الزمنى عنصراً مهماً

في تكوين الشخصية القصصية التي تقوم بإنجاز الفعل السردى ، وتجلّى ذلك في تأثير تواتر نبوءة المرأة العجوز على تكوين شخصية البطل ، أو تأثير تواتر وفاة والده على شخصيته وعلى عائلته بشكل عام. فنبوءة المرأة العجوز ووفاء الوالد قطعان زمنيّتان مهمّتان في تحوّل المسار السردى لخطاب هذه الرواية.

6-إن الخصوصية السردية التي يشكّلها التواتر الزمنى

على مستوى الزمن الروائى وبنائية الشخصيات الفاعلة في الرواية تعدّ تأثيره إلى حدّ تشكيل الفضاء الروائى المسيطر

على العلاقات الموجودة بين الشخصيات ؛ وتجلّى ذلك في العلاقة بين الشيخ أحمد الصوري والراوي/البطل اللذين اختلفا في دلالة نبوءة المرأة العجوز التي شكّلت تناصاً شعبياً ؛ فبينما رفضها الأول تمسك بها الثاني.

7-لا يتعلق التواتر السردى/الزمنى بقسميّته التفردى

والترددى بالشخصية القصصية فقط ، بل يتعلق ببقية عناصر الخطاب الروائى الأخرى مثل: فضاءات الأمكنة التي تلجها الشخصيات ، وهي العلاقة التي ظهرت في مواضع كثيرة ؛ علاقة والدة البطل بفضاء البيت أثناء وضع التمايم والحرز تحت وسادة البطل لحمايته من العين والحسد.

الهوامش

1. سمير قسيبي: تصريح بضياح. ط2. الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف. بيروت / الجزائر. 2010. ص 167.
2. جبرار جنيت: خطاب الحكاية. ترجمة محمد معتصم وعمر الحلي وعبد الجليل الأزدي. ط3. منشورات الاختلاف. الجزائر. 2003. ص 129.
3. جبرار جنيت: المرجع نفسه. ص 129.
4. جبرار جنيت: عودة إلى خطاب الحكاية. ترجمة محمد معتصم. ط1. المركز الثقافي العربي. بيروت / الدار البيضاء. 2000. ص 46.
5. بول ريكور: الزمان والسرد - التصوير في السرد القصصي -. ترجمة فلاح رحيم. ط1. دار الكتاب الجديدة. بيروت. لبنان. 2006. ص 138.
6. بول ريكور: المرجع نفسه. ص 112.
7. جميل شاكر وسمير المرزوقي: مدخل إلى نظرية القصة - تحليلًا وتطبيقًا -. د. ط. الدار التونسية للنشر/ديوان المطبوعات الجامعية. تونس/الجزائر. د. ت. ص 88.
8. جبرار جنيت: خطاب الحكاية. ص 129.
9. برنار فاليط: النص الروائي - تقنيات ومناهج -. ترجمة رشيد بنحدو. المشروع القومي للترجمة. القاهرة. مصر. د. ت. ص 113.
10. جبرار جنيت: خطاب الحكاية. ص 130.
11. جبرار جنيت: المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
12. جبرار جنيت: المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
13. برنار فاليط: المرجع السابق. ص 113.
14. جبرار جنيت: خطاب الحكاية. الصفحة السابقة.
15. سمير قسيبي: المصدر السابق. ص 08.
16. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 74.
17. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 90 - 91.
18. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 106.
19. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 128.
20. ينطلق الباحث الروسي فلاديمير بروب من هذا المفهوم؛ فالوظيفة: «تفهم على أنها فعل شخصية. تعرف من وجهة نظر أهميتها لمسيرة الفعل». مورفولوجية الحكاية الخرافية. ترجمة وتقديم أبو بكر أحمد باقادر وأحمد عبد الرحيم نصر. ط1. النادي الأدبي بجدة. المملكة العربية السعودية. 1989. ص 77.
21. نبيلة زويش: تحليل الخطاب السردية في ضوء المنهج السيميائي. ط3. منشورات الاختلاف. الجزائر. 2003. ص 121.
22. يراجع الخلاف السابق بين الباحثين في إثبات هذا الشكل أو إسقاطه بين كونه نمطا مستقلا أو نمطا يدخل تحت الشكل الأول، وهو المحكي الإفرادي، وذلك في المراجع الآتية: جبرار جنيت (خطاب الحكاية/مرجع سابق ص 130). برنار فاليط (الرواية. ترجمة عبد الحميد بورايو. د. ط. دار الحكمة. الجزائر. 2002. ص 102) و(النص الروائي/مرجع سابق ص 113). جيرالد برنيس (المصطلح السردية. ترجمة عابد خزندار. مراجعة وتقديم محمد بريزي. ط1. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2003. ص 95).
23. جبرار جنيت: خطاب الحكاية. ص 130.
24. جبرار جنيت: خطاب الحكاية. ص 131. ويبدو أن في هذه المعادلة شبه الرياضية خطأ لم ينتبه إليه جبرار جنيت، ولم يقم بتصحيحه مترجمو كتابه السابق (خطاب الحكاية)؛ فالمعادلة تعبر بشكل عكسي لما يشير إليه مفهوم هذا الشكل. فهو أن يُروى فعل يقوم به الراوي في زمن القصة أو الخطاب/السرد. بينما ما وقع أو حدث هو فعل قائم في زمن الحكاية. وبذلك تكون المعادلة على نحوها الصحيح: (ح 1/ق ن)، لأن وقوع الفعل مرة واحدة في الحكاية تقابلها مرات كثيرة في القصة. وهو ما يخالف المعادلة المذكورة عند جنيت في كتابه (Figures III). ص 147. (nR/1H): فالخطأ وقع في هذه المعادلة وليس في مفهومها الذي ذكره جنيت. وهي ملاحظة علمية وجب التنبيه إليها.
25. جبرار جنيت: المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
26. برنار فاليط: المرجع السابق. ص 113.
27. سمير قسيبي: المصدر السابق. ص 07.
28. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 72.
29. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 35.
30. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 74.
31. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 86.
32. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 102.
33. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 159.
34. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 160.
35. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 171 - 172.
36. جبرار جنيت: خطاب الحكاية. ص 132.
37. جبرار جنيت: المرجع نفسه. ص 131. والأمر نفسه الذي قلناه عن الشكل الثالث من التواتر السردية يمكن قوله كذلك هنا في هذه المعادلة شبه الرياضية التي أشار إليها جنيت؛ ف (أن يروى مرة واحدة في القصة من طرف الراوي معناه ق 1. بينما هذا المقطع في زمن الحكاية وقع أكثر من مرة ح ن). وهو ما يخالف المعادلة المذكورة عند جنيت في كتابه (Figures III). ص 147. (1R/nH): فالخطأ وقع في هذه المعادلة وليس في مفهومها الذي ذكره جنيت.

38. برنار فاليط: المرجع السابق. ص 114.
39. جيرار جنيت: خطاب الحكاية. ص 132.
40. سمير قسيبي: المصدر السابق. ص 08.
41. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 52.
42. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 51.
43. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 91.
44. سمير قسيبي: المصدر نفسه. ص 107.
45. جيرار جنيت: خطاب الحكاية. ص 135.
46. نبيلة زويش: المرجع السابق. ص 121.
47. جيرار جنيت: خطاب الحكاية. ص 155.
48. جيرار جنيت: المرجع نفسه. ص 165.

Problématique des parlers hybrides à l'heure de l'enseignement des langues maternelles au Cameroun*Problematic of hybrid spokes at the time of teaching of maternal languages in Cameroon*

Date de réception : 2018-03-29

Date d'acceptation : 2019-09-24

Piebop Gisèle, Université de Yaoundé I,
giselepiebop@live.fr, CAMEROUN**Résumé**

Les points de vue sont presque unanimes sur la nécessité d'un parler commun à travers lequel tous les Camerounais pourraient s'identifier. Il demeure également évident que pour des raisons de sauvegarde de l'unité et de l'intégration de toutes les couches de la population camerounaise, les parlers hybrides sont les mieux placées pour assumer la fonction de langue nationale. Or on assiste actuellement à un acharnement de certaines parties dont l'Etat en premier, à les mettre hors course. A l'opposé des langues maternelles camerounaises, les parlers hybrides ne font pas l'objet d'un enseignement, alors que dans les faits, ils constituent des langues maternelles ou premières pour une tranche considérable de la population camerounaise. De la sorte, l'objectif du présent article est de tenter de comprendre, dans une approche descriptive, voire sociolinguistique, les raisons de ces choix, ainsi que les retombées que peuvent produire de telles options sur la vie du pays. Eventuellement, quelques suggestions pourront participer à l'amélioration de la situation ambiante.

Mots clés: parler commun, parlers hybrides, enseignement, langues maternelles.

Abstract

The views are almost unanimous on the need for a common talk through which all Cameroonians could identify themselves. It is also clear that for reasons of safeguarding the unity and integration of all layers of the Cameroon population, hybrids languages are best placed to assume the function of national language. Unfortunately we are witnessing a fierce determination by certain parties, amongst which the State, to put them out of the race. This is one of the reasons why contrary to the mother tongues of Cameroon, hybrids languages are not taught, whereas in fact they are mother tongues or first languages for a considerable segment of the Cameroon population. In this way, the aim of this article is to try to understand, in a both descriptive, and sociolinguistic, approach the reasons for these choices, as well as the effects that such options can have on the life of the country. Possibly, some suggestions may help to improve the situation

Keywords: common language, hybrid languages, teaching, mother tongs

المخلص

وجهات النظر حول الحاجة إلى حديث مشترك يمكن من خلاله التعرف على جميع الكاميرون. من الواضح أيضًا أنه ولأسباب الحفاظ على وحدة وتكامل جميع شرائح السكان الكاميرونيين، فإن اللهجات الهجينة في وضع أفضل لتتولى وظيفة اللغة الوطنية. لكننا نشهد حاليًا بعض الأطراف بما في ذلك الدولة تعمل على إخراجها من السباق. على عكس اللغات الأم الكاميرونية، إذ لا يتم تدريس اللهجات الهجينة، في حين أنها في الواقع لغات الأم أو اللغات الأولى بالنسبة لجزء كبير من سكان الكاميرون. ويتمثل الهدف من هذه الورقة البحثية في محاولة فهم أسباب هذه الاختيارات، من خلال المنهج الوصفي، وحتى اللغوي الاجتماعي، وبيان الفوائد التي قد تعود بها هذه الخيارات على لبلد. كما قد تساعد بعض الاقتراحات في تحسين الوضع.

الكلمات المفتاحية: التحدث المشترك، التحدث المختلط، التدريس، اللغات الأم.

Introduction

Dans le but d'enraciner davantage les Camerounais dans leurs cultures, de même qu'assurer la réussite de l'apprentissage en général et des langues officielles précisément, les langues endogènes ont été introduites dans les écoles camerounaises par le décret n°96/06 du 18 janvier 1996, portant révision de la constitution du 02 juin 1972. Toujours en relation avec ce volet socioculturel promu par le gouvernement camerounais, il apparaît que les langues hybrides comme le mboa et le pidgin-english sont actuellement des parlers très populaires du fait des fonctions emblématique et identitaires qu'ils assument. Mais le constat est celui selon lequel ils brillent par leur absence parmi les langues officiellement enseignées dans les écoles camerounaises. Par ailleurs, il est à noter qu'une langue composite à l'instar du Pidgin-english constitue la première langue qu'une bonne partie des Camerounais des zones anglophones du Cameroun surtout, apprennent à parler avant toute autre (Neba, 2006) (Tood, 1983). A ce moment, s'interroger sur la non figuration des parlers hybrides dans le processus d'enseignement-apprentissage dans les écoles camerounaises devient inéluctable. Quel avenir est-il réservé à ces parlers locaux au moment où les langues maternelles sont enfin autorisées à être enseignées ? La préoccupation d'un parler commun constituant l'actualité des débats aussi bien scientifiques que profanes dans le pays, l'enseignement des parlers hybrides n'apparaît-il pas comme une solution à ce problème dans le mesure où cela faciliterait et accélérerait leurs processus de standardisation et de normalisation ? Pour résoudre cette préoccupation, le travail s'appuiera sur une démarche non seulement éclectique, mais également transdisciplinaire intégrant à la fois la méthode de l'observation, la méthode descriptive et contrastive et la méthode d'analyse du texte littéraire francophone. Cette conjugaison de méthode concourra à mettre en lumière les situations auxquelles font face le pidgin-english et le camfrangalais au moment de l'effectivité de l'insertion des langues maternelles dans le système scolaire camerounais. Par la même occasion, elle permettra de mieux mettre en exergue les

fondamentaux structuraux et fonctionnels que revêtent ces parlers, et qui auraient dû les prédisposer à plus de valorisation.

I. Historique

La cohabitation d'une multitude de langues au Cameroun a donné naissance à des parlers composites. Une langue composite peut donc être comprise comme cette langue née des contacts entre plusieurs langues cohabitant sur un même territoire. Il en découle un mélange de toutes ces langues en présence et de leurs structures ; ce qui en fin de compte génère un produit syncrétique qui vise en général la consolidation ou la fédération des parties en présence. Ces sociolectes remplissent aussi pour la plupart, des fonctions véhiculaires et parfois identitaires, lorsque ce ne sont pas les deux à la fois. Au Cameroun, les plus représentatives sont le pidgin-english et le mboa.

I.1. Le Pidgin English

Le pidgin-english est une sorte d'idiome qui est né au dix-huitième siècle quand l'anglais britannique est entré en contact avec les langues bantoues de la côte ouest africaine. À cette période, les Camerounais scolarisés en anglais faisaient des emprunts à l'anglais dans leurs discours en langue locale, pour exprimer des réalités nouvelles. Effarés par la brillance intellectuelle des scolarisés, les illettrés prirent le relais de ces nouvelles lexies. Ils furent de la sorte à l'origine de l'intégration morphologique de nouveaux termes qui à la longue, s'éloignèrent peu à peu de l'anglais pur, pour ne devenir simplement que du pidgin-english. Cette nouvelle langue prit très vite de l'expansion et joua d'ailleurs un rôle incontestable dans les interactions communicationnelles informelles et parfois formelles, entre les locaux d'une part, et même entre les locaux et les puissances coloniales, à un niveau national et même international d'autre part. On peut même dire qu'en cette période, elle faisait office de langue officielle, nonobstant son statut illégal et non normé. TABI MANGA (2000 : 17) partage cet avis lorsqu'il affirme que :

Malgré le rôle primordial que jouait linguistiquement la langue duala dans le dispositif baptiste d'évangélisation, émergeait concomitamment une langue efficace et concurrente

: le pidgin-english. Par la suite, cette lingua-franca qui était de l'anglais pour les Camerounais, fut utilisée dans toutes les correspondances officielles adressées par les chefs locaux au gouvernement anglais pour demander à ce dernier d'appliquer les lois anglaises au Cameroun. Le pidgin-english fut aussi utilisé par les Chefs Duala dans une demande adressée au Consul Allemand Schultze pour exiger le monopole commercial de la traite et la protection allemande. Cette lettre aboutit le 12 juillet 1884 par la signature du traité d'annexion du Cameroun par l'Allemagne. Les négociations entre les Chefs Duala et le Dr Nachtigal sur le plan linguistique se déroulèrent en pidgin-english. Le pidgin assumait ainsi de facto la fonction de langue officielle ou langue des relations internationales du Cameroun.

Plus tard, les colons allemands et français vont lui vouer une haine sans merci et essayer de l'éradiquer, sans y parvenir. Actuellement, le pidgin-english est présent un peu partout au Cameroun et est devenu une langue véhiculaire. Il essaye autant que faire se peut de combler les mêmes vides que les langues régionales dominantes. Dans les régions anglophones du Sud-Ouest et du Nord-Ouest, le pidgin-english fonctionne non seulement comme véhiculaire, mais il est parfois aussi une langue maternelle ou première pour certains Camerounais. Il est surtout pratiqué au Cameroun dans les zones à forte diversité linguistique comme les pays bamiléké et les Grassfields, ainsi qu'à Douala où le cosmopolitisme a imposé cette langue véhiculaire dans les transactions commerciales. On pourrait affirmer que le pidgin-english demeure la langue la plus parlée dans le pays, car elle sert de langue véhiculaire dans toutes les régions du pays; bref partout où il y a une forte densité de population d'origines bigarrées. En fait, la principale raison de cette propension des Camerounais à parler le pidgin-english au détriment des langues officielles réside dans la grande souplesse de son système malléable et adaptable à souhait au gré de la fantaisie de chaque locuteur. Ainsi y retrouve-t-on une bonne dose d'emprunts provenant de l'anglais, du français, des langues du terroir et même des langues des pays voisins comme le Nigéria, etc. Ce qui au final permet à ses locuteurs de célébrer leur vivre ensemble dans ce pays aux trois cents langues, où l'union des peuples et la forme insécable de l'Etat

comprise dans la devise « one and indivisible » demeurent non négociables selon les dires de son Chef d'Etat. Quelques exemples pour mieux comprendre cette hybridation linguistico-culturelle :

1. Massa a sé njoka bi dé yesterday for Neue-Bell. A say na tchop you bi want siam for dé? (Il y avait la fête hier à Neue-Bell. Il y avait beaucoup de nourriture.)

2. Ma pah tell mi sé he no get doh. All the nkap wé hi gi me na this cinq mil. (Mon père m'a dit qu'il n'avait pas d'argent. Par conséquent, il ne m'a donné que ces 5 000).

3. A say all man tired hi. All man wash hand for hi. (Tout le monde est fatigué de lui. Tout le monde l'a laissé tomber.)

4. Kam so. How you di smell mbouh so? You komot na mbouh house with your maboya them. No bi so? (Approche un peu. Pourquoi sens-tu autant le vin de palme ? Je parie que tu reviens d'un bistro avec tes concubines. Pas vrai ?)

5. One papa cadeau carry mi ontop hi okada for njoh for Molyko go leave me for Bokwango. (Un homme gentil m'a transporté gratuitement sur sa motocyclette.) de Molyko à Bokwango.)

6. Ma ogah don turn na "jama fou" (je m'en fou) now. Whether a bi d'accord or a no bi, hi go dasoh komot. Ma'a dou how? (Mon mari est devenu un dévergondé. Que je sois d'accord ou pas il va toujours sortir. Il n'y a rien à faire.)

Avec le pidgin, c'est le code mixing qui atteint son comble (Piebop, 2015). Dans ces illustrations, on peut clairement identifier les termes: *yesterday, get, all, this, say, tired wash hand, for, how, smell, you, house, with, carry, leave, me, turn whether...* comme appartenant au système linguistique anglais. De même, le français est reconnaissable par : *papa Cadeau, d'accord, jama fou (je m'en fou), cinq mil*. Quant aux langues camerounaises, elles sont représentées par des items naturalisés et désormais reconnus par tous comme faisant partie du pidgin-english : *tchop* (de l'anglais *chew-up*), *komot* (de l'anglais *come out*), *massa* (de l'anglais *master*) et surtout le suffixe passe partout - *iam* qui traduit dans tous les mots indépendamment de leurs origines, la marque déposée du pidgin-english (*siam*). Les extraits témoins contiennent aussi le *mboa* (*doh*), l'éwondo (*maboya*), le moghamo (*mbouh*), le bassa (*njoka*), le ghomala'a

(*nkap*), le bakweri (*Molyko, Bokwango*), le douala (*njoh*). Les dialectes nigériens représentés par *okada* et *ogah* sont aussi de la partie, tout comme l'allemand avec *Neue-Bell*, etc.

L'hybridation est également présente dans le pidgin-english à travers son habileté à utiliser les mots et expressions d'horizons diverses, pour traduire des pensées qui elles relèvent de la sémioculture camerounaise. Ainsi y retrouve-t-on un nombre incalculable de calques syntaxiques et locutionnaires qui traduisent la cosmogonie traditionnelle camerounaise. (Piebop, 2015) Et si les Camerounais en font autant d'usages forts à propos, c'est que chacun, dans sa langue maternelle possède une expression similaire. A ce titre, il est tout à fait clair pour tous les locuteurs du pidgin-english que les interrogations *No bi so? Na tchop you bi wan siam for day? Ma'a dou how?* Ne sont en fait que des formes rhétoriques pour affirmer respectivement que *c'est bien cela, Il y avait beaucoup de nourriture et il n'y a rien que je puisse encore faire.* De même, *kam so (viens comme ça)* bien que dit à travers des mots tirés de l'anglais, ne pose aucun problème de compréhension pour les locuteurs de diverses origines du pidgin-english ; car ils font facilement le lien avec leurs langues maternelles où *viens ici, ou viens là* se traduit littéralement par *viens comme ça*. L'hybridation se perçoit aussi par le calque de syntaxe *laver les mains sur/pour quelqu'un* contenue dans « *All man wash hand for hi* » tiré du troisième exemple qui, à l'aide des termes anglais et pidgin-english reprend plutôt une expression toute faite dans les langues du terroir, qui signifie *renier quelqu'un, laisser tomber quelqu'un*.

Tel qu'il est aisé de le remarquer, c'est la forte dose de mélange et d'alternance de différents codes linguistiques, tout comme la pluralité de structures provenant de la pluralité des langues endogènes camerounaises qui font la force de pidgin-english dans et hors du Cameroun et qui le rendent pérenne. Il en est presque de même d'ailleurs pour le mboa.

1.2. Le Mboa

Par rapport au pidgin-english, la naissance du mboa est nettement plus récente au Cameroun. Sa genèse date d'après l'indépendance du pays, et ce principalement du désir d'intégration de certains

Camerounais, révoltés par les règnes hégémoniques du français et de l'anglais érigés en langues maternelles à cause de leur imposition dans les lieux publics au détriment des langues nationales qui de fait se transformaient en langues étrangères pour les populations. C'est ainsi qu'un groupe de marginaux, des gens de mauvaise réputation surtout, soucieux de crypter leurs communications crée dans les années 1970 une variété de français dite « makro », probablement dérivée du terme « maquereau » signifiant proxénète. Cet argot permet alors à ces gens d'éloigner le reste de la population de leurs sujets de conversation liées à des thèmes tout aussi peu prestigieux tels la drogue, le sexe, les crimes, le jeu, etc (Feral, 1991). Mais progressivement, il va se débarrasser de son étiquette « makro » et s'échapper du cercle restreint où il s'épanouissait jusque là pour devenir un symbole identitaire de groupes plus larges composés dans un premier temps de jeunes de sexe masculin des grandes villes du pays comme Yaoundé et Douala. Il prend alors les appellations de francanglais, mbokotok (parler des marginaux), mboa (pays) (Piebop 2014) ou mboa en abrégé CFA qui est plus expressif. En fait, le mot valise Mboa est une juxtaposition des termes *Cam*(Cameroun), *fran*(français) et *glais*(anglais). Ainsi donc, il s'agit d'un argot métissé de termes et structures provenant prioritairement des langues camerounaises, du français, de l'anglais et aussi des langues africaines et indo-européennes. Par conséquent, il permet à ses utilisateurs de revendiquer leur pluri-identité camerouno-franco-anglaise. Au début, les plus âgés ne voyaient en ce parler qu'un *machin, un truc, un français des délinquants, des rappeurs et des yors*(Feussi 2006: 1). Pourtant, ils épousent de plus en plus les idéaux prônés par ce parler et on pourrait même affirmer qu'actuellement au Cameroun, les statuts non seulement identitaire, mais également atypique et emblématique du mboa ne souffrent d'aucune contestation sociale, car il jouit d'une popularité remarquable, même au sein des populations anglophones qui l'accueillent très positivement (Piebop 2015, 2016, in print). Ce qui peut se comprendre, car le mboa remplit à peu près les mêmes vides sociolinguistiques que le pidgin-english.

Tout comme le pidgin-english, le mboa est constitué de matériaux hétéroclites et épars.

L'échantillon qui suit permet d'en donner une carte d'identité beaucoup plus précise.

Le mboa est d'abord et avant tout composé d'emprunts aux langues maternelles camerounaises dont le pidgin, afin de mieux matérialiser la visée identitaire et emblématique dont il se revendique. (Piebop, 2016) De même, très logiquement le français et l'anglais, tout comme d'autres langues constituent également ses réservoirs lexicologiques en matière d'emprunts. Quelques séquences pour en avoir une idée plus nette.

1. Gars comme tu es busy ô day là, came morrow à la long pour qu'on redjoss sur le way là (Gars puisque tu es occupé aujourd'hui, viens demain à la maison pour qu'on discute à nouveau de notre affaire.)

2. Périca c'est le ho-ha que tu veux me shu? (Jeunhomme veux-tu m'intimider?)

3. C'est quand les gniès vont shiba ici pour te handcuff que tu vas me gi les mains ici au kwat. (C'est lorsque le vais te faire arrêter par la police que tu vas me respecter dans ce quartier.)

4. On te gi les dohs de takesh all les days tu tchop pour ndangoua hein? (Tu dépenses l'argent de taxi qu'on te donne tous les jours pour aller à pied?)

5. Ma réme et mon pater djoss toujours qu'on langwa nos cahiers comme si on était devenu les kuntakinté. Je wanda même sur eux ! Eux aussi langwaient flop quand ils étaient mounas? Donc ils n'enjoyaient même pas souvent ? La mimbayance leur donne même quoi ? (Ma mère et mon père disent toujours que nous devons apprendre nos leçons, comme si nous étions devenus des esclaves. Ils m'étonnent vraiment ! Apprenaient-ils aussi autant quand ils étaient petits ? Donc ils ne s'amusaient jamais ! Ils prétendent beaucoup !)

6. Pardon la ngope que tu tchombé nyangalement comme mbenguiste là, c'est la chintok. Il faut souvent bé les wé poppo. (S'il te plaît la chaussure que tu portes en te vantant comme si tu revenais d'Occident là est bon marché. Il faudrait prendre l'habitude d'acheter des choses authentiques.

7. Dis donc, le dybo si ya moh tcham sa ngah mal mauvais. (Ce jeunhomme adore frapper sa petite amie.)

Dans le melting pot linguistique qui caractérise les extraits qui précèdent, relèvent du

français les termes : *gars, comme tu es, à la, c'est, tu veux, quand, les mains, ici, était devenu, cahiers...* L'anglais est signalé par : *all, days, came, ways...* Le pidgin-english est utilisé pour *tchop, wanda, poppo...* tout comme les termes naturalisés dans le mboa sont : *ya moh, gi, mimbayance, etc.* On retrouve aussi les langues endogènes avec : *mounas, ndangoua, shiba, langwa, ngope, tchombé, ho-ha, mbenguiste...*, le latin avec : *pater, etc.*

Il est à relever que la plupart des termes empruntés par le mboa y arrivent étant déjà hybridés parce qu'ayant d'abord transités par d'autres langues où ils ont perdu certains sèmes pour en revêtir d'autres. On peut mentionner à ce sujet *show(anglais) = shu, shoam (pidgin-english) = shu (mboa), give (anglais) = gi, givam (pidgin-english) = gi(mboa).*

Lorsque tel n'est pas le cas, ces emprunts sont marqués du sceau identitaire à travers des processus d'hybridation par altérations morpho-phonético-phonologiques. Ce qui en fin de compte modifie légèrement les écritures et les prononciations initiales des mots et en créent d'autres typiquement mboa cette fois. On peut l'observer dans : *hear (anglais) = ya (mboa), petit(français) = perica(mboa), girl (anglais) = ngah(mboa) quarter(anglais)=quata (pidgin-english) = kwat(mboa), taxi (français) = takesh /tako(mboa), tomorrow (anglais) = morrow (mboa) etc.*

Le métissage se fait aussi généralement au moyen de la dérivation où les affixes d'un système linguistique s'accrochent à ceux d'un autre. C'est le cas avec les items *oday, redjoss, mimbayance, mbenguuiste* et *nyangalement*. En effet, *oday/auday* est formé de la particule française *au-/ô* et de celle anglaise *-day* pour signifier *aujourd'hui*. *Redjoss*, lui, est formé du préfixe français *re-* qui signifie *de nouveau*, et de la racine mboa *-djoss* pour signifier *parler de nouveau*. *Mimbayance* est formé de racine pidgin *mimba-* et du suffixe français *-ance*. *Mbenguiste* quant à lui est composé de la racine endogène bassa *mbeng* ou *mbengue* et du suffixe français *-iste* pour désigner un émigré en Occident. Pareil pour *nyangalement*, formé du terme douala *nyanga-* et de l'affixe *-ment* des adverbes de manière en français. Les verbes *langwaient* et *enjoyaient* suivent la même procédure, car partent

des items douala *langwa-* et anglais *enjoy-*, auxquels sont accolés les terminaisons françaises de la troisième personne de pluriel de l'imparfait de l'indicatif *-aient*.

Tel qu'il paraît ici les parlers hybrides les plus en vogue au Cameroun que sont le pidgin-english et le mbokotok, camfranglais, francanglais ou mboa naissent du vœu des Camerounais de rester unis et intégrés malgré la pluralité de leurs langues, de même que du refus d'assimilation par les peuples et langues d'origines étrangères, en l'occurrence les Français et les Anglais. Ces parlers constituent la mémoire collective du peuple camerounais. Les nier reviendrait donc simplement à décréter la mort de l'âme des Camerounais. Les Camerounais en sont certainement conscients ; c'est peut-être ce qui justifie la prospérité dont jouissent ces parlers.

II. l'expansion des parlers hybrides au Cameroun

Le pidgin-english et le mboa ou CFA jouissent d'une très bonne santé au Cameroun. En fait, ce sont des sociolectes et en tant que tels, ils s'imposent dès lors qu'il est question de communication informelle ou qu'il s'agit d'atteindre un vaste auditoire.

II.1. Le Pidgin English

Pour ce qui est du pidgin-english qui fut la première langue composite à s'installer au Cameroun et ce depuis le 18^{ème} siècle dès les premiers contacts avec les Européens, il est logiquement plus influent sur le triangle national. Le multilinguisme du pays aidant, c'est lui qui vient au secours des personnes illettrées, ceux qui ne partagent pas les mêmes langues ethniques ou qui sont monolingues dans les langues officielles. La quasi-totalité des chaînes de radio et de télé non gouvernementales l'utilisent pour atteindre un auditoire varié et en grand nombre. Le pidgin-english se déploie également dans les lieux de regroupement tels que les églises qui du reste possèdent déjà une abondante documentation dans cette langue (les tracts, les bibles, des films et autres enregistrements audio-vidéo) et qui l'utilisent pour prêcher la bonne nouvelle. Le pidin-english trouve aussi un terrain fertile lors des meetings politiques et surtout pendant les périodes de campagnes

électorales ; offrant de la sorte des scènes assez cocasses où même les membres du gouvernement qui sont sensés être le reflet du bon usage des langues officielles se retrouvent obligés de battre campagne en pidgin-english, ou du moins font interpréter leurs discours dans cette langue afin d'atteindre leurs objectifs politiques.

En outre, il n'est pas exagéré de noter que les domaines d'extension du pidgin-english vont au-delà des frontières nationales (Chia, 1990). On pourrait évoquer à ce titre les interactions avec les populations des pays voisins ou non francophones tels le Nigéria, le Ghana qui ont en commun un pidgin assez compréhensible par les Camerounais. Cela justifie d'ailleurs la grande consommation des films en provenance de ces pays sur le territoire camerounais (Piebop, 2015). Dans un pays hispanophone comme la Guinée-Équatoriale qui draine un nombre sans cesse exponentiel de Camerounais et d'autres étrangers du fait de ses ressources naturelles, c'est également le pidgin-english qui prime dans les échanges professionnels, dans les chantiers de construction, les marchés qui pour la plupart sont ravitaillés par les Camerounais, etc.

Par ailleurs, le pidgin-english fait aussi parler de lui au sien de la diaspora. La majorité des Noirs qui se retrouvent à l'étranger font en général usage du pidgin-english lorsqu'ils ne partagent pas les mêmes langues où alors quant ils se retrouvent dans les lieux de regroupement où ils désirent instaurer une intercompréhension, ou alors crypter leur communication dans le but d'en écarter les intrus.

En bref, grâce à son statut, aussi minable soit-il, de langue de masse et surtout à son extrême souplesse, le pidgin-english jouit d'une expansion qui traverse les frontières du Cameroun. Tout le monde y trouve son compte. C'est une langue idiosyncratique du peuple que tous les Camerounais en général comprennent et peuvent parler, même si pour des raisons idéologiques ; de prestige et parfois mal cernées, certains, des intellectuels surtout préfèrent s'abstenir de l'utiliser, tout comme le mboa d'ailleurs.

II.2. Le Mboa

A la différence du pidgin-english qui a pluralisé son auditoire et qui est entré dans l'écrit

depuis la période impérialiste avec les interactions officielles des colons douala signalés tantôt, le mboa à son origine était essentiellement oral et réservé à la tranche jeune de la population francophone urbaine camerounaise. Voilà pourquoi on le parlait en général dans les marchés où les vendeurs même âgés l'utilisaient comme stratégie de marketing lorsque leur cible communicative réfère à la jeunesse, dans les rues, sur les campus scolaires... Plus tard, il a étendu son public aux moins jeunes et même aux populations anglophones (Piebop, 2016) qui au départ faisaient partie de ceux que les jeunes Francophones voulaient exclure de leurs conversations (Piebop, in print). Qui plus est, certains journaux publics se chargent d'enraciner ce parler sous sa forme graphique. C'est entre autres le cas du *Messenger Popoli*, *Le Satirik small no bi sick* et même le quotidien gouvernemental *Cameroon Tribune*, avec « L'homme de la rue ». Les missionnaires catholiques du collège Vogt ont également opté pour l'usage du mboa dans leur mensuel "100% jeunes" pour éduquer les jeunes Camerounais. Les radios les télévisions et même Internet ne sont pas en reste dans cette mission d'enracinement et de vulgarisation du CFA. C'est le cas avec Tony Nobody, l'ex sociétaire du groupe de chanteur "Bantou pôsi" et actuellement auteur-compositeur chanteur de chansons rap et par ailleurs animateur à la radio Sweet FM à Douala, qui tatoue ses chansons d'une bonne dose de CFA. Il en fait usage dans son émission " Bled city" qui fait la promotion des musiques urbaines camerounaises exclusivement et exhorte ses invités en faire autant. Sans compter qu'il est actuellement l'initiateur du concept ou projet dénommé "Mboa" qui prône le développement du Cameroun et de ses valeurs culturelles par les Camerounais.

En outre, évoluant tout en s'arrimant aux exigences modernes, le CFA trouve à l'heure qu'il est en les TIC un véritable champ fertile (Eloundou Eloundou, 2016), (Telep, 2014) où les internautes d'ici et d'ailleurs soucieux de traduire leur identité camerounaise exhibent le mboa dans tout son éclat et ne manquent d'ailleurs pas d'y mener des réflexions dignes de spécialités accomplies des questions de langues camerounaises. Ces sites sont variés (www.camfoot.com, www.grioo.com,

www.etounou.free.fr, forumbonabéri.com, cameroon-info.net...). La globalisation faisant de l'homme un globe trotter, le mboa a fini par s'exporter à l'étranger avec la diaspora camerounaise qui ne manque pas de l'enraciner partout où elle se trouve et d'éblouir d'autres communautés. On en veut pour exemple l'usage du Mboa par ce musicien français dénommé Alex dans sa chanson "Le pays est sucré" où on peut retenir l'extrait : « Mes frères arrêtons de whitiser, moi je dis qu'il faut camerouniser ».

On le constate, le pidgin-english et le mboa bénéficient d'une vitalité et indéniable au Cameroun et hors du Cameroun. Le nombre sans cesse croissant de leurs locuteurs témoigne sans aucun doute de leur accueil bienveillant par les populations qui voient en eux des vecteurs de leur identité, leur unité et leur intégration dans le pays aux trois cents langues. Le constat de leur expansion fulgurante fait l'unanimité (Feussi, 2006) (Tsofack, 2006), (Kiessling, 2005), (Chia, 1990), (Panji, 2011), (Neba, 2006) et il ne serait d'ailleurs pas malvenu de dire qu'à moins d'un génocide (option la plus sûre pour éliminer une langue) organisé pour supprimer tous les locuteurs de ces deux parlers, ils continueront leur ascension vers les cimes. Malgré cette évidence, l'Etat persiste à les délaisser et à les écarter du processus d'enseignement-apprentissage au profit des langues officielles et maternelles alors qu'aucune de celles-ci ne bénéficie leur notoriété.

III- Exclusion des langues hybrides de l'enseignement

La section précédente l'a démontré, le pidgin-english et le mboa assument des fonctions sociales très représentatives et à ce titre, on se serait attendu qu'ils soient les premières langues identitaires camerounaises à être officiellement insérées dans le système scolaire du pays. Or, force est de remarquer qu'ils sont exclus de cette entreprise scolaire d'enracinement et de vulgarisation des langues endogènes. Malgré la volonté exprimée par le peuple camerounais de se forger une identité, de s'unir et de s'intégrer à travers ces sociolectes, l'Etat voit plutôt les choses d'un autre œil et fournit des raisons qui sont loin de convaincre le commun des Camerounais.

La première raison avancée par l'Etat pour

justifier la non prise en compte du pidgin-english et du mboa dans le processus d'enseignement des langues maternelles réside dans ce qu'il est pour lui question de promouvoir des langues typiquement camerounaises. Or ces sociolectes ne le sont pas, car ils ne figurent dans aucun des trois phylums (nilo-saharien, afro-asiatique et niger-congo-cordofanien) auxquels appartiennent les langues camerounaises. Le pidgin-english est d'origine indo-européenne (Piebop, 2014), Boum Semengue (2003 : 28) tandis que le mboa est constitué d'un mélange d'une pléthore de langues aussi bien camerounaises qu'étrangères (Piebop 2016), (Ntsobe et al ; 2008), Kiessling (2005). Ils ne sont en général mentionnés dans l'atlas linguistique du Cameroun qu'après avoir citer les autres langues essentiellement camerounaises. Mais on pourrait toujours se demander si les influences camerounaises qu'ont jusque là reçu ces sociolectes n'ont pas toujours réussi à les naturaliser. Cette situation paraît d'autant plus préoccupante qu'il existe une tranche non négligeable de la population camerounaise, en l'occurrence celle des régions anglophones pour qui le pidgin-english est la langue qu'ils entendent et parlent avant leur contact avec l'école. Et pour les non scolarisés, cette langue demeure la seule utilisée dans toutes les interactions et à travers laquelle ils vivent leur identité camerounaise.

En plus, ce mépris de l'Etat camerounais pour les parlers hybrides vient aussi du fait qu'en plus de ne pas avoir des racines purement africaines, ils ne constituent même pas des langues à proprement parler à ses yeux. Il ne voit en eux que des argots, des télescopages des langues d'origines diverses qui sont loin de fonctionner de manière autonome. Ainsi en est-il du pidgin-english dominé par un vocabulaire anglais et qu'en termes diglossiques, certains assimilent à sa variété basse (Piebop, 2014). De même, le mboa ne bénéficie pas d'un système autonome du fait du rapprochement de sa structure à celle du français (Tsofack, 2006), (Piebop, 2016), (Eloundou Eloundou, 2016), (Ebongue et Fonkoua, 2010), ce qui n'en fait au finish qu'une variété du français. C'est d'ailleurs pourquoi Ntsobe et al.(2008 : 8) utilisent le terme *parlure* plutôt que langue pour le désigner. Il demeure vrai que le rapprochement de ces sociolectes aux systèmes linguistiques anglais et

français, de même que leur extrême flexibilité les empêche de s'autonomiser, rendent leur codification plus ardue, au point où certains ne voient en eux que des argots. Mais cessent-ils pour autant de constituer le patrimoine linguistique et culturel du Cameroun ? Il est pratiquement impossible de convoquer l'histoire des langues du Cameroun sans mentionner en bonne place les phénomènes du pidgin-english et du mboa. Et étant entendu qu'il existe des Camerounais qui les ont pour langue première, maternelle, il serait tout à fait judicieux de leur accorder le statut de langue à part entière et de les mettre au même pied d'égalité que les autres langues du terroir.

Parmi les nombreuses raisons justifiant la mise à l'écart des parlers composites du système scolaire camerounais, figure aussi en bonne place celle selon laquelle ils nuisent à la bonne maîtrise des langues officielles (Nzesse, 2005), (Tsofack, 2006). Selon les auteurs de cette motion qu'entérine l'Etat, la grande marge d'extensibilité qui caractérise le pidgin-english et le mboa ne contribuent qu'à encourager l'illettrisme. Il est à préciser que le projet du PROPELCA (Programme de Recherche Opérationnelle Pour l'Enseignement des Langues au Cameroun) d'insertion des langues à l'école sur lequel Tadaadjeu a travaillé d'arrache pied depuis 1977 et que l'Etat a approuvé, partait du postulat selon lequel la réussite scolaire reposait avant tout sur la réussite linguistique d'un pays multi et plurilingue comme le Cameroun. Voilà pourquoi pour donner aux Camerounais un type d'éducation assez authentique, il était question « d'utiliser les langues locales comme instrument d'éveil de l'esprit scientifique et technologique à partir des jeux traditionnels, de l'environnement immédiat... des techniques et des industries traditionnelles ». (Tadaadjeu, 1990 : 15). Pour lui, il faudrait d'abord enseigner les langues locales ou maternelles aux enfants, car en commençant par la langue que l'enfant connaît déjà, on augmente la capacité de l'enfant à acquérir des connaissances et à comprendre d'autres langues. Alors, dans la mesure où les parlers hybrides constituent non seulement des langues maternelles pour des Camerounais, mais également les langues véhiculaires qu'ils connaissent et parlent le mieux et avec plus d'enthousiasme, ne serait-ce pas pénaliser ou saper

l'éducation de cette catégorie de la population de plus en plus croissante que d'exclure les parlers hybrides du système scolaire camerounais ? A la réalité, la problématique des parlers hybrides n'a jamais été un long fleuve tranquille au Cameroun, quel que soit l'angle d'abord, aussi a-t-elle toujours mis des parties aux antipodes.

IV. Les débats autour des parlers composites.

Si les parlers hybrides sont exclus du système éducatif camerounais malgré toutes les charges historique, sociale, démographique, culturelle et identitaire qu'ils drainent avec eux, cela est certes d'abord imputable à l'Etat qui demeure le principal gestionnaire des langues dans un pays, mais également aux spécialistes et autres aménageurs linguistiques qui bien que tous conscients que ces sociolectes constituent des phénomènes sociaux qui s'imposent à tous, ne s'entendent pas toujours quant aux traitements qui devraient leur être réservés.

En fait, le gouvernement est conforté dans sa position par un ensemble de chercheurs, dont Essono (1997) qui, parlant du mboa pense que rien de bon ne peut sortir ne peut sortir de ce parler. Lobe Ewane (1989:9) voit plutôt en lui une sorte de « vandalisme linguistique », tandis que Nzesse (2005), après l'avoir pourtant précédemment loué en disant qu'il « est pour les jeunes Camerounais une manière de revivre le bilinguisme camerounais. (2004 :255) retourne subitement sa veste pour ne voir en le mboa qu'une « langue de la rue (2005 : 180), fruit de l'illettrisme qui enferme ses locuteurs dans une sorte de ghettos linguistique (2005 : 182) et constitue de ce fait une sérieuse menace à la consommation de la langue française au Cameroun. Et si tel est cas, l'insertion du pidgin-english et du mboa dans les écoles ne viendrait-il pas à point nommé pour les sortir des ghettos et les élever à des statuts plus enviables ?

On comprend simplement que selon ces linguistes, la politique linguistique actuelle du pays en matière de langues nationales ne devrait accorder aucun égard aux parlers hybrides qui seraient entre autres victimes de leurs origines non camerounaises. Cela s'est d'ailleurs ressenti dans les travaux de Tabi Manga (2000). Pareillement, les propositions du *profil idéal* faites par Tadadjeu dans son projet

PROPELCA, ne prenait en considération les langues véhiculaires que comme subsidiaires, l'essentiel étant pour lui de pratiquer les langues maternelles, qui pour lui sont exclusivement des langues d'origine camerounaise. C'est d'ailleurs la raison pour laquelle Feussi (2004 : 22) est intervenu afin de suggérer d' « accorder un regard plus attentif à la configuration linguistique urbaine pour une meilleure intégration nationale. » Il ne fait l'ombre d'aucun doute que le mboa, le pidgin-english et les parlers hybrides en général constituent de solides véhicules urbains. A ce titre, leur prise en compte permettrait d'évaluer et de comprendre plus objectivement le dynamisme social et linguistique actuel des Camerounais, dans la mesure où seul le terrain pourrait effectivement rendre compte de cette nouvelle donne où les comportements modernes sont à tous points de vue beaucoup plus complexes.

Malgré ces recommandations, l'Etat ne va pas se gêner à mettre son fichier linguistique à jour en tenant compte ne serait-ce que du pidgin-english et le mboa qui actuellement sont les parlers composites plus expansifs au Cameroun. Ces deux derniers ne figurent pas parmi les langues qui font l'objet de formation des enseignants, encore moins des élèves et étudiants. Le dédain du gouvernement à l'endroit de ces sociolectes donne parfois l'impression d'un réel désir de maintenir le Cameroun dans une sorte de dépendance linguistique qui engendre d'autres types de dépendances. On en veut pour preuve non seulement leur absence dans les écoles, mais également les nombreuses entreprises de dissuasion des Camerounais sur les médias étatiques, à l'instar de ce sketch « le Mboa » tournant en boucle sur la CRTV télévision, montrant un parent anglophone, menaçant ses enfants et leurs amis parce qu'ils s'expriment en mboa et bannissant cette langue de sa maison parce que dit-elle, ce parler est « a language that is neither French nor English ». Et là on comprend clairement que cette campagne de dissuasion se fait au profit des langues officielles que sont le français et l'anglais. Les zones anglophones ont jadis usé de méthodes similaires pour contraindre les populations à se passer du pidgin-english au profit des langues officielles dans les lieux formels, en postant dans tous ces lieux des pancartes du genre « Drop your pidgin here »,

« Don't speak pidgin-english on campus ». Pourtant, on a l'impression que tous ces efforts du gouvernement pour anémier les parlers hybrides et tonifier le français et l'anglais produisent plutôt des résultats inverses sur les locuteurs. Au contraire, les matraquages médiatiques et autres injonctions semblent plutôt conforter et aguerrir les populations dans leur position, lorsque l'on voit à quelle vitesse éclaire ces parlers gagnent du terrain. Une illustration en est cette scène inénarrable au cours des investigations où devant l'une des nombreuses inscriptions sur les murs des classes du lycée bilingue de Molyko-Buea, précisément celle disant : « Don't speak pidgin on campus », un élève de Upper sixth Art s'exclame en pidgin-english qui est justement prohibé dans le message : « You see whéty wé they writ for war ? They no wan séh may wu tolk pidgin for here » (Vois-tu ces inscriptions sur le mur, ils ne veulent plus que nous parlions le pidgin ici.) et son camarade de renchérir « They di cazz, they get time for waste. » (Ils sont fous. Ils ont du temps à perdre.) A l'université de Buéa qu'on pourrait à raison appeler l'université des grèves du fait du nombre fréquent des grèves qui y ont cours, on a l'impression qu'ils sont dépassés par les événements. Les mêmes inscriptions interdisant le pidgin-english sur le campus qui étaient postées presque devant tous les amphithéâtres ont disparu. On pourrait fort à propos voir en cela un signe de lassitude ou de fléchissement du gouvernement, même si les hypothèses de l'usure du temps, d'un changement de décor ou d'une réorientation des priorités par l'équipe dirigeante en cours ne sont pas à négliger. Car il est également probable que les administrateurs de cette université soient plus occupés à la gestion des grèves qu'au renouvellement des plaques interdisant le pidgin-english au bénéfice des langues officielles. De même, il n'est pas exclu qu'ils aient compris que les causes de la non maîtrise des langues officielles n'avaient rien à voir avec l'usage des parlers hybrides.

A travers ces assauts contre les sociolectes, l'Etat entend réduire, voire annuler des échecs scolaires en général et la mauvaise acquisition des langues officielles. C'est un fait que les langues hybrides possèdent des traits idiosyncrasiques spécifiquement camerounais et que pour cette raison,

ils constituent des langues maternelles pour certains Camerounais. Alors pourquoi ne pas leur accorder la même attention qu'aux autres langues du terroir ? Il a d'ailleurs été démontré par plusieurs spécialistes (Nzesse, 2005), Chumbow (1996), Makouta-Mboutou (1973) que le raisonnement à partir de l'ordonnement des schèmes de la langue maternelle favorise l'analyse de l'organisation syntaxique des langues étrangères (Makouta-Mbougou (1973 : 93). Et si le gouvernement décide de se passer de ce conseil d'experts, alors il ne doit s'en prendre qu'à lui-même, car loin de corrompre les langues officielles, la connaissance de ces parlers dans les détails permettront plutôt, dans une approche contrastive, de mieux cerner leurs points de convergence et de divergences. Qui plus est, ce serait détourner les débats que de rendre ces parlers responsables de la régression des niveaux scolaires au Cameroun ou encore de la mal-maîtrise des langues officielles. A la vérité, le savoir se retrouve d'abord et avant tout dans les livres, quoi que l'on dise. Et lorsque l'Etat encourage les parents à ne pas offrir des livres à leur progéniture en commandant aux chefs d'établissement de ne pas tenir rigueur aux enfants sans livres sans toutefois prévoir des mesures de contournement comme des fonds livresques, l'inclusion des frais des manuels scolaires dans les frais de scolarité..., il devrait normalement endossé la responsabilité des échecs scolaires en général et dans les langues officielles précisément. Au lieu de s'échiner à éradiquer le pidgin-english, le mboa et les autres parlers composites, le gouvernement pourrait améliorer l'apprentissage de ces langues officielles qui le préoccupent tant en s'attaquant efficacement et définitivement aux effectifs pléthoriques et invivables des salles de classes au Cameroun qui transforment le travail de l'enseignant en un véritable parcours de gladiateur. Car dans ces conditions, on ne saurait s'attendre à un miracle. Et là, il n'est nullement question d'annoncer comme l'a fait le ministre des enseignements secondaires au mois de septembre 2016 la réduction de ces effectifs par classe sans avoir au préalable construit des salles de supplémentaires pour recaser le surplus d'enfants dans les classes initiales, mais d'opérer la démarche inverse.

En outre, un autre point de discordance en

rapport avec les parlers hybrides qui anime actuellement les débats au Cameroun repose sur le désir de construction d'un Etat moderne caractérisé par le choix d'une ou de deux langues parlées par l'ensemble de la population, à l'instar du Sango en République centrafricaine, le kirunda au Rwanda... Malheureusement, ce choix est loin d'être une partie de plaisir, compte tenu du contexte plurilingue du pays. Ce problème ne semble en rien concerné l'Etat qui déploie tous ses efforts à la promotion du français et de l'anglais, qui tout comme les parlers hybrides dont il se plaint, ne sont pas d'origine camerounaises, mais jouissent paradoxalement de privilèges tous genres, contrairement aux langues du terroir. Tabi Manga (2000 : 173-174) décrit justement cette situation lorsqu'il déclare que :

La problématique du choix d'une langue nationale, au regard du plurilinguisme camerounais, a abouti à une impasse en rendant improbable toute décision politique. À cette difficulté s'ajoute l'absence de statut véritable pour les langues, aucun texte législatif ni réglementaire qui définisse leur place, rôle et fonction dans la société. Seules les langues officielles de travail, le français et l'anglais, du fait de la promotion politique du bilinguisme, ont vu leurs missions objectivement définies dans les différentes versions actualisées de la constitution [...]

Néanmoins, la clairvoyance de toutes les parties les édifie sur le fait qu'aucune langue ethnique ne peut assumer cette fonction ; d'où l'option de certains pour les langues officielles actuelles et des autres pour les parlers hybrides.

Pour les premiers, couronnés par le gouvernement, l'usage unique et exclusif du français et de l'anglais désarçonne les tentions ethniques et consolide l'unité et l'intégration nationale Nzesse (2005). Or dans l'autre camp, Tamanji (2008) rappelle que les Camerounais sont peut-être unis, mais pas intégrés dans leur pays, car il existe des classes qui voient en l'usage du français et de l'anglais même après l'indépendance, la perpétuation de l'impérialisme occidental, à cause de leur inaptitude à exprimer les besoins endogènes. C'est d'ailleurs pourquoi Ntsobe et al. (2008 :8) perçoivent dans l'émergence des parlers hybrides et du camfranglais précisément, de même que son érection en langue nationale, le début d'une véritable

révolution socioculturelle au Cameroun. Car disent-ils, il constitue une langue de résistance contre l'impérialisme linguistique grâce à sa discontinuité lexicale avec le français.

Pour ce qui est du pidgin-english des arguments similaires sont avancées par ses défenseurs au profit de son enseignement dans les écoles et de son érection en langue nationale Ngijol (1964), Mbangwana (1983), Ayafor (2005), (Panji, 2011). Ils font d'elle la langue de tous les Camerounais de par sa structure proche des langues maternelles sans pour autant qu'elle réfère à une tribu, religion ou gouvernement particulier du pays. En plus, sa grande popularité permettrait de réaliser des économies au cours de son processus de normalisation. Tood (1983) se résume en ces termes:

There would be a few linguistic or financial problems in the adoption of Cameroon Pidgin english as a language of education. It is widely understood, a shared lingua franca with Cameroon's African neighbours and, while rarely the only mother tongue of a child, is often one of the first languages he hears. It has long been used as a vehicle for Cameroon culture and has been found perfectly capable of expressing Christian teaching, parliamentary proceeding and financial negotiations.

En effet, dans la mesure où sa longévité et sa véhicularité ne souffrent d'aucun doute et que de nombreux camerounais l'utilisent comme langue première, il est bienvenu pour réduire les coûts prohibitifs de normalisation et de standardisation.

Ainsi ces parlers composites apparaissent comme les plus à même de résoudre la problématique d'un parler commun au Cameroun, car ils bénéficient déjà d'atouts qui contribueront à alléger la tâche au gouvernement. En fait, ils bénéficient comme on l'a vu tantôt d'une puissance numérique et économique incontestables, sans compter leur statut de « no man's language » c'est-à-dire la langue d'aucune des ethnies endogènes. En plus, il existe une documentation déjà disponible pour faciliter leur promotion, signe de leur stade de codification avancé. Ce qui réduirait les dépenses pour le porte-feuille de l'Etat s'ils étaient appliqués dans le système scolaire (Piebop, 2014), Echu (langues in question). Ce revient à dire qu'il ne leur

manque que le pouvoir politique pour pleinement rayonner. Pouvoir qui s'avère d'ailleurs **confisqué** exprès par l'Etat, car ils sont paradoxalement absents du système scolaire alors qu'ils jouissent des luxes que ne s'offre actuellement aucune des langues maternelles du pays, qui elles font bien l'objet d'un enseignement. Alors comment voir en ce comportement autre chose qu'un complot de sabotage par l'Etat de ces langues majoritaires pourtant adulées par la population au bénéfice des langues officielles surtout ? Au point où on en est, il est plus que jamais urgent d'intégrer les aspirations du bas peuple dans les décisions politiques afin de garantir le développement durable auquel aspire le peuple camerounais tout entier.

V. Développement durable des langues camerounaises et participation glotto-profane.

Le gouvernement camerounais est passé ces derniers temps maître dans l'art de prendre des décisions qui n'ont rien à voir avec les besoins réels et le vécu de son peuple.

En rapport avec l'éducation, on peut rappeler la sortie du ministre des enseignements secondaires en septembre 2016 qui s'est contenté d'ordonner officiellement le respect des nombres réglementaires des élèves par salle de classe sans s'être au préalable imprégné de l'environnement scolaire ambiant. Résultat, la réalité l'a rattrapé et il a été obligé de revenir sur sa décision en parlant cette fois d'un arrimage progressif à cette donne, compte tenu des plaintes fusantes de partout et des magouilles et autres formes de marchandages dans les écoles occasionnées par cette décision utopique. De telles précarités dans les décisions et surtout des échecs dans la gestion des affaires du pays continueront d'être légion tant que le bas peuple ne fera pas l'objet d'une consultation préalable sur les questions qui engagent la prospérité du pays. Et en ce qui concerne spécifiquement l'aménagement linguistique du Cameroun, il ne peut vraiment produire des fruits qu'en prenant en ligne de compte les désirs, les volontés de la société dans toutes ses composantes dans une vision macrosociolinguistique. Celle-ci constitue la principale usagère des langues à des fins utilitaires. Guespin et Marcellesi (1986 :8) avaient bien cerné cet aspect primordial et sine qua non de la réussite d'une politique linguistique, voilà pourquoi ils ont tenu à éclaircir qu'

une politique démocratique de la langue exige une information linguistique en deux directions. En direction des « décideurs », qui doivent prendre conscience que les mesures

glottopolitiques ne trouvent leur efficacité que dans la conviction des usagers. Ceci ne passe pas essentiellement par une amélioration de leur rhétorique : tous les usagers doivent participer à l'enquête, à la discussion, à la décision. Les problèmes qui viendront en débat auront nécessairement alors des aspects autres que proprement linguistiques : les responsables devront comprendre que, loin d'organiser seulement un débat sur la langue, c'est forcément dans une confrontation sur les rapports d'interaction entre identité sociale et pratiques langagières qu'ils sont engagés. Cette confrontation a chance d'être surmontée seulement si la masse des utilisateurs est mise en mesure de participer à la réflexion, de formuler ses problèmes, et de dépasser les affirmations d'un pseudo bon sens. Une vaste politique d'information langagière est donc nécessaire, afin d'ébranler des certitudes trop commodes et susceptibles de bloquer le débat ; la négation du droit d'autrui à la parole, par exemple, est largement acceptée ; or, puisque chacun est usager du langage, tous peuvent dire leur mot sur leurs besoins langagiers, et il serait important que tous puissent se forger leurs représentations langagières dans la liberté que donne la connaissance langue (Guespin et Marcellesi, 1986 :8).

En un mot, des options glotto-politiques nationales, sérieuses, et conditionnées devraient être orientées par une synergie des discours à la fois métalinguistiques et épilinguistiques. Mais force est de noter pour le regretter que l'Etat s'accapare les décisions en matière de politique linguistique et exploite des discours métalinguistiques qui très souvent occultent la composante sociale. Pourtant, il faut relever que c'est cette dernière qui a des aspirations sociales. De même, c'est sur elle que repose le développement durable du pays insufflé par les langues. Quelques exemples : La loi n°2004/018 du 22 juillet 2004 organisant les modalités de promotion des langues au niveau des départements n'avaient aucunement requis l'approbation des populations concernées avant d'être promulguée. Il en est de même de celle n° 2004/019 relative à la gestion des langues au niveau des régions du pays. Le scénario est similaire avec l'arrêté n° 08/223/MINSUP/DDS du 03 novembre

2008 portant création de la filière *Langues et cultures camerounaises* à l'Ecole Normale Supérieure de Yaoundé I.

L'objectif de cette intégration de la masse dans les processus décisionnels qui les engagent ne consiste pas tant à valider absolument leurs doléances, mais bien plus à les comprendre, les analyser et de leur montrer qu'une attention particulière leur est accordée et que les décisions sont prises en toute objectivité. Les décisions adéquates ainsi prises consacreront une gestion efficiente et efficace des langues camerounaises. Pour ce faire, l'Etat pourrait porter son choix sur des sondages publics d'opinion, des referenda, etc. Ce qui lui permettrait d'intégrer les doléances de la majorité de la population, si ce n'est la totalité dans les décisions en rapport avec l'intérêt de la nation tout entière, avant de se prononcer en dernier ressort. En plus, la nouvelle technologie a développé des moyens de plus en plus aisés de sonder avec objectivité les aspirations des masses. C'est le cas des fora, des sites d'échange où on peut facilement faire des votes sans se déplacer de chez soi si l'on est connecté. Aussi a-t-il été question dans cette pénultième section parcourir quelques fora qui grâce à l'anonymat requis à travers des pseudonymes des posteurs permet aux participants de lieux et d'origines diverses de s'exprimer librement. Du fait des sujets liés aux problèmes des parlers hybrides au Cameroun, deux de ces fora ont été retenus : *forumbonabéri.com* (FBC) et *cameroon-info.net* (CIN). Les thèmes « New language for divided Cameroon », « Dico mboa, langues maternelles, préalables pour le développement », « La conjugaison mboae », « Et la langue est... » Ont donné l'occasion d'en dégager quelques extraits à titre indicatif afin d'examiner les positions de cette composante sociale par rapport au pidgin-english et au mboa au Cameroun.

8. AUCUNE ! Je dis bien AUCUNE ! C'est nada, nièt (**non**), hors de question ! D'ailleurs, si ça ne dépendait que de moi on devait interdire l'usage de ces langues nationales dans tous les lieux publics. Le patois c'est pour le village et la maison ! Je préfère même encore qu'on érige le camfran en langue officielle. Tendence (FBC, Ancien, *Et la langue est*, 30/04/2012).

9. Le Cameroun reste un pays à part. Nous avons plus de 240 langues maternelles : s'il faille que nous nous y attardions dans le but de traduire des documents et autres je suis sûr que même dans 100 ans nous y serons encore pendant que d'autres seront entraînés de réfléchir sur comment faire pour transformer la poussière en argent. Si, on m'avait par exemple dit, officialisons et canalisons le "pijin ou le mboa" pour que ce soit une langue nationale et parle' par tous les camerounais, j'aurais dit d'accord car partout au moins, les camerounais auraient eu la chance d'oublier ce qui tribalise encore un peu plus notre pays (J'ai nommé langue maternelle): C'est ma façon de voir et, ça n'engage que moi (CIN, Pioncarin, *Dialecte : Langues maternelles, préalables pour le développement*, 19/04/2010).

De ces deux premières réactions sélectionnées parmi tant d'autres soutenant la même position, il ressort qu'enseigner des langues typiquement camerounaises à l'école contribue non seulement à désacraliser les villages, mais également à entretenir les germes du tribalisme, car la gestion de leur nombre pléthorique ne sera pas évidente et retardera à coup sûr l'essor du pays. Raison pour laquelle les forumers préfèrent que le pidgin-english et le mboa soient officialisés, afin de leur accorder le prestige de langue nationale. Il s'agit là d'une preuve supplémentaire que le peuple n'avait pas été invité à se prononcer sur cette question sur la base de son vécu quotidien ; attitude qui ne manque pas de frustrer les populations souhaitaient pourtant la codification et l'extension des domaines d'emploi des parlers composites, afin d'éradiquer le tribalisme. C'est ce qui ressort de cet autre morceau choisi.

10. Notre toppo devrait déjà avoir 1h par semaine au school (et non obligatoire pour un début) [...]. Les autres cours au school doivent rester normalo en french et en anglais MAIS il faut legaliser ce toppo et put dans les manuelles. Dans ce Camer qui tend vers le tribalisme ce way est une arme strong pour combattre car il rassemble all les mot du mboa (CIN, @Ozazip, *FranAnglais : New language for divided Cameroon*, 23/02/2007) [notre langue devait déjà avoir une heure par semaine dans l'enseignement (et non obligatoire pour un début) [...]. A l'école, les autres cours doivent se faire normalement en français et en anglais. Mais il faut

accorder des statuts officiels à cette langue et en produire des ouvrages. Dans ce Cameroun qui tend vers le tribalisme, cette langue est une arme puissante pour le combattre, car elle rassemble tous les peuples du pays]

11. Mais je partage un petit way ki voudrait ke ce toppo soit codifié (c'est bien vrai k'il est en constate évolution mais au niveau la-la-la des choses on peut déjà write des bords de grammaire) Je langua cela parce que kan on est chez les whites il y a certains kamer ki ne maitrise pas le toppo est ca vex (CIN, Nsissim, *FranAnglais : New language for divided Cameroon*, 23/02/2007) [Mais je suis un peu d'accord avec le point de vue qui voudrait que le CFA soit codifié (c'est bien vrai qu'il est en constante évolution, mais à ce niveau des choses, on peut déjà écrire des livres de grammaire. Je le dis parce que quand on est chez les Blancs, il y a certains Camerounais qui ne maîtrisent pas ce parler et cela énerve]

Ce projet de standardisation et d'érection du pidgin-english et du mboa en langues nationales tient tellement à cœurs les contributeurs qu'il y en a un qui propose même à un autre interactant candidat déclaré à la présidence du pays d'inscrire un « comité de réflexion » à leur sujet dans son programme de campagne électorale. Ce qui permettra d'accélérer la standardisation et la normalisation non seulement du mboa qui est sa préoccupation majeure, mais aussi du pidgin-english.

12. Le mbom qui veut devenir président du camer j'espere que dans ton programme tu nous prévois un comité de reflexion sur le camfranglais d'ici 2020 pourquoi ne pas en faire notre langue nationale... notre langue nationale (CIN, Bantouclan, *FranAnglais : New language for divided Cameroon*, 22/2007) [L'homme qui veut devenir président du Cameroun, j'espère que dans ton programme, tu nous prévois un comité de réflexion sur le CFA d'ici 2020. Pourquoi ne pas en faire notre langue nationale ?]

Car de la sorte, ils pourraient réaliser leur vœu cher d'avoir le mboa ou le pidgin-english pour langue nationale du Cameroun. Ces propos pourraient aussi sous-entendre qu'ils sont déçus ou ne sont pas satisfaits des choix linguistiques du gouvernement en place et de ce fait, aspirent à un

gouvernement plus favorable à la prise en compte des parlers composites, qui pour eux d'ailleurs ne sont rien d'autre que des langues, dans leur politique des gestions des langues du pays. Et les posteurs évoquent pour se justifier la vitalité expansive dont ces parlers font l'objet, car affirment-ils, le pidgin-english et le mboa sont même considérés comme des *langues officielles* c'est-à-dire généralisées dans les principaux centres urbains et capitales Yaoundé et Douala, de même qu'ils sont progressivement parlés par toutes les couches de la population.

13. Je me souviens dans les années 90 quand mon pater ne yaai pas mo qu'on speak le mboa à la piole en 2000 ctai lui qui lancai les débats en mboa. (je me souviens que dans les années 90, mon père ne voulait pas que nous parlions le CFA à la maison. En 2000, c'était lui qui initiait des débats en cette langue. (CIN, Bantouclan, *FranAnglais : New language for divided Cameroon*, 22/2007).

14. Moi je pense plutot le contraire. A Douala, le camfran depuis les annees 90 a peu pres est devenu officiellement la 2e langue de la ville. Et tous les jeunes de Douala que je connais, je dis bien tous parlent même mieux cette langue la que le francais (FBC, Ancien, *Pourquoi les gens de doul ne kno pas pik le camfran ?* Nov 24, 2010).

15. Si tu me dis 2e langue après le pidjin, je dis okay. Car je reconnais que le pidjin est très bien implanté à doul [...]. A Yaoundé, parmi les jeunes, le camfrang prime sur toutes les autres langues. Ca'adire que ca kêm même avant le français. Et que l'on soit mouna for tété ou mouna for mbrakata. Si tu makam un jeune a ngo qui dou comme s'il ne ya pas le camfrang, c'est que c'est quelqu'un de snob. Même les tochmé de ngo torpoh le camfrang mo mo, avec l'accent niang niang ! (FBC, Ancien, *Pourquoi les gens de doul ne kno pas pik le camfran ?* 24/11/2010) [si tu me dis 2eme langue après le pidgin, je dis oui, car je reconnais que le pidgin est très implanté à Douala [...]. A Yaoundé, le CFA prédomine en milieu jeune, il vient avant le français. Que l'on soit enfant de riche ou de pauvre, tous le parlent. Si tu vois un jeune de Yaoundé qui fait comme s'il ne pratiquait pas le CFA, il faut savoir que c'est quelqu'un de snob. Même les riches de Yaoundé parlent bien le CFA]

On le voit, ces aspirations représentatives d'une multitude internautes, qui du reste font partie

du peuple ou de la masse se situent en déphasage de la décision néanmoins déjà effective de l'Etat d'enseigner les langues maternelles pures au détriment des parlers hybrides. Alors que ces derniers reflètent mieux l'unicité linguistique historique, socio-culturelle et géographique du peuple camerounais dans toute sa pluralité. Autrement dit, ces décisions ne sont ni pragmatiques, ni porteurs dont l'échec ne constituerait pas un effet de surprise qu'ils subissent un sort pareil à celui d'un château de cartes/construit sur du sable.

Conclusion

En guise de péroration à cette réflexion examinant les dispositions mises en place pour gérer et intégrer les parlers hybrides populaires comme le pidgin-english et le mboa dans le programme de scolarisation dans les langues endogènes camerounaise, il apparaît qu'aucune attention n'a été accordée à ces sociolectes qui fascinent pourtant le commun des Camerounais. Nonobstant les avantages multiformes qu'ils ont sur toutes les autres langues du terroir, à savoir surmonter les clivages socio-ethniques, ou consolider une identité sociale globale et non spécifique, ils demeurent ignorés par les instances décisionnelles qui contrôlent la

politique linguistique du pays. Ces dernières refusent non seulement de les considérer comme des langues camerounaises à part entière et de les transformer en langues nationales, mais aussi d'autoriser leur enseignement dans les écoles afin de leur conférer un statut enviable qui garantira leur essor tel que le souhaitent les populations camerounaises. Autrement dit, l'agora qui s'affirme pourtant comme l'un des maillons les plus importants de la chaîne décisionnelle n'est pas impliquée dans les entreprises inhérentes à la politique linguistique. Or « c'est la conjugaison des discours métalinguistiques et épilinguistiques qui devraient guider les options glottopolitiques » rappelle Eloundou Eloundou (2016 :18). Par conséquent, le pays tarde toujours rattraper le train du développement du fait des comportements des décideurs qui laissent songeurs sur leur véritable nationalité. En fait, c'est la composante sociale qui a des aspirations et des enjeux, et de la sorte, c'est sur elle que repose le développement durable favorisé par les langues. Alors aussi longtemps que l'Etat exploitera uniquement les discours métalinguistique tout en escamotant celles-ci, les bonnes décisions seront rarement prises.

References bibliographiques

- ALOBWEDE, C. D'ÉPIE, (1998) "Banning pidgin-english in Cameroon", *English today*, 14: 1, pp. 54-60.
- AYAFOR, M. (2005), "Is pidgin facing death or gaining ground in Cameroon", A paper presented at the international conference on language, literature and identity, Yaounde.
- BILOA, ED. (1999). Structure phrastique du camfranglais : état de la question. In Echu, G. et Grundstrom, A. W. (dirs), *Bilinguisme officiel et communication linguistique au Cameroun*, New York : Peter Lang, 147-171.
- BLANCHET P., *Linguistique de terrain. Méthode et théorie. Une approche ethnosociolinguistique*, Presses universitaires de Rennes, 2000.
- BOUM NDONGO-SEMENGUE, M. A. (2014). Le paysage linguistique du Cameroun. In MENDO ZE, G. et Onguéné Essono, L.M. (dirs), *Langues nationales et situation. Réflexions pour la valorisation des langues premières*, Yaoundé : CLE, 27-36.
- BRETEGNIER, A. (2002). « Regards sur l'insécurité linguistique » in A. Bretegnier et G. Ledegen (eds), *Sécurité/insécurité linguistique — Terrains et approches diversifiés, propositions théoriques et méthodologiques, en hommage à Nicole Gueunier*, L'Harmattan, pp. 7 — 33.
- CHIA E. (1990), "The New Speech Forms of Rapidly Growing City : Pidgin French and Camfranglais in Yaoundé", in *Annales de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines*, Université de Yaoundé, Vol VI n°1 et 2, pp.102-127.
- CHUMBOW, S. B., (1996). "The Role of National Languages within a Comprehensive Language Policy for Cameroon" Academic Discourse presented at the University of Buea.
- DUBOIS, J. et al. (2001). *Dictionnaire de linguistique*, Paris, Larousse-Bordas/AER
- ÉBONGUE A. et FONKOUA, P., (2010), "Le camfranglais ou les camfranglais ?", in *Le Français en Afrique*, Revue du réseau des observatoires du français contemporain en Afrique Institut de linguistique française, CNRS, UMR, 6039-Nice, n° 25, pp. 259-270.
- ECHU, G. (2004). "Problématique de l'emprunt linguistique dans le contexte de bilinguisme officiel au Cameroun", in [www.http://www.inst.at/trans/15Nr/07-2/echu.htm](http://www.inst.at/trans/15Nr/07-2/echu.htm).
- ECHU, G., "The language question in Cameroon", in *Trans*, http://www.linguistik-online.de/18_04/echu.html
- ELOUNDOU ELOUNDOU, V. (2016). Le camfranglais, né de l'acclimatement/acclimatation du français, au coeur d'une glottonomie *socio-profane*, *Congrès Mondial de Linguistique Française - CMLF 2016*, SHS Web of Conferences , 27, 03003 (2016), DOI: 10.1051/shsconf/20162703003
- ESSONO, J.-M. (1997), "Le camfranglais" : un code excentrique, une appropriation vernaculaire du français", Frey, C. et D. Latin, *Le Corpus lexicographique : méthodes de constitution et de gestion*, AUPELF-UREF, Coll. Universités francophones, pp.381-396.
- FÉRAL, C. (2009). Nommer et catégoriser des pratiques urbaines : pidgin et camfranglais au Cameroun. In Féral, C. (dir.), *Le nom des langues III. Le nom des langues en Afrique sub-saharienne : pratiques, dénominations, catégorisation*, Louvain-La-Neuve : Peeters, 119-152.
- FEUSSI, V. (2004). 'Politique linguistique et développement durable au Cameroun : perspective émique ou perspective étique ?' dans *Actes du colloque Développement durable, leçons et perspectives*, organisé par L'Organisation Internationale de la Francophonie et l'Université de Ouagadougou (Burkina-Faso), Ouagadougou 1er-4 juin tome 2, pp. 21-29 —, également disponible sur www.auf.org.colloque-développement-durable
- FEUSSI, V. (2006), "Le francanglais dans une dynamique fonctionnelle : une construction sociale et identitaire du francophone au Cameroun". <http://www.sdl.auf.org/-Equipes-virtuelles->, (2006). Version remaniée : Le francanglais dans une dynamique fonctionnelle : une construction sociale et identitaire du « jeune » francophone au Cameroun, *Le français en Afrique* 23, pp. 33-50.,
- FOLON NSOKIKA, B. (1964), "Pour un bilinguisme de bonne heure" in *ABBLA*, n°7, Yaoundé, pp. 7-49.
- FOSSO et NZESSÉ, L. (2004), "La langue française en contexte multilingue, le cas du Cameroun : appropriation, glottopolitique et perspective didactique", in Fosso (éd) *Dynamique du français au Cameroun : problèmes sociolinguistiques et stylistiques, enjeux didactiques et glottopolitiques*, Yaoundé, P.U.A., pp. 237-264.
- KIEßLING, R. (2005), "Bàk mowà mè dó — camfranglais in Cameroon", *Lingua posnaniensis* XLVII, pp. 87-107.
- LOBÉ-EWANE, MICHEL (1989), "Cameroun : le camfranglais", in *Diagonales*, 10, pp 33-4.
- MAKOUTA MBOUKOU, J. P. (1973). *Le Français en Afrique noire*, Paris, Bordas.
- MBANGWANA, NKAD P. (2004). "Cameroon Nationhood and official bilingualism juxtaposition?" in *Revue Internationale des Arts, Lettres Sociales (RIALSS)* vol. 1, n° 1, Université de Yaoundé I, Africana publication, pp. 15-38.

- NEBA, AYU'NWI N., CHIBAKA, E. F., ET ATINDOGBE G.G. (2006). « Cameroon Pidgin English as a tool for empowerment and national development » in *African Study Monographs* 27(2) : 39-61.
- NGIJOL, P. (1964). "Nécessité d'une langue nationale", in *ABBLA*, n°7pp. 83-99.
- NTSOBE, A. M., BILOA, E., ECHU, G. (2008), *Le Camfranglais : quelle parlure ? Étude linguistique et sociolinguistique*, Bern, Peterlang.
- NZESSÉ, L.,(2005), "Politique linguistique et éducative au Cameroun et insécurité de la langue française", in *Francophonie*, n° 014, Universidad de Cadiz Espana, pp 173-187.
- PANDJI KAWÉ G. R., (2011), "Usages militants du pidgin-english au Cameroun : forces et faiblesses d'un prescriptivisme identitaire", in *Arborescences : revue d'études françaises*, Numéro 1, mars 2011, URL : <http://id.erudit.org/iderudit/1001946ar> DOI : 10.7202/1001946ar.
- PIEBOP G. (2015) "Vers un Pidgin-English jeune en zone anglophone du Cameroun ?", in *Corela* [En ligne], 13-2 |, <http://corela.revues.org/4132> ; DOI : 10.4000/corela.4132.
- PIEBOP G. (2016), "Les variétés du Camfranglais parlées en zone anglophone au Cameroun : le cas de la ville de Buéa" in *Etudes contrastives, didactique et langues en contact - Enquêtes, pratiques linguistiques et modèles didactiques en Afrique*, Presses Académiques Francophones, 236 p. pp55-79.
- PIEBOP, C. M. G., (2014), *Contact de langues et appropriation du français dans l'œuvre romanesque de Camille Nkoa Atenga*, Thèse de doctorat PhD, Université de Yaoundé I.
- QUINIO, J. (2009) : La phonologie des emprunts français non anglicisés en anglais, Thèse de doctorat, Université Paris IV, présentée et soutenue publiquement le 12 février 2009.
- REY-DEBOVE, J. (1973): "La sémiotique de l'emprunt lexical." *Travaux de linguistique et de littérature*, 1, 109-123.
- SALA, B. M., (2009), "Writing in Cameroon Pidgin-english : begging the question", in *English Today*, Volume 25, Issue 02, pp 11 — 17, publié en ligne le 26 Mai 2009, <http://journals.cambridge.org/action/displayIssue?jid=ENG&volumeId=25&seriesId=0&issueId=02>
- TABI MANGA, J. (2000), *Les politiques linguistiques du Cameroun : essai d'aménagement linguistique*, Paris, Karthala.
- TADADJEU, M., (s/dir.) (1990). *Le Défi de Babel au Cameroun*, Collection PROPELCA No 53, Université de Yaoundé.
- TAMANJI, N. P. (2008). "A Success story in official bilingualism : Lessons for a mother tongue based multilingual education programme in Cameroon", in *Revue Internationale des Arts, Lettres Sociales (RIALSS)* vol. 2, Africana publication, Université de Yaoundé I, pp. 151-171.
- TELEP, S. (2014). "Le camfranglais sur internet : pratiques et représentations." *Le français en Afrique*, N° 28, 27-145.
- TIAYON LEKOBOW, C. (1985), *Camspeak: a speech reality in Cameroon*, mémoire de maîtrise, Université de Yaoundé.
- TOOD, LORETO, (1983). "Language option for education in multilingual society: Cameroon", in KENNEDY, Chris (Ed) *Language planning and language education*, London, pp 160-171.
- TSOFACK, J.B. (2006), "Le camfranglais ou la norme du français en péril au Cameroun ? », in *Analyses* (Langages, textes et sociétés), n° 11, Revue franco-africaine des Sciences du langage (en ligne), CPST, Université de Toulouse Le Mirail, pp. 31-50.

Pour résoudre cette préoccupation, le travail s'appuiera sur une démarche non seulement éclectique, mais également transdisciplinaire intégrant à la fois la méthode de l'observation, la méthode descriptive et contrastive et la méthode d'analyse du texte littéraire francophone. Cette conjugaison de méthode concourra à mettre en lumière les situations auxquelles font face le pidgin-english et le camfranglais au moment de l'effectivité de l'insertion des langues maternelles dans le système scolaire camerounais. Par la même occasion, elle permettra de mieux mettre en exergue les fondamentaux structuraux et fonctionnels que revêtent ces parlers, et qui auraient dû les prédisposer à plus de valorisation.

... d'origines bigarrées. En fait, la principale raison de cette propension des Camerounais à parler le pidgin-english au détriment des langues officielles réside dans la grande souplesse de son système malléable et adaptable à souhait au gré de la fantaisie de chaque locuteur. Ainsi y retrouve-t-on une bonne dose d'emprunts provenant de l'anglais, du français, des langues du terroir et même des langues des pays voisins comme le Nigéria, etc. Ce qui au final permet à ses locuteurs de célébrer leur vivre ensemble dans ce pays aux trois cents langues, où l'union des peuples et la forme insécable de l'Etat comprise dans la

devise « one and indivisible » demeurent non négociables selon les dires de son Chef d'Etat. Quelques exemples pour mieux comprendre cette hybridation linguistico-culturelle :

16. Massa a sé njoka bi dé yesterday for Neue-Bell. A say na tchop you bi want siam for dé? (Il y avait la fête hier à Neue-Bell. Il y avait beaucoup de nourriture.)

17. Ma pah tell mi sé he no get doh. All the nkap wé hi gi me na this cinq mil. (Mon père m'a dit qu'il n'avait pas d'argent. Par conséquent, il ne m'a donné que ces 5 000.)

18. A say all man tired hi. All man wash hand for hi. (Tout le monde est fatigué de lui. Tout le monde l'a laissé tomber.)

19. Kam so. How you di smell mbouh so? You komot na mbouh house with your maboya them. No bi so? (Approche un peu. Pourquoi sens-tu autant le vin de palme ? Je parie que tu reviens d'un bistro avec tes concubines. Pas vrai ?)

20. One papa cadeau carry mi ontop hi okada for njoh for Molyko go leave me for Bokwango. (Un homme gentil m'a transporté gratuitement sur sa motocyclette.) de Molyko à Bokwango.)

21. Ma ogah don turn na "jamafo" (je m'en fou) now. Whether a bi d'accord or a no bi, hi go dasoh komot. Ma'a dou how ? (Mon mari est devenu un dévergondé. Que je sois d'accord ou pas il va toujours sortir. Il n'y a rien à faire.)

Avec le pidgin, c'est le code mixing qui atteint son comble (Piebop, 2015). Dans ces illustrations, on peut clairement identifier les termes : *yesterday, get, all, this, say, tired wash hand, for, how, smell, you, house, with, carry, leave, me, turn whether...* comme appartenant au système linguistique anglais. De même, le français est reconnaissable par : *papa Cadeau, d'accord, jamafo (je m'en fou), cinq mil*. Quant aux langues camerounaises, elles sont représentées par des items naturalisés et désormais reconnus par tous comme faisant partie du pidgin-english : *tchop* (de l'anglais *chew-up*), *komot* (de l'anglais *come out*), *massa* (de l'anglais *master*) et surtout le suffixe passe partout *-iam* qui traduit dans tous les mots indépendamment de leurs origines, la marque déposée du pidgin-english (*siam*). Les extraits témoins contiennent aussi le mboa (*doh*), l'éwondo (*maboya*), le moghamo (*mbouh*), le bassa (*njoka*), le ghomala'a (*nkapa*), le bakweri (*Molyko, Bokwango*), le douala (*njoh*). Les dialectes nigériens représentés par *okada* et *ogah* sont aussi de la partie, tout comme l'allemand avec *Neue-Bell, etc.*

L'hybridation est également présente dans le pidgin-english à travers son habileté à utiliser les mots et expressions d'horizons diverses, pour traduire des pensées qui elles relèvent de la sémioculture camerounaise. Ainsi y retrouve-t-on un nombre incalculable de calques syntaxiques et locutionnaires qui traduisent la cosmogonie traditionnelle camerounaise. (Piebop, 2015) Et si les Camerounais en font autant d'usages forts à propos, c'est que chacun, dans sa langue maternelle possède une expression similaire. A ce titre, il est tout à fait clair pour tous les locuteurs du pidgin-english que les interrogations *No bi so? Na tchop you bi wan siam for day? Ma'a dou how ?* Ne sont en fait que des formes rhétoriques pour affirmer respectivement que *c'est bien cela, Il y avait beaucoup de nourriture et il n'y a rien que je puisse encore faire*. De même, *kam so (viens comme ça)* bien que dit à travers des mots tirés de l'anglais, ne pose aucun problème de compréhension pour les locuteurs de diverses origines du pidgin-english ; car ils font facilement le lien avec leurs langues maternelles où *viens ici, ou viens là* se traduit littéralement par *viens comme ça*. L'hybridation se perçoit aussi par le calque de syntaxe *laver les mains sur/pour quelqu'un* contenue dans « All man wash hand for hi » tiré du troisième exemple qui, à l'aide des termes anglais et pidgin-english reprend plutôt une expression toute faite dans les langues du terroir, qui signifie *renier quelqu'un, laisser tomber quelqu'un*.

Tel qu'il est aisé de le remarquer, c'est la forte dose de mélange et d'alternance de différents codes linguistiques, tout comme la pluralité de structures provenant de la pluralité des langues endogènes camerounaises qui font la force de pidgin-english dans et hors du Cameroun et qui le rendent pérenne. Il en est presque de même d'ailleurs pour le mboa.

... les mêmes vides sociolinguistiques que le pidgin-english.

Tout comme le pidgin-english, le mboa est constitué de matériaux hétéroclites et épars. L'échantillon qui suit permet d'en donner une carte d'identité beaucoup plus précise.

Le mboa est d'abord et avant tout composé d'emprunts aux langues maternelles camerounaises dont le pidgin, afin de mieux matérialiser la visée identitaire et emblématique dont il se revendique. (Piebop, 2016) De même, très logiquement le français et l'anglais, tout comme d'autres langues constituent également ses réservoirs lexicologiques en matière d'emprunts. Quelques séquences pour en avoir une idée plus nette.

22. Gars comme tu es busy ô day là, came morrow à la long pour qu'on redjoss sur le way là (Gars puisque tu es occupé aujourd'hui, viens demain à la maison pour qu'on discute à nouveau de notre affaire.)

23. Périca c'est le ho-ha que tu veux me shu? (Jeunhomme veux-tu m'intimider?)

24. C'est quand les gniès vont shiba ici pour te handcuff que tu vas me gi les mains ici au kwat. (C'est lorsque le vais te

faire arrêter par la police que tu vas me respecter dans ce quartier.)

25. On te gi les dohs de takesh all les days tu tchop pour ndangoua hein ? (Tu dépenses l'argent de taxi qu'on te donne tous les jours pour aller à pied ?)

26. Ma réme et mon pater djoss toujours qu'on langwa nos cahiers comme si on était devenu les kuntakinté. Je wanda même sur eux ! Eux aussi langwaient flop quand ils étaient mounas ? Donc ils n'enjoyaient même pas souvent ? La mimbayance leur donne même quoi ? (Ma mère et mon père disent toujours que nous devons apprendre nos leçons, comme si nous étions devenus des esclaves. Ils m'étonnent vraiment ! Apprenaient-ils aussi autant quand ils étaient petits ? Donc ils ne s'amusaient jamais ! Ils prétendent beaucoup !)

27. Pardon la ngope que tu tchombé nyangalement comme mbenguiste là, c'est la chintok. Il faut souvent bé les wé poppo. (S'il te plaît la chaussure que tu portes en te vantant comme si tu revenais d'Occident là est bon marché. Il faudrait prendre l'habitude d'acheter des choses authentiques.)

28. Dis donc, le dybo si ya moh tcham sa ngah mal mauvais. (Ce jeune homme adore frapper sa petite amie.)

Dans le melting pot linguistique qui caractérise les extraits qui précèdent, relèvent du français les termes : *gars, comme tu es, à la, c'est, tu veux, quand, les mains, ici, était devenu, cahiers...* L'anglais est signalé par : *all, days, came, ways...* Le pidgin-english est utilisé pour *tchop, wanda, poppo...* tout comme les termes naturalisés dans le mboa sont : *ya moh, gi, mimbayance, etc.* On retrouve aussi les langues endogènes avec : *mounas, ndangoua, shiba, langwa, ngope, tchombé, ho-ha, mbenguiste...*, le latin avec : *pater, etc.*

Pour marquer les termes empruntés du sceau identitaire, le mboa les metisse souvent : *show = shu, year = ya, petit = perica, girl = ngah, give = gi, quater = kwat, taxi = takesh, tomorrow = morrow* etc. Ce qui en fin de compte modifie légèrement les écritures et les prononciations initiales des mots et en créent d'autres typiquement mboa cette fois. Le métissage se fait aussi généralement au moyen de la dérivation où les affixes d'un système linguistique s'accrochent à ceux d'un autre. C'est le cas avec les items *oday, redjoss, mimbayance, mbenguuiste* et *nyangalement*. En effet, *oday* ou *auday* est formé de la particule française *au-* et de celle anglaise *-day* pour signifier aujourd'hui. *Redjoss* lui est formé du préfixe français *re-* qui signifie *de nouveau*, et de la racine mboa *djoss* pour signifier *parler de nouveau*. *Mimbayance* est formé de racine pidgin *mimba-* et du suffixe français *-ance*. *Mbenguiste* quant à lui est composé de la racine endogène bassa *mbeng* ou *mbengue* et du suffixe français *-iste* pour désigner un émigré en Occident. Pareil pour *nyangalement*, formé du terme douala *nyanga-* et de l'affixe *-ment* descriptif des adverbes de manière en français. Les verbes *langwaient* et *enjoyaient* suivent la même procédure, car partent des items douala *langwa-* et anglais *enjoy-*, auxquels sont accolés les terminaisons françaises de la troisième personne de pluriel de l'imparfait de l'indicatif *-aient*.

Rhetorical structure of economics Research Articles' introductions

Date de réception : 2018-05-06

Date d'acceptation : 2019-09-24

Somia Slaim*, Université Mohamed Lamine Debaguine- Sétif2

s.slaim@univ-setif2.dz

Hind Amel Mostari, université Djilali Lyabes- SBA

hmostari@yahoo.com

Abstract

Post-graduation students or researchers in different disciplines seek to write and publish research articles for graduation and academic promotion. Consequently, Studies were conducted on writing for research publication purposes; approaches as move analysis were the fruit of research in this field. Analyzing the rhetorical structure of research articles' of different sections has attracted the attention of discourse analysts. The present study aims at investigating the move structure of the introduction section in research articles written by Algerian researchers in the field of economics. The data were collected from a corpus of 10 research articles published in 08 journals of economics in eight different Algerian universities. The analyses relied on Swales' Model 2004 (Creating a Research Space). The findings showed that Algerian researchers are following a rhetorical move structure similar to Creating a Research Space Model of Swales (2004) in different aspects. Such results will help teaching novice researchers in writing their Research articles and getting integrated in the world of Academia.

Key words: Creating a Research Space Model- Research Articles' Introductions- Move Structure- Move Analysis.

Résumé

Dans le but de la formation ou la graduation universitaire, les étudiants en post-graduation ainsi que les chercheurs dans différentes disciplines écrivent et publient des articles de recherche. Par conséquent, plusieurs recherches ont été lancées sur la rédaction des articles scientifiques, notamment l'approche d'étude des transitions rhétoriques dans l'article scientifique et l'analyse de la structure rhétoriques dans différentes sections de l'article scientifique. Dans cet article, l'étude de la structure rhétorique a été faite sur la partie « introduction » de dix articles scientifiques du domaine économique. Des articles rédigés par des chercheurs algériens, en utilisant le modèle de Swales (2004), et publiés dans huit différentes revues. Les résultats ont indiqué que les rédacteurs suivent des transitions rhétoriques similaires à celle du modèle Swales. Ces résultats facilitent aux nouveaux chercheurs d'écrire leurs articles de recherche suivant les démarches de ce modèle.

Mots clés : l'article scientifique, la structure rhétorique, domaine économique, modèle de Swales (2004), l'introduction de l'article.

المخلص

في سبيل التخرج أو التأهيل الجامعي يقوم طلبة الدراسات العليا والباحثون في مختلف الميادين بكتابة المقالات العلمية ونشرها، مما أنتج عدة دراسات حول كتابة المقال العلمي، مثل دراسة الانتقالات البلاغية ودراسة البنية البلاغية لمختلف مقاطع المقال العلمي. وتهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف البنية البلاغية لمقدمة مقالات علمية مكتوبة من طرف باحثين جزائريين في مجال الاقتصاد. وتتمثل المعطيات في عشر (10) مقالات علمية منشورة في (08) مجلات اقتصادية من ثماني جامعات جزائرية مختلفة، وقد تم استعمال نموذج (Swales, 2004) في دراسة المقالات. أظهرت النتائج أن الباحثين الجزائريين يتبعون نفس الخطوات البلاغية الموجودة في النموذج المذكور آنفا. هذه النتائج تسهل على الباحثين الجدد كتابة مقالاتهم من خلال إتباع خطوات هذا النموذج.

الكلمات المفتاحية: المقال العلمي، البنية البلاغية، مجال الاقتصاد، نموذج (Swales, 2004)، مقدمة المقال

* Corresponding author

Introduction

Research writing for international publication has become a central issue for researchers in different disciplines (Flowerdew, 2005; Kanoksilapatham, 2005, 2007; Swales, 1990, 2004). Research articles (RA) are the key for doctoral graduation and academic promotion; researchers are urged to write in English and publish their works in journals to be scientifically acknowledged in academia. Swale's (1990) discussion of the move structure of the introduction section in research articles has brought a considerable attention to the structure of academic research writing; researchers are requested to follow the rhetorical patterns determined by the discourse community to develop their main points, arguments, and have a high rate for acceptance in international journals.

Swales (1990, 2004) proposed a model of articles' Introductions: Creating a Research Space (CARS) after investigating the structure of articles in different fields of science. In the model of 2004, each move consists of several steps, and the main three moves existing are establishing a Territory, Establishing a Niche, and Occupying the Niche. Consequently, many studies took place investigating the move structure of introductions in RA in different scientific fields using the CARS model trying to test its effectiveness in the different fields of science. CARS model (1990, 2004) have been used to analyze the rhetorical structure of RA introductions in many studies (Posteguillo, 1999; Kanoksilapatham, 2005; Adnan, 2009; Samraj, 2002; Shehzad, 2010). In looking for similar studies in the field of economics, few research papers were found adopting CARS model to investigate the rhetorical move structure of introductions in RA; Swales and Feak (1994) and Paltridge (2001) stressed the importance of examining the genre conventions of each discipline for students, as these vary. Thus, The present study is an addition to what has been done before; furthermore, the research paper tries to study the different moves existing in

introductions of RA written in English by Algerian researchers in the field of economics. The purpose of this study is to answer the research questions:

What are the rhetorical moves in the introductions of RA of economics written in English by Algerian researchers for journal publication?

Are Algerian researchers following CARS model (swales, 2004) in writing the introduction section of RA in economics?

This paper aim is to explore the rhetorical moves Algerian researchers in economics use when writing the introduction section of research articles for journal publication, and check whether they are following models that are mostly derived from Anglo-European journal articles. To investigate those questions a corpus of ten (10) RAs written in English and published in Algerian journals of economics was collected; the analysis of the move structure is conducted adopting swales CARS model (2004). The motive behind choosing CARS model for this study is its prevalence, the large number of studies and findings carried in different fields adopting it, and its Robustness. CARS has been described as being "seminal in shaping genre theory in English for specific purpose (ESP)" (Flowerdew, 2005, p. 322) 'received prominence in the area of ESP' (Dong & Xue, 2010, p. 37), 'ground-breaking work has generated studies providing valuable insight' (Kanoksilapatham, 2005, p.270)

1. Literature Review

2. 1.1. Move Analysis

Genre Analysis using rhetorical move analysis was originally developed by Swales in 1981 to describe the rhetorical organizational patterns of research articles. The goal behind it is to describe the communicative purpose of a text by categorizing the various discourse units within the text according to their communicative purpose or rhetorical moves. A move, thus, refers to a text section that performs a specific communicative function. Each move not only has its communicative

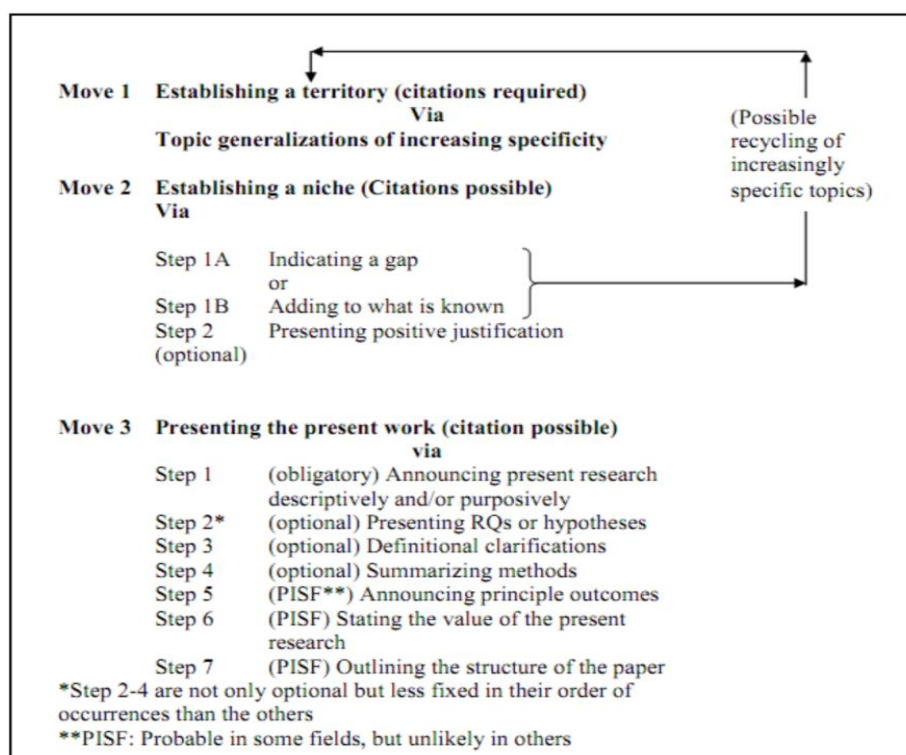
purpose but also contributes to the overall communicative purpose of the genre (Biber, 2007). Genre analysis began with the pioneering work of Swales (1981) on the introduction to an academic article. Swales (1981) noticed that there is a regular pattern of moves and steps in a definite order in most of the introductions he investigated. Accordingly, he proposed a model called Creating a Research Space Model (the CARS model) that had a great influence in research and teaching of writing in English for Academic Purposes (Evans, 1998).

1.2. *Create-A-Research-Space (CARS) Model*

The model is composed of rhetorical unites (moves and steps) that share the communicative purpose of the text. CARS model (2004) consists of three obligatory moves under which come steps. In the model, we find: Move 1 is 'Establishing Territory', and it can be realized via 'Topic generalization of increasing specificity'. Move 2 'Establishing a Niche' that can be accomplished using three different steps namely:

Indicating a gap', 'Adding to what is known' and 'presenting positive justification'. all the previous strategies can be carried with 'Possible recycling of increasing specific topics' whereby the writers may make recurring effort on the previous moves and steps before moving on to act upon Move three which is 'Presenting the Present Work (Suryani1, Kamaruddin, Hashima et al, 2014). For move three, seven steps are suggested; the first step 'announcing present research' is obligatory and can be realized through stating the main purpose of the study descriptively or purposively. All of Step two, three ,and four 'Presenting RQ or hypotheses', 'Definitional clarifications' and 'Summarizing methods' are optional and less fixed in order. Then, come Step five, six and seven respectively are 'Announcing principle outcomes', 'Stating the value of present research' and possibly ends with 'Outlining the structure of the paper' that are 'probable in some field but unlikely in others'. Following the tradition of Swales, many studies were conducted.

Figure 01: CARS model (Swales, 2004)



Samraj (2002) analysed research article introductions from two related fields, Wildlife

Behavior and Conservation Biology, using Swales' (CARS) model. He offered a modified version of the model. Kanoksilapatham (2005) analysed the move

structure of 60 biochemistry research articles. He found two-level rhetorical structure (moves and steps). For the introduction section, three moves were present. Suryani¹, Kamaruddin¹, Hashima et al (2014) carried a study on five research articles of computer science written by Malaysians using CARS model (Swales, 2004) to explore the rhetorical moves in the introduction section. The paper confirmed the effectiveness of the model in identifying the rhetorical moves in the RA by Malaysian writers. Rahman, Darus, & Amir (2017) analysed a corpus of 20 emails from leading journals in applied linguistics following swales CARS model (2004) to identify the rhetorical moves in the introduction section to be used for pedagogical purposes for novice scholars aiming at publishing their works in applied linguistics. The results showed that the three moves of the model are followed in 18 different structural patterns

In using CARS model to investigate cultural and linguistic variation on the functional level, Vakili & Kashani (2012) carried a contrastive move analysis to investigate Persian and English Research Articles' Abstract and Introduction Parts. They concluded that contrary to English articles, for which the model was typical, significant variation exists in Persian articles.

Table01: Description of the corpus

Journal	Year of Publication	University	Articles N°
مجلة الباحث عدد 13	2013	Kassdi Merbah- OUregla	2
Revue DIRASSAT N° 23 A	2015	University Amar Telidji –Laghouat	1
Roa Iktissadia Review Issue 9	2015	University of Hamma Lakhder- El oued	2
مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية العدد الاقتصادي 25(1)	2016	Ziane Achour-El Djelfa	1
Revue Algérienne d'économie et gestion Vol 10 N° 1	2016	Universit2 Mohamed Ben Ahmed- Oran 2	1
Revue des Sciences Economiques, de Gestion et Sciences ommerciales N° 15	2016	Université deMohamed BOUDIAF - M'Sila	1
AL Bashaer Economic journal N° 3	2017	University Tahri Mohamed- Bechar	1
The journal of conomic and finance Vol 3 (02)	2017	University Hassiba bBen Bouali- CHLEF	1

Reference: made by the researcher

Rahimi & Farina (2017) presented a contrastive study of 70 English and Persian RAs; it was a genre analysis of the introduction section of dentistry research articles between English and Persian languages using Swales CARS model (2004). The analysis showed that Move 1 step 1 “claiming centrality”, Move 2 step 1a “counter-claiming” and Move 3.1 “Announcing present research descriptively and/or purposively” are the most frequent moves in English and Persian articles. Moreover, Move 1.1 “Claiming centrality was the starting point of the introductions in both languages.

2. Methodology

2.1. Corpus

Introductions of 10 RA written by the Algerian researchers and published in 08 Algerian journals specialised in economics during 2013-2017 were picked up for analysing communicative moves using CARS model (2004).The choice of the discipline of economics was because previous research into RA introduction sections seems not to have well covered this discipline and the few number of articles published in English in Algerian journals of economy. The articles were chosen randomly from the journals of economy published in 08 different universities of Algeria.

2.2. *Corpus Analysis*

Kanoksilapatham (2007, p.32) suggested a method to do move analysis that was followed in this study. The intent here is to simply describe common procedures in doing a move analysis. First, in order to identify the move categories for a genre, it is important to get a big-picture understanding the overall rhetorical purpose of the texts in the genre, which is the introduction of the present research. The second step is to look at each part of the introduction and figure the function of each segment or move and evaluate what its local purpose is. This is the most difficult step; Move categories need to be distinctive. Multiple readings and reflections of the texts are needed before clear categories emerge. The third step is to look for any common functional and/or semantic themes represented by the various text segments that have been identified, especially those that are in relative proximity to each other or often occur in approximately the same location in various texts representing the genre. These functional-semantic themes can then be grouped together, reflecting the various steps (or strategies) of a broader move type.

Swales proposed the first CARS (2004) move, Establishing a Territory, as it was clear that research article introductions almost always began with a section that functioned to provide a context for the study being introduced, whether this was done by claiming the centrality of the study (Step 1), and/or by making generalizations about the topic being studied (Step 2), and/or by reviewing items of previous research on the topic (Step 3). Not all research articles introductions have all the steps, but most have at least one of them, serving the function of establishing the territory for the study to follow. When a researcher is ready to segment a particular text into moves, it is best to begin first with a pilot coding, ideally with at least two coders. Coding must be done by hand. Initial analyses are then discussed and fine-tuned until there is agreement on the functional and semantic purposes that are being realized by the text segments, resulting in a protocol

of move and step features for the genre, with clearly defined purposes and examples.

3. *Results*

In the Following sections we seek to answer the research questions:

What are the rhetorical moves used in the introductions of RA of economics written in English by Algerian researchers for journal publication?

3.1. *At the Move Level*

After the analysis, we have found that moves one (Establishing a Territory) and three (Presenting the Present Work) occur in all the articles; however, Move two is absent in one article. All of the Introductions have an Establishing a Territory move (i.e. topic generalization of increasing specificity), but just five articles have included citations. Concerning move three, Presenting the Present Work move, all the articles have the first obligatory step (i.e. announcing what the current study is about). The Establishing a Niche move (i.e. indicating a gap in previous studies) was also found in 7 articles.

3.2. *At the Step Level*

The most common strategy that has been used to realize Move one (Establishing a Territory) was Drawing inferences from previous studies. Authors have discussed or interpreted previous studies to give the readers some background information of the study and to state the value of the field.

<Establishing a Territory>

<Drawing Inferences from Previous Studies>

[For over a decade, there has been a questioning of classic management in Algerian companies. Because It has been faced with international competition of the choice of market economy, the development of these companies, sustainability, competitiveness that involves.....

[There is not a consensus in growth theory regarding the effect of trade restrictions on economic growth. In exogenous growth models, a trade

restriction has no effect on long-run growth.....

[Islamic banking and finance is one of the fastest growing sectors of the global banking industry and has risen to prominence recently

[Today's Business world is undergoing tremendous changes at various environmental levels. The contemporary organizations environment has become more complex and diverse.....

In establishing a niche move, the most common step used is ' Indicating a gap '

<Establishing a Niche>

<Indicating a Gap>

[The role and typology of ERRs increasing vulnerability of an EME to contagious currency crisis has not been explicitly investigated except few studies at our knowledge.

[Theoretical research on psychological empowerment has been appearing only recently in scholarly journals.....

[The gravity model basically measures how much distance as a proxy of the cost of transport and GDP affect the level of trade, but it does not explain interdependence among these variables as endogenous.

[Case studies, on the other hand, lack statistical regour and are often exposed to arbitrary case selection.....

As far as the last move of the Introduction section is concerned, announcing present research descriptively and/or purposively strategy is always used to realize this move (i.e.); the authors use this step to present their studies or describe the aims behind carrying them. Moreover, this study has found that Presenting research questions or hypotheses step is also used by authors in 7 articles and announcing principal outcomes step is used in half of the total number of articles (5).

<Announcing Present Research Descriptively and/or Purposively>

[The purpose of this typology is twofold.....

[This paper aims to investigate whether the gravity.....

[Following this approach, we use the Sach Warner (1995a) Openness index and other Data.....

[The problem of this study focused on

<Presenting RQs or Hypothesis>

[Is there effect of the organizational commitment in the improvement.....?

[The question that guides this research is to know wht is the perception or more precisely (definition-representation) of the concept.....?

[The problematic is divided to the following sub questions:

What the level is of perceived.....?

<Announcing Principal Outcomes>

[This study represents a contribution that focuses on the concept of organizational justices. First,

Second, it clarifies the relations of organizational.....

[The contribution of this paper is to explain the reaction of one variable of the.....

[The results we have obtained shows that

Are Algerian researchers following CARS model (swales, 2004) in writing the introduction section of RA in economics?

The analysis showed that Algerian researchers are following Swales model in writing their research article introductions as the table below shows:

Table 03: Moves and steps' occurrence in the corpus

	Move 1	Move 2			Move 3						
RA N°	S1	S1A	S1B	S2 opt	S1 oblig	S2 opt	S3 opt	S4 opt	S5 (PISF)	S6 (PISF)	S7 (PISF)
1	*			*	*	*		*			
2	*	*			*			*	*		
3	*		*		*	*			*		
4	*	*			*						
5	*	*			*	*			*		
6	*	*			*	*					
7	*	*			*		*				*
8	*	*			*				*		*
9	*	*			*	*			*		
10	*				*	*					

Reference: made by the researcher

S: step

Oblig: obligatory

Opt: optional

PISF:probable in some fields , but unlikely in others

As it is seen above, all the articles include move 1 with its only step; for move two, the realization is mainly through step 1A(indicating a gap) in 7 articles , or 1B(adding to what is known) or S2(presenting positive justification) in the other two remaining articles. For move three, 7 Different patterns of different steps are used, but the main remark is that the obligatory first step(announcing present research) is present in all the patterns used; in addition to step five (announcing principal outcomes) which seems to be strongly present in RAs' introductions of economics.

4. Discussion of the Results

The present study aimed at exploring the rhetorical moves Algerian researchers in economics use when writing the introduction section of research articles for journal publication, and check whether they are following Swales' CARS model of (2004).In reading literature about analyzing the introduction section of research articles using the most known model of Swales, My attention was attracted by the absence of any rhetorical analysis of research articles written by Algerians in Algeria. Therefore, this study comes to bridge this gap in

literature by analyzing RA in economics using CARS model (2004) in order to check its effectiveness in the Algerian context to present it to novice researchers, who have not yet experienced writing for publication purposes. In the study, moves' organization of Algerian economic research articles' introductions was investigated and compared to Swales CARs model (2004) to examine the consistency of moves' occurrence in comparison to the model. The work aims at answering two main research questions:

What are the rhetorical moves in the introductions of RA of economics written in English by Algerian researchers for journal publication?

Are Algerian researchers following CARS model (swales, 2004) in writing the introduction section of RA in economics?

Through the analysis, we see that move one (Establishing a territory) and move three (Presenting the Work) are present in all the analysed articles, yet move two (Establishing a Niche) is present in 9 articles. Consequently, the model reflects the move structure of Algerian economics' research articles' introductions; this confirms the previously mentioned studies (Samraj, 2005; Kanoksilapatham,

2007; Hassina et al, 2014). Nevertheless, the rule has some exceptions as Vakili and Kachani (2012) proved the model inability to reflect Persian articles. At the step level, Step one (Drawing Inferences from Previous Research) was present in all the articles; step A1(Indicating a Gap) represented Move 2 in seven articles. Finally, Move three was dominated by the presence of step S1(Announcing present Research). This results approve the aforementioned studies(Rahman, Darus, &Amir, 2017; Kanoksilapatham, 2007). However, other studies like (Rahimi and Farina, 2017; Samraj, 2005; Kanoksilapatham, 2007) suggest that the model needs to be adapted to the structure of RAs in different disciplines in varied languages. For our case, the common strategies in the model should be brought to students' attention in academic writing courses so that they can make sure that these are included in their paper in a particular discipline. The results indicated that researchers in the economic field in Algeria are following CARS model that proved its effectiveness again in writing introductions as it has been described as being "seminal in shaping genre theory in English for specific purpose (ESP)" (Flowerdew, 2005, p. 322) 'received prominence in the area of ESP' (Dong & Xue, 2010, p. 37), 'ground-breaking work has generated studies providing valuable insight' (Kanoksilapatham, 2005, p.270). In the analysis, the model has fitted the rhetorical structure of articles picked up for analysis as it has already been in many studies around the world (e.g., Ahmad, 1997; Posteguillo, 1999; Mirahayuni, 2002, Kanoksilapatham, 2005; Adnan, 2000; Shehzad, 2010).

Conclusion

The study covered in this paper worked on move analysis of a corpus of 10 RAs' introductions in the field of economics using the model of Swales (2004). The goal of the study was to investigate the macro structure of the introduction section of economics RAs and compare it to Swales model in order to take the decision about recommending it for teaching introductions' writing for novice researchers. As a result, the model proved its effectiveness as it reflected the structure of successfully published RAs. Accordingly, more attention should be given to designing courses for teaching writing for publication purposes using models derived from analysis of articles in different disciplines. Furthermore, trainers as well as researchers should be aware of models of rhetorical structure of RA as a facilitating tool of writing.

The corpus collected for analysis is one of the main limitations of the study. Ten RAs cannot represent all the articles written in the Algerian journals by different researchers. For the RA sections, the present study has focused only on one section of articles, yet as argued by Kanoksilapatham (2005); it is important to understand the complete rhetorical structure of the research article. Many insights for future research can be taken from this research's findings. For instance, the corpus can be enlarged to a higher number of articles in economics, or better by drawing a comparative study between the structure of introductions of RA in economics and other social sciences. The study also can be extended to cover all RA sections using different models existing in the literature to serve novice researchers in writing their research papers.

References

- Adnan, Z. (2009). *Some Potential Problems for Research Articles Written by Indonesian Academics When Submitted To International English Language Journals. The Asian EFL Journal Quarterly*, 11(109), 107-125.
- Biber, D., Connor, & Upton. (2007). *Discourse on the move. Using corpus analysis to describe discourse structure*. Philadelphia: John Benjamin publishing company
- Dong, H. L., & Xue, H. (2010). Generic structure of research article abstracts. *Cross-Cultural Communication*, 4(3), 36-44.
- Evans, T.D., & St John, M.J. (1998). *Developments in ESP: A multi-disciplinary approach*. New York: Cambridge University Press.
- Flowerdew, L. (2005). An integration of corpus-based and genre-based approaches to text analysis in EAP/ESP: Countering criticisms against corpus-based methodologies. *English for Specific Purposes*, 24(3), 321-332. <http://dx.doi.org/10.1016/j.esp.2004.09.00>
- anoksilapatham, B. (2005). Rhetorical Structure of Biochemistry Research Articles. *English for Specific Purposes*, 24(3), 269-292. <https://doi.org/10.1016/j.esp.2004.08.003>
- Kanoksilapatham, B. (2007). Introduction to move analysis. In Biber, B., Connor, U., & Apton, Thomas. A (Eds). *Discourse on the move. Using corpus analysis to describe discourse Structure*. (pp.23-41). Philadelphia: Jhon Benjamin publishing company
- Paltridge, B. (2001). *Genre and the language learning classroom*. Ann Arbor: University of Michigan Press.
- Posteguillo, S. (1999). The schematic structure of computer science research articles. *English for Specific Purposes*, 18(2), 139-160. [http://dx.doi.org/10.1016/S0889-4906\(98\)00001-5](http://dx.doi.org/10.1016/S0889-4906(98)00001-5)
- Rahimi, R., & Farnia, M. (2017) Comparative Generic Analysis of Introductions of English and Persian Dentistry Research Articles. *Research in English Language Pedagogy*, 5(1)
- Rahman, M., Darus, S., & Amir, Z. (2017). Rhetorical Structure of Introduction in Applied Linguistics Research Articles. *International Journal for Educational Studies*, 9(2)
- Samraj, B. (2002). Introductions in Research Articles: Variation across Disciplines. *English for Specific Purposes*, 21(1), 1-17.
- Samraj, B. (2005). An exploration of a genre set: Research article abstracts and introductions in two disciplines. *English for Specific Purposes*, 24(2), 141-156.
- Shehzad, W. (2010). Announcement of principle findings and value addition in Computer Science research papers. *IBERICA*, 19(19), 97-118
- Suryani, I., Kamaruddin, H., & Hashima, N. (2014). Rhetorical Structures in Academic Research Writing by Non-Native Writers. *International Journal of Higher Education*, 3(1), 29-38. <https://files.eric.ed.gov/fulltext/EJ1067558.pdf>
- Swales, J. (1981). *Aspects of Article Introductions*. Birmingham: Language Studies Unit: the University of Aston.
- Swales, J. M. (1990). *Genre analysis: English in academic and research settings*. New York: Cambridge University Press.
- Swales, J. M., & Feak, C. B. (1994). *Academic Writing for Graduate Students: Essential Skills and Tasks*. Michigan series in English for Academic and professional purposes.
- Swales, J. M. (2004). *Research genres: Explorations and applications*. New York: Cambridge University Press.
- Vakili, E. Z., & Kashani, A. F. (2012). The Contrastive Move Analysis: An Investigation of Persian and English Research Articles' Abstract and Introduction Parts. *Mediterranean Journal of Social Sciences*, 3(2), 129-137

Teachers' and Students' Perceptions towards the Use of Authentic Videos in Phonetic Classes of Second Year Students of English, University of Mustapha Benboulaïd Batna 2

Date de réception : 2018-10-08

Date d'acceptation : 2019-09-24

Hamza Aïs*, Université Mostefa Benboulaïd Batna2

h.ais@univ-batna2.dz

Said Keskes, Université Mohamed Lamine Debaghine Sétif 2,

keskaid@gmail.com

Abstract

The present study attempts to evaluate the integration of authentic videos in second year phonetic classes at Batna 2 University. It aims at exploring both teachers' perceptions and students' attitudes towards using authentic videos and the barriers against their implementation. For data collection, a teachers interview and a students questionnaire were employed. The study revealed teachers' positive intentions and efforts, however their lack of training and the lack of technologies at the English department resulted the absence of using authentic videos for teaching phonetics. Also, Students showed positive attitudes and awareness towards authentic videos. Syllabus designers are invited to reconsider methods of teaching phonetics.

Key words: Authentic videos, Phonetics classes, Teachers' perceptions, Students' attitudes, Technologies

Résumé

La présente étude tente d'évaluer l'intégration des vidéos authentiques dans les classes de phonétiques de deuxième année licence à l'Université Batna 2. Elle vise à explorer à la fois la perception des enseignants de ces moyens et les attitudes des étudiants vis-à-vis de l'utilisation de ces vidéos authentiques en vue de mettre en exergue les obstacles liés à leur mise en œuvre. Pour la collecte des données, une entrevue avec les enseignants et un questionnaire destiné aux étudiants sont utilisés. L'étude révèle les intentions et les efforts positifs des enseignants, cependant le manque de formation de ces derniers et l'absence de moyens technologiques du dit département ont empêché l'utilisation de ces vidéos authentiques destinées à l'enseignement de la phonétique, et ce en dépit du fait que les étudiants se sont montrés très favorables envers l'usage des vidéos authentiques. À cet effet, Les concepteurs de méthodes d'enseignement de la phonétique sont invités à les reconsidérer à la lumière de ces résultats.

Mots clés : vidéos authentiques, cours de phonétique, perceptions des enseignants, attitudes des étudiants, les technologies

المخلص

تحاول هذه الدراسة تقييم عملية دمج مقاطع الفيديوها الأصلية في فصول السنة الثانية للصوتيات في جامعة باتنة 2. كما تهدف إلى استكشاف تصورات المعلمين ومواقف الطلاب اتجاه استخدام مقاطع الفيديوها الأصلية والعوائق التي تحول دون استخدامها. بهدف جمع البيانات، وقد أجريت مقابلة مع المعلمين وتم استجواب الطلبة من خلال استبانة. وكشفت الدراسة عن جهود الأساتذة ونواياهم الإيجابية، لكن افتقارهم إلى التدريب ونقص التكنولوجيات في قسم اللغة الإنجليزية أدى إلى عدم استخدام مقاطع الفيديوها الأصلية لتدريس الصوتيات. وأيضاً أظهر الطلاب مواقف إيجابية ووعياً اتجاه مقاطع الفيديوها الأصلية. لذلك فمصممو المناهج مدعوون لإعادة النظر في أساليب تدريس الصوتيات.

الكلمات المفتاحية: مقاطع الفيديوها الأصلية، فصول الصوتيات، تصورات المعلمين، مواقف الطلاب، التكنولوجيات

* Corresponding author

Introduction

English language learning is a complicated task. It is not like any other learning subject and because of that, teaching should be offered more focus taking into consideration students' current level, interests and needs, and appropriate learning atmosphere in order to take the learners from what they are to what they need to or / and should be, from their current level to the target level. To do so, recent studies and developments in technology have provided a variety of teaching methods and a healthy atmosphere for a good preparation of English as a foreign language (EFL) students. The History of English language teaching (ELT) has witnessed different innovations moving from a traditional classroom to an updated one. Since learning a language requires the mastery of the four skills which are accordingly listening, speaking, reading, and writing as stated in the Common European Framework Council of Europe (2001), each language skill should be well developed. In EFL classes, phonetics is considered as one of the important modules and instructors are in a continuous attempt into making it effective. Phonetics is taught differently in different academic institutions. Phonetics is mainly composed of teaching productive and receptive skills and these two main components are given different values in teaching. While some universities focus on teaching the receptive skills, others value production over reception and the use of a specific learnt material which characterizes a good grasp of the language (Kohler, 2000). According to Kohler (2000), phonetics syllabus should be based on theoretical, methodological and empirical foundations of phonetics to cover both theoretical and methodological bases and practical skills. In the context of Algerian University, phonetics is one of the introductory modules which are mainly designed for developing communicative skills, both receptive and productive skills. It also aims at introducing the learners to the pronunciation norms of the target language, which means how language should be produced in its spoken form and developing the

students' receptive skills which are also required for any communicative activity. However, and sifting through the history of teaching phonetics in Algeria and although the 21st century has witnessed a great deal of innovations concerning teaching and learning strategies, phonetics seems to be taught traditionally. Recent studies on phonetics teaching call for the integration of using authentic videos (AVs) as a teaching method in EFL classes which offer more opportunities of practicing the target language. AVs have received a great deal of attention from educators and their effects have been positively reported in various areas of learning (Rost, 1991). In addition, they are proved to be more useful than traditional lecture-based instructions (Brett, 1995), and the more students are exposed to AVs, the better their production of the target language will be (Brett, 1997). In addition to the integration of AVs in teaching phonetics, Buck (2001) insists on using captions and subtitles to help students during listening activities, which in return help in enhancing their listening comprehension. For developing the written and spoken form of the language, AVs are of paramount importance in allowing students to read and listen simultaneously, and through developing listening and reading, students are going certainly to develop their speaking and writing production. Listening, as an important communicative skill requires cautious teaching methods. One effective teaching method is mainly based on simplifying the provided text, giving pre-listening activities, and then offering visual support for the listening activity (Baltova, 1995). Using AVs has a positive effect in developing listening skills (Baltova, 1995). Despite the fact of the availability of Information and communication technologies (ICTs) and the progress which has been recently witnessed, Algerian Universities seem to lack the required technologies especially for teaching phonetics which in return requires listening activities. In this paper, our interest to report the current teaching strategies used for teaching phonetics, teachers' and students' perceptions towards the implementation of AVs in

second year phonetic classes, and the barriers faced against this implementation.

1. Reviewing the Literature

1.1 Introducing Phonetics

Phonetics is one of the main branches of linguistics which are concerned with the study of sound. It is concerned with, as Crystal (2008, p.363) stated : *"the physical manifestation of language in sound waves and how they are produced, transmitted, and also provides methods for their description, classification, and transcription"*. Thus, phonetics is interested in how the speakers produce sounds and how others receive them. In this Kelly (2000, p.09) adds: *"Phonetics deals with the physical reality of speech"*. That is, it is concerned with how we utter words in real life speeches, or once again, it is concerned with how spoken language is produced in reality.

1.2. Phonetics between Theory and Practice

Recently proved, there have been some descriptive studies concerning phonetics education in EFL classes. Teaching phonetics differs by different settings, which are related basically to students' background, universities, and students' needs. When some universities focus on the methodological practical skills of phonetics, others focus on theory instead of practice.

Phonetics is taught differently based on different students' goals and needs. Some students opt for phonetics as a fundamental module, while others may consider it less essential. In this respect, Kohler (2000) pointed that not all teaching contexts placed the same importance on specific areas of content. For example, some institutions placed less importance to practical phonetic skills to include discrimination, production, and transcription, while others consider them as important parts of the curriculum.

Teaching phonetics for EFL students has followed different teaching methods. These methods have developed by time and different schools and interests. As far as the presentation of items is

concerned, traditional methods have followed certain approaches in teaching phonetics when a great deal of time is devoted for theory and the description of limited aspects concerning the module of phonetics (Gimson & Roach, 2001). Phonetics can be divided into segmental and supra-segmental features. First, the segmental level of phonetic description is introduced, and then suprasegmental features such as stress, rhythm and intonation are presented. All the attention is given to the first part of the program which focuses solely on the study of consonants and vowels which in return offers less chances of practice for supra-segmental features (Kohler, 2000). By doing so, students are going to know how to produce and distinguish the vocalic and consonantal contrasts of English, but because of lack of practice of the norms of speaking production, they are not going to speak the language as expected to be spoken. In this, kohler (2000) insisted on the importance of developing curricula to meet both theory and practice .Any effective learning must be related to practice so tackling the theoretical part of phonetics is not sufficient. Hence, it should be based on both teaching the theoretical basics and the practical ones

1.3 Definition of Authentic Videos

AVS are those videos which are created by native speakers to serve different purposes other than educational purposes, though they can be precisely defined by Weyers (1999, p.339) as: *"authentic television programming taped off-air and can be used with permission for educational purposes. In addition to television programming, today there are numerous video clips available on video-hosting services, such as YouTube, TV shows, Broadcasts, and others instances"* .AVs are those instruments which are meant for everyday life uses and needs. Those materials are available on Television and online services like YouTube channels which can be used for the sake of teaching. AVs play a crucial role for today's generation of students, those who perceive computer technology as a necessity to their everyday lives and communication (Sokolik,2003) .In addition to the European framework of reference

(Council of Europe, 2001) which provides one illustration for audio-visual aids for watching TV and films, other materials can be incorporated to include sitcoms, Telenovelas, film excerpts, gags, documentary and educational films, television news, interviews and talk shows, sports shows, quizzes, short presentation video clips, and television advertisements (Sherman,2003).

1.3.1 Authentic Audio-visual Aids in Communicative Language Teaching

The term ‘‘authenticity’’ or ‘‘authentic materials’’ can be dated back and fed by the communicative language teaching (CLT) in 1970 . During that time, AVs were introduced for communicative purposes and then used as means for language learning. Recently, CLT is one of the popular language teaching approaches. It emphasized the practical use of language in everyday communication. In this approach, the use of authentic materials is highly emphasized. Teachers are encouraged to use different audio-visual aids in the classroom. As the materials are mostly authentic, the classroom becomes interesting and enjoyable which creates a healthy atmosphere for learners. Usually, classroom activities are based on the activities that are related to real communication (Freeman,2000).

1.3.2 The Significance of Authentic Videos in EFL Learning and Teaching

1.3.2.1 Authentic Videos and Contextual Learning

Authentic audiovisual materials are said to have a positive effect in language learning. As pointed by Allan (1986), AVs can be used to equip the classroom with a living language. By doing so, students are going to benefit from listening to real communication and language as naturally produced in addition to their effect on vocabulary development and the language skills of speaking (Seferoglu,2008)and writing(Čepon, 2011).Moreover, students are going to develop their intercultural awareness, communicative competence (Tschirner, 2001; Mekheimer, 2011) (Tabatabei &

Gahorei 2011). AVs should be incorporated into EFL classes since they provide rich natural and contextualized language patterns of the target language (Weyers ,1999). This means that the input is learnt with relation to context. No one can deny the importance of audio-visual reception in being a rich learning tools .Audio-visual reception is said to bring learners closer to learn the same way children learn in their early ages using listening abilities (Herron, York, Corrie, & Cole, 2006).

1.3.2.2. Authentic Videos and Students' Motivation

Motivation is one of the valued elements in language teaching and learning (Huczynski& Buchanan, 2004; Seferoglu, 2008; Mekheimer, 2011). The issue of affective factors should not be neglected in any learning process. Students with low ability of learning can benefit from AVs because of their significance in raising students' motivation while learning as confirmed in one of Canning-Wilson studies (2000) on teaching with using videos. Scientifically proved, watching videos stimulates the emotional reactions of the individual and positively influences the learning process (Whiting &Granoff, 2010) .Textbook-based classes might be boring for learners, however using a variety of videos captures students' attention (Heffernan, 2005 ; Xu & Guo, 2007).

1.3.2.3 Authentic Videos and Students' Autonomy

Autonomous learning or learner's autonomy has been recently supported by many schools. By integrating AVs inside EFL classes, students are going to be trained and prepared for independent learning (Kuppens, 2010).This encourages students' extensive use of AVs. This means that students' exposure to videos becomes independent which in return raises their chances of practicing the target language outside the classroom. Besides, students can listen to different videos which help them in learning correct pronunciation .As for their practice, they can record their voices and compare them with the

original voices produced in videos, and so that they can detect the mistakes they commit and correct them. This process is found to be a key for developing self learning.

1.3.2.4 Improving Listening Comprehension in Phonetics through Authentic Videos

Teaching phonetics aims at developing communicative skills to include both listening comprehension and speaking production. One way to do so, as recent studies claimed, is through integrating AVs due to their effective role in developing listening skill and comprehension (Weyers, 1999; Seferoglu, 2008; Wagner, 2012).

AVs are said to improve students' listening comprehension because it has been proved that students who learned aurally and visually develop better their listening than those who learned only aurally (Gardner, 2006; Diao, Sweller, and Chandler 2007; Jones & Plass, 2007). Gardner (2007) emphasized the idea of learners' multiple intelligence which means that not all learners learn in the same way. That is, students own different learning styles and strategies. Incorporating AVs provides learners with different learning options because they are characterized by triple connection of image (watching or visual learning), sound (listening or auditory learning), and text (both subtitles and body language). Besides, AVs introduce learners to a wide range of real life language experiences as they increase the chances of contextual learning (Sherman, 2003).

1.3.4 Language Laboratory is a Vehicle for Incorporating Authentic Videos

In order to use AVs for teaching phonetics, language laboratory is essential because it provides the teacher with the necessary tools and technological devices like computers, headphones, tape recorders and other instances. It is language laboratory which can provide learners with necessary tasks for practice of the learnt materials. That is, language classrooms are not as equipped as laboratories because classrooms are meant to teach subjects which require

no listening tasks or technological tools such as written expression, history, literature and other modules. In this respect, Harmer (2001) insists on teaching phonetics in laboratories because it is the only way for students to listen to videos and learn phonetics the right way. Indeed, teaching with AVs in classrooms is quite impossible because the integration of AVs requires well equipped language laboratory which possesses necessary tools to support the process of learning.

02. The Study

2.1. Aims of the Study

The current study aims at:

- Providing more evidence in favor of using AVs for teaching phonetics in the EFL context
- Exploring teachers' perceptions towards the integration of AVs in phonetics classes
- Exploring students' perceptions and attitudes towards adopting authentic videos in their learning of phonetics

Based on that, one should come to the following research questions:

2.2. Research Questions

1. How do teachers consider phonetics in EFL learning?
2. What are the materials used for teaching phonetics?
3. Are the materials used for teaching phonetics effective?
4. Are authentic videos used in phonetics classes?
5. How do EFL teachers consider the integration of authentic videos in phonetics classes?
6. What are the students' attitudes towards adopting authentic videos in their learning of phonetics?

2.3 Research Methodology

2.3.1 Research Method

The current study is mainly exploratory in nature; it aims at exploring teachers' perceptions, students' attitudes towards the integration of AVs in phonetics classes and the barriers faced by teachers against this implementation.

In order to answer the research questions of this study, a teacher's interview and a students' questionnaire were employed for data collection. The questionnaire is one of the common tools which are used to gather for data collection and describe the characteristics and opinions of students who are important to the study. It is the most appropriate tool which is conducted with large populations. Also, it can be easily administered as it can gather sufficient and relevant data. Interviews are usually conducted with small populations when sampling is no longer necessary, which is the case in our context of study.

2.3.2 Population and Sampling

The participants in this study were both teachers and Students. 08 teachers of phonetics and 80 second year students of English from the whole population of 400 students at Mustapha Ben-Boulaïd Batna 2 University. They were chosen randomly from the whole population. The aim behind addressing this population is the fact that they are said to have a certain linguistic knowledge and competence about learning a foreign language as they have studied phonetics for almost two years at university. It is worth mentioning that all the teachers were following the same syllabus for teaching phonetics to second year students.

2.3.3 Data Collection Procedures

The current study was held at in the academic year 2017/2018 during the second semester. Teachers' interview was conducted individually with teachers. It was conducted face to face with all participants. Each participant was given sufficient time to express his/ her point of view. All the teachers of phonetics both males and females at the department were interviewed. The interview is composed of 07 open-ended questions in which justifications, clarification and explanations are

required for collecting necessary information regarding tools used for teaching phonetics, teachers' perceptions towards using AVs in phonetics classes, and barriers faced with the use of AVs.

Students' questionnaire was group-administered. Second year EFL students are brought together at a common place and time, and each respondent is asked to complete the questionnaire which is composed of eleven questions and a stage for further suggestions to express any further points of views, if there are any, regarding phonetics learning. The respondents were given the questionnaire's sheet for 15 minutes to complete answering the questionnaire. Most of the items in the questionnaire were created by the researcher in order to meet aims of the study. The questionnaire is composed of two sections. The first section is about students' information about phonetics learning while the second is about the students' attitudes towards the use of AVs inside phonetic classes. The questionnaire was semi-structured in which both open and close-ended questions were used. This type is the most frequently applied technique in educational research. With this type, the participants responded to a set of questions on a given topic in which they were asked to justify their responses, and thus the researcher could collect more data.

2.3.4 Data Analysis and Discussion of the Findings

The study produced both **qualitative** and **quantitative** data through both teachers' interview and students' questionnaire. For analysis of the students' questionnaire, quantitative results were counted and presented in tables. So both frequencies and percentages were calculated using the statistical packages for social sciences (SPSS) software version 22 in order to describe students' perceptions about how they perceive and consider studying phonetics and the implementation of AVs as away to learning it.

Thematic method is a qualitative method which is usually used for interview analysis. This

approach is used for identifying, analyzing, and reporting patterns (themes) within the data gathered from the interviewees in order to answer the research questions (Braun and Clarke, 2006, p.97). First, the data were prepared for analysis by transcribing, reducing them into themes following the process of coding. The aim behind this step was to identify and organize the data into similar categories for example "lack of technology sources" was classified under the category of "*Barriers and obstacles*". This process is found to be efficient time saving because it facilitates the identification of themes which are common in teachers' responses. Once the classification of themes was completed, interpretation of the qualitative data was followed. The obtained data from both the interview and the questionnaire were analyzed on the basis of the following procedures

01.Data Organization

In this step, the data are ordered in tables and figures according to the nature of questions and items. The data were organized on the basis of similar answers. This step helps the researcher to find a way for summarizing the important information and meaningless data.

02. Data Description

This step involves the process of reading the data depicted in the tables and figures through frequencies and percentages for the questionnaire and coding for the interview. In short, it is about explaining the data using words, expressions and statements instead of numbers and symbols. This step joins the previous steps with the subsequent steps and contributes to add some meaning to the data.

03. Linking the Data with the Research Questions and the Problem

In this step, and after the data were collected based on students and teachers responses, the researcher utilized them as sources for answering the research questions and the problem being studied. That is, this step is concerned with linking the

obtained data with the research questions and the problem.

2.3.5. Analysis of the Teachers' Interview

To answer the aforementioned first five research questions (01, 02, 03, 04, and 05) , this interview was conducted with teachers of phonetics in order to explain how they teach phonetics as a module in EFL classes, how they consider implementing AVs in teaching phonetics, and what prevents them from this implementation.

Research question 01

The first research questions deals with understanding teachers' perspectives regarding phonetics in EFL learning. That is, to describe what value teachers give to this module in the context of our study.

a) The Significance of Phonetics in EFL Learning

Phonetics is a crucial aspect in any language learning and EFL learning in particular .This is what has been argued by teachers of phonetics. It is an essential aspect that should be presented to EFL learners since it introduces them to the basics of accurate correct speech production. Besides, phonetics plays an important role in clarifying all the aspects and components of the spoken language since it familiarizes EFL learners with the foreign language sounds, vowels, consonants, and different variations that occur at each sound. Phonetics should be the heart of any language learning because it sheds light on the various spheres of how the language manifests in its spoken form. It is phonetics which enables learners to understand the language so that they can use it later in their speaking.

Research questions (02 & 03)

Research question 02 is purposefully attempting to report the tools and teaching strategies used for teaching phonetics. Research question 03 attempts to understand teachers' points of view about the effectiveness of traditional ways of teaching.

6) Methods and Strategies Used for Teaching Phonetics

According teachers, phonetics is still taught traditionally with the use of the handouts. When the participants were asked about the tools used for teaching phonetics, all of them agreed on the use of written courses to include definitions of different terms concerning phonetics, introducing the segmental and the supra-segmental features in addition to transcription of words.

Since practice is considered an important part in the learning process, teachers were asked about the type of activities used for practicing upon the learnt materials. The interviewees follow written activities for practice which include multiple choice items, defining terms from the learnt materials and then words for transcription. The latter is considered the norm in practicing phonetics.

Research questions (04 & 05)

Research question 04 aims at exploring the use of AVs in phonetic classes. That is, our concern is to understand whether AVs are used by teachers or not. Research question 05 is concerned with describing teachers' points of view about adopting AVs as a teaching strategy for enhancing phonetics learning. Throughout these questions, teachers provided us with insightful ideas and information about the use AVs in EFL classes and phonetics in particular. Teachers have suggested a set of ideas and practices for phonetic teaching and problems encountered concerning teaching phonetics with AVs.

C) The Use of Authentic Videos and Teachers Views about their Importance inside Phonetic Classes

AVs are absent inside phonetic classes. This is what all the participants assured in their responses. Though, they insisted on their importance in teaching EFL classes and phonetic in particular.

It is extremely important to point the significance of AVs in teaching phonetics. Practically speaking, the use of such tools would enhance and even flourish the learners' pronunciation because the

students can see and hear from native sources and not only from the instructors. In addition, students can develop their listening skills and comprehension which in return help in developing their speaking performance. Besides, phonetics, according to the participants, should be taught in laboratories instead of usual classrooms because it is the language laboratory which provides the teacher with multimedia resources which makes the integration of AVs possible.

d) Barriers against the Implementation of Authentic videos in Phonetics Classes

Teachers face a great deal of issues and barriers regarding the implementation of AVs. An unequipped laboratory is one of the serious problems as long as they lack ICTs which stands against any integration of innovative teaching materials. Lack of technology sources and materials, mainly having a limited number of data shows, resulted a limited access to them. Another problem is "Crowded classes" or large size classes which resulted absence of suitable atmosphere of the integration of AVs. It is very hard for teachers to communicate, evaluate and provide feedback for all the students since laboratories are meant for teaching small classes. Also, being a researcher and a teacher is another problem which prevents the majority of teachers who are working on their research from a good preparation of effective lessons. Needless to say, insufficient allotted time and / or the teaching hours to the module of phonetics obliged instructors to concentrate theory over practice.

f) Suggested Techniques and Tips for Effective Phonetics Learning

Practice is one major key for an effective learning and not only for learning phonetics because it is practice which prepares the individual for a good grasp of the language and life situations. In that, teachers suggest extending the teaching hours for the module of phonetics and devote a great deal of time to practice. By doing so, this will increase the chances for students to listen to extracts from native

speakers as originality will help them in learning. Practice should include listening activities to develop listening comprehension and the norms of oral production. Motivation is said to be one of the important factors which may affect the learning environment negatively or positively. AVs, as teachers of phonetics explained, increase students’ motivation which helps them in their learning because they provide the learners with a variety of learning options.

2.3.6. *Analysis of the Students’ Questionnaire*

In order to answer the research question 06: What are the students’ attitudes towards adopting AVs in their learning of phonetics? The researcher calculated the frequencies and percentages of question 06 from the questionnaire. That is, any attempt of discussion of the items in the students’ questionnaire is a contribution to answer research question 06.

a. Students’ Attitudes towards Authentic Videos

As depicted in the following table (01), the participants were asked about their opinions and attitudes about authentic videos and whether they

Table.01*Students attitudes towards Authentic Videos and Handouts*

Item	Yes	No	Total
Do you find authentic videos more enjoyable than the use of handouts?	60	20	80
Percentage	75%	25%	100%

Table designed by the researcher for analysis

b. Students’ Perceptions towards the Current (Traditional) Teaching Strategies

In order to evaluate the effectiveness of the current used tools in teaching phonetics (materials such as handouts and written activities), percentages and frequencies from item 09 in the questionnaire were calculated as it is indicated in the following table:

Table.02*Students’ Attitudes towards the benefits of Handouts and Authentic Videos*

Item	a) handouts	b)authentic videos	Total
Which one from the two materials do you find Beneficial? a) Handouts b) Authentic Videos	00	80	80
Percentage	00%	100%	100%

find them enjoyable or not. As it is indicated in the table, the majority of students (75%) find authentic videos enjoyable when 25% indicated the opposite.

The statistics above justify the extent to which students show positive attitudes towards AVs. The majority agreed that AVs make phonetics learning more effective and motivate them because they are offered more chances to listen and see at the same time, and this according to them, makes them entertain and learn simultaneously. Some students added saying that through these listening activities, they are offered more opportunities to listen to native speakers which familiarizes them with the norms of English spoken form. Others justified their responses saying:” some students like me “slow learners” cannot understand easily unless we see and listen to the information”.

A minority of students showed negative attitudes towards audio-visuals and this is probably due to their unawareness, lack of interest, or perhaps because of their learning styles do not meet audiovisual strategies. Here is the right time to point individual differences which shape the learning process. In fact, it is extremely important to take students’ different learning styles into consideration in syllabus design.

As the results in table (02) show, the participants were asked about the benefits of the learning materials, between the handouts and AVs. All the students favor AVs instead of the handouts. As the results in the table above reveal, 100% of the students prefer AVs, whereas no one from the students opted for handouts.

The majority of students supported their responses and clarified that they do not benefit from the use of handouts as a learning tool such as written activities, memorization activities, and transcription of words. The results above prove students’ positive attitudes towards AVs. When the participants were asked to justify their responses, they pointed that the handout is tiring and boring, whereas AVs facilitate understanding and memorization, develop their listening skills, and learning correct pronunciation. One student noted:” *by listening to authentic videos AVs, i can improve my listening skill and enhance my writing by learning correct spelling of the words..... especially with the use of subtitles, this*

Table .03 Students’ Use of Authentic Videos outside the Classroom

Item	students’ responses	percentages
Entertainment	08	7.5
learning phonetics	40	50
Gathering information	05	6.25
learning other subjects	25	31.25
other purposes	02	2.5
Total	80	100%

The participants were asked about the different purposes of using AVs .Among the purposes mentioned is phonetics learning in order to check how much they are interested to learn phonetics through authentic videos. As depicted from the table above, 50% of the participants use authentic videos for learning phonetics, whereas 31.25 % use them for learning other subjects when 7.5 % use them for entertainment, 6.25% gathering information, whereas only 2.5% use them for other purposes.

One may conclude how much the learners are open to the integration of technology during the

Table designed by the researcher for analysis
*would be much better and helpful...’’.*Another student added:” *“following traditional methods like handouts is a wasting of time because we need to learn correct pronunciation from native speakers not from the teachers “.*In this respect, learning phonetics rules and transcription of words is not sufficient for an effective hold of it because students need to develop their listening skill and comprehension and these two cannot possibly be acquired without exposure to authentic videos. Having this at hand, the integration of (AVs) is necessary for teaching phonetics.

c. Students’ Use of Authentic Videos outside the Classroom

In order to explore students’ exposure to authentic videos outside the learning environment (university), and to evaluate their willing to learn phonetics, percentages and frequencies from item 04 in the questionnaire were calculated as it is indicated in the following table:

Table designed by the researcher for analysis
process of language learning. This seems to be a positive sign from their side because usually in some of the learning contexts, teachers face problems of students’ negative attitudes towards technology due to ethical issues, but nowadays students’ interest of learning new languages led them to forget this issue of ethics since they focus on learning new languages and cultures. In this respect, one participant stated:” *I always try to focus on the pronunciation of words when watching movies and videos in YouTube”.* It is extremely significant to point that learners are interested in learning phonetics with the presence of

different authentic audiovisual materials. This explains their positive attitudes and their willing to learn in non- traditional classroom.

d. Teaching Phonetics in Laboratories

The extent to which students are aware of the need for laboratories instead of classrooms for teaching phonetics justifies their knowledge about the module, its nature, and the skills which are supposed to be developed through it. Percentages from item 03 were counted as it appears in the following table:

Table.04 Teaching Phonetics in Laboratories

Item	Yes	No	Total
Do you think that teaching phonetics should be in Laboratories instead of classrooms	60	20	80
Percentage	75%	25%	100%

Table designed by the researcher for analysis

The students were asked about their opinions about teaching phonetics in laboratories instead of classrooms.75% of students are aware that phonetics should be taught in laboratories when 25% of the students think the opposite.

Students are aware of the nature of phonetics which is mainly based on developing listening capacities for a preparation of the speaking production because for students to develop their production, they should first develop their receptive skills .Language laboratories are important sources for EFL students because they can practice different areas of phonetics through different listening activities. Teaching students in laboratories makes the mission of teaching easier because the learners would be independent and the instructor would only guide them.

e. Easiness of Learning Phonetics between Authentic Videos and Handouts

This question was targeted to explore students’ attitudes towards authentic videos, percentages were calculated as it is shown in the following:

Table.05 Easiness of Authentic Videos for Learning Phonetics

Item	Yes	No	Total
Do you find authentic videos easier than Written activities for learning phonetics?	70	10	80
Percentage	87.5%	12.5%	100%

Table designed by the researcher for analysis

As the results in the table above shown, a majority of 87.5% of students think that learning phonetics with the integration of AVs is easier than learning with the use of handouts whereas a minority of 12.5% claimed the opposite.

From these results, students seem to believe that written activities are less helpful and take a great deal of time in teaching them pronunciation and the norms of speaking . AVs on the other hand, put them directly in the spoken form of the language because they listen to correct pronunciation of words as exactly produced by native speakers .This facilitates the process of learning .In that, one student

stated: “I want to learn correct pronunciation from videos I want to hear words pronounced by native speakers” .Another student added:”some words can only be learnt by natives themselves not from the teacher not from our classmates”. Another participant said: “learning phonetics with handouts makes it even tiring and hard to learn”. This justifies how much students are attracted to the language produced by native speakers because words spoken by the teacher do not look exactly as the ones produced by natives. Students could be misled by their teachers to a wrong pronunciation which further affect their communication negatively. This is

perhaps due to the fact that words being spelt are different from being pronounced as proved in studies held by Harmer (2001).

2.4. Discussion of the Findings

Phonetics as a module in EFL classes is important for language learning. Because of that, it requires a variety of innovative teaching strategies. Although teaching phonetics necessitates listening activities, AVs are absent inside phonetics classes. Besides, students find AVs helpful in understanding and learning correct pronunciation of words, contextual learning, and developing speaking skills. These findings are in a line with studies held by Seferoglu (2008) , Weyers (1999).Needless to say, AVs can make the classroom interactive and hence facilitate the learning process.. As the 21 st century has witnessed innovative teaching methods and the development of technology, EFL learners have become attracted to updated teaching and learning strategies. The latter are found to meet learners' demands and needs. What can be noticed in students' responses is the fact that they are aware of the nature of phonetics, its objectives and the skills which are supposed to be developed in this module. Indeed, students realize that practice in phonetics should be based on listening activities. Listening should be based on sounds and speeches created by native speakers. AVs are found to be easy tools and attractive sources because they make learners watch and listen simultaneously and explore the norms of the speaking whereas studying with handouts is boring and tiring .This finding is supported by (Heffernan, 2005 ; Xu & Guo, 2007) who proved that textbook-based classes might be boring for learners, however using a variety of videos captures students' attention and motivates them to learn. Besides, students expressed the need for language laboratory because it is the only way which makes the use of AVs possible. This finding is supported by Harmer (2001) who insisted on teaching phonetics in laboratories because they offer more chances for practice of listening skills. The majority of students (50%) use AVs outside the classroom for learning and developing their language learning in on side and

their listening skills from another side. This proves students' exposure and readiness to learn phonetics with AVs .This finding is supported by many researchers like (Gardner, 2006 ; Diao, Sweller, and Chandler 2007; Jones& Plass,2007) who proved that students who learned aurally and visually develop better their listening than those who learned only aurally. This means that AVs own a variety of leaning options which meet students' different learning styles.

2.5. Recommendations

Based on the findings obtained from teachers' interview and students' questionnaire, we come to the following recommendations:

- EFL Teachers must be offered more facilities for their teaching phonetics.
- Curricula designers should encourage the use of AVs in phonetics courses, especially in the first two years of the academic career at university.
- Teaching phonetics must be reconsidered, and hence should be taught in laboratories instead of classrooms.
- Traditional teaching methods which are based on introducing the theoretical aspects is not sufficient for an effective learning, hence more practice must be the norm in teaching phonetics to include listening activities.
- Syllabus designers must consider learning styles as one of the important individual differences in course design. Because of that, students must be placed at the beginning of courses according to their learning styles because this shapes their language acquisition.
- Departments of English should be equipped with laboratories because some modules are based on listening activities and technology.
- Teachers should receive training concerning new technologies and AVs' use taking into consideration students' needs and level, materials' selection and appropriateness, and the skills which are supposed to be developed.
- For extensive use of AVs, EFL learners are invited to use them as sources of learning because

implementing these strategies inside the classroom is not sufficient.

- As far as the integration of AVs is concerned, teachers should consider a set of criteria. Thus, the selection of teaching strategies is based on considering the learners needs, the nature of the course and the objectives of lesson.

- Concerning the segmental level of phonetics and the supra-segmental features such as: stress, rhythm and intonation which are extremely crucial in learning correct pronunciation and oral production, AVs are the appropriate sources for practicing upon the learnt material.

Conclusion

To sum up, phonetics is an important module which is taught in EFL classes. It familiarizes the learner with language speech sounds, so that s/he will be able to use it in both academic and life purposes. Thus, any failure in teaching phonetics means a failure in meeting learners' demands and needs in phonetics. Despite the fact of this, phonetics was found to be taught traditionally following traditional methods which are based on learning some rules and practicing these learnt materials using written tasks.

Students need teaching strategies which involve more opportunities of listening tasks. Therefore, updated methods of teaching phonetics should be the main concern. AVs are one of the updated methods for teaching phonetics because they offer the learners a great deal of listening to meet the nature of phonetics and its demands. Language laboratory is one of the important conditions for the implementation of AVs. It is an essential way for students to practice their listening skill and comprehension of the target language. As a matter of fact, and although teachers are open to the integration of AVs in phonetics classes, lack of laboratories and crowded classes are two main causes behind teaching phonetics in classrooms using written courses. Following traditional methods, teachers seem to prepare students only for the test (exams) forgetting their mission of developing students' production and learning as whole. In the context of our study, it is not the responsibility of instructors solely, but also syllabus designers and administration to reconsider methods used for teaching phonetics to eliminate any problems that might face teachers and learners throughout teaching and learning of phonetics.

References

- Allan, M. (1986). *Teaching English with video* Longman: Avon English Language Curriculum Guide (2004)
- Baltova, I. (1995) "The impact of video on the comprehension skills of core French students," *Canadian Modern Language Review*, vol. 50, pp. 507-523
- Braun, V. & Clarke V. (2006). Using thematic analysis in psychology. *Qualitative Research in Psychology* 3, pp.77-101. www.QualResearchPsych.com
- Brett, P. (1995), "Multimedia for listening comprehension: The design of a multimedia-based resource for developing listening skills," *System*, vol. 23, no. 1, pp. 77-85.
- Brett, P. (1997), "A comparative study of the effects of the use of multimedia on listening comprehension," *System*, vol. 25, no. 1, pp. 39-54.
- Buck, G. (2001), *Assessing listening*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Čepon, S. (2011). Interlingual subtitling as a mode of facilitating incidental foreign language acquisition. *English for Specific Purposes World*, 1(33). Available at: [http://www.espworld.info/Articles_33/Doc/Interlingual%20subtitling](http://www.espworld.info/Articles_33/Doc/Interlingual%20subtitling%20Cepon.pdf) (24 November 2013).
- Council of Europe. (2001). *Common European Framework of Reference for Languages: Learning, Teaching, Assessment*. Cambridge: Cambridge University Press. Retrieved http://www.coe.int/t/dg4/linguistic/source/framework_en.pdf
- Crystal, D. (2008). *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. 6th edition. Oxford: Blackwell Publishers
- Diao Y, Sweller, J., and Chandler, P. A. (2007). "The effect of written text on comprehension of spoken English as a foreign language," *American Journal of Psychology*, vol. 120, no. 3, 2007, pp. 237-261.
- Freeman, D. L. (2000). *Techniques and principles in language teaching*. New York: Oxford University Press.
- Gardner, H. (2006), *Multiple intelligences: New horizons*, New York: Basic Books.
- Gimson, R. & Roach, P. (2001) *English Phonetics and Phonology*. Cambridge: CUP.
- Harmer, J. (2001). *The practice of English language teaching*. England: Longman
- Herron, C, York, H, Corrie, C. & Cole, S. P. (2006). A comparison study of the effects of a story-based video instructional package versus a text-based instructional package in the intermediate-level foreign language classroom. *CALICO Journal*, 23(2), 281-307.
- Heffernan, N. (2005). "Watching movie trailers in the ESL Class," *The Internet TESL Journal*, vol. 9, no. 3. Retrieved from <http://iteslj.org/Lessons/Heffernan-MovieTrailers.html>.
- Huczynski, A. & Buchanan, D. (2004). Theory from fiction: a narrative process perspective on the pedagogical use of feature film. *Journal of Management Education*, 28(6), 707-726.
- Jones, L. and Plass, J. (2007). Supporting listening comprehension and vocabulary acquisition with multimedia annotation," *The Modern Language Journal*, vol. 86, pp. 546-561.
- Kelly, G. (2000) *How to Teach Pronunciation*, Longman: Longman Press
- Kohler, K. J. (2000). The future of phonetics. *JIPA* 30, 1-24
- Kuppens, A. H. (2010). Incidental foreign language acquisition from media exposure. *Learning, Media, and Technology*, 35(1), 65-85.
- Mekheimer, M. (2011). The impact of using videos on whole language learning in EFL context. *Arab World English Journal*, 2(2), 5-39.
- Rost, M. (1991) *Listening in action*, New York: Prentice Hall
- Sokolik, M. (2003). Student perceptions of classroom technology. *The CATESOL Journal*, 15(1), 43-50.
- Sherman, J. (2003). *Using Authentic Video in the Language Classroom*. Cambridge: CUP.
- Seferoglu, G. (2008). Using feature films in language classes. *Educational Studies*, 34(1), 1-9.

- Tabatabaei, O. & Gahroei, F. R. (2011). The contribution of movie clips to idiom learning improvement of Iranian EFL learners. *Theory and Practice in Language Studies*, 1(8), 990–1000.
- Tschirner, E. (2001). Language acquisition in the classroom: the role of digital video. *Computer Assisted Language Learning*, 14(3–4), 305–319.
- Wagner, E. (2012). The effect of the use of video texts on ESL listening test-taker performance. *Language Testing*, 27(4), 493–513.
- Weyers, J. R. (1999). The effect of authentic videos on communicative competence. *The Modern Language Journal*, 83(3), 339–349.
- Whiting, J. & Granoff, S. (2010). The effects of multimedia input on comprehension of a short story. *TESL-EJ*, 14(2), 1–10
- Wilson, C. (2000). "Practical Aspects of Using Video in the Foreign language Classroom", in *The Internet TESL Journal*. Vol. VI, No. 11. Available at: <http://iteslj.org/Articles/Canning-Video.html> *TESOL-SPAIN Newsletter* 31, 5-8 2007
- Xu and Guo, H. M. (2007). *English through movies*, Beijing, CHN: Beijing Institute of Technology Press.

Appendices

Appendix A:

Teachers Interview

01-To what extent do you consider teaching phonetics important in EFL classes?

.....

.....

02-How do you deliver phonetics courses? Through: a) written courses?

- b) Audio courses?
- c) Both audio and written courses?
- d) Other techniques?

03- The practice in phonetics classes includes: a) written activities?

- b) Listening activities?
- c) Both written and listening activities?
- d) Other activities?

04- As far as phonetics module is concerned, do you implement any authentic videos for teaching?

If yes how.....

.....

.....

05- If no, what prevents you from this implementation?

.....

.....

06- To what extent do you consider the importance of implementing authentic videos in teaching phonetics?

.....

.....

07. In your opinion, what are the best techniques for students to improve their learning of phonetics?

.....

.....

.....

Thank you for your cooperation!!

Appendix B:

Students Questionnaire

This questionnaire is a part of an academic research. It aims at exploring "Students Attitudes towards the use of the authentic videos in Teaching Phonetics". You are kindly requested to answer the following Questions. Please, tick (✓) the choice that corresponds to your answer and provide the necessary justifications and explanations to your responses. Thank you very much!

Section One: Phonetics Learning

01. Do you think that phonetics is difficult to learn?

Yes ☐

No ☐

I do not know ☐

02. Do you think that phonetics should be taught in laboratories instead of the classrooms? Why?

Yes ☐

No ☐

Please

explain!!.....

03. Do you think that authentic videos are important in language learning? Justify your answer!!!!

Yes ☐

No ☐

why!!?.....

04. What are the strategies you usually use to learn phonetics?

05. Do you think that using authentic videos is a good strategy for learning phonetics?

Yes ☐

No ☐

I do not know ☐

why?.....

Section two: Authentic Videos Use

06. I use authentic videos for: Please put them in order of importance (1- 5)

➤ Entertainment ☐

➤ Learning phonetics ☐

➤ Gathering Information ☐

➤ learning other subjects ☐

➤ Other purposes ☐

07. Have you ever been asked by your teacher/ instructor to use authentic videos for learning phonetics at university?

Yes ☐

No ☐

08. Do you think that using authentic videos are more enjoyable than the use of handouts?

Yes ☐ No ☐ please explain!!!

09. Which one from the two materials do you find beneficial?

a) Handouts b) Authentic Videos

Please explain!!

.....
.....

10.What are the problems that mostly faced in using authentic videos?

Problems of listening comprehension?

Problems of catching up the words said by the speakers?

Problems of not understanding different accents?

You have weak / poor listening skills ?

You have no difficulties?

11. Do you find authentic videos easier than written activities for learning phonetics?

If yes why?

.....

If no Why?

.....

Other problems!!! Please be specific

.....

Further Suggestions

.....

.....

.....

.....

.....

Thank you for your cooperation!!